رفع
المساهم
غفر الله له ولوالديه

جديد
إصدار 1421 - 2000

المؤامرة الكبرى
على بلاد الشام

دراسة تحليلية للنصف الأول من القرن العشرين

إعداد
محمد فاروق الخالدي





الرقم الدولي :

الموضـــوع : تاريخ معاصر

العنـــوان : المؤامرة الكبـــرى

التأليـــف : محمد فاروق الخالدي

الصف التصويري : الاعتصام ـــ الأردن

تصميم الغلاف: شركة رشاد برس - بيروت

التنفيذ الطباعي: شركة رشاد برس - بيروت

عـــدد الصفحـــات : 572

قيـــاس الصفحـــة : 17 × 24

عدد النســـخ : 2000 نسخة

دار الـــراوي

ص.ب:(1189) الدمام 31431 هاتف: 8172898

فاكس:8172469 المملكة العربية السعودية ـ الدمام

E-mail: rawiturki @ sahara. com. SA



الطبعـــة الأولـــى

1421 هـــ = 2000 م





المؤامرة الكبرى

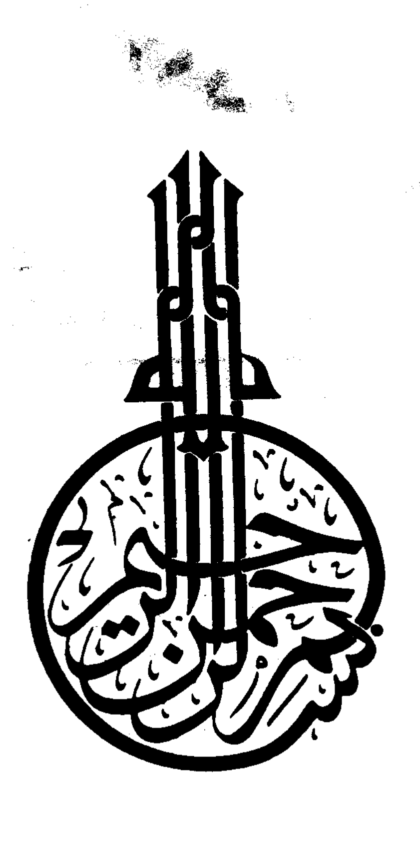
على بلاد الشام

دراسة تحليلية للنصف الأول من القرن العشرين

إعداد
محمد فاروق الخالدي






بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وصلىٰ الله علىٰ سيد المرسلين وعلىٰ آله وصحبه الذين حملوا رسالة الإسلام، ورفعوا راية القرآن، وبلغوا دعوة الله إلى الناس، فأخرجوهم بها من الظلمات إلىٰ النور.

وبعد:

فإن عداوة المشركين للإسلام وأهله قديمة قدم الإسلام ودعوته... وهي مستمرة على مدار التاريخ...

● من ذلك هذه المؤامرة الضخمة التي تعرضت لها بلاد المسلمين عامة، وديار الشام خاصة، منذ مطلع القرن العشرين. لقد حيكت المؤامرة بخبث ومكر وحقد، من قِبَلِ قوى الشر العالمية، فحطمت أكبر امبراطورية في العصر الحديث، بعد أن كان قادتها، قد دكوا معاقل أوربا، وأحاطوا بأسوار ڤيينا، وشارفوا على احتلال فرنسا.

حُطمت الدولة العثمانية، ومُزِّقت ولاياتها، وطرد الخليفة خارج الحدود...

تم ذلك كله خلال أحداث سريعة، تبدو وكأنها مسرحية مأساوية، ولا تزال آثارها ماثلة للعيان حتى اليوم.

● فما الذي دمر تلك الأمبراطورية الضخمة؟! وما العناصر التي اشتركت في تلك المأساة الدامية؟!

ذلك ما سوف يجده القارئ الكريم مفصلاً، خلال أبواب هذا الكتاب وفصوله - إن شاء الله -.

● وإكمالاً لفصول تلك المأساة، قَسّم المتآمرون بلاد المشرق العربي، فأصبحت مزقاً متناثرة، وكيانات متناحرة استغلوا فيها الطائفية الحاقدة، والعملاء المحليين، وتم تهويد فلسطين لصالح عصابات صهيون.

● ذلك أن بلاد الشام كانت مقابر الصليبيين الغزاة في القرن السادس الهجري، منها انطلقت صيحات الجهاد والتكبير لترد كيد المعتدين، قاد حركة الجهاد أبطال عظام أمثال نور الدين وصلاح الدين، وحولهما كوكبة من خيار علماء الأمة وصلحائها.

● وفي بلاد الشام كانت صيحة وا إسلاماه تدحر المغول الوثنيين في عين جالوت، على يد القائد سيف الدين قطز ومعاونيه من القادة الميامين...

●● في تلك الديار المعطاء كانت الانتصارات التاريخية على أعداء هذا الدين...

وفي تلك البلاد المباركة الخيّرة: المسجد الأقصى وبيت المقدس... وكان



إليها إسراء نبينا ﷺ، ومنها معراجه.

●● وفي ديار الشام سيكون فسطاط المسلمين «في دمشق والغوطة» يوم الملحمة، وفيها ميدان المعارك مع الروم «نصارى الغرب» وحلفائهم من يهود، سيكون ممتداً حتى حلب ودابق وضفتي نهر الأردن... ولتلك البلاد كانت بشائر النصر على تلك التجمعات...

● «يقاتل بقيتُكم الدجال على نهر الأردن، وأنتم شرقي النهر وهم غربيه»، وفي فلسطين ستكون الملحمة الكبرى، حيث يقتل الدجال، ويُكسر الصليب ويُقضى على مشركي اليهود والنصارى.

● من أجل هذا كله كانت المؤامرة ضخمة على بلاد الشام، وما تزال خيوطها تُحبك حتىٰ اليوم...

● ومن أجل ذلك كان التعتيم الإعلامي، والتدليس التاريخي ليُحجب عن المسلمين حقيقة ما يجري في بلاد الشام، وما يُدبر لفلسطين وأهلها...

● ولأجل ذلك جاء هذا الكتاب «المؤامرة الكبرى لإسقاط الخلافة وتمزيق ممتلكاتها» ليوضح تلك المؤامرة الضخمة خلال النصف الأول من القرن العشرين.

جاء ليكَون دعوة صارخة صادقة لأبناء هذه الأمة ليَعوا المخاطر التي تحيط بهم، والمخططات التي ما زالت مستمرة للإجهاز على مقدساتهم ومعتقداتهم...

وعسى أن تعود الطائفة المنصورة مجتمعة على الكتاب والسنة، لتقف بالمرصاد لهذا الانحدار المشين، والاستسلام المهين، ليهود وحلفاء يهود... وليس ذلك علىٰ الله بعزيز.

والبشائر الصادقة تشير إلىٰ أنها ستكون على أرض الشام المعطاء الخيرة..

وقد جاء الكتاب موزعاً على الأبواب الخمسة التالية:

الباب الأول:

خصص للحديث عن فضائل بلاد الشام ومناقب أهلها، والدور المنتظر لهم، والاستشهاد بالأحاديث النبوية الصحيحة حول ذلك الموضوع بعد التعريف ببلاد الشام وحدودها عند الأقدمين.

الباب الثاني:

فيه عوامل سقوط الدولة العثمانية، وذكر مزاياها الطيبة أيام قوتها، وبيان دور السلطان عبد الحميد الثاني، في الدفاع عن فلسطين والوقوف أمام التيارات الحاقدة، من ماسونية ودعاة التغريب والقومية المتطرفة.

الباب الثالث:

وفيه رصد لعناصر المؤامرة الكبرى ممثلة في دور الحركة الطورانية، وردة فعل الحركات القومية عند العرب، ثم ثورة الشريف حسين على الخلافة العثمانية لمساعدة الإنجليز تمويلاً وتسليحاً...



وكان وراء هذا التآمر التعاون الصليبي الصهيوني تخطيطاً وتمويلاً، وخداعاً وغدراً.

الباب الرابع:

بعنوان التحالف مع الإنجليز والحصاد المر... ومن ذلك الحصاد المرير، احتلال دمشق من قبل فرنسا وكذا بيروت، وطرد حليفهم فيصل بن الحسين، ثم عزل الشريف حسين ونفيه إلى قبرص، ليعيش حياة الذل والندم والحرمان.

● وآخر ذلك الحصاد: إلغاء الخلافة وطرد الخليفة ومصادرة أملاكه على يد كمال أتاتورك... بعد احتلال بريطانيا لبقية البلاد...

الباب الخامس:

يتحدث عن مرحلة الانتداب الاستعماري: مرحلة تقسيم بلاد الشام وتجزئتها بين أطماع حلفاء الأمس (الإنجليز والفرنسيين) فقد مزقت فرنسا سوريا إلى دويلات عديدة، وأنشأت في لبنان ما يسمى بدولة لبنان الكبير بعد أن ضمت إليه عدة أقضية من سوريا وقد تم ذلك لمصلحة نصارى لبنان على حساب المسلمين.

● وأنشأت بريطانيا إمارة في شرقي الأردن تحت مظلتها، كما عملت على تهويد فلسطين بالمكر والقوة طوال ثلاثين عاماً.

● هذا وأضرع إليه تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يَسُد بهِّ ثغرة تحتاج إليها مكتبتنا الإسلامية، عسىٰ أن تأنس بها الأجيال المؤمنة



القادمة... وذلك أقصى ما نتمناه، وأسمى ما نرجوه ونسعى إليه.

● اللّهم أعنّا ولا تُعِنْ علينا، وانصرنا ولا تخذلنا، اللّهم ربّنا لا تُحمِّلنا ما لا طاقة لنا به، واعفُ عنا، واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا، فانصرنا علىٰ القوم الكافرين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

حرر في: ١١/ شوال ١٤١٩هـ.

الموافـق: ٢٨/ ١/ ١٩٩٩م.

الباب الأول
فضائل الشام والدور المنتظر

وهو باب تمهيدي يشمل :

١ - تعريف الشام عند الأقدمين.

٢ - بلاد الشام بين الماضي والحاضر.

٣ - فضائل الشام ومناقب أهله.

٤ - الدور المنتظر لأهالي الشام كما بشرت به الأحاديث النبوية.

(١)

تعريف الشام عند الأقدمين:

الشأم والشام والشآم، هو اسم هذا القطر العزيز عى ما عرفته العرب، وهو يتناول عامة الأقاليم الداخلة اليوم في فلسطين وسورية بسبب الاصطلاح الحديث، وطبعاً يدخل فيها اسم لبنان وشرقي الأردن.

وهذه تقسيمات ما كانت معروفة قبل الاستعمار الأوربي الحديث، وقبل اتفاقية سايكس ـ بيكو، التي اقتسم فيها الحلفاء (الإنجليز والفرنسيون) بلاد الشام بعد أن غدروا بأهلها، واستغلوا قادتها في حرب الدولة العثمانية.

● وسورية اسم غلب إطلاقه على القطر الشامي... وقيل: إنّ سبب التسمية أن اليونان لما فتحوا الشام رأوا الآشوريين يتولون أمره، ، فسموه «آشورية» والفرس كانوا يسمون العراق والجزيرة والشام: «سورستان»، إضافة إلى السريانيين، الذين هم الكلدانيون، وتسميهم العرب: النبط[١].

●● وللغويين والجغرافيين في سبب تسميته (شاماً) آراء مختلفة.

فقيل: سمي لتشاؤم بني كنعان إليه، وقيل: بل سمي باسم سام بن نوح، لأنه نزل به، واسمه بالسريانية (شام)، وقيل سميت الشام شاماً، لكثرة قراها وتداني بعضها من بعض، فشبهت بالشامات.

---

(١) خطط الشام: محمد كردعلي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت/ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، ص٧ من الجزء الأول



• وإطلاق الشام على دمشق، من باب إطلاق العام على الخاص، والعرب كثيراً ما يسمون المدن القواعد بأسماء أقاليمها، فكانوا يقولون بلا فرق: دمشق أو الشام، الفسطاط أو القاهرة أو مصر[١].

•• لقد كانت خيرات الشام كثيرة، وقراها مزدحمة، فقد ذكر الظاهري (من أهل المئة التاسعة للهجرة) أنه كان على عهده، نيف وألف قرية ومدن صغار في حوران.

وأنه كان في إقليم غوطة دمشق نيف وثلاثمئة قرية، وبه مدن صغار، وبلدان تشابه المدن.

وأنه كان في وادي التيم وما إليه (٣٦٠) قرية. وإذا أحصيت هذه الأقاليم الثلاثة اليوم لا تجدها في حوران تزيد على (٤٠) قرية، ومنها الخِرَب، وفي الغوطة (٤٢)، وفي وادي التيم، لا تزيد عن (٣٠ – ٤٠) قرية، وهكذا سائر الشام[٢].

وذلك بسبب خراب الزراعة والمزارع، فقد تنازل عن الأملاك أصحابها لكثرة الضرائب، وظلم الحكام والمرابين، مع كثرة الحروب والقحط، ومظالم الانكشارية وبعض الولاة[٣].

حدود الشام:

وحدّ الشام من الغرب البحر المتوسط، ومن الشرق البادية من أيلة إلى

---

(١) خطط الشام: ج١/ص٨.

(٢) بالمقارنة مع عصر: صاحب الخطط/ كردعلي، مطلع القرن العشرين.

(٣) خطط الشام: ج٤، ص١٣٥.



الفرات، ومن الفرات إلى آسيا الصغرى، وشمالاً إلى الروم، وجنوباً حد مصر وتيه بني إسرائيل.

وأوصلوا الحد غرباً إلى طرطوس (قرب أذنة) إلى رفح بين مصر والشام[1].

● وبموجب الاتفاق الفرنسي، جعلت الحدود في قرية «قطمة» على طريق سكة بغداد، على أربعين كيلو متراً من حلب... وليس الأمر كذلك، لأن حد الشام ينتهي بسفوح جبال طوروس، آخذاً إلى ما وراء خليج الاسكندرونة لجهة أرض الروم.

يقول الإدريسي: ومن السويدية إلى جبل رأس الخنزير عشرون ميلاً، وهو أول بلاد الأرمن وآخر بلاد الشام.

فما كان من جهة الشام على ضفة الفرات فهو شام، وما كان على الضفة الأخرى من الشرق فهو عراق.

فصفِّين مثلاً في الشام.

وتدخل دومة الجندل المعروفة اليوم بالجوف في الجنوب، في جملة هذا القطر، كما أنّ (أيْلة) هي آخر الحجاز وأول الشام.

فالعريش أو رفح هي حد الشام الجنوبي الغربي، ومعان نصفها للشام، ونصفها للحجاز، فيقال: معان الشامية ومعان الحجازية[2].

---

(١) خطط الشام: محمد كردعلي، ج١/ص٩ – ١٠.

(٢) خطط الشام: محمد كردعلي، ج١/ ص٩ – ١٠.



سكان الشام:

لقد سكن الشام أقوام كثيرون على مدار التاريخ.

سكنها الآراميون في القرن الثامن قبل الميلاد، وسكنتها قبائل العرب القديمة، مثل سُليح وغسان والضجاعم، وسكنها التنوخيون، وقبائل لخمْ وجذام وعامِلة، وذبيان وكلب، وقبائل عربية أخرى كالأزد وقيس.

- ومن الغزاة: الفرس والروم، كما سكنها مهاجرون من التركمان والأكراد والشركس وغيرهم[١].

● أما اليهود، فقد أحرق الرومان أورشليم عليهم، ودمروا المدن وسبوا الهيود، فثار هؤلاء على الرومان سنة (١٣٢) فقتل الرومان منهم (٥٨٠) ألفاً، وأحرقوا ودمروا تسعمائة قرية عدا الحصون، وأسروا كثيراً منهم، بعثوا بهم إلى (روميّة) حتى انقطعت شأفتهم من فلسطين مدة خمسة عشر قرناً.

ولما دخل المسلمون أرض فلسطين، لم يجدوا فيها يهوداً لأن حروب الروم، واضطهادات ملوك النصرانية لم تترك حجراً على حجر من اليهودية السياسية والوثنية.

فقد أمعنوا في القضاء عليها، وذرّوا رمادها في الرياح ففقدت فلسطين جميع التقاليد اليهودية، وجماع اليهود الذين تراهم هم من الطرّاء «الوافدين» على فلسطين مؤخراً، نزلوها بعد أن بادوا منها مدة خمسة عشر قرناً[٢].

---

(١) خطَط الشام: ج١/ ص١٧ - ٣٠.

(٢) السابق: ج١/ص٥٩.



(٢)

•• الشام بين الماضي والحاضر:

لقد كانت عواصم الشام متألقة زاخرة بالخيرات كثيرة المشاهد والأوقاف، وقد تغيرت مع مرور القرون والأعوام، حتى أصبحت على ما هي عليها الآن، لقد أغار عليها المتسلطون، ونهب أوقافها الدارّة الظلمة المتنفذون، والمستعمرون الصليبون، وها نحن نذكر موجزاً لذلك، عسى أن يكون فيها العبرة لأبنائها والحافز لاستعادة أمجادها.

• كانت دمشق عاصمة دولة الإسلام، أيام بين أمية وكانت موئل العلم والحضارة، قصورها وارفة، ومساجدها شاهقة، منها انطلق المجاهدون الذين نشروا راية التوحيد والعدل في أنحاء المعمورة، لقد ذهب الخلفاء العظام، وبقيت آثارهم تشهد بما بنوا، وما أبقوا، بقي لهم الذكر الحميد، والعمل الباقي...

• وكانت دمشق عاصمة الدولة الزنكية في القرن السادس الهجري، منها انطلقت حركة الجهاد المقدس أيام نور الدين محمود رحمه الله، وخلفه صلاح الدين الأيوبي.. فدحروا حَمَلة الصليب على أعقابهم تاركين الذكر الجميل، والأثر الطيب، خلافاً للغزاة الأذلاء المندحرين.

• وقد ازدهرت دمشق أيام الدولة النورية ازدهاراً أوقف عنده ابن جبير في رحلته فقال:



«هي مفخرة من مفاخر الإسلام، ومن أحسن الدنيا منظراً، كان فيها عدد كثير من الخوانق التي هي قصور مزخرفة، يطّرد فيها جميعها الماء على أحسن منظر، وأن دمشق احتوت على مائة حمام وأربعين داراً للوضوء»[١].

• وقال ابن جبير متحدثاً عن مشاهد دمشق وكثرة أوقافها «ولكل مشهد من هذه المشاهد أوقاف معينة على بساتين وأراض بيضاء ورباع، حتى إن البلد تكاد الأوقاف تستغرق جميع ما فيها، وهذه من المفاخر المخلدة»[٢].

• وذكر ابن بطوطة في القرن الثامن في رحلته كلاماً، يقرب من كلام ابن جبير فقال:

«والأوقاف بدمشق لا تحصر أنواعها ومصارفها لكثرتها، فمنها أوقاف على العاجزين عن الحج لمن يحج عن الرجال كفايته، ومنها أوقاف على تجهيز البنات إلى أزواجهن، وهن اللواتي لا قدرة لأهلهن على تجهيزهن، ومنها أوقاف لفكاك الأسرى، ومنها أوقاف لأبناء السبيل يعطون منها ما يأكلون ويلبسون ويتزودون لبلادهم...»[٣]

• يقول محمد كرد علي مقارناً أوقاف الشام بين القرن التاسع الهجري وأيامه في بداية القرن العشرين:

«وهذه مدينة دمشق كان في واديها في القرن التاسع زهاء ألف وخمسمائة مسجد وجامع، وليس فيها اليوم مائتان وخمسون؛ وكان فيها أوائل القرن العاشر

---

(١) رحلة ابن جبير: ص ٢٥٥، ٢٦١، طبعة بيروت/ دار صادر ١٩٥٦.

(٢) خطط الشام، محمد كرد علي، ج٥/ ص٩٩، ١٠٠، رحلة ابن جبير: ص ٢٥٥، ٢٦١، طبعة بيروت/ دار صادر ١٩٥٦.

(٣) خطط الشام: ج ٥/ ص ٩٩، ١٠٠.



(٣٢٠) مدرسة ورباط وخانقاه وتكية ومستشفى، وليس فيها اليوم من كل ذلك الإرث القديم خمس مدارس وربط . . وقد بدلت أعيانها كلها، واختلست أحباسه، وفيها ما لا تزال قائمة أو قافه مكتوبة منحوتة على أحجار أبوابها، حتى الساعة تقرأ بلسان عربي مبين، على كثرة ما بدل المبدلون وتلاعب المتولون والمستحقون.

● وهكذا قلْ عن مدارس القدس فإن أكثرها مما عبث به النظّار والمتولون، ومثل ذلك قل في مدارس حلب، وهي تعد بالعشرات فقد أصبحت أوقافها أثراً بعد عين، ولم يُكتب البقاء إلا لبضع منها . . . »[١].

●● ومن غريب أوقاف نور الدين محمود الزنكي رحمه الله، قصر الفقراء الذي عمره في ربوة دمشق.

فإنه لما رأى في ذلك المتنزه قصور الأغنياء، عزّ عليه أن لا يستمتع الفقراء مثلهم في الحياة، فعمر القصر ووقف عليه قرية داريا، وهي من أعظم قرى الغوطة وأغناها، وذكر القرماني أن داريا كان وقفها لعامة فقراء دمشق، تفرق عليها غلاتها وما برحت كذلك وقفاً إلى القرن الحادي عشر.[٢].

● لقد كانت بلاد الشام مزدهرة تنبض بالحيوية والجمال حتى قال شاعرها:

مصحة أبدانٍ ونزهـةُ أعيُن ... ولهـو نفوسٍ دائمٌ وسـرورُها

مقدّسة جاد الربيـع بلادها ... ففي كل أرْضٍ روضةٌ وغديرها

---

(١) خطط الشام : جـ ٥ / ٩٨ ، والدارس في تاريخ المدارس للعلامة عبد القادر النعيمي، دمشق / ١٩٨٨ ، نشر مكتبة الثقافة الدينية بدمشق.

(٢) خطط الشام : جـ٥ / ٩٧ .



●●● أما اليوم فقد توالت على بلاد الشام (وأمة الإسلام) النكبات فقد مزّق ديارها المستعمرون فصارت دولاً عديدة متناحرة وتسلم الحاقدون حكم البلاد، وتنفّذ أصاحب الطوائف المختلفة والنِّحل الشاذة، فساموا أهلها الأصلاء من أهل السنة والجماعة الويل والثبور، وشردوهم عن ديارهم، وضاقت البلاد بأهلها، فتشردوا تحت كل كوكب، طلباً للأمن والأمان، وحفظاً للعرض والدين، فقد تغيرت الموازين، وتبدلت الأحوال حتى وصف الشاعر ما نحن فيه فقال:

ليت شعري مَنْ على الشام دعا بدعـاء خالصٍ قد سُـــمِعا

فكســـاها ظلمةً مع وَحْشةٍ فهي تبكيــــنا ونبكيها معاً

● أما بركة الشام وفضائلها ومناقب أهلها،، فذلك مجال حديثنا في الصفحات القادمة.

(٣)

فضائل الشام ومناقب أهله:

لقد ثبت للشام وأهله مناقب كثيرة، وردت في الكتاب والسنة وآثار العلماء الأخيار.

وسوف نذكر في هذا المبحث نماذج مما صح من الأحاديث النبوية، وما ورد من آيات قرآنية، مع وقفات سريعة (أمام تلك النصوص الكريمة) وتأملات هادفة

واقتباسات مختارة مما سطره العلماء الفضلاء والكتاب المحْدثون من المسلمين، ومما أورده ابن تيمية رحمه الله وهو يحض المسلمين على غزو التتار.[1]

(١) الحديث الأول:

عن زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا طوبى للشام! يا طوبى للشام! يا طوبى للشام!» قالوا: يا رسول الله وبم ذلك؟ قال: «تلك ملائكة الله، باسطو أجنحتها على الشام»[2].

● يتضح لنا من خلال هذا الحديث الشريف، أنّ لأهل الشام خصالاً ثلاثاً:

- الخصلة الأولىٰ: ما دعا لهم به النبي ﷺ من الراحة وطيب العيش.

- الخصلة الثانية: بسط ملائكة الرحمة أجنحتها على الشام.. وأهل الشام بالمحافظة عليهم وحراستهم.

- الخصلة الثالثة: حف الملائكة للشام وأهله يكون سبباً في إنزال البركة، وجلب الخير، ودفع الشر عنها بإذن الله.

---

(١) ينظر كتاب: فضائل الشام ودمشق للربعي؛ ومعه: مناقب الشام وأهله لشيخ الإسلام ابن تيمية خرّج الأحاديث الشيخ ناصر الدين الألباني ـ طبعة المكتب الإسلامي / الرابعة/ بيروت/ ١٤٠٥هـ.

(٢) قال الألباني: هو حديث صحيح، وأخرجه الترمذي: ٢/ ٣٣١ طبعة بولاق وقال: «حديث حسن»، وأحمد في المسند: ٥/ ١٨٤، والحاكم في المستدرك ٢/ ٢٢٩، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. «ينظر فضائل الشام ودمشق/ ص١٢».



• قال العزّ بن عبد السلام رحمه الله: «أشار رسول الله إلى أن الله سبحانه وتعالى، وكلّ بها الملائكة، يحرسونها ويحفظونها[1].

(٢) الحديث الثاني:

عن عبد الله بن حوالة: قال رسول الله ﷺ: «ستُجنَّدون أجناداً، جنداً بالشام، وجنداً بالعراق، وجنداً باليمن».

قال عبد الله، فقمت فقلت: خِرْ لي يا رسول الله!

فقال: «عليكم بالشام، فمن أبى فليلحق بيمنه، وليستق من غُدَره، فإنّ الله عزّ وجل قد تكفل لي بالشام وأهله» قال ربيعة: فسمعت أبا إدريس يحدث بهذا الحديث يقول: «ومَنْ تكفّل الله به فلا ضيعة عليه»[2].

• فأرض الشام خيرة الله من أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده.

والخيرية التي أعطاها الله تعالىٰ لأهل الشام، إنما هي للمؤمنين من أبنائه العاملين بكتابه، والمهتدين بسنة نبيه ﷺ، ولذلك فهي لا تشمل العاصين والمبدلين والمضيعين لحقوق الله تعالىٰ، والمتخلين عن حق أمة الإسلام في أرض المقدسات فلسطين[3].

---

(١) عن كتاب الأرض المقدسة بين الماضي والحاضر والمستقبل: إبراهيم العلي/ الطبعة الأولى/ ١٩٩٦م ص ٣٤، ٣٥. منشورات فلسطين المسلمة.

(٢) قال الألباني (ص١٣) من فضائل الشام: حديث صحيح جداً وقد أخرجه الحاكم (٤/ ٥١٠)، وأحمد (٥/ ٣٣)، وقال الحاكم صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٣) ينظر: الأرض المقدسة، إبراهيم العلي، (ص ٤٤، ٥٦، ٥٧).



وحين يتكفل الله تعالى بقوم، رعايةً وحفظاًوعناية، واصطفاءً واختياراً، فهل يتطرق الشك إلى قلب إنسان مؤمن أن الله تعالىٰ سيضيِّعهم، كلا وألف كلا.

ولرُبَّ سائل يسأل: «إذا كان أهل الشام وأرض الشام في كفالة الله تعالىٰ، فلماذا كل هذا الأذىٰ الذي يلحق بالشام وأهلها؟!».

الجواب يتلخص في نقطتين:

الأولىٰ: أن الله تعالىٰ، قد يسوق الامتحان والابتلاء، ليختبر صبر عباده، ويرفع بذلك من درجاتهم: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد: ٣١].

الثانية: أن كل ما يصيب أهل الشام عامة من الأذى، وأهل فلسطين خاصة من كيد الأعداء ومكرهم وخاصة اليهود، في أيامنا هذه، مع محاولاتهم الشرسة لردنا عن ديننا، لن يكون إلا مجرد أذى سطحي، لن يصيب عقيدتنا وديننا[1].

قال تعالىٰ: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾ [آل عمران: ١١١].

وحين ينصح النبي أصحابه بسكنى الشام، أو حين يختار لمن استشاره أن يشير عليه ببلد يسكنه فيقول له: إني أختار لك الشام، فهو يبرز مجموعة الأسباب التي من أجلها ينصح أصحابه وأحبابه بسكنى الشام، هذه الأسباب يمكن تلخيصها بما يلي:

(١) ينظر: الأرض المقدسة، إبراهيم العلي، (ص ٤٤، ٥٦، ٥٧).



١ - أنها خيرة الله من أرضه، أو صفوته من بلاده.

٢ - فيها خيرة الله من عباده، وفيها معسكر الإيمان عند الفتن، ويجد فيها الأمن والطمأنينة عند الفتن.

٣ - فيها خيرة الأجناد، وقلب الدفاع عن الدين الإسلامي والأمة الإسلامية[١].

(٣) الحديث الثالث:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إني رأيت عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي فنظرت فإذا هو نور ساطع عُمِد به إلى الشام، ألا إن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام»[٢].

قال العز بن عبد السلام رحمه الله: «أخبر النبي ﷺ، أن عمود الإسلام الذي هو الإيمان يكون عند وقوع الفتن في الشام. بمعنى: أن الفتن إذا وقعت في الدين، كان أهل الشام براء من ذلك ثابتين على الإيمان وإن وقعت في غير الدين، كان أهل الشام عاملين بموجب الإيمان، وأي مدح أتم من ذلك[٣].

وهذا يبين عظم المسؤولية على أهل الشام، حيث أنّ الله تعالى قد عهد إليهم بحماية هذا الدين والدفاع عنه، حيث وضع عمود الكتاب في بلادهم.

وإذا وقعت فتن القحط والغلاء، وغيرها من أنواع البلاء، فإنها إذا نزلت بأرض كانت بالشام أخف منها في غيرها، وهذا معلوم بالتجربة، معروف بالمشاهدة[٤].

---

(١) ينظر: الأرض المقدسة، إبراهيم العلي/ ص٤٤، ٤٨.

(٢) حديث صحيح، أخرجه الحاكم (٤/ ٥٠٩)، وأبو نعيم في الحلية: «٥٥٢».

(٣) ترغيب أهل الإسلام: العز بن عبد السلام رحمه الله.

(٤) ينظر: الأرض المقدسة: (ص٣٧ - ٣٨).



(٤) الحديث الرابع: الشام أرض المحشر والمنشر.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «الشام أرض المحشر والمنشر»[١].

والله سبحانه حين اختار بلاد الشام وفلسطين وبيت المقدس لتكون الأرض التي يحشر إليها العباد، يعلم أنها من خير الأرض عنده، وأنها تتمتع بمنزلة عالية من التكريم والأفضلية، ولذلك استحقت أن تكون أرض المحشر والمنشر.

(٥) الحديث الخامس: الطائفة المنصورة

عن شعبة عن معاوية مرفوعاً: «إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة»[٢].

فإذا فسد أهل الشام، وابتعدوا عن دينهم، فإنّ ذلك يشكل علامة سوء في بعد هذه الأمة عن دينها، وهذا يوجه أنظارنا إلى الجهود الهائلة التي يبذلها أعداؤنا لإفساد أبناء الشام، حتى يسهل عليهم السيطرة على بقية بلاد المسلمين، لأن بلاد الشام تشكل الدرع الحصينة بالنسبة للمسلمين[٣].

وهذا مشاهد للعيان في تشريد أبناء بلاد الشام من سوريا وفلسطين ولبنان... وهنا لفتة طيبة في الربط بين فساد أهل الشام، وضرورة وجود الطائفة

---

(١) قال الألباني: حديث صحيح، ينظر فضائل الشام ودمشق ص١٦.

(٢) أخرجه الطيالسي في مسنده (ص١٤٥، رقم ١٠٧٦) وإسناده صحيح، ومن طريقه أخرجه الترمذي(٢ / ٣٠) وقال: «حديث حسن صحيح»، فضائل الشام ودمشق/ ص١٩ /.

(٣) ينظر: الأرض المقدسة: ص٤٤.



المنصورة فيها، والتي تكافح وتجاهد لإعادة الحق إلى نصابه.

قال ابن تيمية رحمه الله[1]: وهم في الشام «الطائفة المنصورة» إذ ورد في الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «وهم بالشام» وفي تاريخ البخاري مرفوعاً قال: «وهم بدمشق». وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال «لا يزال أهل الغرب ظاهرين لا يضرهم من خذلهم، حتى تقوم الساعة»[2].

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله: «أهل المغرب هم أهل الشام أي غرب المدينة»[3].

يقول ابن تيمية رحمه الله في آخر رسالته، مناقب الشام وأهله: «وقد ظهر مصداق هذه النصوص النبوية على أكمل وجه في جهادنا للتتار، وأظهر الله للمسلمين صدق ما وعدناهم به وبركة ما أمرناهم به، وكان ذلك فتحاً عظيماً، ما رأى المسلمون مثله.. عندما هُزِم التتار على أبواب دمشق»[4].

وذكر ابن تيمية في رسالته أيضاً: «أن للشام مناقب ثابتة في الكتاب والسنة، وهي أحد ما اعتمده في حضه المسلمين على غزو التتار، وأمره لهم بلزوم دمشق، واستدعائه للعسكر المصري إلى الشام، وتثبيت العسكر الشامي.. وقد انتصر المسلمون على عدوهم نصراً مؤزراً كان ذلك في وقعة شقحب،

---

(١) في رسالته: مناقب الشام وأهله، ص٧٩.

(٢) صحيح مسلم: ٦/ ٥٤، وفي المختصر (١٠٩٧).

(٣) مناقب الشام وأهله لابن تيمية، ص٧٩ – ٨٠.

(٤) مناقب الشام وأهله: ص٨٦ – ٨٧.



جنوب غرب دمشق»(١).

ومن مناقب الشام وأهله أمور منها:

البركة في الشام، ثبت في ذلك في آيات منها ما يخص الإسراء قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

وقوله تعالى في قصة إبراهيم: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾.

[الأنبياء: ٧٠ – ٧١].

ومعلوم أن نجاة لوط وعمه إبراهيم إلى أرض الشام كانت من أرض الجزيرة والعراق، ومن المناقب الواردة في كتاب الله قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾.

[الأنبياء: ٨١].

وإنما كانت تجري إلى أرض الشام التي فيها مملكة سليمان(٢).

●● وفيها الطور قال تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾﴾ [التين: ١، ٢].

●● وفيها المسجد الأقصى وفيها مبعث أنبياء بني إسرائيل وإليها هجرة

---

(١) السابق/ ص٧٣، وقد انتصرت الجيوش الشامية والمصرية في تلك المعركة، بقيادة الملك الناصر قلاوون، وذلك سنة ٧٠٢هـ.

(٢) مناقب الشام وأهله (ص٧٦ – ٧٨) بإيجاز.

إراهيم، وإليها معراج ومسرى نبينا ومنها معراجه، وبها ملكه، وعمود دينه وكتابه، والطائفة المنصورة من أمته، وإليها المحشر والمعاد[١].

●●● ومن حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:

« سيكون هجرة بعد هجرة، فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم، ويبقى في الأرض شرار أهلها، تلفظهم أرضوهم، وتقذرهم نفس الله، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير »[٢].

●● وقد استقر إبراهيم عليه السلام في منطقة بيت المقدس من الأرض المباركة... فهي مهاجر إبراهيم الخليل، وفيها توفي ودفن، في مدينة الخليل من أرض فلسطين.

* * *

● وفي الشام: بيت المقدس، والمسجد الأقصى، ثاني مسجد بني على الأرض.

● من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال:

● يا رسول الله: أي مسجد وضع في الأرض أولاً؟! قال: « المسجد الحرام ». قلت: ثم أي؟ قال: « المسجد الأقصى » قلت: كم بينهما؟ قال: « أربعون سنة، وأينما أدركتك الصلاة فصلّ فإنه مسجد »[٣].

---

(١) مناقب الشام وأهله (ص٧٦ –٧٨) بإيجاز.

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٢٤٨٢)، والحاكم (٤ / ٥٤٠) والحديث قوي بمجموع الطريقين، كما قال الألباني في تعليقه على الحديث في فضائل الشام للربعي/ ص٧٩.

(٣) أخرجه البخاري: برقم «٣٣٦٦، ٣٤٢٥»، ومسلم برقم: (٥٢٠).





● وجاء في كتاب الله، أن الكعبة هي أول بيت بني لله ولعبادته وأول مسجد في الأرض، قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٩٦]، وكان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام هما اللذان بنيا الكعبة، بيت الله الحرام ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾.

[البقرة: ١٢٧].

● فإبراهيم عليه السلام هو باني الكعبة، أول مسجد في الأرض والمسجد الأقصى في بيت المقدس هو ثاني مسجد بني على الأرض بنص حديث أبي ذر رضي الله عنه، ويقرر النبي المدة الزمنية بين بناء المسجدين بأنها أربعون سنة، وهذا يعني أن إبراهيم عليه السالم هو باني المسجد الأقصى في بيت المقدس بنى الكعبة، ثم عاد إلى موطنه في بيت المقدس، وهناك أمره الله ببناء ثاني بيت لله، وهو المسجد الأقصى.

فليس غريباً إذن، ولا مستبعداً أن يبني إبراهيم الخليل المسجد الأقصى بعد بنائه الكعبة بأربعين سنة، وفي هذا إبطال لمزاعم اليهود حول القدس وحقهم فيها، وحرصهم على إعادة هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى[١].

---

(١) انظر: حقائق قرآنية، للدكتور صلاح الخالدي ص٤٩ – ٥٠، والأرض المقدسة: إبراهيم العلي/ ص٨٠.

● قال عليه الصلاة والسلام، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «لا تشد الرحال إلى إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجدي والمسجد الأقصى». أخرجه البخاري برقم (١١٨٩)، ومسلم برقم (١٣٩٧).

● ومن المعلوم تاريخياً أن المسجد الأقصى قد عدت عليه العوادي وتأثر بالمتغيرات، وهدم بناؤه فيمابعد، ولم يكن ليلة الإسراء مسجداً قائماً متكاملاً، وإنما كانت أساساته موجودة، وبعض أعمدته وأطلاله باقية، ومنها تلك الحلقة التي ربط بها رسول الله ﷺ البراق ليلة الإسراء، وقد سمى الله هذه الأطلال والأعمدة والأساسات مسجداً، وإن لم يكن بناء قائماً حيث قال: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا ﴾ [الإسراء: ١]، على اعتبار ما كان، وما سيكون.

● كان مسجداً قائماً من قبل، واستمر قائماً مئات أو آلاف السنين وكان يأتيه الأنبياء السابقون على دوابهم للصلاة، وسوف يعود في المستقبل مسجداً قائماً، عندما ترثه أمة محمد ﷺ، وتطهره من استعمار الرومان، ورجس اليهود.

وهذا ما حصل بعد الفتوحات الإسلامية، حيث جدد بناءه خلفاء بني أمية، ولقد دخل رسول الله الأقصى، بعد أن ربط البراق على حلقة الباب فصلى فيه ركعتين، وهذا دليل على أصالة هذا المسجد، وعلى تخصيصه للصلاة ولعبادة الله سبحانه وتعالى[١].

● ففي بلاد الشام مسرى الرسول ومعراجه، حيث أمّ ﷺ الأنبياء في بيت المقدس في الصلاة، كما ورد في الأحاديث الصحيحة... وأنه كان قبلة المسلمين الأولى شهوراً عديدة... مما يدفع المسلمين لمضاعفة الجهود للمحافظة

---

(١) من مقالة للدكتور صلاح الخالدي بعنوان «الرسول يتسلم مفاتيح الأرض المقدسة»، مجلة «فلسطين المسلمة» عدد أيلول/ ١٩٩٣م.



عليه، والاستعداد لرده من كيد يهود.

●● ونختم حديثنا هذا بعبارات جميلة لسلطان العلماء العز بن عبد السلام عن فضائل الشام منها: «فإذا كان الشام وأهله عند الله بهذه المنزلة وكانوا في حراسته وكفالته، ودلت الأدلة على أن دمشق خير بلاد الشام ـ يعني بعد بيت المقدس ـ فلذلك أخبر السلف، وشاهد الخلف أن من ملك دمشق من ملوك الإسلام، فبسط على أهله الفضل ونشر فيهم العدل، فإن النصر ينزل عليه من السماء، ومع ما يحصل له من الود في قلوب الأبرار والعلماء والأخيار، ومع ما يلقيه الله تعالى من الرعب في قلوب الأعداء.

ومن عاملهم من ملوك الإسلام بخلاف ذلك... فإن الله تعالى لا يهمله بل يعاجله باستلاب ملكه في حياته، أو بإلقائه في أنواع البلاء وأبواب الشقاء، وذلك أنه في كفالة رب الأرض والسماء، كما أخبر به خاتم الأنبياء»[1]

«٤»

الدور المنتظر لأهالي الشام: كما بشرت به الأحاديث النبوية:

إن فضائل الشام، وبركة الشام، وفضل الإقامة في بلاد الشام، كل ذلك مرهون بالدور الرائد الذي يُعَدُّله أهل تلك البلاد، دور الجهاد في سبيل الله، وطرد التحالف اليهودي الصليبي، الذي ما فتئ مستمراً منذ مطلع الدعوة الإسلامية وحتى الآن، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(١) ترغيب أهل الإسلام، نقلاً عن الأرض المقدسة، ص٦٣ - ٦٤.

وهذا ما أخبرنا به الصادق المصدوق ﷺ في أحاديثه الصحاح أخبرنا بأن المعركة الفاصلة قادمة، وأن المسيح عليه السلام سيقدم ويقود المسلمين ليقتل الدجال، ملك يهود، ويحكم بالإسلام، ويكسر الصلبان، ويقضي على مشركي اليهود والنصارى، فساحات المعارك ستكون في بلاد الشام.

● وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة التالية:

١ - عن أبي الدرداء رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها: «دمشق من خير مدائن الشام»[١].

والفسطاط المدينة التي فيها مجتمع الناس، وكذلك الخيمة الكبيرة.

- وفي رواية ثانية: قال سمعت النبي ﷺ يقول: «يوم الملحمة الكبرى، فسطاط المسلمين بأرض يقال لها: الغوطة فيها مدينة يقال لها: دمشق خير منازل المسلمين يومئذ»[٢].

٢ - وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم الأعماق، أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة، من خيار أهل الأرض يومئذ...» إلى أن قال: «فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب الله

---

(١) انظر: صحيح الجامع الصغير رقم (٢٢١٧)، ج٢/٢١٨.

(٢) حديث صحيح، أخرجه أبو داود (٢/٢١٠)، والحاكم (٤/٦٣) وقال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وأقره المنذري وهو كما قالوا «ينظر ص٣٨/ تخريج أحاديث فضائل الشام للزيلعي».



عليهم أبداً، ويقتل ثلثهم، أفضل الشهداء، ويفتتح الثلث، لا يفتنون أبداً »[1] .

● فأرض المعارك مع أعداء دين الله، في بلاد الشام: حلب ودابق، والغوطة، وكذلك فلسطين، غرب نهر الأردن وشرقيه. قال عليه الصلاة والسلام:

٣ ـ « يقاتل بقيتكم الدجال على نهر الأردن، وأنتم شرقي النهر، وهم غربيه »[2] .

● ومما تقدم يتبين أنه من العقائد المشتركة عند اليهود والنصارى عقيدة (الهرمجدّون) وهو الاعتقاد بمجيء يوم يحدث فيه صدام ومعارك بين قوى الشر وقوى الخير، وقد استغل اليهود هذا الاعتقاد عندالنصارى ليقنعوهم أنَّ دولة لليهود على أرض فلسطين ستكون بمثابة موقع متقدم لليهود والنصارى، لقتال المسلمين في هذه المعركة، وبهذا الاعتقاد يحاولون تغطية محاولاتهم المتكررة لهدم المسجد الأقصى، وبناء الهيكل المزعوم مكانه، ومن ثم انتظارهم لمجيء المسيح، وحدوث المعركة (مجدّو) أو « الهرمجدون » .

والمعروف أن بلدة (مجدو) هي بلد في فلسطين، تبعد (٥٥ ميلاً) عن تل أبيب، وتقع في الجنوب الشرقي لمدينة حيفا على بعد عشرين ميلاً عنها .

والحديث عن معركة (الهرمجدون) أو الملحمة العظمى كما سماها الرسول

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٨٩٧) كتاب الفتن، (والأعماق ودابق موضعان بالشام قرب حلب) .

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات، القسم الثاني، ٧ / ١٣٩ ، طبعة الشعب، انظر التفصيل في التهذيب، وأصله تهذيب الكمال، والحديث حسن إن شاء الله .





ﷺ متداول على نطاق واسع وعلى أعلى المستويات وفي أدق القضايا العالمية وأخطرها[١].

● والمسلمون يعتقدون بنزول المسيح عليه السلام من السماء، لكسر الصليب وقتل الخنزير وقتل أعدائه من اليهود وعُبّاده من النصارى[٢].

●● ويؤمّه المهدي: وهو دليل نزوله بالإسلام، وأول من يقتله المسيح هو الدجال ـ ملك اليهود .. «يقتله عند باب اللّد بفلسطين ومعه ـ مع الدجال ـ سبعون ألف يهودي فيهزم الله اليهود، فلا يبقى شيء مما خلق الله عز وجل ليتوارى به يهودي، إلا أنطق الله ذلك الشيء... إلا الغرقدة، فإنها من شجرهم لا تنطق...»[٣].

٤ ـ وعن النواس بن السمعان الكلابي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ينزل عيسى بن مريم عليه السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق»[٤].

● ومما تقدم ندرك أهمية الدور المرشحة له الشام، وندرك أهمية تكريس الجهود للشام، وندرك الآمال المعقودة على الشام وأهلها، نقول هذا مع العلم أن أثقل وضع على الإطلاق هو وضع الشام، فهو يحتاج إلى حكمة وجرأة وإعداد

---

(١) الأرض المقدسة: ص١٩٥ - ١٩٦/ إبراهيم العلي.

(٢) إغاثة اللهفان لابن القيم: ٢/ ٣٣٨.

(٣) جزء من حديث طويل صحيح، رواه ابن ماجة برقم (٤١٢٨) في الفتن والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٣٦، ٤٣٧) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٤) حديث صحيح أخرجه مسلم (٨/ ١٩٧) وأبو داود (٣/ ٢١٣) وكذا ابن ماجه والترمذي والحاكم. وقال الترمذي: حديث صحيح.



جهادي للأمة كلها . .

والشام منذ مطلع القرن العشرين والمؤامرات « الصليبية والصهيونية تمزقها » وتحكم القبضة على أبنائها، محاولة زعزعة عقيدتها، وإفساد مسلك أجيالها ولذلك فالمهمة صعبة، ولكن الأحاديث السابقة تبشر بالنصر للمسلمين، ولن تقوم الساعة حتى يتحقق ذلك على المسلم التقي الذي يحقق عبوديته لله تعالى . . . « يا مسلم يا عبد الله » . . . وإن جيوش الجهاد التي طردت صليبي أوربا كلها، سيدحر أحفادها أحفاد يهود وعباد الصليب بإذن الله .

والتربية البناءة على تقوى الله والعودة إلى صفاء العقيدة، مع التراصّ والتكاتف والمحبة بين المؤمنين والبراءة من أعداء هذا الدين، هي مقومات طرد يهود وأعوانها قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** ﴾ [المائدة : ٥١] وما النصر إلا من عند الله ﴿ **إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾ .

﴿ **وما ذلك على الله بعزيز** ﴾ فهو القادر على كل شيء . وما على المسلمين إلا أن يعودوا إلى التمسك بتعاليم دينهم، بعد أنْ تفرقت بهم السبل، وتقاذفتهم الأهواء والفتن .

● وكانت الشام مساكن الصالحين والصحابة المجاهدين؛ ففيها دفن عشرات الصحابة رضي الله عنهم : في دمشق وحمص وأنحاء فلسطين، لقد رويت بدمائهم فاتحين مجاهدين رضي الله عنهم أجمعين[١] .

---

(١) ينظر : كتاب الصحابة الأعلام ممن دفن منهم في الشام : محمد رياض خورشيد، مراجعة الشيخ نايف العباس رحمه الله .



الباب الثاني
الدولة العثمانية قبل السقوط

الفصل الأول: عوامل سقوط الدولة العثمانية

المبحث الأول : مزايا الدولة أيام قوتها .

المبحث الثاني : عوامل سقوط الدولة العثمانية .

أ ـ عوامل داخلية .

ب ـ عوامل خارجية

الفصل الثاني: السلطان عبد الحميد : الخليفة المفترى عليه .

المبحث الأول : موقفه من تيارات التغريب ودعاة الحضارة الأوربية الوافدة .

المبحث الثاني : موقف السلطان من مخططات اليهود ومحافل الماسون .

المبحث الثالث : تبني الجامعة الإسلامية وتقريب العرب من دعائم سياسة السلطان عبد الحميد .

الفصل الأول

عوامل سقوط الدولة العثمانية

لقد أسدت الدولة العثمانية للعالم الإسلامي خدمات لا تنكر، فوحدت ديار المسلمين، وشكلت امبراطورية عظيمة، ذكرتنا بأمجاد المسلمين أيام خلافة بني أمية، وخلافة بني العباس.

اتخذت الجهاد شعاراً لها، فاجتاحت شرقي أوربا، وأرعبت الدول الصليبية الطامعة في ديار المسلمين، حتى وقفت على أبواب (فيينا وباريس) وردّت الغزاة الحاقدين على المشرق الإسلامية كالبرتغال والأسبان.

واتخدت في عصرها الأول الشريعة الإسلامية دستوراً لها، واستمرت مجلة الأحكام العدلية، منهلاً للقوانين والأحكام المستمدة من الشريعة حتى نهاية الدولة.

واستمر الخطباء يدعون على المنابر في مساجد المسلمين أربعة قرون متطاولة للدولة العثمانية، إلا أن عوامل الضعف بدأت تنخر في جسم تلك الدولة العملاقة، في الداخل، وقادمة من أعدائها في الخارج، ولكل أجل كتاب. وسوف نستعرض في هذا الباب حقبة من تاريخ الدولة العثمانية وهي آيلة إلى السقوط، وأثر ذلك على العالمين: الإسلامي والعربي، وما لحق ذلك من مؤامرات ونكبات.



المبحث الأول

مزايا الدولة أيام قوتها

لقد أسدت الدولة العثمانية خلال مرحلة قوتها، في القرنين التاسع والعاشر الهجريين، خدمات جليلة للعالم الإسلامي ومن أبرزها:

● حماية الأماكن المقدسة الإسلامية، من المخططات الصليبية البرتغالية، حيث وقفت الدولة العثمانية في وجه ذلك الزحف الحاقد.

●● المحافظة على إسلام وعروبة الشمال الأفريقي، بعد أن استنجد سكان تلك الأقاليم بالدولة العثمانية لحمايتهم من أخطار الغز والصليبي الإسباني، الذي كان يتابع المسلمين الفارين بدينهم من الأندلس إلى تلك الديار... وأبعدت الزحف الاستعماري عن تلك المناطق فترة تراوحت بين ثلاثة وأربعة قرون.

●●● منع انتشار المذهب الشيعي الصفوي في بلاد العرب بظهور الشاه إسماعيل الصفوي في بلاد فارس، والذي أراد نشر مذهبه الباطل بالقوة داخل المناطق السنية، مما اضطر الدولة العثمانية لإيقاف فتوحاتها في أوربا مراراً، وتوجيه الجيوش لمحاربته[١].

---

(١) سقوط الدولة العثمانية: د. عبد اللطيف بن محمد الحميّد، مكتبة العبيكان - ١٤١٦هـ/ ص ٩ - ١٠.



● لقد استمرت الدولة العثمانية أكثر من ستة قرون متوالية، ابتدأها السلطان عثمان بإمارته الصغيرة سنة/ ٦٩٩هـ وانتهت بإعلان مصطفىٰ كمال إنهاء السلطنة والخلافة، سنة ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م.

وقد دعي لهم على منابر العالم الإسلامي السني، أكثر من أربعة قرون متوالية[١].

ثم عدت على تلك الدولة عوادٍ ونكبات، ساهم فيها دعاة القومية من عرب وترك، واشترك في تأجيج نيرانها رجال من اليهود والماسون، والحاقدين من الصليبيين والمستعمرين، مما أدى إلى تمزيق الديار وشتات القلوب.

* * *

قامت الدولة العثمانية على الصلاح والتقوى، فاستمرت إلى أن تغير سلاطينها المتأخرون، وحادوا عن شرع الله المستقيم، فكان الضعف التدريجي، وكانت النهاية المؤلمة.

● أورد المؤرخ العثماني «أحمد جودت باشا» في تاريخه: نص وصية الأمير عثمان - مؤسس الدولة العثمانية - لولده أورخان الغازي وفيها:

١ - تمسك - يا بنيّ - في كل أمورك بالشريعة الغراء، وشاور في المهمات أهل الرأي والدهاء.

٢ - أعط كل ذي حق حقه من التكريم والإنعام، من الخواص والعوام. ولا

---

(١) المرجع السابق: (ص ٩٨).

سيما العلماء الأعلام الذين هم دعائم دين الإسلام...

٣ - تنبهْ لأعظم ركن من أركان هذا المقام، وهو التعظيم لأوامر الله، والشفقة على خلق الله، واطلب النتائج الخيرية: من إعلاء لكلمة الله، والغزو لوجه الله[١].

* * *

سار السلاطين الأوائل على هذا المنهج، فحققوا إنجازات وفتوحات خلدها التاريخ، وأعادت إلى الأذهان تلك الفتوحات الرائدة في أيام الرعيل الأول، وما تلاها من توسع أيام الخلفاء المهديين... لقد استمرت الفتوحات العثمانية حتى نهاية القرن العاشر الهجري... حتى ضعفت الدولة، وطمع فيها أعداؤها، وتحالفوا مع بعض أبنائها في بداية القرن العشرين، فانهارت الامبراطورية، وقسمت أقطارها، واستعمرها الخادعون من دول التحالف الغربي.

* * *

---

(١) تاريخ جودت: ج ١/ ص ٢٨، استانبول ١٣٠٢هـ، تعريب: عبد القادر أفندي/ بيروت/ ١٣٠٨هـ. ص ٣٨/. وانظر: سقوط الدولة العثمانية ص١٣.



المبحث الثاني

عوامل السقوط

يمكن إرجاع عوامل سقوط الدولة العثمانية إلى : عوامل داخلية ـ وأخرى خارجية .

أ ـ العوامل الداخلية: يمكن إيجاز تلك العوامل في :

١ - البعد عن منهج الإسلام:

عندما سار السلاطين الأوائل على المنهج الشرعي القويم، حققوا إنجازات رائعة، وفتوحات عظيمة، منذ عهد (مراد الأول) حتى عهد « سليمان القانوني » ما بين « ٧٩١هـ و ٩٧٤هـ » .

ثم بدأ الخلل والضعف مع إطلالة القرن الحادي عشر الهجري، ففيه تقهقرت الدولة، وضعفت هيمنتها السابقة وخاصة على الأقاليم الأوربية .

● ومن أجل ذلك توجه بعض السلاطين نحو إصلاح مؤسسات الدولة، وتمثلت الدعوة في العودة إلى الجهاد وتطبيق الشريعة الإسلامية، وتقوية نفوذ السلطان .

إلا أن الأمور سارت على غير المتوقع فقد غرق كثير من السلاطين والقادة في الترف ومتاع الدنيا الزائل، وتعلق علية القوم وطبقات المجتمع في النزعات

الصوفية.[1]

●● ومن يطلع على تاريخ السلاطين في أواخر الدولة يذهل من الإسراف في مظاهر الترف، ومن رأى قصورهم في استانبول، يعجب لهذا البذخ والإسراف، بل ومن دخل قصر «دولمة بهجة» وما أنفق عليه أيام السلطان عبد المجيد - والد عبد الحميد الثاني - مما أوقع الدولة في ديون باهظة، يعلم مدى قوة هذا التيار في إضعاف الدولة العثمانية.

كما أن كثرة الجواري - من أجناس مختلفة - منهنّ اليهوديات والنصرانيات، قد أثر في سلوك بعض السلاطين، فكان للمحظيات منهنّ دور كبير في اختيار ولاة العهد وعزل آخرين، وتدبير المؤامرات للتخلص من بعض القادة والأمراء...

هذا عدا عن المؤامرات التي كانت تحاك في القصور السلطانية.

●● ولذلك تخلى السلاطين بعد (سليمان القانوني) عن الغزو وقيادة الجيوش، واعتمدوا على الصدر الأعظم والقادة العسكريين، لمتابعة الفتوحات وقيادة الجيوش وهذا أمر طبيعي، لأن من يعيش عيشة البذخ والترف لا يستطيع التفرغ للجهاد وقيادة الجيوش.

●●● ثم بدأ السلاطين، بتنازلون رويداً رويداً عن تحكيم الشريعة أدخلوا القوانين الغربية (الوضعية) في الدولة، وما كان دستور (١٨٧٦م) الذي ألغاه السلطان عبد الحميد، ثم أعيد عام (١٩٠٨م) إلا دستوراً وضعياً، هو دستور بلجيكا المعدّل، وسمي من أجل ذلك «مدحت باشا: أبو الدستور» وهو الذي

---

(١) ينظر: سقوط الدولة العثمانية د. عبد اللطيف الحميّد، ص ١٧ - ٤٠.



نقله إلى حيز التنفيذ[١].

٢ - إخفاق محاولات الإصلاح في أواخر عهد الدولة:

عندما أحس قادة الفكر والسياسة بضعف الدولة اتجهوا نحو الإصلاح، ونادوا بضرورة تطوير مؤسسات الدولة، وكان هناك تياران متعارضان.

- تيار يرى الاقتباس من الغرب النصراني ومؤسساته دون قيد أو شروط.

- وتيار يطالب بالعودة إلى الأسس الإسلامية والتقاليد العثمانية.

وتغلب الاتجاه الأول ـ مع الزمن ـ وكان أشهر المنادين به «فؤاد باشا» الذي تولى رئاسة الوزراء «الصدارة العظمى»، في عهد السلطان عبد العزيز، عم السلطان عبد الحميد، والمتوفى عام ١٨٦٩م.

لقد تبنى فؤاد باشا فكرة الإصلاح على الأسس الغربية، واستبعد المفاهيم الإسلامية كوسيلة للإصلاح، وكان يرى أن الدولة محكوم عليها بالموت إذا لم تتمثل خطا التطور الغربي، فتكون ماليتها على غرار مالية إنجلترا، ومعارفها كمعارف فرنسا، ونظمها العسكرية مقتبسة من روسيا.

كان فؤاد باشا وزيراً في عهد السلطان عبد المجيد، وقد أعدّ هذا الوزير الأجيال التالية له من الوزراء ورجال الدولة عن طريق إرسالهم في بعثات تعليمية وتدريبية إلى عواصم أوربا، وأسهم هؤلاء في دفع عجلة التغريب التي بدأها

---

(١) الدكتور أحمد الدعيج: محاضرات في التاريخ السياسي للدولة العثمانية ـ الكويت / تسجيلات المسلم الإسلامية (الشريط الرابع عشر).



كبيرهم فؤاد باشا[١] .

● والواقع إن محاولات الإصلاح تعود إلى أوائل القرن الثالث عشر الهجري، عند السلطان سليم الثالث ومحمود الثاني، وابنه عبد المجيد، واستمر ذلك مدة سبعين سنة، إلا أن الإصلاح ركز آنذاك على تقليد دول أوربا، وقد سمي ذلك العهد بـ «عهد الإصلاحات» أو «عهد التنظيمات».

●● ومن ذلك أن السلطان محمود الثاني قد بطش بالإنكشارية وتخلص من تجاوزاتهم، وقضى على طريقة الصوفية المنحرفة، تلك هي «البكتاشية» الباطنية، ثم فتح باب التجديد والتغريب على مصراعيه، دون انتقاء للنافع من الحضارة الغربية، وترك الفاسد منها[٢] .

ثم جاء السلطان عبد المجيد ليعيش عيشة مترفة، وأعطى التغريب صفة رسمية، وصدرت في عهده مراسيم سلطانية مثل «فرمان خط الكلخانة» وفرمان «خط شريف»[٣] وبعد سبعين سنة من محاولات الإصلاح تلك، اتضح إخفاقها في انتشال الدولة العثمانية من ضعفها وأزماتها الداخلية والخارجية.

ذلك أن تلك التنظيمات لم تستند على أسس إسلامية واضحة، وأن مجملها كانت في صالح أهل الذمة من رعايا السلطان، مما جعل الدول الكبرى،

---

(١) ينظر: حركة الجامعة الإسلامية، أحمد فهد بركات الشوابكة ص ٣٢ - ٣٤، مكتبة المنار، الأردن/ ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٢) تاريخ الدولة العلية: محمد فريد بك، تحقيق: دكتور إحسان حقي، دار النفائس/ بيروت/ ١٤٠٨هـ.

(٣) حركة الجامعة الإسلامية، ص ٣٢، ٣٣.



تتدخل بعد ذلك بحجة حماية الطوائف التابعة لها[1] .

لقد تحولت تلك التنظيمات إلى علمانية واضحة لها آثارها الخطيرة .

وقفة مع حركة الإصلاح وآثارها الخطيرة :

مما يجدر الانتباه إليه أنّ الانحراف غير المقصود، قد بدأ من منطلق التخلص من جمود الفقهاء أمام التغيرات الحيوية الجديدة للدولة، ومن توهم المسلمين بأن سبب تخلفهم هو عجزهم التنظيمي والإداري، وأن محاكاة أساليب الأمم الغربية جدير بالقضاء على ذلك التخلف .

وعلىٰ هذا الأساس قامت الحركة المسماة بـ « حركة الإصلاح » .

إن الإصلاح مطلوب، لكن ما صحبه من سوء الفهم، وغبش التصور، قد أدى إلى إلغاء الشريعة آخر الأمر، تحت شعار الإصلاح والتجديد، وهو ما فعله كمال أتاتورك .

● ثم سرت روح التفرنج في الأمة، وتطور الأمر حتى نشأت حركة ثورية تطالب بالإصلاح، وكان قادة هذه الحركة من مختلف الاتجاهات والميول، كانوا لا يتفقون إلا على وضع حد للسلطان عبد الحميد الثاني[2] .

●● وقد نتج عن ضيق الدائرة الفقهية عن استيعاب الحياة وتطوراتها، أن ظلت القوانين المستوردة تحتل رويداً رويداً، مواقع جديدة من الحياة الإسلامية، دون أن تلفت النظر إلى خطورتها، حتى جاء اليوم الذي أصبح فيه اقتباس هذه

---

(١) سقوط الدولة العثمانية ص٢٦ – ٢٩ .

(٢) العلمانية : د. سفر الحوالي، ص ٥٦٣ – ٥٧٣، جامعة أم القرىٰ/ ١٤٠٢هـ.



القوانين أمراً مقرراً ومنهجاً لا غبار عليه .

وبذلك فإن انحراف المسلمين وجهلهم لحقيقة دينهم، وعجزهم عن مسايرة الأحداث، كانت المنفذ الرئيسي لتسرب العلمانية إلى الشرق المسلم .

وإلا فقد كان السلاطين العثمانيون ينظرون إلى ملوك أوربا ـ حتى وهم يطلبون منهم المدربين ـ أنهم خنازير حقيرة، ليس إلا . . .[1] .

●● ثم كانت بعد ذلك حركة مدحت باشا وأعوانه، وحركة الماسون ودعاة التغريب، ومساومة اليهود على فلسطين، ونمو حركة « تركيا الفتاة »، والجناح العسكري فيها « الاتحاد والترقي » وصلتهم بمحافل الماسون، ومخططات يهود .

تمكن هؤلاء بعد صراع طويل من إزاحة السلطان عبد الحميد، عام ١٩٠٩م، بقيادة جماعة الاتحاد والترقي، وأعلنوا تطبيق الدستور العلماني الوضعي، الذي كان السلطان عبد الحمد قد أوقفه منذ عام ١٨٧٦م .

ثم عطلت المحاكم الشرعية باسم الإصلاح والتقنين[2] .

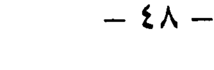
٣ - تعدد العناصر وتنوع الملل والنحل وظهور الحركات القومية:

ضمت الدولة العثمانية عناصر كثيرة، وقوميات متعددة، مختلفة الأديان، متشعبة المذاهب، بقطنون في شرق أوربا وغرب آسيا، وشمال أفريقيا، فكان

---

(١) المرجع السابق: ص ٥١٤، ٥١٥ .

(٢) سنفصل هذا الإجمال في الفصل القادم إن شاء الله .





هذا التنوع مصدر قلق للدولة في مرحلة ضعفها، وتقهقر نفودها[١].

● ولعل أخطر إجراء سمح به العثمانيون هو إعطاء الدول الأجنبية حق حماية الأقليات في الأراضي العثمانية... وكان أول من منح هذا الحق لفرنسا هو السلطان سليمان القانوني، وذلك حماية لنصارى المشرق على حد زعمهم، ثم تدخلت الدول الأوربية الأخرى لتزاحم فرنسا وعلى رأسها روسيا.

وفي مؤتمر برلين (١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م) تقرر منح كل دولة حق حماية الطائفة المرتبطة بها في المذهب، فكانت امتيازات الحماية سبباً مباشراً للتدخل الأوربي في مصالح الدولة العثمانية، وصارت قيوداً تطوق عنق الدولة.

ومن هذا المنطلق، صار لفرنسا نفوذ في البلاد العثمانية عن طريق رعاية الكاثوليك، ولروسيا نفوذ عن طريق رعاية الأرثوذكس ولبريطانيا نفوذ عن طريق رعاية البروتستانت، ومن ثم مناصرة دروز لبنان[٢].

●● إن تلك الامتيازات كانت تعني حقوقاً تمنحها الدولة العثمانية لرعايا الدول الأجنبية النازلين في بلادها، أو السائحين فيها أو المارين بها مروراً، وهي امتيازات لم تمنح للعثمانين أنفسهم.

ومن أشهر تلك الامتيازات: إعفاء أولئك الأجانب من الضرائب المباشرة، ومن جزء كبير من رسوم الجمارك، ثم إن السلطات العثمانية ما كانت لتستطيع دخول بيت رجل أجنبي مهما كان السبب، حتى لو أن جريمة ارتكبت في ذلك

---

(١) ينظر: سقوط الدولة العثمانية، د. عبد اللطيف الحميدّ/ ص٣٤ - ٣٥.

(٢) فلسفة التاريخ العثماني: محمد جميل بيهم/ الكتاب الثاني ص١٠٠.



البيت، ما كان للسلطة العثمانية أن تدخل للتحقيق، بل كان الذي يقوم بالتحقيق أو المحاكمة، هو قنصل الرجل الذي يسكن ذلك البيت، وكانت القوانين العثمانية لا تطبق على الأجانب النازلين في الامبراطورية العثمانية.[١]

● وأصبح لفرنسا نفوذ قوي في الدولة العثمانية:

بسبب تلك الامتيازات فمنذ عهد سليمان القانوني «القرن السابع عشر» منحت فرنسا في عهد ملكها «فرنسوا الأول» بعض الامتيازات، التي صارت تنمو مع مرور الزمن، حتى أصبحت فرنسا هي صاحبة الحق في حماية الطوائف الكاثوليكية والموارنة بشكل خاص. وكان سفراء فرنسا وقناصلها في إسلامبول يتدخلون عند الباب العالي دفاعاً عن الموارنة، حتى أن فرنسا قامت أكثر من مرة بتعيين قناصل موارنة لها في بيروت دعماً لهم[٢].

●● واستغلت فرنسا امتيازاتها أبشع استغلال، فراحت تخطط من أجل استرجاع البلاد المقدسة.

وركزت جهدها على النشاط التبشيري في لبنان، والتبشير عندهم لا يعني الدعوة إلى النصرانية، بقدر ما يعني تحقيق مكاسب سياسية، واستغلال كل ظرف طارئ لتكون لبنان وسواحل بلاد الشام أرضاً فرنسية.

ومن هذا المنطلق كانت فرنسا تبني علاقتها مع الدولة العثمانية، وتمارس

---

(١) التبشير والاستعمار: الخالدي وفروخ/ ص ١٣٢، ١٣٣، والصراع العربي الإسرائيلي: ج١/ ص١٣٧، محمد عبد الغني النواوي الطبعة الأولى/ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٢) عروبة لبنان: تطورها في القديم والحديث، محمد جميل بيهم، ص١٨٧، ١٨٨.



الضغوط وتحرك عملاءها داخل البلاد الإسلامية لتحقيق مطامعها...[1].

●● وقد بادر السلطان عبد المجيد إلى الميل نحو إنجلترا والنمسا وبقية الدول التي أنقذته من حملة محمد علي باشا على بلاد الشام، وذلك خوفاً من زيادة نفوذ فرنسا في المنطقة... فبادر إلى الإصلاحات التي كانت تتطلبها، وأعلن ما سمي بالتنظيمات سنة ١٨٤٤م، وخط شريف همايون سنة ١٨٧٦م، لكن ذلك كله لم يحد من مطامع تلك الدول... إذ أن الأقليات المذهبية والدينية في متصرفية لبنان وسكان ولاية بيروت، توزعت حمايتها للدول الكبرى، فصار لقناصل تلك الدول الكلمة المسموعة يحمون أتباعهم داخل الدولة العثمانية، حتى أن الدولة العثمانية صارت عاجزة عن منع التبشير، فعندما أرادت منع باعة الأناجيل الدوارين من التجول في المدن والقرىٰ، تدخل القناصل ومنعوا الحكومة وألزموها بالسماح للباعة[2].

● فللذميين حقوق في دولة الإسلام فلا يجوز أن يعتدى على أرواحهم وأموالهم وأماكن عبادتهم، أما أن تعطى لهم، امتيازات خاصة لا يحلم بها المسلمون، وتسند إليهم الولايات ـ كمتصرفية جبل لبنان ـ وتترك لهم حرية التعاون أو حرية التآمر والخيانة مع دول الكفر، فليس هذا من الإسلام في شيء.

وأية دولة إسلامية هذه التي صار المبشرون وقناصل الدول النصرانية يشرّقون فيها ويغربون دون حسيب أو رقيب؟!.

---

(١) الصراع العربي الإسرائيلي: ص١٣٩ – ١٤٠، التبشير والاستعمار، ص١٨١.

(٢) الصراع العربي الإسرائيلي: ص ١٤١، وعروبة لبنان: محمد جميل بيهم، ص ١٨٦، ١١١، ١٢١.



وكيف سمح العثمانيون لإرساليات التبشير أن تبث سمومها في بلاد الشام وغيرها، مع العلم أن مناهج تلك المعاهد والمدارس الصليبية تصطدم مع الإسلام ابتداء في أخص خصائص الألوهية والربوبية، وأسماء الله وصفاته!![1] .

وبذلك انتهت الدولة العثمانية إلى هذا الضعف، وتلك التبعية، خلافاً لما كانت عليه أيام قوتها، وتمسكها بشريعة الإسلام.

أما ظهور الحركات القومية تأسياً بالقوميات العلمانية التي سادت أوربا، فكان لها أثر قوي في تمزيق أوصال الدولة العثمانية، وسيطرة تيارات العصبية الجاهلية على حساب الإسلام[2] .

٤ - الحركات الباطنية والدولة العثمانية:

لقد كانت الدولة الصفوية الشيعية في فارس، شوكة دامية بجوار الدولة العثمانية، إذ كانت تشن الحروب الشرسة وخاصة أيام «اسماعيل الصفوي»، الذي كان يطمح إلى تأسيس امبراطورية رافضية في العالم الإسلامي، ويطمع في اكتساح العراق ومعظم بلاد الشام، لو قدر له ذلك، فكان يشغل الجيوش العثمانية عن متابعة فتوحاتها في أوربا المرة تلو المرة.

● أما الحركات الباطنية فكانت أحقاد ها لا تنطفئ، من ذلك ثورات الدروز في لبنان وجبل حوران[3] .

---

(١) الصراع العربي الإسرائيلي: محمد عبد الغني النواوي/ (ص١٥٢، ١٥٣. بإيجاز).

(٢) سنتحدث عن أثر الحركات القومية في القضاء على الخلافة في الباب القادم.

(٣) ينظر: سقوط الدولة العثمانية: ص ٤٢، ومحاضرات د. أحمد الدعيج الكويت/ تسجيلات المسلم الإسلامية.



فقد تمردوا عام ١٩١٠م، وهاجمت عصاباتهم أكثر من منطقة حوران، ووصل فرسانهم حتى القلمون، وبلغ عدد القتلىٰ من حوران وحدها ستين قتيلاً.

وكان الوالي اسماعيل فاضل باشا يعتقد أن الإنجليز كانوا وراء هذه الثورات ضد الدولة، وفي إحدى غاراتهم قتل من مدينة درعا وحدها سبعة عشر مسلماً كانوا يدافعون عن قرية «بصر الحرير» إذ أبيدت فيها عشيرة المقداد المسلمة... ولذلك قرر الصدر الأعظم أن ينهي أعمال تلك العصابات، فأرسل قوة ضاربة إلى الجبل واعتقل المئات ونفى كثيرين وأعدم آخرين، منهم والد سلطان الأطرش، وكان قد قتل من الدروز في جبل حوران في تلك الحملة ما بين (٦٠٠ - ٧٠٠) تحت قصف المدافع.

وكانت التهمة كما يقول سلطان الأطرش هي: «الخروج على الخلافة والكفر بالإسلام»[١].

● ومن ذلك الفتنة التي أشعلها البكتاشي العلوي «اسكند قلندر جلبي» في الأناضول، واستمرت شهوراً عديدة، إلى أنْ تم القضاء عليه سنة ٩٣٥هـ.

●● وكان النصيريون طائفة نشازاً في الدولة العثمانية، حتى اعتبرتهم الدولة أنهم ليسوا من المسلمين ولا من أهل الذمة، ولذلك لم تدخلهم في إطار «نظام الملل» الذي شرعته.

---

(١) جريدة القبس: عدد ٤٣٧ آب/ ١٩١٠م، تاريخ سوريا/ نهاية الحكم التركي / ص ١١٠ - ١١٥.



واقترح بعض الولاة على السلطان عبد الحميد إدخالهم في الدين الإسلامي، فأخذ السلطان بذلك الرأي، واستدعى مشايخهم وتظاهروا بالإسلام طواعية، وبنى الوالي لهم المساجد والمدارس، لكنهم بعد وفاة السلطان أحرقوا المساجد وحولوا المدارس إلى مساكن.

وكانوا عوناً للدولة الصفوية ضد العثمانيين، ولتيمور لنك الذي فتك وخرب ديار أهل السنة، ولذلك كثيراً ما أرسلت الدولة الحملات العسكرية.

●● وفي عهد الانتداب الفرنسي، اتصل القائد الفرنسي لأسطول البحر[١] المتوسط ببعض عشائر النصيريين الذين أعلنوا استعدادهم طواعية لمساعدة فرنسا عند نزولها الساحل، وكان يقدر أن النصيريين سوف يجندون «٢٦ ألف مقاتل»، وكان يمدهم بالسلاح استعداداً لتلك الحرب، كما كانت فرنسا تقدر أن المتاولة «شيعة لبنان» يجندون أربعة آلاف، والدروز قد يجندون عشرين ألفاً لمساعدة فرنسا[٢].

● وسوف نجد أن هذه الفرق قد استغلتها فرنسا بعد احتلالها لسوريا ولبنان، وشكلت لبعضهم حكومات طائفية في جبال النصيرية وجبل حوران «الدروز».

---

(١) ينظر: خطط الشام/ محمد كرد علي، جـ٣/ وبلاد الشام: وجيه كوثراني ص ٧٩/ طبعة بيروت/ ١٩٨٠م، والنصيرية: تقي شرف الدين ص ٦٣، ٦٤.

(٢) تاريخ سوريا/ نهاية العهد التركي، د. علي سلطان /ص٣٩٠.



٥ - التخلف العلمي والتقني:

كان مصطلح الإصلاح في العصور الإسلامية، يعني العودة إلى الينابيع الإسلامية، القرآن والسنة، والاجتهاد في ضوئهما، ولا يتصدى لهذه المهمة سوى العلماء والفقهاء المجتهدين القادرين «على القضاء الصحيح في النوازل والحوادث التي تعرض في حياة المسلمين»[١].

● وبحلول القرن الثالث عشر الهجري، تحول مفهوم الإصلاح إلى برنامج سياسي، تبنته فئة ليست من الفقهاء المجتهدين وإنما قام به جيل تلقى ثقافته في عواصم أوربا . . . ونشأ على الاستهانة بقيم الدين وكراهة رجاله واحتقارهم، وتقديس الحضارة الغربية[٢].

●● ويمكن أن نضيف: أن إخفاق تجربة التنظيمات العثمانية (التي استمرت سبعين سنة) في إيجاد الصيغة المثلى لما يمكن أن تأخذه الدولة العثمانية من الحضارة الغربية وما يجب أن تدعها، كان من أسبابه التخلف العلمي والتقني.

● وإن عهد السلطان عبد الحميد الذي جاء بعد تجربة التنظيمات تلك، قد شهد تطوراً ملحوظاً في المجالين العلمي والتقني، بسبب سياسة السلطان في الأخذ بالتحديث بدلاً من التغريب فتم في عهده إنشاء كليات الطب والعلوم والتجارة والزراعة وإنشاء الجسور والسكك الحديدية، وشبكات الطرق، وتحديث الجيش والآلة العسكرية، مع تبني سياسة الوحدة الإسلامية بين

---

(١) ماذا خسر العالم في انحطاط المسلمين: أبو الحسن الندوي: ص١٣٢ دار الكتاب العربي/ بيروت ١٩٦٥م.

(٢) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية/ دار الأنصاري ـ القاهرة /١٩٧٧م، أبو الحسن الندوي / ص٣٨.



الشعوب الإسلامية داخل الدولة وخارجها[١].

● فانتعشت مؤسسات الدولة، ولكن أنصار التغريب عارضوا تلك السياسة، وعلى رأسهم جماعة الاتحاد والترقي، وتساندهم دول الاستعمار ومؤسسات اليهود، فلم يقدّر لهذه التجربة الاستمرار مع الأسف.

●● وبقي أن نهتم بناحية مهمة وهي أن الدولة العثمانية كانت تهتم بالناحية العسكرية، على حساب الاهتمام بنشر تراثها وثقافتها، واللغة العربية، لغة القرآن، وكانت تكتفي بإدارة البلاد المفتوحة عن طريق المسلمين من أهلها، أو إداريين عثمانيين... ولذلك لم يبق لها أثر حضاري وثقافي متميز في أوربا الشرقية مثلاً.

* * *

وكانت اللغة الرسمية في دواوين الدولة هي اللغة التركية، وكانت المدارس الحكومية تدرس باللغة التركية، وكان أكثر معلميها من الأتراك، ومن كان عربياً منهم ألقى دروسه بالتركية، وتجافى عن الكلام بالعربية، حتى خارج غرف الدرس منعوا أبناء العرب أن يتحاوروا في الشؤون العادية بينهم بالعربية[٢].

وكان ذلك أيام جماعة الاتحاد والترقي بشكل خاص.

---

(١) السلطان عبد الحميد الثاني: أورخان محمد علي، دار الأنبار ـ العراق ـ ١٤٠٧ ص ١٦٧، ١٦٨.

(٢) حاضر اللغة العربية: سعيد الأفغاني رحمه الله/ ص ٢٢ ـ ٢٤، دار الفكر ـ ط ثانية/ ١٩٧١م.



● قال الأمير مصطفىٰ الشهابي: «أتذكر أنني درست سنة واحدة في مدرسة تجهيز الحكومة العثمانية بدمشق، فكانت جميع الدورس تلقى بالتركية، وكان اللسان العربي يدرس أيضاً باللسان التركي، وكان معلم العربية رجلاً تركياً يتكلم لغة الضاد بلهجة تركية، ولا يفرق بين المذكر والمؤنث ولا يفقه شيئاً من أدوات اللغة إلا مبادئ من الصرف والنحو مطبوعة في كتاب تركي»!![1].

●● وبعد تمكن الاتحاديين من عزل السلطان عبد الحميد، توجه سليمان التاجي الفاروقي، من شعراء الشام بقصيدة إلى السلطان محمد الخامس «محمد رشاد» يشكو إليه ما آل إليه أمر العرب بعد عزهم، ويخص مصير اللغة العربية بأبلغ الأسى بقوله:[2]

العرب لاشقيت في عهدك العرب سيوف ملكك والأقلام والكتبُ

وكل خير أتى فالعرب مصدره بل أي فضل أتى لم تحوه العرب

لسانهم أخلق الإهمال جدته فبات ينعي على الكتاب ما كتبوا

تمشت اللهجة العجماء فيه إلى أن أنكرته بنوه الخلص النجبُ

وقال فؤاد الخطيب من شعر الثورة بعد العتاب:[3]

---

(١) محاضرات في الاستعمار: مصطفىٰ الشهابي، ج ٢ / ص٨ نقلاً عن حاضر اللغة العربية / ص ٢٣.

(٢) حاضر اللغة العربية: سعيد الأفغاني / ص٤٤.

(٣) شعر الحماسة والعروبة في بلاد الشام: د. أمجد الطرابلسي ص٤١.

جاروا على لغة القرآن فانصدعت ... له القلوب وضجّ البيت والحرم

فالقدس باكية والشام شاكية ... وفي الحجاز يكاد الركن ينحطم

أكلما حاول العرب الرقي علت ... في الترك شكوى وقالوا: فتنة عَمَمُ

ب ـ العوامل الخارجية لسقوط الدولة العثمانية:

وتتمثل فيما يأتي:

١ - الغزو الفكري والعسكري:

● أما الغزو الفكري:

فيتمثل في كثرة المدارس الأجنبية في الدولة العثمانية، ناهيك عن نشاط حركة الاستشراق والتنصير في استانبول ومدن الشام وخاصة: في دمشق وبيروت.

وقد بلغت المدارس الأجنبية في مدارس استانبول عام ١٩٢١م - ١٣٤٠هـ/ ستين مدرسة، منها احدى وثلاثون مدرسة تابعة لفرنسا، والباقي يتبع دول: أمريكا وبريطانيا وإيطاليا والنمسا(١).

● أما المدارس غير الإسلامية التي كانت في ولاية سوريا سنة ١٨٨٦م - ١٣٠٣هـ، فقد بلغت كالتالي:

ـ لواء الشام: ٩٦ مدرسة ما بين مدارس عادية وعالية، للذكور والإناث.

---

(١) المؤسسات التعليمية الأجنبية في نهايات الخلافة العثمانية في استانبول/ رسالة ماجستير ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الرياض/ ١٤٠٩هـ/ ص ٢٨٦ - ٢٨٨، سهيل صابان.



ـ لواء بيروت: بلغت ثماني عشرة مدرسة بأنواعها المختلفة.

ـ لواء البلقاء واللاذقية وعكا: ٣٦ مدرسة بأنواعها المختلفة[١].

●● وأكثر المدارس التبشيرية كانت لفرنسا بعد أن حصل ملكها (فرانسوا الأول) على حق الامتيازات الأجنبية عام/ ١٥٣٦م، أيام السلطان سليمان القانوني.

وجددت الدولة العثمانية هذه الأمتيازات ثماني مرات حتى عام/ ١٧٤٠م[٢].

وكانت فرنسا تفتح المدارس والجامعات، في لبنان خاصة، وتعمل على نشر اللغة الفرنسية حتى بين المسلمين ناهيك عن النصارى، وكان لها سنة/ ١٩١٠م، أكثر من مائة مدرسة، يتعلم فيها أكثر من عشرة آلاف طالب.

وكان لفرنسا في سوريا كلها، جهاز دعائي يعمل على نشر نفوذها الثقافي والسياسي والديني، يتمثل في مجموعة من الصحفيين والصحف التي تعمل على دعم النفوذ الفرنسي، وكان الكاثوليك والموارنة من أخلص الفئات لفرنسا[٣].

● يقول محمد كرد علي متحدثاً عن مخاطر المدارس الأجنبية: «إن المدارس الأجنبية في الشام جنت عليها أعظم جناية، فهي أشبة بالسارق، لأنها

---

(١) الإدارة العثمانية في ولاية سوريا: عبد العزيز محمد عوض/ ص ٣٦٨، ٣٦٩.

(٢) نهاية الحكم التركي: د. علي سلطان/ ص ٢١٣، ٢١٧/.

(٣) نشوء الحركة القومية: زين نور الدين زين/ ص٥١، ٥٢.





سرقت الأرواح والنفوس والأفراد، وهي أسوأ أنواع السرقات[1].

●● وقد تنبه السلطان عبد الحميد إلى خطر المدارس الأجنبية في ديار المسلمين فقال:

«إنها تشكل خطراً كبيراً على بلادنا، وقد كان خطؤنا جسيماً إذ سمحنا لكل دولة في كل زمان ومكان بإنشاء المدارس التي يرغبونها، وها نحن الآن نجني ضرر ما زرعنا. سمحنا لهم بفتح المدارس فقاموا يعلمون الطلاب أفكاراً معادية لبلادنا»[2].

واهتم بفتح المدارس فقال: «لقد ارتفع عدد المدارس منذ اعتليت العرش إلى عشرة أضعاف ما كانت عليه، ومع ذلك فلا تفي بالحاجة، ونحن بحاجة إلى فتح مدارس إعدادية فهي تهيئ الطلاب لدخول مؤسسات علمية، ليتخرج منها مهندسون ومعماريون وفنيون»[3].

إلا أن عوامل الأنهيار كانت قوية، ودعاة التخريب وسيل السقوط كان هادراً، فما نفعت تلك الإصلاحات الجادة، إذ جاءت بعد فوات الأوان.

* * *

● الغزو العسكري والاستعماري:

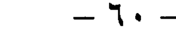
كان قوياً حاقداً، يخطط له منذ أمد بعيد، حتى تحولت الدولة العثمانية

---

(١) خطط الشام: محمد كرد علي، جـ٤/ ص ٨١.

(٢) مذكراتي السياسية: السلطان عبد الحميد/ ص ١٨٧ طبع مؤسسة الرسالة ـ بيروت/ ١٩٧٩م.

(٣) المرجع السابق/ ص ١٨٧.





عند الدولة الصليبية إلى ما يسمى بدولة الرجل المريض، تتصارع حكوماتهم على اقتسام تلك التركة . . .

إن أوربا النصرانية لم تنس سقوط القسطنطينية بيد السلطان محمد الفاتح رحمه الله . . .

ومنذ ذلك التاريخ وحتى بداية القرن العشرين، وقادة أوربا يضعون الخطط للإجهاز على الدولة العثمانية، واقتسام تركتها .

وقد أصدر أحد ساستهم الكبار «المسيود جوفارا» كتاباً يضم تلك المقترحات والخطط تحت عنوان : «مائة مشروع لتقسيم تركيا» .

ولخص الأستاذ شكيب أرسلان هذا الكتاب في : «حاضر العالم الإسلامي»[1] .

ثم صدرت نسخة محققة لذلك الكتاب تحمل عنوان : «التعصب الأوربي أم التعصب الإسلامي»[2] .

● وفي الكتاب بسط لتلك الخطط الصليبية والمقترحات الجهنمية من أجل الإجهاز على الدولة العثمانية، وقد جاء الكتاب زاخراً بالحقد والغيظ، واشترك في تلك الخطط، الساسة ورجال الدين ورجال الحرب، ولفيف من الفلاسفة .

●● وقد تبين للسطان عبد الحميد حقيقة التآمر الخبيث فقال :

---

(١) حاضر العالم الإسلامي : ج٣/ ٢٦٣ وما بعدها .

(٢) التعصب الأوربي أم التعصب الإسلامي : محمد العبدة، دار ابن حزم/ بيروت/ ١٤١٦هـ .



«لم أكن أستطيع الوقوف أمام تلك القوى بمفردي» وقال بمرارة: «ويمكن للصليب أن يتحد في كل وقت، ولكنّ الهلال يبقى بمفرده»[1].

واستمر القوم يتآمرون ويتعاونون مع جمعيات الماسون السرية، وعصابات يهود الموتورة، فتجمعت ضد الدولة مجموعات المجرمين من اليهود والصرب والبلغار، وكان هؤلاء هم عماد الثورة التي أسقطت الخلافة ومزقت البلاد وهيأت ديار المسلمين للاستعمار الحديث ممثلاً في التحالف البريطاني - الفرنسي - الصهيوني، وذلك من موضوعات هذا الكتاب الأساسية.

٢ - مطامع الحركة الصهيونية ودسائس اليهود:

أحسنت الدولة العثمانية إلى اليهود بالسماح لهم بالهجرة إلى أراضيها عقب سقوط الأندلس، أو اخر القرن التاسع الهجري «الخامس عشر الميلادي».

فانتشر اليهود في البلقان والأناضول وبلاد العرب، وكان منهم السماسرة وأرباب التجارة والأغنياء...

إلا أن طبيعة اليهود لا تقدر معروفاً، وهي هي في التآمر الدنيء ضد من أحسن إليها.

● وبعد أن خضعت فلسطين للحكم العثماني (أوائل القرن العاشر الهجري» هاجر إليها بعض اليهود بنسبة قليلة لم تبلغ نسبتهم حتى أواخر العهد العثماني سوى (٥٪) من سكانها العرب المسلمين[2].

---

(١) انظر ما سبق.

(٢) سقوط الدولة العثمانية: (ص٦٥ - ٦٦).





● وعندما تكشفت للدولة العثمانية مخاطر المشروع الصهيوني بفلسطين، قامت بمحاربة الهجرة اليهودية إليها، ومنعت بيع الأراضي لليهود، وقامت عام ١٨٨٧م بفصل سنجق القدس عن ولاية سوريا، وأخضعته بصورة مباشرة للباب العالي، من باب زيادة الاهتمام بفلسطين وإفشال المخطط الصهوني[١].

●● وكانت الحكومة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد قد أصدرت أمراً قاطعاً لمنع الهجرة اليهودية إلى فلسطين وكان للسلطان عبد الحميد موقف مشرف لحماية فلسطين المسلمة[٢].

وقد سمح لليهود الأجانب بزيارة فلسطين، على ألا تتجاوز إقامتهم فيها ثلاثة أشهر، ابتداء من عام / ١٨٧٦م.

ثم أصدرت الحكومة العثمانية مزيداً من اللوائح في عام ١٩٠٠م، لتشديد الرقابة على الهجرة، ومنها أنه يتعين على جميع الهيود القادمين إلى فلسطين تسليم جوازات سفرهم إلى السلطات العثمانية التي كانت تمنحهم بطاقات خاصة، توضح مهنة كل زائر يهودي وجنسيته والغرض من زيارته، كما تمنحهم إذناً مؤقتاً بالإقامة والانتقال في فلسطين، لمدة لا تزيد على ثلاثة أشهر... ووضع نظام دقيق للمراقبة ولمراجعة هذه البطاقات لمعرفة من يخالفون الأمر.[٣]

---

(١) الطريق إلى القدس: د. محسن محمد صالح/ ص١٦٦، منشورات فلسطين المسلمة/ ط: ثانية لندن/ ١٩٩٧م.

(٢) سنتحدث عن ذلك الموقف في الفصل القادم: السلطان عبد الحميد الخليفة المفترى عليه.

(٣) نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية: محمد الخير عبد القادر/ ص٩١ – ٩٤، مكتبة وهبة، القاهرة/ ١٤٠٥هـ.



●● وفي عهد الاتحاديين استمر نشاط اليهود الألمان لإحراز مواقع للنفوذ اليهودي في جمعية الاتحاد والترقي، ومن ثم فتح باب الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

● ومن هنا فقد أرسل السفير البريطاني في إسلامبول إلى وزير خارجية بلاده، يخبره برفع الحظر عن الهجرة إلى فلسطين، وامتلاك الأراضي فيها، وذلك في ٢١ ديسمبر/ ١٩١٣م.. وضمّن تقريره مبشّراً بالنجاح الذي أحرزته الصهيونية (في عهد الاتحاديين). بإلغاء جوازات السفر الحمراء، التي كان يتعين على اليهود الأجانب حملها عند وصولهم أرض فلسطين، والتي كانت تحدد فترة إقامتهم فيها بثلاثة أشهر[١].

● وقد تعاون اليهود والماسون، ودول الحلفاء ـ منذ بداية الحرب العالمية الأولى ـ على احتلال ديار المسلمين، بعد الإجهاز على تركة ما يسمى بالرجل المريض، فتحطمت بذلك آمال العرب بعد خداع الإنجليز للشريف حسين، الذي أفاق من غفوته مؤخراً، وأدرك أبعاد اللعبة فقال: «الله يرحم الخلافة، ويحسن عزاء المسلمين فيها»[٢].

●● واشترط الحلفاء على كمال أتاتورك وبقية العملاء بعد الحرب «إلغاء الخلافة، وطرد الخليفة خارج الحدود، ثم إعلان علمانية الدولة...» وقد نفذ

---

(١) نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية: محمد الخير عبد القادر/ ص٩١ - ٩٤، مكتبة وهبة، القاهرة/ ١٤٠٥هـ.

(٢) من رسالة للملك حسين إلى مكماهون في ٢٩/ شوال/ ١٣٣٣هـ.

أتاتورك هذه الشروط بعد قتل علماء المسلمين والقضاء على معالم الإسلام[1] .

●● هذه خطوط عريضة لمعالم المؤامرة الكبرى، سيأتي تفصيل لها في أبواب الكتاب القادمة بإذن الله .

* * *

---

(١) تاريخ الدولة العثمانية : علي حسون / ص٢٨٤ - ٢٩٠، طبع المكتب الإسلامي / دمشق / ١٤٠٠هـ.

الفصل الثاني

السلطان عبد الحميد: الخليفة المفترى عليه

كان السلطان عبد الحميد الثاني، من أوعى سلاطين الدولة العثمانية وأقدرهم على دحض مفتريات أعداء الدولة وكيدهم. إلا أن الدولة كانت قد وصلت إلى العجز والضعف بفعل عوامل كثيرة تحدثنا عنها في الفصل السابق.

● كان للسلطان عبد الحميد خصائص تميزه، وأسلوب في حياته يختلف عمن سبقه من السلاطين.

كان رحمه الله بسيطاً في حياته، لم يلجأ إلى الديون من المرابين ـ ويجيد اللغات: العربية والفارسية والفرنسية إضافة إلى اللغة التركية.. وكثيراً ما كان يقرأ التاريخ ويعتبر مما فيه...

● وتصفه ابنته عائشة في مذكراتها بقولها: «إن والدها كان يصلي الصلوات الخمس في أوقاتها، ويحافظ على تلاوة القرآن... كثير الارتياد للمساجد، وخاصة في شهر رمضان، سلك في شبابه الطريقة الشاذلية، ثم انتسب بعدها إلى الطريقة القادرية».

●● كان يحب الموسيقى الغربية، كما كان لا يحب العنف، وما عرف عنه أنه أعدم أناساً ـ كما يشاع عنه ـ إلا شخصاً واحداً فقط.



كان يكتفي بنفي المعارضين الذين يخشى من شرورهم على الدولة، لكنّ أعداءه شنعوا عليه افتراء وتزويراً.

● وكان من أبرز اهتمامات السلطان عبد الحميد: اهتمامه بالجامعة الإسلامية، وتقريب علماء المسلمين، والكثير من الشخصيات العربية، وقد جعل لهم جميعاً مخصصات ضخمة.

وكان حرسه الخاص من العرب، وقد اتخذوا العمائم الخضراء... كما اهتم بالمسلمين من غير العرب، كالأكراد والألبان، وقرّب إليه أبناء القبائل ومشايخ العرب... ولا ننسى اهتمامه بتقريب مشايخ الطرق الصوفية، وكان ذلك عرفاً طاغياً في الدولة العثمانية.

●● وقد خطط للإطاحة به جمعية الاتحاد والترقي، مدفوعين بأحقاد يهودية، وعصبيات عنصرية طورانية، وخاصة أن السلطان رفض مساومات هرتزل والحركة الصهيونية، وتنازل عن العرش تحت هذه الضغوط، (وإن كان هذا تساهلاً منه رحمه الله، بذريعة حقنه للدماء» ثم وضعه الإنقلابيون رهن الإقامة الجبرية في إسلامبول، ثم نفي إلى مدينة «سلانيك» وتحت حراسة مشددة بقي فيها ثلاث سنوات، ثم ردوه إلى استانبول ثانية، حيث خصص له قصر تحت الإقامة الجبرية، حتى توفي وعمره سبع وسبعون سنة، في أول نوفمبر عام ١٩١٨م، رحمه الله رحمة واسعة[١].

---

(١) ينظر: أورخان محمد علي في كتابه عن السلطان عبد الحميد، والأعمال الكاملة للملك عبد الله بن الحسين/ ص١٥٠ - ١٥١، خطط الشام: ج٣/ ١٤٩، والتاريخ السياسي للدولة العثمانية: د. أحمد الدعيج، مجموعة محاضرات ألقيت في الكويت، تسجيلات المسلم الإسلامية.



المبحث الأول
موقف السلطان عبد الحميد من تيار التغريب

كان الانبهار في حضارة الغرب قوياً منذ حركة الإصلاح، (وما سمي بعهد التنظيمات) وقد تبنى ذلك التيار وزراء ومفكرون ورؤساء وزارات وقادة عسكريون . . .

مما جعل السلطان عبد الحميد يعي أهداف تيار التغريب ذلك، مهما تلونت شعاراتهم وواجهاتهم . . كما أنه كتب في مذكراته السياسية يتحدث عن ضغط تلك الاتجاهات وخداعها لكثير من الرعاع والمغفلين .

● وكان على رأس أولئك رئيس وزرائه ـ مدحت باشا ـ .

●● يقول السلطان متحدثاً عن غفلة أصحاب تيار الانبهار بحضارة الغرب : « الأوربيون يتوهمون أن السبيل الوحيد في الخلاص (مما تعانيه الدولة) هو الأخذ بحضارتهم جملة وتفصيلاً، مع أن رجال العلم يعترفون بأن الثقافة العثمانية (الإسلامية) جديرة بالهيمنة كالثقافة الغربية على أقل تقدير، ولا شك أن طراز التطور عندنا، هو غير ما عند الأوربيين .

علينا أن نتطور تحت ظروف طبيعية، ومن تلقاء أنفسنا، وأن نستفيد من الظروف الخارجية في حالات خاصة »[1] .

---

(١) مذكرات السلطان عبد الحميد السياسية، ص١٩٤ ، ١٩٦، ترجمة محمد حرب عبد الحميد، دار الأنصار بالقاهرة، ١٩٧٨م .



●● ويشير السلطان إلى سموم الحضارة الأوربية فيقول :

« إن الأفكار المستوردة من أوربا تشكل خطراً علينا، وتسبب لنا كارثة أليمة، أرى من حولي أن المسلمين سعداء، فلا أملك إلا أن أقاوم هذه الأفكار بكل ما أوتيت من قوة إنها سموم تخرب العقول والقلوب »[1] .

● وكانت مسألة الإصلاح الدستوري من أهم المسائل التي شغلت الأذهان، ويعتبر إعلان دستور (مدحت باشا) عام ١٨٧٦م بداية لعهد جديد ـ كما يرى بعض المؤرخين .

ـ ويتحدث السلطان في مذكراته عن الغوائل التي أحاطت بالدولة في ذلك الوقت بفعل مكائد الدول الأوربية، وعن المسؤولين في حكومته، بل بعض رؤساء وزرائه، ممن كانت تقف خلفهم دول أجنبية تغذيهم بالمال الحرام لتحقيق مآربها . مثل : السر عسكر عوني باشا « الذي أخذ من الإنجليز أموالاً طائلة » « ومدحت باشا الذي اتبع سياسة مؤيدة للإنجليز، وكثيراً ما كان يفصح عن ثقته بالإنجليز »[2] .

ويقول السلطان أيضاً : « كنت أرى أن الصدر الأعظم، مدحت باشا يؤيد الإنجليز، ويتعاون معهم سواء بدافع من ماسونيته، أو بدافع من أسباب أخرى خاصة به جداً، لم أعد أحتمل، فعزلته عن الصدارة العظمى، وأبعدته خارج

---

(١) مذكرات السلطان عبد الحميد السياسية، ص١٩٤ ، ١٩٦ ، ترجمة محمد حرب عبد الحميد، دار الأنصار بالقاهرة، ١٩٧٨م .

(٢) مذكرات السلطان عبد الحميد السياسية (ص٣٩، ٤٣ ـ ٤٤ .



الحدود»[1].

●● كان مدحت باشا (١٨٢٢ - ١٨٨٥م) قد تولى الصدارة العظمى / عام ١٨٧٢م، وتقلب في عدة مناصب إدارية، وكان معجباً بالإنجليز بشكل خاص، وبالنظام البرلماني عندهم، وكان يتصور أن الدولة العثمانية يمكنها أن تتفادى كل ما تواجه من مشاكل إذا طبقت النظام الإنجليزي وأساليب الإدارة والحكم عند الإنجليز»[2].

●● فكان إعلان الدستور عام ١٨٧٦م، المقتبس من دساتير أوربا الغربية وخاصة بلجيكا، ثم فرنسا وبريطانيا، هو وليد تلك الظروف السياسية، وهو مختلف تمام الاختلاف عن طبيعة الدولة الثعمانية، التي كان حكم الشريعة فيها قائماً ـ بشكل أو بآخر ـ لأكثر من خمسة قرون، فلم تجد فكرة إعلان الدستور ارتياحاً لدى كثير من رعايا الدولة العثمانية، في مختلف ولاياتها، ولم يساند ذلك الدستور سوى الفئات المناوئة لتيار الجامعة الإسلامية، من اليهود والنصارى، ومن تأثروا بالثقافة الغربية، ولذلك فإن تعليق الدستور لم يجد أي رد فعل في الولايات العثمانية»[3].

● وقد كثرت انحرافات مدحت باشا، من ذلك أنه أمر بإضافة الصليب على العلم العثماني، ذي الهلال والنجمة عندما كان والياً على الدانوب، بحيث

---

(١) مذكرات السلطان عبد الحميد السياسية، ص٣٩، ٤٣، ٤٤.

(٢) المرجع السابق/ ص٤٤.

(٣) حركة الجامعة الإسلامية: أحمد فهد الشوابكة، مكتبة المنار، الأردن/ ١٩٨٤م - ١٤٠٤هـ/ ص٣٦.



يكون علماً محلياً للمنطقة[١].

كما رأى تدريس اللغات القومية كالبلغارية في مدارس الدولة الرسمية، وإعطاءها أهمية معادلة للغة الدولة الرسمية، مما ساعد على نمو الحركات القومية واتساعها في عهده[٢].

●● وحوكم مدحت باشا لمسؤوليته المباشرة في حادثة اغتيال السلطان عبد العزيز «عم السلطان عبد الحميد» وحكم عليه بالإعدام، إلا أن السلطان عبد الحميد، أمر بالاكتفاء بإبعاده إلى الطائف حتى مات فيها / ١٨٨٥م.[٣]

●● كان مدحت باشا ابناً لحاخام يهودي مجري، واشتهر بالمكر والخداع والدهاء، حتى توصل لمنصب الصدارة العظمى، وقد تمكن من بذر الفتن في الدولة العثمانية، متظاهراً بالإسلام، ومبطناً يهوديته الماكرة الحاقدة»[٤]، وصار مدحت يعتبر أنه هو أبو الدستور، وزعيم الإصلاح في الدولة.

* * *

---

(١) مذكرات السلطان السياسية، ص٢٧، ١٣٧.

(٢) مذكرات السلطان السياسية، ص٢٧، ١٣٧.

(٣) زعماء الإصلاح: أحميد أمين.

(٤) أسرار الصهيونية: عبد المنعم شميس / ص٨٦، نقلاً عن الأفعى اليهودية لعبد الله التل.



المبحث الثاني

موقف السلطان من مخططات اليهود ومحافل الماسون

إن تاريخ اللدغات اليهودية في معقل الخلافة قديم، كان قد بدأ منذ عهد السلطان مراد الثاني، ومن بعده السلطان العظيم، محمد الفاتح رحمه الله / ١٤٨١م، الذي اغتاله طبيبه الخاص يعقوب باشا بالسم.

كما ساهمت جارية يهودية في اغتيال بعض أبناء السلطان سليمان القانوني وبعض أحفاده وهي «نوربانو»، كانت جميلة فاتنة تزوجها السلطان، فدبرت المكائد داخل القصور السلطانية[١]، كعادة يهود دائماً.

واستمر تغلغل اليهود ومؤامراتهم في دوائر الحكم العثماني حتى انتهت بزوال الخلافة، وهدم ذلك المعقل الإسلامي الخطير على يد كمال أتاتورك.

●● وقد استخدم اليهود في خططهم قوى الشر التالية:

١ ـ يهود الدونمة: أي المرتدون[٢]:

وهم الذين تظاهروا بالإسلام بعد وصولهم من الأندلس وتجمعهم في مدينة

---

(١) الخطر المحيط بالإسلام/ ص٦٧، جواد رفعت، ترجمة وهبي عز الدين، بغداد، ١٩٦٥م، والأفعى اليهودية، عبد الله التل، ص٧٥.

(٢) الأفعى اليهودية: عبد الله التل ـ المكتب الإسلامي، ١٣٩١هـ.



سلانيك التركية ومنهم من تظاهر بالإسلام بعد معركة المسيح الدجال « سبتاي سيفي » الذي ادعى أنه المسيح المنتظر لتخليص اليهود وتسليمهم حكم العالم بعد إعادتهم إلى أرض الميعاد .

وحين ألقي القبض على ذلك الدجال، تظاهر باعتناق الإسلام لينجو من القتل، وتبعه كثير من أتباعه اليهود متظاهرين باعتناق الإسلام . . وحملوا أسماء إسلامية ووصلوا لأعلى المناصب، مما سهل عليهم مهمة التخريب والتمهيد للقضاء على الخلافة[١] .

وكان من هؤلاء اليهود المرتدين كثير من زعماء « جمعية الاتحاد والترقي » وهي الجناح العسكري (لتركيا الفتاة) .

كما كان كثير من هؤلاء اليهود وغيرهم وراء المحافل الماسونية التي كان لها دور خطير في حياكة المؤامرات ضد الدولة العثمانية .

فكان من أبرز رجال التنظيم السري الماسوني :

طلعت باشا : وهو من زعماء تركيا الفتاة، تولى الصدارة العظمى بعد وزارة الداخلية، وكان له دور خطير في إيقاع الدولة العثمانية في أتون الحرب العالمية الأولى .

يساعده نظراؤه في المعتقد والأصل : **أنور باشا**، وزير الدفاع بعد إبعاد السلطان عبد الحميد، وجمال باشا (السفاح)، تتمة الثالوث الخبيث لهذه

---

(١) العرب والترك : محمد جميل بيهم ص١٩٧، بيروت ١٩٥٧م .

العصابة.

ومنهم اليهودي أمنويل قره صو نائب سلانيك.

ومن جماعة الاتحاديين مصطفى كمال أحد الضباط الأشرار والذي أسقط الخلافة العثمانية من خلال تمثيل مشبوه مع الحلفاء والماسون...[1]

كما قرر اليهود اختراق الجيش العثماني عن طريق المحافل الماسونية وفي وحدات الجيش الثالث في سلانيك حيث كان معظم سكانها من اليهود «١٠٠ ألف من أصل ١٤٠ ألفاً»، وكان شعار الجيش الثالث في مزاعم الإصلاح (حرية ـ إخاء مساواة) وهي نفس مبادئ الماسونية[2].

٢ ـ الجمعيات السرية: (الماسونية):

وعلى رأسها الماسونية التي تغلغلت في كيان الدولة ونجحت بمساعدة الدونمة لتكوين جمعية «تركيا الفتاة»، والتي كان مدحت باشا من مؤسسيها وتركز نشاط الجمعية في سلانيك، حيث كثرت فيها محافل الماسون التي يديرها يهود الدونمة وغيرهم من اليهود الذين ظلوا على يهوديتهم.

● **قال الفيلسوف الماسوني «شاريبا» في حفل أقيم للماسون:**

«انظروا إلى إخوانكم الماسونيين في «سالونيك»، الذين قاموا بالحركة

(١) سنفصل الحديث حول حركة جماعة الاتحاد والترقي في فصول قادمة وينظر: الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام، عبد الله التل، ص٧٨.

(٢) ينظر: ما سبق.



الدستورية، التي قلبت نظام الحكم العثماني في آخر عهد السلطان عبد الحميد، دون أن تسيل قطرة دم واحدة.

أجل! فبمثل هذا الشعب الماسوني تفخر الماسونية، ويعظم من شأن وسائلها السلمية السليمة»[1].

●● وكتب محمد رشيد رضا في مجلة المنار:[2]

«كان السلطان عبد الحميد عدواً للجمعية الماسونية، لاعتقاده أنها جمعية سرية تسعى لإزالة السلطة الدينية من حكومات الأرض، وهو يفتخر بالخلافة الإسلامية ويحرص عليها.

وقد تنفس الزمان للماسون بعد الانقلاب الذي كان لهم فيه أصابع معروفة، فأسسوا شرقاً عثمانياً، أستاذه الأعظم طلعت باشا وزير الداخلية، وأركانه زعماء جمعية الاتحاد والترقي وأنصارها من اليهود وغيرهم»[3].

● وضمت جمعيات الماسون السرية، المجرمين والإرهابيين، من اليهود والبلغار والصرب واليونان، وهم عماد الثورة التي زحفت على استانبول، وعزلت السلطان عبد الحميد.

وكان يرأس الوفد الذي قدم للسلطان وثيقة العزل اليهودي الماسوني «قر

---

(١) الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام/ ص٧٩.

(٢) مجلة المنار: العدد الأول/ ١٣٢٩هـ، محمد رشيد رضا.

(٣) مجلة المنار: العدد الأول/ ١٣٢٩هـ، محمد رشيد رضا.



صو»، الذي صده السلطان مع هرتزل ـ كما سيأتي ـ وكان رئيس الجالية اليهودية في سلانيك، ومعهم الحاخام (موسى ليوي)[1].

٣ـ الدعاية الفاجرة:

شنّ رجال الماسون واليهود، والجمعيات السرية، دعاية فاجرة ضد السلطان عبد الحميد فصورت الحكم في عاصمة الخلافة أبشع تصوير، بينما صورت تلك الدعاية مدحت باشا اليهودي الماكر بطلاً من أبطال العالم، وسمته «أبا الأحرار»، وسخرت صحف أوربا وإذاعاتها لتمجيد مدحت، حامل لواء الإصلاح والحرية في السلطنة العثمانية وحين عزله السلطان عبد الحميد ونفاه إلى الطائف، هبت سفارات الغرب في استانبول محتجة على قسوة السلطان ومطالبة بالعفو عن مدحت باشا[2].

● صورت بالدعاية الفاجرة أن السلطان عبد الحميد كان مستبداً ظالماً، بينما كانت سياسته خلاف ذلك تماماً، يقول أحد معاصريه: (الملك عبد الله) في مذكراته «ولقد زعم الناس أن عبد الحميد كان ظالماً، لقد كذب الناس، والله لم يكن بالظالم، ولكنه الحذر المتحوط، ولقد عرف بعد أن ذهب، أنه لم يقتل أحداً، ولم ينفذ حكم الإعدام في محكوم أبداً إلا مرة واحدة، والبقية يبقون في الحبس حتى يدركهم الموت، وأما الذين ينفون من بلادهم إلى اسطنبول أو

---

(١) جهاد ناطق: عمر مفتي زاده/ الدار البيضاء، ص٨، ١٩٦١م، نقلاً عن الأفعى اليهودية، ص٨٧، وينظر: الخطر المحيط بالإسلام: الجنرال جواد رفعت، ١٢٤.

(٢) الأفعى اليهودية، ص٧٨.



إلى الخارج، فهم أولئك الذين عرض عليه أنهم خلاف عليه أو على سلطانه، فيخرجهم إلى مكان لا يعرفون فيه، فيقي دولته بذلك التدبير الفتن»[١].

● ولا تذكر لنا الجرائد أو كتب المذكرات عن أي سياسي سوري اعتقله السلطان عبد الحميد، بسبب أفكاره السياسية، وخاصة في الفترة السابقة لانقلاب عام ١٩٠٨م.

ويذكر محمد كرد علي: حسنات السلطان عبد الحميد فقال: «في أيام عبد الحميد خفت وطأة الأشقياء واستراحت الشام قليلاً.. وأبطل عبد الحميد الحكم بالقتل، فكان القاتل يخلد في سجنه»[٢].

وإنه لأمر عجيب أن تقلب الحقائق إلى هذا الحد، وإن كان موقف السلطان يعتبر ليناً وغير شرعي في عدم إقامة الحد على القاتل العمد مثلاً...

٤ ـ الصليبية الغربية الحاقدة:

تعاونت الدول الغربية كلها[٣] مع المعارضة ضد الدولة العثمانية، وسخرت خدمات البريد «وهو أمر مهم آنذاك» لهذا الغرض، وقدمت المساعدات المالية كذلك، وعن طريق البريد كانت توزع الجرائد والمنشورات المعادية للدولة

---

(١) الآثار الكاملة: الملك عبد الله بن الحسين، ص٥٠ – ٥١، الدار المتحدة للنشر، بيروت ـ طبعة ثانية ١٩٧٩م.

(٢) خطط الشام: محمد كرد علي، ج٣، ١٤٩ – ١٢٦.

(٣) وعلى رأسها: بلغاريا ورومانيا، النمسا ـ فرنسا ـ إيطاليا وروسيا واليونان، تحالفت على الدولة العثمانية.



العثمانية، وقامت مقاطعات دول أوربا الشرقية بثورات متلاحقة على الدولة العثمانية ذات السيادة عليها آنذاك، وأنهكت بسبب ذلك، وأكمل الحلفاء ـ بريطانيا وفرنسا ـ الحرب والتآمر على ديار المسلمين خلال الحرب العالمية الأولى، وهو موضوع هذا الكتاب.

٥ ـ تسخير الدعوة إلى القوميات الجاهلية ضد الدولة العثمانية:

استغل اليهود بعض مفكري العرب وأكثرهم من النصارى، لإبرازمساوئ الخلافة على نطاق واسع.

ودعوا إلى القومية العربية بأساليب بعثت الشك في أولئك الدعاة الذين قلدوا النزعات القومية التي اجتاحت أوربا في القرن التاسع عشر.

وقد اعترف مؤرخو النصارى من العرب بأن الرواد الأوائل لحركة القومية العربية كانوا من النصارى وأنهم تعاونوا مع الماسونية ومحافلها في المشرق[١].

● كما أن إثارة القومية التركية الطورانية من جاهليتها كانت دسيسة يهودية، وراءها رجال الماسون والدونمة وقد مزقت الدولة العثمانية، وقضت على الأجناس غير التركية من المسلمين، وأسقط الكماليون خلفاء الاتحاديين الخلافة كما سيأتي تفصيله إن شاء الله.

السلطان عبد الحميد والحركة الصهيونية:

كان قادة الحركة الصهيونية قد لجأوا إلى قناصل الدول الغربية من أجل

---

(١) يقظة العرب: جورج أنطونيوس ـ بيروت، ١٩٦٢م، (ص١٤٩) وما بعدها..



الاتصال بالدولة العثمانية، وبالسلطان عبد الحميد، بعد أن نجحت تلك الحركة بعقد مؤتمرها الأول في سويسرا «بمدينة بال» سنة ١٣١٥هـ - ١٨٩٧م، برئاسة هرتزل اليهودي النمساوي الأصل.

وكان السلاطين العثمانيون قد حدّوا من الهجرة إلى ديار المسلمين، وتنبه السلطان عبد الحميد لذلك ومنع السماح للزوار منهم ومن الجنسيات الأوربية المختلفة أن يقيموا أكثر من ثلاثة أشهر.

● وفي عام ١٩٠١م، قام (تيودور هرتزل) زعيم الحركة الصهيونية بزيارة كانت الأولى من نوعها للسلطان عبد الحميد، يرافقه: (إيمانويل قره صو) زعيم الأقلية اليهودية التركية، والحاخام «ليفي موشيه»، وقد حاولوا أن يحصلوا على إذن يسمح فيه لليهود بالهجرة إلى فلسطين، بصفتهم رعايا للدولة العثمانية، كما حاولوا إغراءه بتسديد ديون الدولة العثمانية، وقدرها (خمسون مليون جنيه ذهبي) وتعادل/ ١٥٠ مليون ليرة عثمانية ذهباً، وهبة مقدارها (خمسة ملايين من الجنيهات)، تقدم لخزينة السلطان الخاصة[١].

ورفض السلطان بإباء كل ذلك، وأعلن استحالة تحقيق هذا الهدف وهو على قيد الحياة... وبدأ تصعيد التآمر ضده داخلياً وخارجياً، حتى تمكنوا من إسقاط السلطان عبد الحميد... وكان قره صو اليهودي واحداً من الذين اشتركوا في تقديم قرار الاتحاديين بالعزل إلى السلطان.

---

(١) أسرار الانقلاب العثماني: كتبه بالتركية: مصطفى طوران، ترجمة: كمال خوجة، الطبعة الرابعة، ص١٦ - ١٧، وتاريخ الدولة العثمانية: علي حسون، نشر المكتب الإسلامي - دمشق، الطبعة الأولى ١٩٨٠م



ولذلك استنكر السلطان هذا الوضع المزري مشيراً بيده إلى اليهودي (قره صو) قائلاً : ما وجدتم غير هذا اليهودي، لتبلغوا خليفة المسلمين بهذا القرار؟!(١).

● وقد كتب السلطان بعد عزله رسالة إلى شيخه، الشيخ محمود أبو الشامات، شيخ الطريقة الشاذلية بدمشق، يشرح فيها عروض هرتزل وإغراءات اليهود(٢).

●● وهذه مقتطفات من تلك الرسالة يقول فيها :

« إنني لم أتخل عن الخلافة لسبب ما، سوى أنني بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد والترقي وتهديدهم، اضطررت، وأجبرت على ترك الخلافة.

إن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا علي بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين (الأرض المقدسة)، ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية، وأخيراً وعدوا بتقديم (١٥٠ مليون ليرة ذهبية إنجليزية) فرفضت ذلك بصورة قطعية أيضاً، وأجبتهم بهذا الجواب القطعي :

إنكم لو دفعتم ملء الأرض ذهباً، فضلاً عن (١٥٠ مليون) ليرة ذهباً، فلن أقبل بهذا بوجه قطعي، لقد خدمت الملة الإسلامية والملة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة، فلم أسود صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء

---

(١) ينظر: حاضر العالم الإسلامي، د. جميل المصري ص١١٦، وما بعدها.

(٢) وقد نشر هذه الرسالة الأستاذ سعيد الأفغاني الدمشقي في مجلة العربي « الكويتية » في عددها الصادر في شهر شوال/ ١٣٩٢هـ الموافق لكانون الأول/ ١٩٧٢م، ضمن مقال له بعنوان: « سبب خلع السلطان عبد الحميد ».



العثمانيين، لهذا لن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي أيضاً».

«وبعد جوابي القطعي، اتفقوا على خلعي وأبلغوني أنهم، سيبعدونني إلى «سلانيك»، فقبلت بهذا التكليف الأخير، وحمدت المولى، وأحمده أنني لم أقبل بأن ألطخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشئ عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة «فلسطين»، وقد كان بعد ذلك ما كان... وأعتقد أنّ ما عرضته كاف في هذا الموضوع الهام، وبه أختم رسالتي هذه»[1].

● خادم المسلمين: عبد الحميد بن عبد المجيد.

●● كان السلطان عبد الحميد، يرى أن السماح لليهود بالاستيطان في فلسطين يعني الموت لأهلها من المسلمين، يقول في مذكراته: «نكون قد وقعنا قراراً بالموت على إخواننا في الدين».

وكان يرى «أن الإسلام هو القوة الوحيدة التي تجعلنا أقوياء، ونحن أمة حية قوية، ولكن بشرط أن نصدُقَ في ديننا العظيم»[2].

●● رحم السلطان عبد الحميد، فقد ضحى بعرشه في سبيل إنقاذ فلسطين، وتعالى فوق كل الضغوط والإغراءات، وبدأ بعده مسلسل التنازلات ابتداء بالثورة العربية الكبرى، أو «الخديعة العربية الكبرى»، وانتهاء بأوسلو، وكامب ديفيد، و(واي بلانتيشن) وهلم جرّا.

● وفي عهد جماعة الاتحاد والترقي، سمح لليهود بالهجرة إلى فلسطين، كما أعطوا تسهيلات كثيرة.

---

(١) كتبها السلطان في شهر سبتمبر من عام ١٩٠٩م.

(٢) مذكرات السلطان عبد الحميد السياسية، ص٣٤ - ٣٥، وص١٣.



كتب الحاج أمين الحسيني في مذكراته أن «جمال باشا» كان قد حضر حفلة أقامتها «فرلاندو» الصهيونية اليهودية، مديرة دار المعلمات في القدس، واغتنمت الخبيثة الفرصة، فحشدت لاستقباله صفوة مختارة من الفتيات - الطالبات وغير الطالبات - وقمن أمامه باستعراض رياضي، وبعد انتهاء الزيارة قدمت له «ألبوم» يشتمل على صور الفتيات المشاركات بالحفل مع عناوينهنّ، فمنح الخبيث (جمال) بعد الزيارة أرضاً واسعة، لليهود من أراضي الأوقاف الإسلامية، وأصدر أمره إلى مجلس إدارة القدس بإتخاذ الإجراءات القانونية لتسجيلها باسم اليهود[1]».

●● والحقيقة أن الدولة العثمانية حافظت على الهوية الإسلامية لأرض فلسطين ورسختّها لأربعة قرون متوالية، كماأن أهالي فلسطين كانوا يعتبرون هذه الدولة دولتهم، ويحسون بالولاء لها، وكانوا يتمتعون بكافة الحقوق السياسية وغيرها التي يتمتع بها الأتراك، ويشاطرونهم جميع مناصب الدولة العسكرية والمدنية، فمثلاً كان موسى كاظم الحسيني - والد عبد القادر الحسيني - متصرفاً لعسير ثم لنجد ثم لحوران ما بين ١٨٩٢ حتى ١٩١٢م، والشيخ أسعد الشقيري والد أحمد الشقيري، الذي تولى منصب مفتي الجيش العثماني الرابع[2].

حتى إذا هبت رياح الطورانية وقومية العرب العلمانية تغير الحال إلى ما نحن فيه.

---

(١) مجلة فلسطين، العدد (١١٣) السنة العاشرة، في شهر جمادى الآخرة، ١٣٩٠هـ ص٢٢، نقلاً عن حاضر العالم الإسلامي د. جميل المصري، ص٣١٦.

(٢) رجال من فلسطين: عجاج نويهض، ص١٣٤ - ١٣٥، بيروت عام ١٩٨١م.



المبحث الثالث
تبني الجامعة الإسلامية وتقريب العرب: من دعائم سياسة السلطان عبد الحميد

١ ـ السلطان وتبنيه لفكرة الجامعة الإسلامية.

٢ ـ انقلاب الاتحاديين وأثره على حركة الجامعة الإسلامية.

٣ ـ أنصار عبد الحميد ونشاطهم في بلاد الشام.

١ ـ فكرة الجامعة الإسلامية تقف في وجه التيارات القومية:

● تبنى السلطان فكرة الجامعة الإسلامية، ليقف في وجه التيارات القومية: تركية أو عربية، ونشر شعاره المعروف: «يا مسلمي العالم اتحدوا» فقرب إليه العلماء المسلمين، واتخذ منهم بطانته، وشجعهم في نشر الفكر الإسلامي القويم.

ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن تستلهم الدولة وسيلة إصلاحها من تراثها الإسلامي، ونظمها العثمانية الشرقية، إبان عصور قوتها وازدهارها.

ويرى هؤلاء (من العلماء والمفكرين والسياسيين) أن عهد التنظيمات على الأسلوب الغربي هو الذي أدى إلى ضعف الدولة... وأن عهد التنظيمات وما تلاه ما هو إلا خديعة من جانب الدول الأوربية، عملت من خلالها على تجريد الدولة الثعمانية من عناصر قوتها المتمثلة في قوانينها الإسلامية، وإحلال القوانين الغربية بصورة تدريجية[١].

● وكان على رأس أصحاب هذا الاتجاه، المفكر العثماني «أحمد جودت باشا ٩٢٢ – ١٨٩٥م الذي كان قد تولى رئاسة لجنة مجلة الأحكام العدلية لتقنين الشريعة الإسلامية على المذهب الحنفي، وعمل بالوزارة في عهد السلطانين عبد العزيز وعبد الحميد الثاني.. وقد عادى التنظيمات العثمانية

---

(١) حركة الجامعة الإسلامية: (ص٤٢ – ٤٤) أحمد فهد الشوابكة، وأزمة العصر: د. محمد محمد حسين، ص٣٣.



ورجالاتها واتهمهم بأنهم كانوا منفذين لرغبات الدول الغربية خاضعين لنفوذ سفاراتها[1].

● **وفي بلاد الشام**: نظر أهلها إلى استنبول نظرتهم إلى مركز الخلافة التي حافظت على تقاليدهم وتراثهم الإسلامي، والتاريخ العثماني يمثل بالنسبة لهم جزءاً من تاريخ الخلافة الإسلامية.

وعرف أهل الشام بالمحافظة على تراثهم وتقاليدهم الإسلامية ثم وقفوا موقف المعارضة أمام بعض مظاهر الحضارة الغربية، التي وفدت إليهم عن طريق بيروت، وكانت تتعارض مع ثقافتهم وتقاليدهم.

● من ذلك ما قام به أهل دمشق، عندما انتقلت حركة المسرح والتمثيل من بيروت إلى دمشق، فقد أرسلوا وفداً برئاسة أحد علماء الشام واسمه «سعيد الغبرة» إلى استانبول، مستنجداً بالسلطان عبد الحميد، ضد ما أسموه «البدع المخالفة للشرع وغير المستحبة».

فخاطب الوفد السلطان قائلاً: «أدركنا يا أمير المؤمنين، فإن الفسق والفجور قد تفشيا في الشام، فهتكت الأعراض وماتت الفضيلة، واختلط النساء بالرجال».

وعلى أثر ذلك أصدر السلطان أمراً إلى والي دمشق بإغلاق المسارح ومنع

---

(١) حركة الجامعة الإسلامية: (ص٤٢ - ٤٤) أحمد فهد الشوابكة، وأزمة العصر: د. محمد محمد حسين، ص٣٣.



تمثيل الروايات التي تضر بالأخلاق[1].

● وعرفت دمشق نفسها بطابعها الشرقي الإسلامي المحافظ حتى أن القناصل الأجانب كانوا يهابون دخولها، وكان أول مرة يدخل فيها قنصل أجنبي دمشق، عندما سمح إبراهيم باشا لقنصل إنجلترا بدخولها عام ١٨٣٣م.

وقد أثارت هذه الحادثة ثائرة أهل دمشق الذين كانوا يرون أن لبلدهم قدسية، يجب ألا يدنسها الأجانب[2].

وقد انحاز أهل الشام إلى جانب الدولة العثمانية وسلطانها في نزاعه مع محمد علي باشا والي مصر على أثر غزوه لسوريا ١٨٣٢م وعبروا عن فرحتهم بخلاصهم من سطوته ومظالمه، ورددوا في هذه المناسبة الأغاني والأهازيج.

● من ذلك (أغنية تاريخية) رددها فلاحو حوران فرحاً بانسحاب إبراهيم باشا قائلين:[3]

قومي العـــبي يا بنية   يا افطيـــم الحورانية
قومـي العبي الدبكــة   سبع سلاطين مشْتبكة
محمد باشا عم يبكي   على ولاية ســـــوريا

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية: جورجي زيدان، دار الهلال بالقاهرة، ج١/ص١٤١، الجامعة الإسلامية: أحمد فهد الشوابكة، ص٦٥.

(٢) حركة الجامعة الإسلامية: أحمد فهد الشوابكة (ص٦٦ - ٦٧).

(٣) ينظر ما سبق.



● وكان من أصحاب هذا التيار الإسلامي: الشيخ أبو الهدى الصيادي وعبد القادر المغربي، ومحمد رشيد رضا، وشكيب أرسلان.

* * *

٢ ـ انقلاب الاتحاديين عام ١٩٠٨م وأثره على حركة الجامعة الإسلامية:

كان إعلان الدستور الذي سعى إليه الاتحاديون عام ١٩٠٨م ومن ثم خلع السلطان عبد الحميد ١٩٠٩م، مؤامرة شنيعة كان لها آثارها السيئة على العالم الإسلامي، وما تزال مستمرة حتى الآن.. وكانت علاقة جمعية الاتحاد والترقي باليهود والماسونية وطيدة، تدعمهم الدول الكبرى، وكان رد الفعل متفاوتاً في الولايات العثمانية.

● **رد الفعل تجاه انقلاب الاتحاديين:**

تفاوت رد الفعل في الولايات بين رعايا الدولة:

● **فالفئات الساخطة على حكم عبد الحميد**: أغلبها من اليهود والأرض، ودعاة القومية المتطرفة من عرب وترك، وخاصة مَنْ تثقف بثقافة غربية، استبشر هؤلاء خيراً، بما حدث وعبروا عن فرحتهم، كل فريق بطريقته الخاصة.

فتعانق قساوسة بمشايخ، ويهود ونصارى بمسلمين، وأعلنت الحرية بشعاراتها الثلاث: العدالة والمساواة والأخوّة... وهتفت الجماهير بحياة رجال

الاتحاد والترقي[1].

● وأعرب الزعماء العرب المشتغلون بالحركة العربية القومية عن فرحتهم بالعهد الجديد، وشكل أهالي بيروت حرساً وطنياً بزعم مساعدة الجيش عند الضرورة[2].

● لقد شنع الناقمون على السلطان الظلم والاستبداد، وفرحوا بإعلان الدستور... وكتبت حول ذلك الظلم الصحف والكتب، ودوت المدافع والطلقات النارية في حلب عند الأرمن، ويصف بشارة الخوري ذلك الهدف بأنه أثار الأفراح «فتعانق الشيخ والكاهن» أمام الجماهير في ساحة البرج.. وكذلك كانت مشاعر أهل الطوائف الدينية من غير أهل السنة مثل: الدروز والإسماعيلية والنصيرية[3].

●● أما عامة المسلمين ورجال الفكر والعلماء منهم.

فقد استنكروا هذا الانقلاب وشعاراته.

ففي استانبول رأى جمهور العلماء أنه لا داعي لدستور اقتبست أكثر مواده من دساتير غربية، ما دامت الشريعة الإسلامية قائمة، خاصة وأن القائمين على

---

(١) حركة الجامعة الإسلامية: ص٣١٨، فهد الشوابكة.

(٢) حركة اليقظة العربية في الشرق الآسيوي، محمود صالح منسي، ص٩٤، القاهرة، ١٩٧٢م.

(٣) تاريخ سورية، ١٩٠٨ - ١٩١٨م، نهاية الحكم التركي، ص٥٩، د. علي سلطان ١٩٨٧م، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر.



أمر الدستور والمناوئين للسلطان هم مجموعة مؤلفة من خليط لاديني من ترك مرتدين «وروم وأرمن» عرفوا بكثير من التساهل في أمور الدين والتظاهر بالتفرنج، والتكلم بما يخالف الشرع، وترديد ألفاظ الوطنية التركية والقومية الطورانية، وكل هذا يتعارض مع الشريعة الإسلامية ومع الجو السائد في الدولة العثمانية منذ مئات السنين[١].

●● **أما المسلمون السنة فقد حزنوا على سقوط السلطان**، وأخذ السواد الأعظم من أهالي سوريا يبكون وينوحون جاعلين هذا الانقلاب دالاً على ذل الإسلام والمسلمين وبذلوا جهدهم للتخفيف من دعاية الجمعية الاتحادية نفسها في بلاد الشام[٢].

● ويذكر بعضهم: بأن السلطان كان يحابي أهل السنة ويقربهم على حساب غيرهم، وأغدق على زعمائهم الأموال، وكان يحاول دائماً إرضاء العرب، ومن أجل ذلك مد السكك الحديدية واستطاع بتبني الجامعة الإسلامية إنشاء وحدة إسلامية بين العرب والترك ليستطيع مقاومة الغرب النصراني، وبذلك منع الانشقاق بين العرب والترك، وهذا يفسر عدم قيام العرب ضد الأتراك طيلة عهد السلطان عبد الحميد حتى سقوطه عام ١٩٠٩م[٣].

---

(١) السائرون والمنفيون في سبيل الشريعة: صادق آل بايراق، ص٨٧، نقلاً عن حركة الجامعة الإسلامية، ص٣٢١.

(٢) المقتطف: م/ ٣٥، ج٤/ص٩٤٠/ أكتبور/ ١٩٠٩م.

(٣) ينظر: حاضر العالم الإسلامي، حاشية شكيب أرسلان/ القاهرة ـ ١٣٤٣هـ، ج١/ ص١٠٩، ١٤٠.



لقد جهد عبد الحميد كثيراً لإحياء عظمة الخلافة في العالم الإسلامي، لكنّ قوة التيار المعاكس كانت جارفة.

* * *

٣ - أنصار السلطان ونشاطهم في بلاد الشام:

لم يقض العمل بالدستور وانقلاب جماعة الاتحاد والترقي على السلطان، وكان أنصاره كثيرين في سوريا ولبنان، وكان كبار العلماء والوجهاء هم صلة الوصل بين الحكومة والناس أيام عبد الحميد، وكانوا ذوي نفوذ منهم:

الشيخ نديم الجسر نائب طرابلس الشام في المبعوثان، وأبو الهدى الصيادي المستشار المقرب من السلطان، وكثير من علماء حلب واللاذقية ومدن سوريا كلها.

● وقامت فئات كثيرة من أهالي سوريا تندد بالانقلاب والدستور، وأسسوا فروعاً للجمعية المحمدية ضمت إليها وجهاء المدن وعلماءها[١].

● لقد تشكلت الجمعيات المحمدية أو «الحزب المحمدي» من أجل القيام بثورة مضادة ضد الاتحاديين، وترمي إلى العمل بإحياء الشريعة المحمدية، وكانوا يطلقون على جمعية الاتحاد والترقي (جمعية التفريق والتدني)[٢].

وقد كثر المنتسبون لهذا الحزب، ونفي بعضهم إلى رودس من قبل الاتحاديين

---

(١) خطط الشام، ج٣/ ١٢٠، ونشأة الحركة العربية الحديثة محمد عزة دروزة، ص١٨١.

(٢) مذكرات البارودي: ج١/ ص٧١ - ٧٢.



بعد خلع السلطان عام ١٩٠٩م، لكن خلع السلطان لم ينه أنصاره بل بقوا أقوياء وتفرقوا وهم يحملون سراً لعداء للاتحاديين.

● كتب محمد رشيد رضا «وكان من أنصار الدستور مخدوعاً بدعاته»: بأنه يوجد بين الاتحاديين الماسونيون بنسبة لا تقل عن ٣٠٪، والعلماء المسلمون نفروا من الجمعية بعدما علموا أنها تعتمد على تخريج الملحدين من مدارس العاصمة، وأنها تتقرب من النصارى العرب»[١].

●● وفي الحقيقة: كان موقف السلطان محيراً مع الاتحاديين، إذ كان بإمكانه أن يقضي عليهم في استانبول، لكنه رفض أن يطلق أنصاره عليهم الرصاص، وقال: إنكم تقاتلون أتراكاً مثلكم حتى بعض المؤرخين اتهم السلطان بالضعف أمام هذا الخطر الداهم، ويبدو أنه بعد خبرة في الحكم تزيد على ثلث القرن، وجد أن أمر المقاومة لا يجدي، وأن أفكار رجال التغريب والماسون واليهود، قد عششت ونخرت في جسم الدولة، ولذلك فقد آثر السلامة بعدم إراقة الدماء، وهذا ما يشير إليه الملك عبد الله بن الحسين في مذكراته بقوله: «إنه ليصح القول بأن السلطان عبد الحميد، كان آخر سلاطين المسلمين علواً ورفعة، وأشبه ما حصل بعد خلعه للمسلمين بما حصل للمسلمين عندما وثب أهل الكوفة وأهل مصر على أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ... ولله تصريف الأمور، وله الدوام والعزة»[٢].

---

(١) مجلة المنار، ج٢، شباط، ١٩١٤م، ص١٣٦ - ١٤٠.

(٢) الآثار الكاملة: للملك عبد الله بن الحسين، ص٥٢، طبعة بيروت، ١٩٧٩م.

● ويذكر محمد كرد علي علاقة السلطان المتينة مع العرب فقال في مذكراته: «كان السلطان يصطنع العرب وغيرهم من العناصر ليقوى بهم على الترك، وهؤلاء كانوا يبغضونه وما زالوا به حتى خلعوه»(١).

●● وكان الرخاء في أيام عبد الحميد شاملاً والرعية راتعة في بحبوحة التنعم والرفاهية، وكان مهتماً بشؤون الدين، كخدمة شعائره، وإعمار المعابد... وكانت سكة حديد الحجاز أقوى أثراً في قلوب المسلمين عامة، وقلوب رعيته خاصة»(٢).

* * *

---

(١) مذكرات محمد كردعلي: ج١/ ٢٤٩، مطبعة الترقي ١٩٤٨م.

(٢) نهر الذهب في تاريخ حلب: كامل الغزي، ج٣/ ٤٩٠، طبعة حلب ١٩٢٦م.

الباب الثالث
المؤامرة الكبرى لإسقاط الخلافة وتمزيق بلاد العرب

الفصل الأول : دور الحركة القومية الطورانية

الفصل الثاني : دور الحركات القومية عند العرب.

الفصل الثالث : الخديعة الكبرى : ثورة الشريف حسين بن علي وأبنائه.

الفصل الرابع : التآمر الصهيوني ـ الصليبي من خلال التآمرات المشبوهة والاتفاقيات الغادرة.

في الباب الثاني ألقينا الضوء على عوامل سقوط الدولة خلال عهود الضعف . . .

وفي هذا الباب سوف نتحدث عن أركان المؤامرة التي كانت وراء سقوط الخلافة، منذ بداية القرن العشرين بشكل خاص .

● فقد كان يهود الدونمة (في الدولة العثمانية) وراء الحركة القومية التركية « الطورانية » التي تنكرت للإسلام والعرب عموماً، ورفعت شعاراتٍ وثنية تركية، وأفرزت جمعية الاتحاد والترقي التي كانت وبالاً على الامبراطورية، ومن أخبث عناصر تحطيمها . . .

●● وكانت ردة الفعل قوية لدى الحركات القومية عند العرب إزاء سياسة التتريك التي تبناها الاتحاديون، واستغل نصارى بلاد الشام هذا التخبط، فكانوا وراء نشوء الأحزاب القومية العلمانية التي صارت تستمد أمجادها من جاهلية العرب أو الجاهلية الفينيقية القديمة . . .

●●● ثم استغلت بريطانيا هذا الشعور القومي المتنامي، كما استغلت طموحات الشريف حسين، فركبت موجة إعادة الخلافة العربية، وخدعت العرب بقيادة الشريف حسين والقوميين العرب، فحملوا السلاح ضد الدولة العثمانية، ومَزّقوا الجيش العثماني بسلاح الإنجليز وأموالهم .

●● وكان التحالف الأثيم بين بريطانيا وفرنسا، وعقدت المعاهدات الغادرة لاقتسام بلاد الشام وتمزيقها بعد سلخها عن الدولة العثمانية . . .

ثم كانت تمثيلية أتاتورك وتبني الحلفاء له، ليعلن إسقاط الخلافة ويطرد الخليفة خارج الحدود، ويعلن علمانية دولة تركيا الحديثة...

حقاً لقد كانت مؤامرة كبرى ضد الإسلام والمسلمين، وسنتابع فصولها المأساوية خلال هذا الباب.

* * *

الفصل الأول

دور الحركة القومية الطورانية

وفيه عدة مباحث :

المبحث الأول:

الحركة القومية التركية بقيادة جماعة الاتحاد والترقي .

١ ـ تنكرهم للإسلام وعودتهم إلى جاهلية الترك القديمة .

٢ ـ صلة قادة الاتحاديين باليهود والماسونية .

٣ ـ انقلاب عام ١٩٠٨ ضد السلطان وإعلان :

الدستور العلماني القومي في البلاد .

٤ ـ صور من سياسة الاتحاديين الحمقاء .

المبحث الثاني:

بلاد الشام في عهد الاتحاديين خلال سنوات الحرب «١٩١٤م - ١٩١٨م» .

١ ـ سياسة جمال باشا في حكم البلاد الشامية .

٢ ـ مشانق السفاح وفصم العلاقة بين العرب والترك .

٣ ـ سوريا بين التآمر المشبوه ، والموت بالحرب والمجاعة والوباء .



المبحث الأول

الحركة القومية التركية بقيادة جماعة الاتحاد والترقي

١ ـ تنكرهم للإسلام وعودتهم إلى جاهليتهم القديمة:

من الواضح أن السياسة الإسلامية في الامبراطورية العثمانية قد انتهت بسقوط السلطان عبد الحميد، وبرزت العصبية القومية التي حاربها عبد الحميد بكل جهده أيام حكمه.

وانتهت سياسة الاتحاديين إلى تغذية العصبية الطورانية بإحياء تاريخ أجدادهم السابق على الإسلام وتمجيد الغزاة والفاتحين من أسلافهم الوثنيين، حتى قالوا: «نحن أتراك وكعبتنا طوران».

هذا بعد أن ظل الترك العثمانيون حتى منتصف القرن التاسع عشر، لا يكادون يعرفون شيئاً عن ماضيهم وتاريخهم ولا أصلهم ونسبهم...

فقد كانت تلاوة الكتب الدينية والسيرة النبوية، وتاريخ أبطال الإسلام تلذهم أكثر من قراءة تاريخ أجدادهم الوثنيين وفتوحاتهم آنذاك.

واندفع الاتحاديون في سياسة (التتريك) التي تهدف إلى طبع الدولة كلها بطابع تركي محض، وسلخ العرب عن لغتهم وتراثهم، فأهاجت هذه السياسة الطائشة حمية العرب ولا سيما ما يتصل منها بلغتهم[١].

---

(١) ينظر الاتجاهات الوطنية: د. محمد محمد حسين، ج٢/١٠١ - ١٠٢ وحاضر العالم الإسلامي: ج٢/٨٨، ومابعدها.



لقد هبت سياسة التتريك هذه مع رياح الحركات القومية القادمة من أوربا، وكانت ردة فعل العرب على سياسة القوميين الأتراك قوية وحادة.

● وقد سلك الاتحاديون سبلاً مختلفة لتحقيق سياستهم منها:

- محاولات الأتراك ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة التركية[١].

- ومحاولات جادة لعلمنة أنظمة الحكم جميعاً، ومنها نظام التعليم ونظام القضاء.

- ثم محاولات إحياء التاريخ التركي السابق للإسلام، وتمجيد أبطاله، فقد مجّدُوا: جنكيز خان وهولاكو «وهما من المغول وليسا تركيين» ثم اتخذوا الأسماء القديمة لما قبل الإسلام، وكان شعارهم: صورة الذئب الأغبر وهو شعار الترك أيام وثنيتهم[٢].

●● وبدأت ردة الفعل لدى العرب، للمحافظة على تاريخهم ولغتهم، وإحياء الهوية العربية، ولم تكن هذه الحركة تحمل في طياتها بذور العداء للعرب فحسب، بل كانت جريئة في الطعن والكيد للإسلام، كما يشهد بذلك كتاب: «قوم جديد» لمؤلفه (عبيد الله أفندي)، الذي عينته جمعية الاتحاد والترقي مدرساً في جامع أيا صوفيا، وجعلوا حوله «البوليس» يحرسونه

---

(١) مجلة المقتطف: مجلد ٤٩ / ج٥، ص٤٢٦، عام: ١٩١٦م، شهر تشرين الثاني.

(٢) تاريخ سوريا «نهاية الحكم التركي»: د. علي سلطان (ص٨٩ – ٩٠)، دار طلاس - دمشق، ١٩٨٧م.



ويحمونه من اعتداء المسلمين[1].

● وقامت مجلة المنار بترجمة أجزاء من كتاب «قوم جديد» وذكرت أن الكتاب يحرّف القرآن، وجعل أن الصلاة والصلام والحج والزكاة دين القدماء المسلمين، وعبر عنهم بعبارة: «قوم عتيق».

كما صرح الكاتب العلماني بعدم جواز العمل بكتب فقه الأئمة الأربعة، ومقابل ذلك بين الكتاب أركان دين «قوم جديد» وهي:

«العقل وكلمة الشهادة والأخلاق الحسنة»، وما كان يربط أولئك القوم بالخلافة الإسلامية سوى الاحتفاظ بخليفة رمزي، لا يملك من الأمر شيئاً.

●● لقد كانت سياسة التتريك وإحياء العصبية الطورانية والكيد للإسلام: عوامل أساسية في تحويل وجهة أصحاب القضية العربية نحو المطالبة بالاستقلال أو بالحكم اللامركزي على أقل تقدير[2].

* * *

والحقيقة أن أصابع الماسون واليهود، كانت وراء هذا الحقد على الإسلام، فقادة الاتحاد والترقي كانوا جميعاً من البنائين الأحرار، أي الماسونيين.

يروي زين نور الدين زين عن (ستون وتسون) قوله:

«إن أصحاب العقول المحركة كانوا يهوداً أو مسلمون من أصل يهودي ـ دونمة ـ»[3].

---

(١) مجلة المنار: مجلد ١٩/ ص١٥٦١، ٣٠ يونيو/ ١٩١٦م.

(٢) نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية: محمدالخير عبد القادر، ص٨٣.

(٣) نشوء القومية العربية: زين نور الدين زين، ص٨٦، ١٨٦.



٢ - جمعية الاتحاد والترقي؛ وصلتها باليهود والماسون:

لقد أصبح متواتراً لدى المؤرخين الثقات، أن صلة جمعية الاتحاد والترقي باليهود الدونمة كانت قوية، وأنّ أكثر قادة الجمعية كانوا من تلك الطائفة المرتدة عن دينها (اليهودي) ظاهراً.

كما أن صلتهم بالمحافل الماسونية كانت وطيدة، إذ تبنت تلك المحافل نشاطاتهم، وغذتها بروح العداء المتأصل للإسلام، وهل كانت الماسونية إلا صنيعة يهودية متسترة؟!

● ويؤكد (ستون وتسون) ذلك بقوله:

«إن الحقيقة البارزة في تكوين الاتحاد والترقي، أنها غير تركية وغير إسلامية، فمنذ تأسيسها لم يظهر بين زعمائها وقادتها عضو واحد من أصل تركي صافٍ»[١].

وكان الرجال الذين حكموا تركيا إثر الإنقلاب المشؤوم عام ١٩٠٨م، وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى حكماً عسكرياً دكتاتورياً من تلك الجمعية المشبوهة:

فأنورباشا: مثلاً هو ابن رجل بولندي مرتد، وقد صعد من رتبة (بكباشي) إلى رتبة فريق خلال ثلاث سنوات، وتولى وزارة الحربية وقيادة

---

(١) الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا: د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، ط٣، ١٣٩٧هـ، ومرآة الشام: عبد العزيز العظمة تحقيق نجدة فتحي صفوة، لندن - رياض الريس للكتب والنشر، ص٢٠٨ - ٢٠٩.



الجيش... وقد أصبح (أنور) كل شيء حتى أنه قد بلغ به الطيش والغرور إلى أن أكره الدولة ومعه طلعت، على الدخول في الحرب العالمية الأولى دون تخطيط ولا سابق مذاكرة[1].

وكان **جاويد**: يهودياً (من أصل يهودي ـ من الدونمة)، وعين وزيراً للمالية، وصار يعقد القروض لحساب الدولة، لقاء وضع مالية الدولة تحت إشراف ومراقبة الفرنسيين، والتعهد بترجيحهم على غيرهم في الامتيازات... وراح يأخذ عمولات لنفسه بلغت في إحداها (٦٠٠ ألف دينار، من قرض قدر بـ (أربعين مليوناً) عقده في باريس عام ١٣٢٨هـ.

أما **طلعت باشا**: فقد كان من أصل غجري، اعتنق الإسلام ديناً، وكان موظف بريد عادي، رفعته الماسونية حتى صار وزيراً للداخلية، ثم رئيساً للوزراء خلال فترة الحرب العالمية الأولى.

● وكان **جمال باشا**: المعروف بالسفاح قد قطع الرتب العسكرية العالية في أقل من ثلاث سنوات، كان دكتاتوراً لا يغفر لأحد زلة، استلم قيادة الجيش الرابع، وحكم بلاد الشام خلال فترة الحرب، وأشاع فيها الرعب والإرهاب ونشر الخراب والدمار.

ومن هؤلاء (قره صو) اليهودي الإسباني الأصل، والقاطن في مدينة

---

(١) الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا: د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، ط٣، ١٣٩٧هـ، ومرآة الشام: عبد العزيز العظمة تحقيق نجدة فتحي صفوة، لندن ـ رياض الريس للكتب والنشر، ص٢٠٨ – ٢٠٩.



سالونيك، وأحد الذين أخبروا السلطان عبد الحميد بقرار العزل[١].

ومن قادتهم **مصطفى كمال**: كان من أقوى منظمي النشاط الماسوني اليهودي السري، وكان قد قاد هجوماً على استانبول للقضاء على محاولة إخماد ثورة ١٩٠٩م، قامت ضد الاتحاديين.

وكان قد نقل في خريف ١٩٠٧م من دمشق إلى سلانيك، حيث مقر منظمة الاتحاد والترقي، وتحت ستار المحافل الماسونية نظموا الخلايا الثورية ووضعوا خطط الثورة مستعينين بالأموال الضخمة التي كانت ترد إليهم من مصادر مجهولة؟! ثم اعتنق مصطفى كمال الماسونية رسمياً، وانتسب إلى محفل «فيدانا»[٢].

* * *

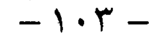
وقد كتب محمد رشيد رضا في مجلة المنار، حول صلة الاتحاد والترقي باليهود والماسون عند قيام الثورة عام ١٩٠٨م مايلي: «إن الزعماء: طلعت وجاويد وإسماعيل حقي، هم من شيعة الماسون، وهم مجتهدون في نشرها بين رجال الحكومة وضباط الجيش، وقد يكون هذا تمهيداً لفصل السياسة عن الدولة، وتجريد السلطان من صفة الخلافة الإسلامية.

وكانت قوة نفوذ اليهود فيهم وفي الدولة واضحة، وذلك يقضي إلى فوز

---

(١) ينظر: نشوء القومية العربية، زين نور الدين ص٨٦، والأفعى اليهودية: عبد الله التل، ص٧٨.

(٢) تركيا الفتاة: د. أرنست رامزور، ترجمة: د. صالح العلي ـ مكتبة الحياة ـ بيروت، ١٩٦٠، ص١٢٣، والنكير على منكري النعمة لمصطفى صبري، ص١٦٦.





الجمعية الصهيونية باستعمار فلسطين التي يراد بها إعادة ملك إسرائيل»[١].

● كما تحدث فخري البارودي في مذكراته عن تسلط الاتحاديين وتغلغل الماسونية بينهم فقال: «أسس الاتحاديون فروعاً لجمعية الاتحاد والترقي في جميع الولايات، وعينوا لإدارتها الموظفين من الأتراك، وكانوا من الشبان الأغرار الذين كانوا يعجزون حتى عن إدارة أنفسهم، والتف حولهم الناس، وكانوا غالباً من المرتزقة من رؤساء الأحياء الذين يعتاشون على أبواب الحكام» «وقد عادت المحافل الماسونية إلى الافتتاح من جديد، وعادت تزاول نشاطها لتأييد جمعية الاتحاد والترقي»[٢].

●● وكان رجال جمعية الاتحاد والترقي تابعين لفروع متعددة للمحافل الماسونية.

ففي «مناستر» سيطر الإنجليز على التنظيم، وفي «سالونيك» سيطر الألمان على تشكيل التنظيم، وعلى الجمعية[٣].

● يقول (آرمسترونغ) في كتابه: «الذئب الأغبر»: «إن منظمة ثورية كبيرة ألفت في (سالونيك)، وأطلق عليها اسم «الاتحاد والترقي»، كانت اجتماعاتها تعقد عادة في بيوت بعض اليهود المنتمين إلى الجنسية الإيطالية، والجمعيات الماسونية، إذ أن جنسيتهم هذه، كانت تحميهم ـ بحكم المعاهدات

---

(١) مجلة المنار: القاهرة، عام ١٩٠٨م، محمد رشيد رضا.

(٢) مذكرات فخري البارودي: ج١/ص٦٣ – ٦٤، دمشق، دار الحياة، ١٩٥١م.

(٣) كيف سقطت الخلافة الإسلامية: فتحي شهاب الدين، ص٢٩، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، ١٩٩٨م.



والامتيازات الأجنبية ـ من الخضوع لأوامر القبض التي يصدرها السلطان، ومن تفتيش البوليس لمنازلهم، أو محاكمتهم أمام المحاكم التركية . . . »[1] .

● إذا كانت هذه أصول الاتحاديين، وتلك هي صلاتهم المشبوهة، فهل يستغرب منهم ما سببوه من دمار، للدولة العثمانية والعالم الإسلامي كله؟!

٣ - انقلاب عام ١٩٠٨م، وإعلان الدستور العلماني القومي:

● في (يوليو) ١٩٠٨م، تحرك « نيازي » عبر جبال مقدونيا من أوربا الشرقية، بفرقة عسكرية، وزحف « أنور » بفيلق من شرق مقدونيا أيضاً، ومجموعة لاتتجاوز بضع مئات من الغوغاء، كان يقودهم الدونمة، وتلاميذ الماسون وصبية المبشرين، وحدثت الفتنة المسماة « بالثورة » واستجاب السلطان لطلبات الماسون حقناً للدماء، وأعلن أنور باشا دستور الحكم الجديد في سالونيك؟![2]

● وثارت الأمة ضد الانقلاب .

وشكلت هيئة « الاتحاد المحمدي » وقتل الجند المسلمون كل من قابلوه من ضباط الاتحاديين، وسيطروا على استانبول وطردوا منها أعضاء جمعية الاتحاد والترقي .

---

(١) الذئب الأغبر: أرمسترونج ص ٩ – ٣٧ .

(٢) كيف سقطت الخلافة الإسلامية، ص٣١، ٣٥، فتحي شهاب الدين ومحاضرات د. أحمد الدعيج، الكويت الشريط (١٤) .





لكن السلطان عبد الحميد، بذل كل ما بوسعه لقمع الشر والفتنة وذلك في مارس في ١٩٠٩/٩/٣١م.

●● وقد اجتمع السلطان مع الصدر الأعظم ووزير الحربية، وطالب الضباط السماح لهم بالدفاع ضد جيش الحركة، فمنعهم السلطان، ولو أصدر كلمة واحدة لمزقت قواته المتمردين، ثم أحاط جيش الحركة بقصر يلدز بعد أن خلا من أنصار عبد الحميد، وبعد أن قال لأنصاره «لو أردتم إطلاق الرصاص على أتراك مثلكم فصوبوا الطلقة الأولى إليّ فخجلوا وانسحبوا».

وشكلت لجنة لإبلاغ السلطان بقرار العزل، منها الأرمني (اللواء أسعد باشا) واليهودي (قره صو) والكرجي الأصل (عارف حكمت) وكلهم أعضاء في جمعية الاتحاد والترقي، وكان أنور باشا قد أحاط بثكنة الضباط الموالين للسلطان وقتل معظم من فيها، خلال مجزرة وحشية(١).

وقد استمرت الدول الغربية في تحريك الفتن بعد فشل الانقلابيين في المرحلة الأولى، حتى قام «محمود شوكت» الجورجي الأصل بجيش مقدونيا وتوجه نحو سالونيك موطن اليهود ومركز المحفل الماسوني الموالي للألمان، ثم زحف نحو إسلامبول، وهناك أحاطوا بالقصر «يلدز» مقر الخلافة، وتنازل السلطان حقناً للدماء، لكنها كانت هفوة منه رحمه الله، لأنها مزقت الدولة بتسليم هؤلاء الحاقدين من المرتزقة مقادير البلاد وكل ما قاله، عندما أخبر بقرار العزل: ﴿ **ذلك تقدير العزيز العليم** ﴾. ثم التفت إلى الوفد وقال: «أما وجدتم غير هذا ـ يعني

(١) المراجع السابقة: كيف سقطت الخلافة، ومحاضرات أحمد الدعيج: التاريخ السياسي للدولة العثمانية.



اليهودي قره صو ـ ليبلغ خليفة المسلمين بقرار العزل؟![1] .

● وسيطر الاتحاديون على مقادير الدولة بعد ذلك، فيما بين (١٩٠٨ — ١٩١٨)، وطبقوا سياسة العنف والإرهاب، سياسة البطش والإعدام في المخالفين لهم، وأطلقوا آلاف المساجين والمجرمين في أول عهدهم، وطردوا كثيراً من الضباط المخالفين، وألغوا إعفاء طلاب المدارس الشرعية من الخدمة العسكرية، وكان عددهم في العاصمة وحدها، يزيد على (٨٠) ألف طالب .

وحصلت اضطرابات شديدة، فأحاط المتظاهرون بمجلس المبعوثان مطالبين بتحقيق الشريعة الغراء[2] .

فما أشبه الليلة بالبارحة، فهذه سياسة الانقالبيين العسكريين في معظم ديار المسلمين .

٤ - صور من سياسة الاتحاديين الحمقاء:

قلنا إن جمعية الاتحاد والترقي نبتة خبيثة، سقيت بماء آسن فأفسدت البلاد والعباد، وخططت بسياستها الرعناء لهزيمة الدولة العثمانية (خلال الحرب العالمية الأولى) وتمزيق ولاياتها، ومحاربة الشريعة الإسلامية، واضطهاد العرب والتنكر لتراثهم .

● وكثر النفي لزعماء المعارضة، واشتد الإرهاب، وكره الناس سياسة

---

(١) محاضرات الدكتور أحمد الدعيج، الكويت ـ تسجيلات المسلم الإسلامية، الشريط الثاني عشر .

(٢) جريدة المقتبس: العدد (٦٥٢) في ١٥/ نيسان/ ١٩١١م .



الاتحاديين فكثرت الثورات في عهدهم ومن ذلك ثورة قام بها البدو في منطقة الكرك في شرقي الأردن بقيادة عشيرة المجالي، واحتلوا الكرك وسلبوا كل ما فيها من دكاكين وبيوت، وقتلوا القائد العسكري، حتى بلغ عدد القتلى «٥٠٠ في الكرك وحدها» فعاقبت الدولة مائة من البدو، وأعدمت ستة منهم، كان ذلك عام ١٩١٠م(١).

إنّ سوء الإدارة الاتحادية، إضافة إلى الظلم والرشوة والفساد، والتسرع في محاولة تطبيق أنظمة حديثة أوربية على قبائل بدوية، اعتادت نظام «العشيرة» فقط في حايتها الطويلة، كان لكل ذلك أثره في كثرة الاضطرابات ضدهم، وإلى التمرد على حكمهم ليس في سوريا فحسب، بل على طول الخط الحديدي حتى المدينة النبوية(٢).

●● وقامت الثورات على الدولة في كل مكان، فاضطرت السلطة لقمعها عن طريق الجيش، وساءت الأمور في حلب ومنطقتها حتى سطا الأعراب على عربةالبريد ونهبوا منها «٣٠٠ ليرة ذهبية» من أموال الدولة.

وحصل كذلك أن رفض أهالي حوران دفع ضريبة الالتزام ورفض سكان قرية يقال لها «إنخل» في وسط حوران دفع هذه الضريبة، مما جعل الوالي يرسل حملة عسكرية من مئتي جندي إلى القرية، وضُربت بالمدفع والأسلحة الأخرى،

---

(١) ينظر: تاريخ الأردن في القرن العشرين، منيب الماضي وسليمان موسى، ص١٨ - ٢٦، طبع عمان، ١٩٥٩م.

(٢) ينظر: تاريخ سورية ـ نهاية الحكم التركي ـ د. علي سلطان ص١١١، وجريدة المقتبس العدد، ٤٣٣، في ٢٧ تموز، ١٩١٠م.



فتسبب الهجوم بأضرار بالغة وقتل ثلاثين رجلاً[١] .

● وصارت بعض الصحف التركية تهاجم العرب وتثير التفرقة، حتى وصل الصراع إلى مجلس المبعوثان بين العرب والترك، وكانت حكومة الاتحاديين لا تخفي كرهها للنواب العرب والسوريين خاصة، مثل شفيق المؤيد ورشدي الشمعة وخالد البرازي وشكري العسلي، وطالب النواب العرب بجعل التدريس باللغة العربية في المدارس العربية، وحمّلوا الحكومة التركية مسؤولية التخلي عن طرابلس الغرب، وكانوا قد رفضوا اقتراح الاتحاديين لبيع ثلاثة ملايين دونم لليهود في فلسطين، بمساعدة وزير المالية اليهودي « جاويد »[٢] .

●● وتم استقلال عدد من الأقطار التابعة للدولة مثل: بلغاريا وكريت والبوسنة والهرسك، وكثرت حوادث السطو والنهب وقطع الطرق وسيطرة البدو على الريف[٣] .

● أما سياسة الاتحاديين نحو فلسطين، فقد كانت مؤيدة للهجرة اليهودية، ومتعاونة مع الحركة الصهيونية خلافاً للسياسة العثمانية منذ عام ١٨٤٠م، وحتى عزل السلطان عام ١٩٠٩م، والتي كانت لا تساوم ولا تتردد في حماية فلسطين من الهجرة اليهودية . . . .

---

(١) مذكرات محمد كرد علي: ج١/ ١٥٩، وجريدة المقتبس: عدد ٨٥٦، ديسمبر، ١٩١١م.

(٢) جريدة المقتبس: العدد ٣١٧، مارس ١٩١٠م.

(٣) مرآة الشام: عبد العزيز العظمة، ص٢٠٩، وينظر: تاريخ سوريا ـ نهاية الحكم العثماني، ص١٤٦، علي سلطان.



●● وبسبب خلفية الاتحاديين العقدية، وإخفاقهم في حماية طرابلس من إيطاليا، وثورة ألبانيا عليهم، كل ذلك أدى إلى نفور الرأي العام منهم، وإلى قيام اعتصام وتمرد ضدهم في الجيش، فاستقالت وزارتهم في تموز ١٩١٢م، وتألفت وزارة من «حزب الائتلاف» المعتدل، وحاولت تطبيق الإصلاح في الولايات على أساس اللامركزية، إلا أن هذا الحزب لم يتمكن من الصمود أمام سطوة الاتحاديين، حتى جاء أنور باشا ذات يوم، إلى الباب العالي، وتمكن من اغتيال ناظم باشا وزير الحربية، واغتصب الحكم، وألف وزارة جديدة من الاتحاديين، وأعلنت الحرب العالمية في أيامها، فاشتركت فيها الدولة العثمانية برأي أنور وحده حتى أن بعض الوزراء استقالوا من مناصبهم لهذا السبب، ونتيجة لتلك الحرب استولى الحلفاء على العاصمة وضواحيها، وانفرط عقد الجمعية الاتحادية، وشُرد رجالها، وفر كل منهم إلى جهة متنكراً، فأدركتهم رسل المنون ولا كرامة.

اغتيل طلعت باشا في برلين، وشنق جاويد في أنقرة، واغتيل أنور في مجاهل آسيا، وهلك جمال باشا السفاح في (تفليس) قتله رجل أرمني، وقتل سعيد حليم باشا، الصدر الأعظم، وسكرتير الجمعية، وهو حفيد محمد علي باشا والي مصر، ولم يعلم مصير الباقين.

المبحث الثاني

بلاد الشام في عهد الاتحاديين في سنوات الحرب

«١٩١٤ - ١٩١٨م»

١ - سياسة السفاح في حكم بلاد الشام

● جمال باشا برأي معارفه وأصدقائه.

٢ - مشانق السفاح وفصم العلاقة بين العرب والترك

أ ـ الظروف والملابسات: في الوثائق والمعلومات؟!

ب ـ مهزلة المحكمة العسكرية في عالية «لبنان».

جـ ـ المعدومون ليسوا من نوعية واحدة وهم فئات.

٣ - سوريا بين التآمرو وبين الموت بالحرب والوباء والمجاعة.

أ ـ التآمر المشبوه والصلات المريبة: مع الحلفاء والصهاينة.

ب ـ الإرهاب والمصادرات.

جـ ـ المجاعة والوباء.

د ـ أيام جمال باشا الأخيرة قبل رحيله عن سوريا

« ١ »

جمال باشا يحكم سوريا بالحديد والنار

بعد إعلان الحرب وقف رجال الإصلاح العرب، وقادة الجمعيات العربية، موقفاً طيباً من الدولة العثمانية، وأجلوا خلافاتهم معها، ولم يستغلوا موقفها الحرج خلال الحرب... وكانوا يتمنون ألا تدخل الدولة الحرب.

● فقد وجه السيد: رشيد رضا؛ (صاحب مجلة «المنار»، وأحد الأعضاء البارزين في حزب اللامركزية العثماني بمصر) رسالة إلى المسلمين في سوريا، يطلب فيها وجوب الوقوف إلى جانب الدولة العثمانية[١].

● وكذلك أوصت جمعية العربية الفتاة، بوجوب الوقوف إلى جانب الدولة، وأصدرت تعليماتها إلى أعضائها بذلك. وكتب كل من سليم الجزائري ومحمد المحمصاني بذلك، كما أرسل عبد الكريم الخليل رئيس المنتدى الأدبي في استانبول رسالة إلى صديق له بمصر في ٦/ آب/ ١٩١٤م، يعلمه بأنه سيسافر قريباً إلى سوريا لشد أزر الحكومة العثمانية[٢].

وقد حض سعيد الجزائري أحد الزعماء في سوريا، الشريف حسين كثيراً حتى يقف إلى جانب الدولة العثمانية، وكان يرىٰ أن الصليب يحارب الهلال، ولا يجوز لابن بنت رسول الله إلا أن يكون على وفاق مع الخليفة العثماني»[٣].

---

(١) الحركة العربية: سليمان موسى، ص ٩٨، ٩٩.

(٢) تاريخ سوريا/ نهاية الحكم التركي، د. علي سلطان: (ص ٢٧١ - ٢٧٤).

(٣) ينظر ما سبق.



الاستعداد للحرب في سوريا وحكم جمال باشا فيها:

وعُيِّن جمال باشا حاكماً عسكرياً في سوريا، لأنه كان أحد الثلاثة الأقوياء (أنور وطلعت وجمال) الذين حكموا تركيا آنذاك .

وقد وافق جمال على إعلان الحرب مع ألمانيا رغم صداقته لفرنسا، وغادر اسلامبول في ٢١/ تشرين الثاني، ووصل إِلىٰ دمشق في ٥/ كانون الأول/ ١٩١٤م، ليحكم سوريا حكماً مطلقاً لمدة ثلاث سنوات .

وكان من مهام قدومه إِلىٰ سوريا، أن يشنّ حملة عسكرية ضد الإنجليز في قناة السويس، مع احتفاظه بمنصب وزير البحرية[١] .

جمال باشا برأي معارفه:

وقد وصفه يوسف الحكيم، وكان يعرفه شخصياً: « بأنه اشتهر بالحزم والشدة، وقوة الإرادة... ولكنه حين قدم إلى سوريا كان شر خلف لخير سلف « زكي باشا »، وظهرت على يده نقمة السلطة التركية على العنصر العربي »[٢] . أي ظهرت النزعة الطورانية خلال حكمه واضحة .

●● وكما وصفه (عزيز بك) ضابط الاستخبارات التركية فقال: « كان جمال يتخيل نفسه عند انتقاله من تركيا إلى سوريا، كأنه الإسكندر، يحاول فتح البلاد العربية، مع أنها كانت تابعة للدولة العثمانية »[٣] . إلا أن أحقاد

---

(١) تاريخ سورية: نهاية الحكم التركي، د. علي سلطان/ ص٢٨٠ .

(٢) مذكرات الحكيم: بيروت ولبنان ـ طبعة بيروت/ ١٩٦٦م، (ص ١٥٩) .

(٣) الاستخبارات والجاسوسية في الدولة العثمانية/ ص ٦٥، عزيز بك، تعريب فؤاد الميداني/ بيروت .



الماسون ويهود طوران.... كانت مجتمعة في شخصيته.

● وقد اتبع جمال باشا سياسة البطش والإرهاب، والمصادرة والاعتقالات، وإبعاد الضباط العرب إلى أماكن نائية، فكان من ثمرات هذه السياسة الرعناء:

- ثورة الشريف حسين على الدولة العثمانية.

- اتجاه العرب في الهلال الخصيب إلى الاستقلال التام.

- وكان ذلك آخر تحول في المنطقة العربية في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، إذ لم يعد العرب فيها عرباً عثمانيين وما عادت الرابطة الإسلامية هي السائدة على الجميع، وإنما عادت النزعات القومية الجاهلية تسيطر على الأجواء العامة، فقد أصبح العرب يتطلعون إلى استعادة مركزهم القيادي، عن طريق تحقيق الاستقلال التام والوحدة الشاملة(١).

● وثار العرب على الأتراك الاتحاديين بعد أن استنفذوا كل وسائل التعاون في سبيل الإصلاح، مع جمعية الاتحاد والترقي، وفي ذلك يقول السيد رشيد رضا: «ظل طلاب الإصلاح من العرب والترك يتعاونون والصلات بين جمعياتهم لا تنقطع، لا سيما جمعية الاتحاد والترقي، إلى أن ظفروا باستعادة الدستور، فظن العرب، كما ظن غيرهم من الأجناس أنهم فازوا بما جاهدوا في سبيله، إلى أن قلب لهم المتغلبون على جمعية الاتحاد والترقي، وعلى الدولة، ظهر المجنّ، وأوقعوهم في هوة اليأس من الدولة(٢).

(١) نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية: محمد الخير عبد القادر ص ٨٤/ بتصرف وإيجاز.

(٢) مجلة المنار: مجلد ٢٠/ج١/ ٣٠ يوليو ١٩١٧م/ ص٤٠ - ٤١.



● وخلال حملة جمال باشا على قناة السويس: أبلى الجنود العرب بلاء حسناً في هذه المعركة، وقد ذكرهم جمال باشا نفسه في مذكراته فقال: «وقد ساد بين رجال الحملة - لا فرق بين الأتراك والعرب - شعور أخوي، ولم يكن بينهم من يضنّ بحياته دفاعاً عن إخوانه»[١].

لكن الحملة فشلت وكانت خسائر العثمانيين كبيرة[٢].

● وحدثت المعركة في شهر شباط ١٩١٥م، وأخذ جمال باشا في الشهر التالي يقوم بتصرفات عدائية نحو السكان وخاصة في سوريا ولبنان، فهل كان لفشله في الحملة أثر في انقلابه وجبروته ضد السكان؟!

●● جاء في كتاب الاستخبارات العثمانية لعزيز بك: «إن جمال باشا، عندما أتى إلى سوريا كان يحمل في جيبه مشروعين خطيرين وهما:

١ - إلغاء الامتيازات الخاصة في لبنان، وإخضاعه للسلطة العثمانية.

٢ - القضاء على الفكرة العربية، ثم تتريك العرب[٣].

●● ويؤكد شكيب أرسلان، وهو صديق مقرب، ووسيط لدى جمال باشا، هذه الآراء فيقول:

«ويظهر أن جمال باشا تعهد للاتحاديين بأن يقضي على الروح العربية في

---

(١) مذكرات أحمد جمال باشا، ص٢٦٤، ترجمة علي أحمد شكري، مصر ١٩٢٣م.

(٢) ينظر: خطط الشام، محمد كرد علي، ج٣/١٣٦.

(٣) الاستخبارات والجاسوسية: عزيز بك، ص١٢٩.



سورية، على شرط أن يتركوه حراً في العمل، وإلا يعرقلوا مساعيه، ولذلك بدأوا بسياسية جديدة، لم تكن معهودة من قبل»[1].

● وكان هنالك حادثان خطيران أيام جمال باشا، تركا أثراً سيئاً في بلاد الشام هما:

١ ـ إعدام جمال باشا مجموعة من قيادة الحركة القومية العربية حتى لقب بسببها بالسفاح.

٢ ـ المجاعة التي تسببت في موت الآلاف خلال سنوات الحرب.

* * *

---

(١) شكيب أرسلان: سيرة ذاتية، ص١٥٥، بيروت، دار الطليعة.

« ٢ »

مشانق جمال باشا: وفصم العلاقة العربية ـ التركية

(عام ١٩١٥ - ١٩١٦)[١]

الحقيقة أن الإعدام الجماعي للشخصيات البارزة كان مأساة عميقة الجرح، تركت آثاراً خطيرة على المسلمين عموماً، وما تزال آثارها باقية حتى الآن . . .

● واختلفت الآراء حول تلك الحوادث : فمن قائل : إن الذين شنقوا كانوا شهداء العروبة والوطنية، وأنهم كانوا أبرياء، لم يقوموا بأعمال ضد الدولة العثمانية توجب إعدامهم . . .

ـ ومن قائل : إنهم اضطروا للتحركات نحو نوع من الاستقلال الذاتي وحكم « اللامركزية »، بسبب مظالم الترك لهم أيام عصابة الاتحاديين . . .

ـ ومن قائل : إن كثيراً من القوميين العرب (إضافة إلى الشريف حسين) كانوا يتصلون بسفارات بريطانيا وفرنسا، وكانت هذه الدول الطامعة تعدّ العدة

---

(١) ينظر تفصيلاً لذلك : تاريخ سورية (نهاية الحكم التركي)، ص ٢٩٣ – ٣٢٨، ومرآة الشام : عبد العزيز العظمة / ٢٢٠ – ٢٢٢، وكتب المذكرات للمعاصرين لتلك الأحداث مما سنشير إليه في مواضعه .



لاستخدام هؤلاء لمصالحها ومطامعها في مهاجمة الدولة العثمانية، واقتسام ممتلكاتها.

● وكل ما تقدم، فيه بعض الحقيقة وليست الحقيقة كلها... لأن عصابة الاتحاديين بقيادة (طلعت ـ أنور ـ جمال) كانت تُعد لشر مستطير ضد العرب، وهو ما ثبت خلال هذه المرحلة...

ـ وعندما دخلت تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا ضد الحلفاء أحرق قناصل دول الحلفاء أوراقهم السرية، وشوهد الدخان يتصاعد من مداخنهم لمدة طويلة.

ويقال: إن جمال باشا قد علم من طلعت باشا (الصدر الأعظم) بوجود أوراق في تلك القنصليات تِمسّ أمن الدولة.. وصدرت أوامر لوالي بيروت بتفتيش القنصليات. ورفض والي بيروت آنذاك ـ سامي بكير بك ـ تفتيش القنصليات، حتى جاء خلفُه ـ عزمي بك ـ فنفذ التفتيش وداهم تلك القنصليات.

وعندما قدم جمال باشا إلى سوريا، أطلعه والي سوريا على هذه الأوراق، فطلب منه حفظها بالسر، لأنه كان يعد لحملة السويس[١].

دور جورج بيكو: القنصل الفرنسي في بيروت:

ووجدت هذه الأوراق في صندوق، أودعه القنصل الفرنسي في بيروت

---

(١) الحركة العربية: سيلمان موسى، بيروت، دار النهار، ١٩٧٧م (ص١٠٩).



لدى القنصلية الأمريكية، وحصلت عليه السلطة التركية بالقوة، وهو «ضد الأعراف الدبلوماسية»، بعد أنْ أفشى سرها ترجمان القنصل الفرنسي(١) .

● والسؤال الهام هنا :هو لماذا ترك (بيكو) هذه الأوراق الهامة، ولم يحرقها شأن القناصل الآخرين؟!.

● ألأنه كان يظن أن دخول فرنسا أصبح وشيكاً بعد الحرب؟! إذ قال مودعاً أصحابه في بيروت، وعلى مسمع من رجال السلطة التركية: بأنه عائد إلى هذه البلاد بعد خمسة عشر يوماً، أي بعد هزيمة الدولة العثمانية.

● أم أنه ترك هذه الأوراق، لمعرفته بأن السلطة التركية سوف تعثر عليها، يريد بذلك زيادة حدة الصراع بين العرب والترك، وهو ما حدث فعلاً؟!

فكأن جورج بيكو أوكل للأتراك بصورة غير مباشرة تصفية العاملين في الحركة العربية، لأنه كان يعتقد بأن هؤلاء لا بد أن يقفوا في وجه فرنسا عندما ستضع يدها على سوريا، والدليل على صحة هذا الرأي، أنها ـ أي فرنسا ـ ألقت بزملائهم السوريين (الذين لم يُعدموا) في السجون بعد انتدابها على سوريا(٢) .

● ويبدو أن من ضمن تلك الوثائق الفرنسية، ما يخص الاتصالات بين القنصل وبعض المتهوّسين من أبناء البلاد الشامية، وكان يكاتب (القنصل)

---

(١) مجلة الأسبوع العربي ـ بيروت، عدد ٦٢١، ١٣ آيار ١٩٧١م، ص٣٩.

(٢) تاريخ سوريا: نهاية الحكم التركي، د. علي سلطان، ص٢٩٥ ـ ٢٩٦.



بشأنها سفير دولته في استانبول، وهي تدور حول القيام بثورة في سوريا، وطلب معاونة فرنسا للحيلولة بين الثوار وبين الدولة العثمانية، فيما إذا ساقت إليهم جنودها لإخضاعهم.

أما قنصل الإنجليز فكان قد أحرق الوثائق في قنصلية بريطانيا، ولو أبقاها لعمت بها البلوى (أكثر مما حصل) بسبب ثقة الشريف حسين، والجمعيات العربية بوعود بريطانيا آنذاك، واتصالاتهم بها[١].

تسرب وثائق أخرى: وذلك أن تردي الأخلاق لعب دوراً هاماً في هذه الكارثة أيضاً، حيث توصل بعض أبناء البلاد إلى سرقة أوراق الأحزاب والجمعيات السياسية التي تألفت آنذاك في البلاد الشامية، وأخذت تعمل ضد حكومة الاتحاديين ـ كحزب اللامركزية والجمعية القحطانية والجمعية الثورية بمصر، وجماعة العربية الفتاة[٢].

كما تمكن بعضهم من العثور على ضبط مذكرات ومباحثات جمعية الإصلاح البيروتية، والوفد الباريسي، وجاءوا بهذه الأوراق إلى الاتحاديين، أملاً بالمكافأة إلا أنهم أُعدموا في جملة مَنْ أعدم...

وجمع الاتحاديون هذه الأوراق كلها، واحتفظوا بها، ثم نشروا قسماً منها في رسالة طبعها جمال باشا باسم «إيضاحات» باللغات التركية والعربية

---

(١) مرآة الشام: عبد العزيز العظمة، ص ٢٢٠ - ٢٢١.

(٢) مرآة الشام: عبد العزيز العظمة، ص ٢٢٠ - ٢٢١ وسوف نزيد هذا الموضوع تفصيلاً في الفصل القادم: دور الجمعيات العربية.



والفرنسية، وصار يخطب وينصح برجوع هؤلاء المتهوّسين إلى رشدهم[١].

● ثم ألقى جمال باشا القبض على عدد من الذين قدمهم لمحكمة عسكرية في (عاليه) في لبنان.

وكان معظمهم من المسلمين، بينما كان النصارى عموماً والموارنة خاصة، يتصلون باستمرار بالفرنسيين في لبنان وباريس، ويطالبون بحماية فرنسا (الأم الحنون) وهو ما ظهر جلياً بعد الحرب مباشرة.

● كما أن الشريف عبد الله بن الحسين، وكان نائباً عن الحجاز في مجلس «المبعوثان العثماني»، وخلال أسفاره إلى استانبول، كان يمر بمصر، ويلتقي بالجنرال الإنجليزي كتشنر ويتذاكر معه في شؤون البلاد العربية ومصيرها، قبل إعلان الحرب بسنة، وقبل إعدام الشبان بثلاث سنوات، إذ كان الأمير ينزل ضيفاً على الخديوي عباس حلمي بالقاهرة، وكان الأمير كلما مر بالإسكندرية يجد الحفاوة من القنصل الإنجليزي «السيد هنري ماكماهون» الذي كان يسهل له أسباب سفره ويحتفل به، بعد أن يلتقي به ساعات طويلة[٢].

وكان لهذه الاتصالات أثرها في التحالف بين الشريف حسين والإنجليز، وفي مراسلات ماكماهون، والخديعة الكبرى بعد ذلك.

---

(١) المرجع السابق، ص٢٢١، عبد العزيز العظمة.

(٢) مرآة الشام: ص٢٢٧، عبد العزيز العظمة.



● الإعدامات تمت دون علم السلطان ولا الصدر الأعظم:

● ورغم كل ما تقدم فهل كان جمال باشا وعصابته أنظف مسلكاً، وأطهر غاية؟! أم أن البعد عن الإسلام، والتعلق بلوثة القومية هو الذي جرف الجميع نحو الهاوية والتعاون مع شياطين الإنس والجن؟!

●● فجمال باشا الذي اعتقل الوطنين وحاكمهم أمام محكمة عسكرية عرفية، وأعدمهم دون تصديق من السلطان العثماني، ولا من رئيس مجلس الوزراء (سعيد حليم بشا) الذي احتج بشدة على جمال باشا، لأنه نفذ الإعدامات دون قرار مجلس الوزراء، وكان السلطان محمد رشاد يردد قائلاً: «أنا بريء من دم الذين قتلهم جمال باشا في سورية»[١].

كما أن مذكرات جمال باشا نفسه، ومذكرات أصدقائه من العرب والأتراك تؤكد أن (جمال السفاح) أعدم هؤلاء الرجال بتصديقه هو شخصياً، وموافقة أنور وطلعت، دون الحصول على موافقة السلطان[٢].

* * *

---

(١) مذكرات محمد كرد علي: ج١/ ص١٧١.

(٢) مذكرات أحمد جمال باشا: ترجمة علي أحمد شكري ص ٦٩.

(أ) فما الظروف التي جعلت السفاح يقدم على هذا العمل الخطير؟

يبدو أن هناك مجموعة من الأسباب التي جعلت السفاح يقدم على تنفيذ الإعدامات في ذلك التاريخ أهمها:

١ - أنه لم يعد هنالك حاجة مباشرة للعرب بعد فشل الحملة على قناة السويس ضد الإنجليز، والتي كان الجنود العرب فيها يشكلون الغالبية... ومن أجل هذه الحملة أجّل جمال باشا النظر في أوراق القنصلية الفرنسية حتى لا تثير العرب عليه.

٢ - لجأ جمال باشا - كما ذكر في مذكراته - إلى العنف والإعدام ليمنع قيام أي ثورة في سوريا، وخاصة عندما كانت استنبول بنفس الفترة تتعرض لهجوم بحري من أساطيل إنجلترا وفرنسا[١].

٣ - ويبدو أن الحلفاء سربوا أنباءً، - علم بها جمال باشا - بأن ثورةً ستقوم في سوريا، بعد أن يقوم الحلفاء بالإنزال العسكري في الساحل السوري، وقد وجد في الوثائق البريطانية وجود خطة واتفاق لقيام عصابة في سورية... عن طريق الشريف حسين والضباط العرب أنفسهم (كالفاروقي مثلاً) ولذلك هرب

---

(١) المرجع السابق: ص ٣٨، ومذكرات فائز الغصين عن الثورة العربية، دمشق، مطبعة الترقي، ١٩٥٦م، ص٥.



بعض الضباط العرب من وَحَداتهم في الجيش العثماني دون سبب، عدا اشتراكهم في جمعية الفتاة والعهد اللتين كانتا تعدان للثورة[١].

وكان الشريف وقادة الجيش العربي يلحوّن على تنفيذ الاتفاق لإنزال قوات في الساحل السوري، ولكن بريطانيا نكثت بوعدها تحت ضغط فرنسا، لأنها تحتكر أمر الساحل السوري لنفسها...

●● ويبدو أن عملية الاعتقال والتحقيق، لم تكن إلا خطة للتخلص من الحركة العربية، استغل الاتراك فيها الحرب لتنفيذ مخططهم، إذ وردت برقية من استانبول لقيادة الجيش الرابع في سوريا، تقضي باتخاذ جميع الوسائل لتشتيت تيار العرب القومي، وتمزيق شملهم... مما جعل الضباط العرب يهربون عندما سمعوا الخبر قبل أن يفتك بهم جمال باشا.

● وقد حذر خالد الحكيم ـ وكان ضابط احتياط ـ كلاً من عبد الوهاب الإنجليزي، وشكري العسلي، وعبد الرحمن الشهبندر وأشار عليهم بالهرب، لكنهم رفضوا الفرار من دمشق، بينما هرب الحكيم والغصين والشهبندر فيما بعد، وأعدم عبد الوهاب الإنجليزي وشكري العسلي فيمن أعدم[٢].

---

(١) مذكرات الغصين، ص٩، ٤٩، كان الغصين من أعضاء جمعية العربية الفتاة، لحق بالشريف فيصل بن الحسين في ينبع وكان سكرتيراً له حتى دخل دمشق، وكان معه في مؤتمر الصلح «ينظر الأعلام للزركلي: ج٥/ ١٢٥».

(٢) المرجع السابق: مذكرات الغصين.



(ب) مهزلة المحكمة العسكرية في عالية (في لبنان)

شكل جمال باشا المحكمة العسكرية، وكانت أحكامها نموذجاً لكل المحاكم العسكرية في البلاد العربية والإسلامية فيما بعد، من حيث الظلم والتجبر والتعذيب الوحشي وضياع الحقائق وتزويرها.

● ذكر فائز الغصين. وقد اعتُقل هو نفسه فقال:

«كان الضرب أخف أنواع التعذيب، كانوا ينخزون المتهم بالإبر، ولا يدعون المتهمين ينامون لمدة ثلاث ليالٍ، كما كانوا يضغطون الرأس بين الصدغين بآلة حتى يكاد يخرج المخ من العينين، وكانت الثياب تلتصق بالأجسام من الضرب والدماء، وكانوا يحلقون لحى الشيوخ...».

●● وقد قطع شكري القوتلي شرايين يده، حتى سال الدم خارج الزنزانة، فنقل إلى المستشفى ونجا من أحكام الموت، مع أنه عضو في جمعية الفتاة»[(١)].

●● كان أعضاء المحكمة العرفية يأتمرون بأمر جمال باشا، وكان يحدد لهم مقابل الأسماء الأحكام التي يتوجب عليهم إصدارها؟!

وقد ذكر محمد كرد علي، وكان قريباً جداً من جمال باشا، أن جمالاً هدد بالقتل أعضاء الديوان العرفي (المحكمة) إنْ لم يحكموا على المتهمين

---

(١) شكري القوتلي حياة أمة في رجل: لعبد اللطيف يونس، ص١٢، طبعة دار المعارف بمصر ١٩٥٩م، والأعلام للزركلي: ٣/ ١٧٣.



السياسيين، فوافق بعضهم على ذلك اضطراراً لا اختياراً[١].

ـ وذكر شكيب أرسلان ـ صديق جمال باشا ـ بأنه عندما صمم جمال على شنق المعتقلين، استدعى شكري بك، رئيس الديوان العرفي الحربي في دمشق، وسلمه أسماء « ٤٠ شخصية » يجب الحكم عليهم بالإعدام، فراوده شكري كثيراً ودافع كثيراً، فهدده بالقتل... ولما قال له: (إن وجدانه لا يرتاح بالحكم بالموت إلا على ثلاثة إلى خمسة بالكثير، استحضر أعضاء الديوان، وهم ضباط شبّان لا يخرجون على إرادته، وكانت النتيجة الحكم على (٢١ فقط)[٢].

أمّا خلوصي بك والي سوريا، فقد كان على خلاف مع جمال السفاح بشأن الإعدامات، وطلب من إسلامبول إيقاف جمال عند حده، فكان الجواب أن يعود خلوصي بك إلى استانبول[٣].

●● لقد أُعْدِمَ رجال الدفعة الأولى شنقاً في ٢١ / آب/ ١٩١٥م. وكانوا ثلاثة عشر، نفذ الحكم في (١١منهم) في بيروت في الميدان الكبير الذي سمي « ميدان الحرية » عشرة منهم مسلمون وواحد نصراني؟!! رغم الاتصالات المريبة للنصارى...

وقد استقبلوا الموت بشجاعة. وكان ممن أعدم: عبد الكريم خليل، صالح حيدر، محمود ومحمد المحمصاني وغيرهم.

---

(١) خطط الشام: محمد كرد علي ٣ / ١٤٠.

(٢) مجلة المنار، القاهرة، ١٩٢٢م، مجلد ٢٣، ج٢ / ١٣٢.

(٣) مذكرات كرد علي: ج١ / ١٨٨، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٤٨م.



ـ كما حكمت المحكمة على أكثر من سبعين شخصاً من سوريا ولبنان وفلسطين، كان معظمهم مقيماً في مصر... ومنهم محمد رشيد رضا. ولم يكتف السفاح بذلك بل عمد إلى أسلوب الإرهاب والنفي الجماعي لأن النفي كان شاملاً وعاماً بالآلاف[١].

●● ثم جاءت محاكمة الدفعة الثانية من رجال الحركة الوطني.

وكانت التهمة الموجهة إليهم، هو اتصالهم بالقنصل الفرنسي والتآمر معه ضدّ الدولة العثمانية لفصل سورية عنها. والحقيقة أن جمال باشا خلط الحابل بالنابل، وغير أحكام المجلس العرفي من الحكم بثلاثة أو أوربعة إلى ما رآه السفاح حيث تناول القائمة وأخذ يكتب أمام كل اسم نوع الحكم، دون أن يقرأ رأي المحكمة المكتوب، وكانت أحكامه التي كتبها: إعدام.... إعدام؟!

وعندما قال له رئيس المحكمة: «يا باشا أرجوك، فكّر في التاريخ، صاح جمال في وجهه: التاريخ؟! فليتحطم على رأسك... وهدده بالقتل...»[٢].

وعاد شكري بك يحمل حكماً بالإعدام على ٢١ / شخصاً وفقاً لإرادة الطاغية، وكان هذا ولا شك انتقاماً من رجال الحركة العربية الإصلاحية، وليس تنفيذاً لأحكام عادلة ضد خونة ومتآمرين على الدولة[٣].

* * *

(١) شكيب أرسلان، سيرة ذاتية، ص١٨٤، وأمين سعد، الثورة العربية ص٥٧ ــ ٦٢.

(٢) مجلة العربي، عدد ٣٠ أيار ١٩٦١ ـ ساطع الحصري.

(٣) تاريخ سورية: نهاية الحكم التركي، د. علي سلطان، ص٣٠٧ ــ ٣٠٨.





وفي صباح ٦ / أيار/ ١٩١٦م، استيقظت دمشق وبيروت على أعواد المشانق في ساحة البرج في (بيروت) والمرجة في (دمشق) ونفذ حكم الإعدام فجر ذلك اليوم في الدفعة الثانية . وسميت الساحتان بساحتي الشهداء منذ ذلك التاريخ .

أعدم في دمشق سبعة هم : عبد الحميد الزهراوي، شفيق المؤيد، الأمير عمر الجزائري، شكري العسلي، عبد الوهاب المليحي (الإنجيليزي) رشيد الشمعة، رفيق رزق سلوم .

وفي بيروت أعدم العقيد سليم الجزائري، وعبد الغني العريسي، وأحمد طبارة، والأمير عارف الشهابي، وغيرهم .

وقد بلغوا أربعة عشر رجلاً في بيروت، فكان المجموع (٢١) رجلاً، منهم (١٧) من المسلمين) وأربعة من النصارىٰ؟!

● ونشرت جريدة الشرق في دمشق بلاغ جمال باشا عن الإعدام والمحاكمة، ووزعت مجاناً في اليوم نفسه، ولقب جمال بالسفاح منذ تلك الأيام[١] .

●● واستمر السفاح في جبروته، فحكم بالنفي على « ٣٠٠ » أسرة سورية، وأجلى النابهين من العرب إلى أرض الترك، ليستعيض عنهم بأناس من شذاذ الآفاق[٢] .

---

(١) جريدة الشرق : ٦ آيار ١٩١٦م، دمشق، وخطط الشام لكرد علي ٣ / ١٣٥ - ١٣٧ .

(٢) خطط الشام : ٣ / ١٣٨ - ١٣٩ .



كما حكمت المحكمة على آخرين بالسجن مدداً مختلفة.

● وكان إعدام هذه الدفعة أكثر وقعاً وإرهاباً في النفوس، لأنهم كانوا معروفين بوطنيتهم ومن قادة البلاد.

●● وكان فيصل بن الحسين في دمشق عند إعدام هؤلاء، وحاول جاهداً التوسط للحيلولة دون تنفيذ الإعدام، وكذلك ألح أبوه في برقياته راجياً توقيف الإعدامات ولكن دون طائل، لقد اعتمد السفاح على السلطة الاستثنائية المخولة له كقائد عام للجيش في سوريا، في تنفيذ الأحكام دون تصديق من السلطان، فكان هو المسؤول الأول، ويشاركه في المسؤولية عصابة الاتحاديين في استانبول (أنور وطلعت).

وكانت التهم الموجهة إلى أولئك المعدومين يعود معظمها إلى الانتساب إلى الجمعيات والأحزاب القومية، التي كان السلطان العثماني قد أصدر عفواً عنها في ٢٩ / كانون الثاني/ ١٩١٣م، وعن كل الجرائم السياسية قبل ذلك التاريخ، ولا يستغرب ذلك، فقد أعدم جمال باشا عندما كان حاكماً على استانبول، أحد أقرباء السلطان، برغم توسط هذا السلطان[١].

وقد أدركت الحكومة العثمانية (ولكن بعد فوات الأوان، وبعد اندلاع ثورة الحسين) أن أعمال جمال في سوريا قد سببت لها المصائب، وأنها إحدى

(١) المنار: مجلد ٢٣، ٢/١٢٧، ينظر الأعلام للزركلي ٣/١٦٨، ١٧١ - ١٧٣، تراجم لبعض المعدومين: شفيق المؤيد، وشكري العسلي، وكذلك بعض السجناء: مثل شكري القوتلي وشكري الأيوبي...



أسباب الثورة العربية، فأرادت أن تحد من سلطته في قضية الأحكام السياسية، واشترطت أن تعرض على د يوان التمييز العسكري في استانبول.

ولذلك نقضت أحكام الإعدام بحق شكري الأيوبي واثنين آخرين[١].

● والحقيقة أن جمالاً استغل وجود بعض الأشخاص المتصلين فعلاً بالفرنسيين لغاية التخلص من الحكم التركي، ووضع سوريا أو لبنان تحت حماية فرنسا، وليشوه سمعة الباقين بذلك الأمر، وقد أعدم سبعة من المجرمين العاديين، كي يضفي طابعاً إجرامياً على كل الرجال الذين أعدمهم ولذلك:

«ج» فالمعدومون ليسوا جميعاً من نوعية واحدة، ولا يتبعون سياسة واحدة.

● **ويمكن تقسيمهم إلى الفئات الأتية:**

١ - وطنيون أرادوا أن يكونوا شركاء فعلاً في حكم الدولة، لا محكومين عند الأتراك، وكانت غايتهم في البدء الحكم العربي اللامركزي، ثم تطور بسبب سياسة الاتحاديين ومظالم جمال السفاح، إلى استقلاليين عرب، وليس لديهم مانع من التعاون مع أية قوة توصلهم للاستقلال، حتى لو كانت قوى أوربية مسيحية، لأن الترك أنفسهم يتعاونون مع الألمان والنمساويين النصارى. كما يرى أصحاب هذا الاتجاه.

٢ - شباب عرب متحمسون يعملون لإحياء مجد العرب، وقد ساروا في

---

(١) الحركة العربية: سليمان موسى، ص١١٨ - ١١٩.



الاتجاه القومي العربي الذي كان يتغلغل في النفوس آنذاك، بعد إضعاف الرابطة العثمانية الإسلامية، واتهم بعضهم هؤلاء بأن لهم ضلعاً بمفاوضة شريفة مكة لإنشاء حكومة عربية[١].

٣ - رجال يعملون، لاستقلال لبنان على أنه بلد مسيحي وليس بلداً عربياً تماماً، وظهرت حقيقة هؤلاء قبل الحرب وبعدها خلال فترة الانتداب الفرنسي لبلاد الشام.

● وقد وظف المؤتمر العربي الأول في باريس عام /١٩١٣م، لصالح فرنسا، وكثير من دعاته كانوا من هذه الفئة الثالثة، يقول كوثراني: «لقد لعبت القنصليات الأجنبية في المدن العربية دوراً مهماً في متابعة نشاط الإصلاحيين العرب، وفي رصد تحركاتهم وتوجيهها وفق مصالح الدول التي تمثلها كل قنصلية، وقد برز ذلك واضحاً عام ١٩١٢ في برامج الجمعيات الإصلاحية كالمطالبة بمستشارين أجانب في الولايات العربية.

وكذلك في توجيه المؤتمر العربي عام ١٩١٣م، والذي ضم في عداد أعضائه أصدقاء فرنسا: «ندرة مطران - شكري غانم - خليل زينية» خريجي المدارس التبشيرية، وهؤلاء الأصدقاء ما لبثوا أن سعوا لتوظيف المؤتمر في خط الدبلوماسية الفرنسية[٢] وقد تقدم الأعضاء النصارى (في بيروت) في لجنة

---

(١) انظر: خطط الشام، محمد كرد علي ٣/١٣٩.

(٢) وثائق المؤتمر العربي الأول: وجيه كوثراني، نقلاً عن أرشيف الخارجية الفرنسية ص٤٨، ٥٣ من كتاب كوثراني وكتاب نهضة أم تغريب، موفق زريق، المنارة، بيروت ودمشق ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ص١٦١.



الإصلاح إلى وزير خارجية فرنسا عن طريق القنصل الفرنسي في بيروت يؤكدون فيها: «أن لا مفر ولا مناص من ضرورة الارتباط النهائي بفرنسا، حتى لو قبلت السلطة التركية مطالبهم الإصلاحية».

● كما أن البطريرك الماروني «إلياس الحويك» جمع الموارنة لمحاربة[١] الدولة العثمانية بجيش مسيحي ترعاه «فرنسا»[٢].

كما أن البطريرك الحويك أكد لمراسل صحيفة فرنسية عن استعداد ستة آلاف مسلح ماروني للعمل يداً واحدة مع الجيش الفرنسي فور احتلاله الساحل اللبناني[٣].

● أما المسلمون المشتركون في مؤتمر باريس، فلم يدعوا لوصاية الأجنبية المباشرة، وإنما كانوا متغربين علمانيين أمثال: عبد الحميد الزهراوي، وعبد الغني العريسي، كانوا يبحثون عن نموذج الغرب الثقافي والسياسي، وعبر المراهنة على ذلك النفوذ لتحقيق المطالب الإصلاحية، فكان ابنهاراً بالغرب واتجاهاً علمانياً قومياً مبكراً[٤].

●● وقام بعض المسلمين في لبنان بإجراء اتصالات مع الإنجليز من أجل

---

(١) المرجع السابق.

(٢) تاريخ لبنان العام، يوسف مزهر، ٢/ ٨٥٥ - ٨٦٣.

(٣) دراسات في تاريخ لبنان المعاصر. د. حسان حلاق، ص٦٤، وكتاب: بيروت ولبنان في عهد آل عثمان، يوسف الحكيم، بيروت ١٩٦٤م، ص١٥٣ - ١٥٤، وسوف نفصل القول في مؤتمر باريس وملابساته في الفصول القادمة.

(٤) نهضة أم تغريب، موفق زريق ص١٦٦.



استقلال البلاد عن الدولة العثمانية ومن هؤلاء. عبد الكريم الخليل، ويذكر سليم سلام نائب عن ولاية بيروت عام ١٩١٤م» أن عبد الكريم الخليل حدثه عن ضرورة تدبير ثورة عسكرية ضد العثمانيين بالإتفاق مع بريطانيا، وأن الاستعدادات البشرية والعسكرية قائمة لهذا الغرض، فنهاه سليم سلام، ورفض الفكرة تماماً(١). كما كان قد اتصل بعدد من الشباب من آل بيهم وآل الصلح لنفس الغرض فنهاه أحمد مختار بيهم عن ذلك المسعى.

* * *

كما أن الدبلوماسية الإنجليزية كانت تتحرك على خط تنفيذ سيناريو «الخلافة العربية» عبر الشريف حسين في مكة، وعبر الحركات السياسية (القومية) الملتفة حوله...

ومن خلال اتصالات قنصليتها بمصر بعبد الله بن الحسين وبالسوريين القاطنين بمصر وخاصة رجال حزب اللامركزية عن طريق «ستورس»(٢).

كما أنه من الاتصالات الخطيرة التي أجرتها مع السوريين، كما جاء في تقرير لوزارة الخارجية البريطانية، الاتصال مع بعض الضباط العرب المرابطين في قطعاتهم العسكرية التركية، للقيام بحركة عسكرية مسلحة بسوريا ضد تركيا

---

(١) مذكرات سليم سلام ص٤٥، ٤٦، نقلاً عن حسان حلاق، ص٢٠٥.

(٢) انظر: الحركة العربية، سليمان موسى ص١٦٣، وانظر الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى، سليمان موسى، ص٥٨، عمّان ١٩٥٧م، وتاريخ سوريا ـ نهاية الحكم التركي ـ د. علي سلطان ص٣٧٧ – ٣٨٠.



عندما يقوم الإنجليز بإنزال قواتهم في الإسكندرونة . . . ولكن الخطة فشلت بسبب فشل الإنجليز في تنفيذ الخطة، لاعتراض فرنسا عليها، لأن فرنسا تعتبر أن سواحل الشام من نصيبها بعد الحرب .

●● فكان معظم الذين أعدموا من الفئتين الأولىٰ والثانية، كما أن النصارىٰ كانت الوثائق تدينهم، إلا أنه لم يعدم منهم إلا القليل وقد اعتمد السفاح على أوراق القنصلية الفرنسية، ورسائل «حقي العظم» لأعضاء حزب اللا مركزية في سوريا، وعلى اعترافات انتزعت بالتعذيب الوحشي(١) .

وأما من أُعدموا دون العثور على وثائق ضدهم، فقد برر جمال عمله بأن ذلك كان من قبيل القتل السياسي . قال جمال باشا في مذكراته : «إن الفضل في عدم حدوث ثورة في سوريا خلال عامين ونصف من إعلان الشريف للثورة، إنما يرجع لأحكام القتل والإعدام التي جرت عام ١٩١٦م» .

* * *

● ولنا أن نتساءل الآن : ما رأي التاريخ بجمال باشا الذي اتصل بفرنسا وبريطانيا وروسيا، لفصل البلاد العربية عن الدولة العثمانية، وليكون هو سلطاناً عليها، فيصبح حليفاً لهم ضد دولته بنفس الفترة التي كان يعدم فيها رجالات الحركة العربية ؟!

---

(١) انظر: الحركة العربية، سليمان موسى ص١٦٣، وانظر الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى، سليمان موسى، ص٥٨، عمّان ١٩٥٧م، وتاريخ سوريا ـ نهاية الحكم التركي ـ د. علي سلطان ص٣٧٧ - ٣٨٠ .



●● وإذا كنا قد بينا مسؤولية جمال في الإعدام، ومسؤولية جورج بيكو في ترك وثائق قنصليته دون إحراق، فلا بد من ذكر شخص ثالث اعتمد جمال على رسائله في هذه الإعدامات، وهو حقي العظم سكرتير حزب اللامركزية بمصر، والذي كان مستمراً في إرسال الرسائل إلى سوريا، يحرض على العمل ضد الترك، وهو مطمئن في مصر تحت حماية الإنجليز ورعاية أصدقائه الفرنسين.

كان يكتب المناشير الثورية دون علم قيادة حزبه «اللامركزية» وكان يرسلها مع أشخاص عاديين، أو في البريد الفرنسي، وكان ـ مع الأسف ـ يعمل على استقلال سوريا ووضعها تحت حماية فرنسا[١].

● وقد بادرت فرنسا بعد الإعدامات بالاعتراف بجميل هؤلاء الذين قدموا أرواحهم في سبيل صداقة فرنسا، كما جاء في مرسوم الاعتراف بهم، وإعطائهم لذويهم أوسمة مختلفة، وذلك في ٧ / آذار/ ١٩١٩م، ولم يذكر هذا المرسوم أن هؤلاء أعدموا في سبيل بلادهم، بل لأنهم كانوا أوفياء متعلقين بفرنسا، حامية بلادهم التقليدية.؟!

● أما الوثائق البريطانية فقد كانت تنقل غالباً ما تكتبه صحف مصر عن تلك الإعدامات، ولم تذكر شيئاً عن أصدقائها ممن اتهموا بالعمل لتسليم بلادهم للإنجليز إلى جانب الفرنسيين، ولم تمنح أياً منهم وسام الصداقة كما فعلت فرنسا... كانت بريطانيا أكثر ذكاء مع أصدقائها على كل حال[٢].

---

(١) مذكرات أحمد قدري: دمشق ـ ابن زيدون، ١٩٥٦ (ص٣٠ – ٣١)، تاريخ سوريا: د. علي سلطان ص٣٢٤ – ٣٢٥.

(٢) تاريخ سوريا: نهاية الحكم التكي علي سلطان ص٣٢٧ – ٣٢٨.



« ٣ »

سوريا بين تآمر جمال باشا وبين الموت بالحرب والوباء المجاعة

« أ »

التآمر المشبوه:

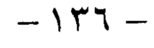
هو اتصال جمال باشا بدول الحلفاء وتآمر ضد سوريا واسلامبول:

والغريب هنا أن جمالاً نفسه كان على اتصال مع الحلفاء: الروس والفرنسيين والإنجليز، في فترة الإعدامات نفسها، وكانت المفاوضات دائرة بينه وبينهم، ولكن لم تطلب فرنسا ولا إنجلترا أثناء هذه المفاوضات من جمال باشا التوقف عن إعدام أحد، أو أن يتوقف عند حد معين.

والأغرب من ذلك بالنسبة لجمال باشا، أنه كان يعدم الوطنيين بحجة اتصالهم بالأجانب لفصل سوريا والبلاد العربية عن الدولة العثمانية، في الوقت الذي كان يفاوض فيه هؤلاء الأجانب حول الأهداف نفسها.

● وكان اتصاله بالحلفاء قد تم عن طريقين:

- طريق الروس وطريق الإنجليز في مصر.. فقد أرسل صديقه السويسري





الجنسية، ومدير المصرف العثماني في بيروت، واسمه «نوفيل» إلى الجنرال البريطاني «ماكسويل» حاكم مصر، وذلك في شهر آب/ ١٩١٥م.

وكانت غاية السفاح تسليم سوريا للإنجليز والفرنسيين سلماً، شريطة أن يعين هو أميراً عليها.

وقد أكد «دو فرانس» في رسالة له إلى وزارة الخارجية هذه الأخبار في تشرين الثاني ١٩١٥م، وذكر أيضاً بأنّ الجنرال الإنجليزي «ماكسويل» أرسل لجمال بأن مصير سورية ليس بين يديه، ولا يدي جمال باشا[١].

واتصل جمال كذلك عن طريق (سازانوف) وزير خارجية روسيا، بوساطة دكتور أرمني، يعمل في (بوخارست)، وكان من شروط (جمال) الأولية، حتى يقوم بحركة ضد الحكم التركي والألمان:

١ - أن يعترف الحلفاء باستقلال الأجزاء الآسيوية التالية من تركيا، ويكون جمال باشا هو السلطان لهذه الأقاليم وهي: سورية وفلسطين والعراق والجزيرة وكردستان وكيليكيا.

٢ - أن يكون الحكم وراثياً فيها له ولذريته؟!

٣ - سيعلن (المجرم جمال) سقوط حكومة استانبول، وأن السلطان سجين الألمان، وسيدخل في حرب ضدهم.

---

(١) ينظر مذكرات الحكيم: بيروت ص٢٨٢، وتاريخ سورية: نهاية الحكم التركي ١٩٠٨ - ١٩١٨م، ص٣٣١ د. علي سلطان.



٤ – يمده الحلفاء بالقوى والأسلحة اللازمة، ويقدمون له مساعدات مالية في نهاية الحرب.

٥ – يوافق جمال باشا على التخلي عن المضائق واستانبول.

- وكان من رأي (سازانوف) أنه ينبغي على جمال باشا، أن يضعف الدولة العثمانية إن لم ينجح في إسقاطها، ومن رأيه أيضاً الدخول في مفاوضات سرية معه، ويطلب رأي وزارة الخارجية في كل من بريطانيا وفرنسا.

● إلا أن فرنسا رفضت اقتراحات روسيا بشأن الاتفاق مع جمال باشا، لأنه مخالف لمبدأ التحالف الثلاثي... واستغربت الحكومة الروسية موقف فرنسا هذا.

وأخيراً قبلت الأطراف بالمفاوضات مع جمال والشريف حسين بشرط الاطلاع والتشاور المستمر بينهم[١].

● وقد ذكر جمال باشا «الصغير» خلَف السفاح، أن أنور باشا كان خائفاً من مطامع جمال السفاح، لفصل البلاد العربية عن الدولة العثمانية، وقد اتخذ من التدابير ما يمنع ذلك[٢].

---

(١) تاريخ سوريا نهاية الحكم التركي: د. علي سلطان، ص٣٣٢ – ٣٣٥، نقلاً عن وثائق وزارة الخارجية في كل من بريطانيا وفرنسا.

(٢) جمال باشا الصغير: كيف جلت القوات العثمانية، ص١٢ – ١٣، ترجمة فؤاد الميداني، بيروت ١٩٣٢م.



● وذكر عزيز بك: ضابط الاستخبارات التركي قصة اتصال جمال باشا مع الفرنسيين، فقد أرادهم، أن يساعدوه ويروجوا له للمناداة به أميراً على سوريا كلها، ثم يضع يده بيدهم، لكنهم رفضوا وانقطعت المفاوضات، ويضيف أن الفرنسيين قبلوا بتولية جمال، لكنهم رفضوا شروطه الأخرى، كالحكم الوراثي وإلغاء الامتيازات[1].

●● ومن المشاريع التي تفاوض بها جمال باشا خلال حكمه في سوريا، هو **اتصال الصهاينة به عن طريقة الجاسوسة (ناتاليا)** والتي كانت واسطة الاتصال بينه وبين الفرنسيين في القدس، وكان فؤاد بك سليم، مندوب جمال باشا، قد اجتمع مع شخص لم يعرف اسمه، واقترح على جمال باشا مشروعاً خلاصته:

- إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، ولا تعرقل الدولة العثمانية الهجرة اليهودية، وأن تكون المستعمرات اليهودية مستقلة من الوجهة الإدارية والمالية... ومقابل ذلك تقدم الجمعية الصهيونية قرضاً للدولة العثمانية، وتساعدها في مشاريعها السياسية؟!

ورفضت الأستانة طلب جمال، لكنه استمر يفاوض أكثر من شهر دون فائدة، إلا أنه أصبح صديقاً للصهاينة، وصار يدافع عن اليهود[2].

---

(١) الاستخبارات والجاسوسية في الدولة العثمانية: عزيز بك، ص١٨٦.

(٢) المرجع السابق ص١٩٤، تاريخ سورية نهاية العهد التركي، د. علي سلطان ص٣٣٧ - ٣٣٨.



« ب »

إرهاب ومصادرات، أيام جمال باشا:

انتشر الهلع لدى السكان مجرد إعلان الحرب العامة، وزاد خوفهم بسبب الإجراءات الشديدة التي نفذها جمال باشا، منها إعدام بعض الفارين من الجندية، وبمداهمة البيوت لأخذ الشباب بالقوة، كما أن (المجرم السفاح) فوض الضباط الأتراك بتنفيذ الإعدام بسبب الفرار من الجندية، وفي واحد من كل عشرة[1].

وقد جمعت الدولة من سورية « ٢٤٠ » ألف مقاتل، فرَّ منهم حتى آخر الحرب (١٥٠ ألف جندي) وقتل نحو « ٤٠ ألفاً) . وكان النفير العام يسمى « سفر برلك » .

● يقول كرد علي : « ولو أردنا تفصيل ما وقع من الجيش ولأجل الجيش وأهمّه استباحة الأعراض المصونة، والعبث بالمقدسات والمشخصات لاقتضى ذلك مجلداً برأسه » . « فقد فسدت الأخلاق، ونضبت موارد البلاد . . . وقل الفحم الحجري . وقطعت الأشجار كحطب بدلاً منه . . . »

« وقد طالت فترة الحرب، وغلت مراجل الأحقاد، وساءت الأخلاق، ولم يجسر أحد على انتقاد الدولة خوفاً من العذاب الشديد، وقد جمع أنور باشا

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ٣ / ١٤٥ - ١٤٦ .



مليوناً ونصف المليون من الجنود الأتراك، وترك أسرهم بلا معيل، وكان يعطي لكل جندي ربع ريال شهرياً »[1].

● وكانت هذه الحرب وبالاً على الشام، وكانت من أشأم الحروب إذ اجتمعت فيها المصادرات، وفقْد المواد الغذائية والمجاعة، إضافة إلى ما خربته الحرب، وظلّ جمال باشا المخيم على البلاد كالموت، مع انتشار التيفوس والطاعون »[2].

ونتيجة لسياسة المصادرة، وسوق جميع الرجال للحرب، واختفاء الذهب، وفقد النقود، أغلقت المصارف أبوابها، وأغلقت المعامل، وتعطلت الصناعة، وبيعت الحاجات الخاصة بأسعار قليلة، وتعطلت مواسم الحصاد بسبب قلة الرجال، وأخذت المواد الغذائية في الاختفاء حتى انقطعت نهائياً، كالسكر والأدوية والكاز والأقمشة[3].

« ج »

المجاعة والوباء:

والمصيبة الثانية التي حلت في سوريا خلال الحرب، هي انتشار وباء (التيفوس والكوليرا) في مختلف أنحائها، وقد بلغت ضحايا التيفوس في حلب أواخر ١٩١٤م الآلاف فكان يموت يومياً « ٢٠٠ – ٣٠٠ » شخص.

---

(١) خطط الشام، محمد كرد علي ٣/١٤٥ – ١٤٦.

(٢) نهر الذهب في تاريخ حلب: كامل الغزي ٣/٥٦٣، طبع حلب، ١٩٢٦م.

(٣) تاريخ سوريا، نهاية الحكم التركي (١٩٠٨ – ١٩١٨م)، د. علي سلطان، ص٣٤٧ – ٣٥١.



وانتشر المرض في بيروت فأصاب (٢٥٪) من سكانها، وكذلك الحال في باقي المدن والأقاليم... وانتشرت الكوليرا في البلاد، وخاصة بين الجنود وعامة الجيش.

● وطغت المجاعة على كل المصائب، وكان لتلك المجاعة الرهيبة سببان: الأول يعود إلى موجات الجراد الوافدة من الصحراء، ولم تشهد البلاد له مثيلاً من أربعين سنة.

كما أن غزارة الأمطار وكثرة الثلوج في جبال لبنان منعت وصول الحبوب إليه من داخل سوريا.

السبب الثاني: وهو الأهم ... أن الحكومة صادرت معظم الرجال والحيوانات منذ بدء الحرب/ ١٩١٤م.

كما زادت أسعار السلع حتى بلغت أرقاماً خيالية، وخاصة بعد وصول الجراد[١].

● لقد باع الناس شبابيك بيوتهم وسقوفها والقرميد فيها، وصاروا يهجرون قراهم وخاصة في لبنان، ويتجهون نحو داخل سوريا... كانوا يأكلون الأعشاب، وكان الأطفال والصبية يتسولون في الشوارع والأسواق، بل بعضهم يخطف كل ما يرى من الباعة أو الناس من الغذاء، حتى أن الجنود الجياع كانوا ينقضون على الباعة، فيخطفون ما معهم... ولذا كان الباعة المتجولون يهربون

---

(١) تاريخ سوريا، نهاية الحكم التركي (١٩٠٨ - ١٩١٨م)، د. علي سلطان، ص٣٤٧ - ٣٥١.



لدى رؤيتهم من بعيد[1].

● لقد أصبحت تلك الأيام عند العرب تاريخاً لا يُنسى، ومن لا يعرف تاريخ «السفر برلك»؟! وما زال الأبناء يسمعون أخبارها من الآباء والأجداد.

● ذكر الشيخ علي الطنطاوي - رحمه الله - ما كان يراه في دمشق آنذاك فقال: «كان الناس يقفون أرتالاً أمام كوة الفرن، يطلبون الخبز بالذهب، فلا يجدون، لأن الألمان استأثروا بأطايب القمح، وتركوا للناس شر الحنطة، وأخبث الشعير، فكان الناس يأكلون قشور البطيخ، وينبشون المزابل من الجوع... ثم زاد الأمر قبحاً عند مرأى جثث الأطفال والنساء، الذين ماتوا من الجوع صباح مساء في الشوارع، لقد تحولت دمشق إلى نصفين: نصف مقبرة، ونصف مستشفى لمن ينتظر الموت»[2].

● ويذكر كرد علي: (أن سوريا فقدت عُشر سكانها، أي ٣٠٠ ألف) من الحرب والجوع والمرض)[3].

● أما دور الدولة العثمانية أو دور جمال باشا في سوريا ومسؤوليته في كارثة المجاعة فتتلخص بأن السفاح كان متهماً بأنه قد تعمد تجويع أهالي سوريا ولبنان خاصة، حتى يتخلص منهم لأنهم يوالون فرنسا والحلفاء، ويكتمون كرهاً للدولة العثمانية.

---

(١) ينظر: الكتاب الذهبي - منير الريس، ص٥١، ٥٢، بيروت، دار الطليعة، ١٩٦٩م.

(٢) دمشق: علي الطنطاوي - دار الفكر، ١٩٥٩م، ص٦٠.

(٣) خطط الشام: محمد كرد علي، ج٣ ص١٦١.



ـ وأنه لم يمنع الألمان من شراء حبوب سوريا، ونقلها إلى ألمانيا رغم كرهه للألمان، ولعل المسؤولين في إسلامبول وخاصة أنور باشا، كانوا هم المسؤولين قبله عن تلك المجاعة.

ـ وكان جمال قد أمر بمصادرة كل المواد الغذائية، دون أن يترك ما يكفي السكان حتى لا يفتك بهم الجوع.

إضافة إلى أنه لم يطعم جنوده بأكداس القمح المخزونة في العراء، فكان أن أصابت الجيش نفسه المجاعة، مما زاد الأمر سوءاً، وجعل الجنود يقاسمون السكان حتى اللقمة التي لا يجدونها[١].

●● ومما أضر بالمواطنين عمليات الاحتكار. من قبل التجار والأغنياء وقد كتب الشيخ علي الطنطاوي – رحمه الله – عن الاحتكار في الحرب كما شاهده فقال: «كان الشعب يموت جوعاً خلال الحرب الأولى، لأن التجار الفجار احتكروا خبزه، فذهب من ذهب من الناس لملء صناديق المحتكرين بالذهب، ثم لا يجد الأموات قبراً، لأن الحرب لم تبق من الرجال من يقدر على حفر القبر... وما قلت السلع وما تبدلت، لكنه الطمع والجشع ورقة الدين، وضعف الخلق»[٢].

● وبدأت الدولة في سوريا ولبنان تجلب الحبوب وتبيعها، بأسعار معتدلة،

---

(١) تاريخ سورية، نهاية الحكم التركي، ص٣٥٨، ٣٥٩.

(٢) كتاب دمشق: الشيخ علي الطنطاوي، ص٨٥.



وخاصة للفقراء[1] ولكن بعد فوات الأوان .

● لقد كانت المجاعة عامة و أصابت أجزاء كثيرة من أنحاء الدولة العثمانية : « العراق وشرقي الأناضول واستانبول نفسها، والمصائب تغزو بلاد الشام تباعاً .

« د »

أيام جمال باشا الأخيرة في سورية:

اتخذ السفاح عدة تدابير للقضاء على ثورة العرب . . . وعندما لم يستفد شيئاً شدد في الاعتقالات، إلا أن الشريف حسين أرسل يهدد بقتل الأسرى الأتراك إذا استمر جمال باشا في عمليات الإعدام فتوقف المجرم . . .

وقد فر الآلاف من الجنود العرب، من الجيش العثماني، وذكر جمال باشا « الصغير » في مذكراته عن الحرب، بأنه لم يصل من بين « ١٢ ألف » جندي معظمهم من العرب إلى عمّان إلا « ٤٨٠٠ » وفر الباقون أو التحقوا بجيش الثورة العربية[2] .

● **ثم عُزل جمال باشا السفاح**: عن حكم سوريا، وذلك لفشله في الحرب ضد الحلفاء، ولكثرة الهزائم التي لحقت بالجيش العثماني تحت قيادته، ولأن القيادة الألمانية قررت التخلص منه في سوريا، لأن سياسته سببت انقضاض العرب على الجيش العثماني، فسببت الهزيمة، إضافة إلى قناعة (أنور باشا)

---

(١) مذكرات حسن الحكيم، بيروت، ص٢٥٠ – ٢٥١ .

(٢) كيف جلت القوات العثمانية : جمال باشا الصغير ص١٣٦ .



باتصال جمال بالحلفاء...

● وغادر جمال السفاح إلى برلين، ومنها سافر إلى تركيا، سافر دون وداع من أهل سوريا.

وبذلك فقد حكم مدة (ثلاث سنوات) في سوريا، ما بين (١٩١٤م. ١٩١٧م)، كانت سنوات عجافاً، خلف فيها مرارة وحزناً وفقراً وجوعاً، وموتاً ويتماً سجله له التاريخ صفحات سوداء...

● **وفي الختام**: فقد مضى كلٌ إلى حيث قدم، والتاريخ لايحابي أحداً، فقد عاش العرب تحت حكم العثمانين أربعة قرون، لم يشعروا خلالها بأنهم غرباء، لأن شعار القوميات لم يكن مطروحاً، وظل التيار الإسلامي والرابطة الدينية تجمع الجميع، إلى أن قام الاتحاديون بثورتهم وانقلابهم ضد السلطان وضد العرب، وضد الإسلام.

● وكانت السنوات العشر من حكم عصابة الاتحاديين، لا تعتبر نموذجاً لعلاقة العرب بالأتراك، وكان العرب قد شكلوا الجمعيات القومية: وتم اللقاء بين العرب والإنجليز وكانت مجازفة خطيرة، تبنت فرنسا سياسة طائفية لاحتلال سوريا، وأجهضت بريطانيا أماني العرب، ولوثت الاتجاه القومي أمام الشعب العربي...

● لقد ثار العرب للتحرر من استبداد جماعة الاتحاد والترقي، ثاروا مخدوعين بقوى الشر العالمية، ووعودها الغادرة، ففقدوا استقلالهم وأرضهم



وحريتهم وسمعتهم في هذه المرحلة العصيبة.

●● لقد كان تاريخ الشام خلال السنوات العشر من حكم الاتحاديين (١٩٠٨ - ١٩١٨م) يمر بنهاية مأساوية بعد قرون أربعة خلت، كانت أخوة الدين تجمع بين العناصر المختلفة، وراية الإسلام ترفرف فوق الجميع.

●●● لقد كانت المؤامرة خبيثة، مزقت الامبراطورية العثمانية، فصارت تركيا تعيش هملاً على هامش التاريخ، بعد أن كانت سيدة العالم باسم الإسلام... وتحول العرب إلى كيانات صغيرة، مزقتها القوى المستعمرة، وأحقاد اليهود، كل ذلك بعد أن ابتعدوا عن دينهم، وتحالفوا مع الدول النصرانية ليقاتلوا أبناء الدولة العثمانية المسلمة، ليطاردوا المسلمين، ويسلموهم إلى أعداء الله الغزاة... لقد نفذ الاتحاديون الحلقة الأولى من حلقات التآمر وفي الفصول القادمة إن شاء الله سوف نتابع بقية الفصول المأساوية.

* * *

الفصل الثاني

دور الحركات القومية عند العرب

قال عليه الصلاة والسلام :

« ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا مَنْ قاتل علىٰ عصبية، وليس منا من مات علىٰ عصبية » . « صحيح مسلم : كتاب الإمارة، حديث ١٨٨٤ » .

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: تطور الاتجاهات القومية :

١ - نشأة الفكرة العربية وارتباطها بالإسلام والجامعة العثمانية.

٢ - رفض الجامعة الإسلامية والقول بالوطنية والقومية.

٣ - الاتجاه القومي لدى نصارى العرب :

- اتجاه قومي عربي ـ اتجاه قومي سوري ـ اتجاه اقليمي لبناني.

المبحث الثاني: النشاط السياسي للجمعيات القومية.

١ - جمعيات علنية. ٢ - جمعيات وأحزاب سرية.

المبحث الثالث: حركة العرب الإصلاحية والمؤتمرات العلنية.

- المؤتمر العربي في باريس / ١٩١٣م.

المبحث الأول

تطور الاتجاهات القومية والوطنية

« ١ »

نشأة الفكرة العربية وارتباطها بالجامعة الإسلامية

كان العرب شركاء في الدولة العثمانية، في الحقوق والواجبات دون تمييز، وكان حكم العثمانين حماية للعرب والمسلمين ضد التدخل الأجنبي مدى أربعة قرون، تمتعت خلالها الولايات العربية بقدر وافر من الحكم الذاتي.

إلا أن رياح القومية هبت من أوربا، وعصفت بمجموعة من دعاة الطوارنية، نفث فيها يهود الدونمة سموم الحقد والوثنية، فكانت حركة (تركيا الفتاة) ولجنتها التنفيذية « الاتحاد والترقي » شر وافد على الامبراطورية العثمانية.

● « وكان السلطان عبد الحميد في فترة حكمه الطويل الذي بلغ ثلث قرن قد تنبه إلى ما يحيط بالدولة العثمانية من مخاطر، وفتح عينيه على الدول الأوربية التي تتربص بها، وتنتظر الفرصة السانحة للانقضاض عليها واقتسام أراضيها.

ورأى أمام هذه الأخطار المحدقة بالدولة، أن السبيل الوحيد لجمع شتاتها وتوحيد صفوفها، هو إحياء الرابطة الدينية فاتجه إلى تقوية الجامعة الإسلامية،



ونشر شعاره المعروف «يا مسلمي العالم اتحدوا»[1].

وكانت الرابطة الإسلامية هي المهيمنة على الدولة العثمانية حتى كانت السنوات العجاف، سنوات سيطرة الحركة الطورانية التي اعتمدت على تفضيل العنصر التركي، وهضم حقوق العرب، فقام الاتحاديون بكل جهد حتى استطاعوا أن يتخلصوا من النواب العرب في مجلس المبعوثان السابق، أمثال: شكري العسلي، وشفيق المؤيد ورشدي الشمعة، ولذلك زيفوا الانتخابات وفرضوا النواب الذين يريدون.

وكانت العودة إلى الروح القومية التركية شديدة، وقد أخذت تعبر علناً عن عدائها الشديد العنيف لكل ما هو عربي وإسلامي.

● كما عمد الاتحاديون إلى إحالة كبار الضباط العرب في الجيش إلى التقاعد، وأخذوا يبعدون الضباط من الشبان إلى المناطق البعيدة.[2]

وكان لهذه السياسة الطورانية أثر كبير في تكوين الجمعيات القومية لدى العرب، وفي تعدد الاتجاهات القومية تلك، ما بين الإصلاحيين ضمن الرابطة العثمانية في بداية الطريق، وبين دعاة الاستقلال والعصبية العربية بعيداً عن الرابطة الإسلامية، أو دعاة الوطنية والإقليمية الضيقة.

●● كما كانت السياسة القومية لدى الاتحاديين سبباً في دفع النابهين من

---

(١) أزمة العصر: د. محمد محمد حسين، ص٣٣، جدة ـ دار عكاظ ١٩٧٨م.

(٢) مجلة الأسرار: ص١٥ – ١٦، والحركة العربية: لسيمان موسى ص٤٠، بيروت، ١٩٧٧م، وتاريخ سورية نهاية الحكم التركي: د. علي سلطان، ص٢٠٠ – ٢٠٥.



العرب أن يطالبوا بحكم لا مركزي، ينالون به حقوقهم المشروعة، وتعاونوا مع الاتحاديين أيام حكم السلطان عبد الحميد ظناً منهم أن إعلان الدستور يعطيهم حقوقهم كاملة، إلا أن فترة التعاون والتفاهم لم تدم طويلاً بين العرب والاتحاديين، رغم ما بذله العرب من جهود لإظهار إخلاصهم للعهد الجديد.

● ذلك أن سياسة التتريك كانت تقوم على الإرهاب، وكان لذلك الأثر الواضح في تحويل القضية العربية من مجرد دعوة إلى الإصلاح واللامركزية في إطار الدولة العثمانية الموحدة إلى حركة سياسية جادة، ترمي إلى استقلال البلاد، ثم إلى ثورة مسلحة ضد الأتراك[١].

● ومعظم دعاة الجامعة العربية كانوا من دعاة الجامعة الإسلامية قبل الحرب العامة، وكانوا يتصورون القضية تصوراً إسلامياً، كحزب اللامركزية في مصر، الذي تصور صحيفة المنار اتجاهه.

● يقول محمد رشيد رضا صاحب المنار: «إن حزب اللامركزية عثماني محض، ليس في برنامجه ولا في بياناته كلمة واحدة تدعو إلى الجنسية العربية، أو تنفر من الجنسية التركية، وإنما هو يدعو جميع العثمانين إلى مطالبة الحكومة بالإدارة اللامركزية بالطرق المشروعة القانونية»[٢].

● وكان هناك فريق آخر من دعاة العصبية العربية، قد اتجهوا نحو العمل على الاستقلال، معتمدين على رفض الرابطة الإسلامية والعثمانية.

---

(١) ينظر نكبة الأمة بسقوط الخلافة العثمانية: محمد خير عبد القادر.

(٢) المنار: ج١/م١٧، ص٥٣٧.



« ٢ »

رفض الجامعة الإسلامية والقول بالقومية والوطنية

كان هذا الفريق يغلو في التحمس للجامعة القومية الجديدة وقد يدفعه حماسه إلى إنكار وجود الرابطة (الجامعة) الإسلامية بوصفها قوة فاعلة في التنظيم الدولي، ولا يرى الوطنية إلا جامعة (رابطة) تقوم على المصلحة المشتركة .

● ويبدو هذا المفهوم للوطن والوطنية، عند عبد الحميد الزهراوي واضحاً، وهو أحد أفراد الرعيل الأول من دعاة القومية العربية، وذلك حيث يقول في إحدى مقالاته في صحيفة الجريدة، حين كان لاجئاً لمصر :

« إن فكرة الجامعة الإسلامية، قد تجول أحياناً بخواطر بعض الناس الذين لايزالون بعيدين عن الاشتغال بالسياسة والنظر في الأمور العامة بشيء من التدقيق . . .

أما كون الجامعة الإسلامية موجودة وجوداً حقيقياً، أو أنها مقصد من المقاصد التي يسعى المسلمون لتحقيقها، فذلك لا دليل عليه مطلقاً . . .

وقد علمنا التاريخ وطبائع البشر، أنه لا شيء يجمع الناس إلا منافع، فإذا



تناقضت بين قبيلتين، استحال عليهما أن يجتمعا لمجرد قرابة في الجنسية، أو وحدة في الدين»[1].

● وأوضح من هذا القول في إنكار الجامعة الإسلامية وفاعليتها الغلو الجامح الذي يبدو في مقال آخر للشيخ الزهراوي، نشره في الصحيفة نفسها (الجريدة) سنة/ ١٩٠٧م، ومنه قوله: «ما الجامعة الإسلامية إلا اتفاق في كلمة واحدة، وهي أن القرآن كتاب الله، جاء به محمد رسول الله ﷺ...

فمنذ اختلف المسلمون ثُلبت جامعتهم، ولم يتفقوا اتفاقاً سياسياً بعد عهد عمر، ولا اتفاقاً دينياً بعد عهد علي.

فما هي جامعة قوم مختلفين منذ ثلاثة عشر قرناً اختلافاً سياسياً، واختلافاً دينياً، يقتل بعضهم بعضاً، ويستعين بعضهم على بعض بأهل الملل المخالفة من الأساس؟...»[2].

● ويشبه ما تقدم آراء عبد الرحمن الكواكبي، ولعله أول من نادى بالمفهوم القومي العلماني إذ يقول:

«يا قوم: وأعني بكم الناطقين بالضاد من غير المسلمين... أدعوكم إلى تناسي الإساءات والأحقاد، وما جناه الآباء والأجداد، وأجلكم من أن لا تهتدوا لوسائل الاتحاد وأنتم المتنورون السابقون، فهذه أمم (أوستريا وأمريكا) قد هداها العلم لطرائق الاتحاد الوطني دون الديني، والوفاق الجنسي دون المذهبي، دعونا

(١) أزمة العصر: د. محمد محمد حسين، ص٤١.

(٢) المرجع السابق: (ص٤٢ – ٤٣).



نتدبر حياتنا الدنيا، ونجعل الأديان تحكم الأخرى فقط!...»[1].

●● ولذلك كان يحلو لفريق من الناس حين يتكلمون عن الشعوب العربية، أن يطلقوا عليها «شعوب العربية» أي الشعوب التي تتكلم العربية، لأنهم لا يعترفون بالعروبة صفة لهذه الشعوب، لارتباطها في أذهانهم بالإسلام.

ولذلك اتخذت الدعوة إلى القومية العربية في طور نشوئها الأول شكلاً لغوياً، وظهر من بين دعاتها الأولين من النصارى خاصة عدد كبير من الباحثين في اللغة العربية والأدب العربي: أمثال البستاني واليازجي والشدياق، وجورجي زيدان، وفارس نمر، وكانت كثرة كبيرة من هؤلاء تناصر «القومية العربية» بدافع من عدائها للجامعة الإسلامية، ورغبتها في استبدال الحماية الفرنسية بالحكم العثماني[2].

---

(١) طبائع الاستبداد: الكواكبي، ص١١٢ - ١١٣.

(٢) أزمة العصر: د. محمد محمد حسين، ص٤٣ - ٤٤.



« ٣ »

الاتجاه القومي عند النصارى العرب

كان نصارى لبنان ممن ساهم في بعث التراث الثقافي العربي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وتسلق مفكروهم موجة القومية آنذاك عن طريق التخطيط لمناهج الجامعات التبشيرية والمدارس التنصيرية، وتأسيس الصحافة، ثم عن طريق الجمعيات السرية في بلاد الشام.

وبسبب من هؤلاء النصارى نشأت التفرقة بين العروبة والإسلام، لأن هذا الفريق من دعاة القومية كان واقعاً تحت تأثير الدعوات المتطرفة التي تريد تجريد العروبة من كل صلة بالدين.

وأغلب هؤلاء النصارى كانوا ممن لهم صلة بالإرساليات الأمريكية في بيروت، وأكثرهم في الوقت نفسه ينتمون إلى الماسونية، وقد أسسوا المدارس والجمعيات العلمية والأدبية.

وكان معظم المؤسسين من كبار مثقفي نصارى بلاد الشام مثل: ناصيف اليازجي وابنه إبراهيم، وبطرس البستاني، وسليم تقلا، وجورجي زيدان، وفارس نمر، وغيرهم، وكان بعضهم قد انتقل إلى مصر وأسسوا فيها الصحف والمجلات تحت ظل الانتداب البريطاني. كجريدة المقطم ومجلة المقتطف، ومجلة الهلال،

وكان محرروها يمثلون طلائع اللادينية في الشرق الإسلامي[1].

● يقول إبراهيم اليازجي في قصيدته البائية منبهاً العرب، وداعياً إلى الثورة ضد العثمانيين:

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب ... فقد طمى الخطب حتى غاصت الركبُ

أقداركم في عيون الترك نازلة ... وحقكم بين أيدي الترك مغتصَبُ

فيا لقومي وما قومي سوى عرب ... ولن يضيَّع فيكم ذلك النَّسبُ

فشمروا وانهضوا للأمر وابتدروا ... من دهركم فرصة ضنت بها الحقَبُ

● وكان دور السفارات الغربية يتمثل في أنها كانت ملتقى لدعاة القومية العربية، يتلقون منها النصح والإرشاد والمعونات التي تحضُّ على المضي في الدعوة إلى القومية»[2] كمرحة أولى... ثم الانتقال إلى المطالبة بالدول الاستعمارية، وذلك ماظهر جلياً بعد الحرب وخلال فترة الانتداب، لذا كان دعاة القومية العلمانية صيداً ثميناً للاستعمار والصهيونية يحققون عن طريقهم أغراضهم الاستعمارية المشبوهة[3].

● كانت الدعوة إلى القومية مرحلة للتمرد على الخلافة العثمانية «لأن نصارى لبنان وسوريا، ما كانوا يجرؤون أن يخرجوا على الحكم الإسلامي

---

(١) ينظر: أنطونيوس ١١٧ - ١١٨، ودروزة - نشأة الحركة العربية، ص٩٤ - ٩٥، وزين زين: نشوء القومية العربية ص١٩٧، الإسلام والحضارة الغربية: د. محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة فصل الإسلام والقومية، ص٢٠١ - ٢٠٢.

(٢) الأفعى اليهودية: عبد الله التل، ص٨٢.

(٣) الإسلام والحضارة الغربية: ص١٢٠.

علانيةً أيام الحكم العثماني، لذلك لجأوا إلى النشاط السري باسم العروبة، وكان عبد الحميد يقظاً للعبة كلها فطارد تلك الجماعات السرية التي تنادي بالقومية العربية، كما ضيق على النشاط السري لحزب الاتحاد والترقي » .(١)

واليوم ها هم نصارى لبنان وبقية نصارى المشرق يتنكرون للدعوة القومية، ويعلنونها طائفية حاقدة في لبنان وبقية ديار المسلمين، فهل يعي المسلمون الدرس؟!.

* * *

● **الاتجاه القومي السوري**: وهو اتجاه أنشأه وعمل له نصارى لبنان فظهر إلى جانب الاتجاه القومي العربي المسيحي، وكانت فكرة سوريا منتشرة بشكل خاص بين متخرجي مدارس الإرساليات الأمريكية، ومعظمهم من الأرثوذكس الإنجيليين، ثم من المسلمين والدروز، لأن استقلال لبنان كان يعني لهم سيطرة الموارنة والنفوذ الفرنسي، فيما كانت فكرة سورية تعني أنها وسيلة للتخلص من وضع الأقلية دون الوقوع تحت سيطرة أخرى: فرنسية أو عربية.

● وكانت الفكرة السورية تلقى تشجيعاً من قِبَلِ فرنسا، فقد أسس كل من « شكري غانم وجورج سمنة »، الجمعية السورية المركزية في باريس، وكانت تدعو صراحة لإنشاء دولة سورية تحت الحماية الفرنسية.

وكان من أصحاب الاتجاه السوري « حزب الاتحاد السوري » الذي أسسه مسلمون ونصارى في مصر عام ١٩١٨م، وعين ميشيل لطف الله رئيساً له،

(١) مذاهب فكرية معاصرة: الأستاذ محمد قطب، ٥٨٢.



ورشيد رضا سكرتيراً، وكان من أعضائه: رفيق العظم واسكندر عمون، والدكتور عبد الرحمن الشهبندر(١).

● وكان أنطون سعادة قد شكل «الحزب القومي السوري» في فترة لاحقة، عام ١٩٣٢م، يدعو فيه إلى وحدة سوريا الكبرى فقط.

●● وكانت الدعوة إلى الوطن السوري، قد شهدتها بيروت لأول مرة من خلال منشورات سورية علقت على جدران المدينة، تدعو إلى الحمية السورية والنخوة العربية، للثورة على الحكم التركي وتبدأ المناشير بالنداء: «يا أبناء سورية» «يا أهل الوطن» وانتهى بعض المناشير بأبيات من قصيدة إبراهيم اليازجي البائية: «تنبهوا واستفيقوا أيها العرب».

● والذين كانوا يقفون وراء هذه الدعوة هم مجموعة من المثقفين النصارى رواد التغريب والعلمانية، المتخرجين من الكلية السورية الإنجيلية «جامعة بيروت الأمريكية».

وأبرزهم فارس نمر، صديق اللورد كرومر فيما بعد، ويعقوب صروف وإبراهيم البازجي وآخرون، ويعترف فارس نمر بمسؤولية هؤلاء عن المناشير، ونسبها إلى جمعية سرية تأسست عام ١٨٧٦م من الأسماء السابقة، وكان هدفها الحقيقي هو تحرير وانفصال لبنان عن الحكم التركي(٢).

* * *

(١) ينظر: تاريخ سوريا ـ نهاية الحكم التركي ـ ص٤٥ – ٤٨.

(٢) ينظر: نشوء القومية العربية: زين نور الدين زين ص٦١ «نقلاً عن أرشيف وزارة الخارجية البريطانية» ونهضة أم تغريب: موفق زريق، ص١٣٠.





● **الاتجاه اللبناني:**[1]

كان أصحاب هذا الاتجاه من نصارى لبنان إذ كانوا يتطلعون إلى استقلال لبنان بمساعدة فرنسا وحمايتها منذ عام ١٨٦١م، كانوا يريدون كياناً مستقلاً، وأن توسع حدودهم لتشمل دولة لبنان الكبير، وهذا ما نفذه لهم «الجنرال غورو» بعد الاحتلال.

وأسس بعض اللبنانيين في مصر ١٩٠٩م حزباً هو «الاتحاد اللبناني» دعا إليه أنطون الجميّل. وكانت هذه الاتجاهات كلها تدعو إلى الانفصال والاستقلال عن الدولة العثمانية[2].

* * *

(١) ينظر: نشوء القومية العربية: زين نور الدين زين ص٦١ «نقلاً عن أرشيف وزارة الخارجية البريطانية» ونهضة أم تغريب: موفق زريق، ص١٣٠.

(٢) تاريخ سوريا ـ نهاية الحكم التركي، د. علي سلطان، ص٤٩ ـ ٥١.، وسوف نفصل في هذا الاتجاه في الباب الخامس، فصل الانتداب الفرنسي على لبنان.

المبحث الثاني
النشاط السياسي للجمعيات والأحزاب القومية

١ ـ الجمعيات العربية العلنية :

ـ جمعية النهضة العربية

ـ جمعية الإخاء العربي العثماني .

ـ المنتدى الأدبي العثماني .

ـ حزب اللامركزية الإدارية العثماني .

ـ جمعية الإصلاح البيروتية .

٢ ـ الجمعيات والأحزاب السرية .

ـ الجمعية القحطانية .

ـ جمعية العربية الفتاة .

ـ جمعية العهد .

المبحث الثالث
حركة العرب الإصلاحية والمؤتمرات العلنية

● مؤتمرات إصلاحية في : القاهرة ـ بيروت ـ صيدا .

● المؤتمر العربي في باريس :

ـ أبحاثه وأهدافه .

ـ هيمنة فرنسا على المؤتمر .

ـ معارضة الاتجاه العربي الإسلامي للمؤتمر .

المبحث الثاني

النشاط السياسي للجمعيات والأحزاب القومية

من خلال الاتجاه العربي الإسلامي، ظهرت حلقات حول بعض الشيوخ والمفكرين، كالشيخ طاهر الجزائري (مؤسس المكتبة الظاهرية في دمشق)، وكان بيت جمال الدين القاسمي مرتاداً لجميع الأحرار في ذلك العصر، وكانت مدرسة (عنبر الثانوية في دمشق) أهم معهد تخرج منه الرعيل الأول، من الذين رفعوا صوتهم بذكر العروبة.

وكان من المدارس الشهيرة آنذاك المدرسة الوطنية الإسلامية في طرابلس الشام، لصاحبها الشيخ نديم الجسر (١٨٤٥ - ١٩٠٩م) والمدرسة العثمانية في دمشق لصاحبها الشيخ كامل القصاب، الذي أصبح رئيس الحركة الوطنية في دمشق (١٩١٨ - ١٩٢٠م)[١].

وفي تلك الفترة تشكلت جمعيات عربية علنية تدعو إلى الأمجاد العربية، وتعليم اللغة العربية ومن أبرزها:

- **جمعية النهضة العربية:**[٢] أسست سنة (١٩٠٦م) من قبل بعض رواد حلقة الشيخ طاهر الجزائري، وجمال الدين القاسمي وزملائهم، وكانت غايتها

---

(١) ينظر: تاريخ سوريا ـ نهاية الحكم التركي ص٢١ - ٢٢.

(٢) المرجع السابق: ص٢٣ - ٢٤، د. علي سلطان.



إحياء اللغة العربية. وكان الذي أسسها في إسلامبول (محب الدين الخطيب) رحمه الله.

وكانت أهدافها - وهي في دمشق - رفعة العرب ومجدهم ونشر اللغة العربية.

وتعتبر هذه الجمعية ممثلة لوجه إحياء الثقافة واللغة العربية، والتاريخ العربي... وهي أسس القومية العربية.

● وبعد إعلان الدستور العثماني ١٩٠٨م، تابع هذا التيار ظهوره بتشكيل جمعيات أخرى، كانت تحتمي بالتيار الإسلامي العثماني، ولذلك أنشئت:

● **جمعية الإخاء العربي العثماني:**

وكان مقصدها معاونة جمعية الاتحاد والترقي في سبيل المحافظة على أحكام القانون الأساسي «الدستور» وجمع كلمة الملل العثمانية المختلفة، دون تفريق في الجنس والمذهب، وتمكين الرابطة العثمانية بينهم، لخدمة الدولة العثمانية، وإصلاح الشؤون المختلفة، ثم السعي لإعلاء شأن الأمة العربية[١].

● وكان من رجالها: شاكر الأتاسي، وشفيق المؤيد العظم وشكري الأيوبي وغيرهم.

وقد كان من أبر مبادئها أمران هما:

١ - المحافظة على الدولة العثمانية، وعدم تجزئتها.

---

(١) دمشق في مطلع القرن العشرين: أحمد حلمي العلاف، ص٢٩١، طبعة ثانية، دار دمشق، ١٩٨٣م - ١٤٠٣هـ.



٢ ـ إعلاء شأن العرب، ومنحهم المساواة الدستورية، وإنالتهم المناصب والوظائف[١].

● **المنتدى الأدبي:**

أسس العرب هذا النادي في استانبول سنة ١٩٠٩م، وكان مكاناً لتجمع معظم الشباب العربي وخاصة الطلاب، وكان مؤسسوه من رجال الحركة القومية الوليدة، منهم عبد الكريم الخليل (رئيس المنتدى)، ويوسف حيدر وآخرون.

وأصدر المنتدى مجلة باسمه، كتب فيها هؤلاء الشبان عن العروبة وتاريخ العرب ولغتهم وحقوقهم وأمانيهم.

ودعم بعض النواب العرب ذلك المنتدى، كعبد الحميد الزهراوي (نائب حمص)، وشكري العسلي (نائب دمشق).

وأنشئت لهذا المنتدى فروع له في سوريا والعراق، واستمر حتى عام ١٩١٥م، حيث أغلقه الاتحاديون، وأعدموا كثيراً من رجاله، وعلى رأسهم رئيس النادي (الخليل)[٢].

* * *

هذا هو النشاط العربي العلني في الفترة السابقة لتأزم العلاقات مع الاتحاديين، ولم يحاول هؤلاء تبني سياسة الانفصال عن الدولة العثمانية، ولا تأسيس كيان قومي سياسي مستقل، يوازي فكرة القومية العربية في

---

(١) تاريخ سورية، نهاية الحكم التركي، ص٢٥ – ٢٦.

(٢) حول الحركة العربية الحديثة: محمد عزة دروزة ص٢٣ – ٢٤ طبع صيدا ١٩٥٠م.



أوطانها المحددة[١] .

● ومن أبرز الأحزاب العلنية آنذاك حزب اللامركزية .

● **حزب اللامركزية الإدارية العثماني :**

أسسه في مصر سنة ١٩١٢م، جماعة من سياسيي سوريا المقيمين في مصر بمعرفة الحكومة التركية وهم :

رفيق العظم (دمشق)، ورشيد رضا (طرابلس الشام)، والدكتور شميل (لبنان) ومحب الدين الخطيب (دمشق) وكان رفيق العظم رئيسه، واسكندر عمون نائب الرئيس .

وكان نشاط هذا الحزب موالياً للدولة العثمانية في بداية الأمر ثم انقلب ضدها، بعد أن انقلب الاتحاديون ضد العرب[٢] .

وقد كان لهذا الحزب فروع في جميع مدن سوريا وفلسطين، وفي أنحاء كثيرة من العراق .

● يقول محمد رشيد رضا متحدثاً عن هذا الحزب : «إن هذا الحزب تألف بمصر بعلم الحكومة العثمانية، لمطالبة الدولة بتغيير إدارتها في المملكة كلها، وجدير بالذكر أن هذا الحزب هو الذي نظم المؤتمر العربي الأول، وأسند أمر المؤتمر إلى السيد عبد الحميد الزهراوي واسكندر عمون»[٣] .

---

(١) تاريخ سوريا (١٩٠٨ - ١٩١٨) نهاية الحكم التركي د . علي سلطان، ص٢٨ .

(٢) انظر: مجلة المنار ـ مجلد ١٦، ص٢٢٩ - ٢٣١ / ٨ مارس .

(٣) السابق: مجلد ١٧ ج١٧، ج٣، ص٢٣٤ - ٢٣٥، في ٣٠ ربيع الأول ٢٥ يناير ١٩١٤م .



وكان من أبرز أهدافه المطالبة بالحكم اللامركزي في الولايات العثمانية كلها . . .

● وقد اجتمع في هذا الحزب المسلمون والنصارى والدروز واليهود ليكون (حزبنا في سوريا مؤلفاً من جميع العناصر) على حد قول رفيق العظم رئيس الحزب في رسالة له مؤرخة في ٢٥ / آب / ١٩١٣م[١] .

● وجاء في أحد مناشير (الجمعية عن الثورة العربية) وكانت غالباً من كتابة حقي العظم : « ليكن المسلمون واليهود والنصارى منكم يداً واحدة في العمل لمصلحة الأمة والبلاد . . . . فكلكم عيال الله ، والدين لله وحده . . . »[٢] .

●● لقد كان حقي العظم من مجندي السياسة الفرنسية في سوريا ، يدعو إلى تأسيس دولة سورية تحت رحمة فرنسا ، وفصلها عن البلاد العربية الأخرى ، وهو من مؤسسي الحزب السوري اللبناني بمصر بعد نهاية الحرب ١٩١٨م ، وقد عينته فرنسا حاكماً لدولة دمشق بعد الاحتلال الفرنسي لها عام ١٩٢٠م ، منهية بذلك حكم فيصل[٣] .

● **جمعية الإصلاح في بيروت ١٩١٣م :**

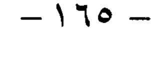
وكان هدفها الحكم الذاتي للولايات العربية ، وقد تعاونت في ذلك مع العربية الفتاة واللامركزية بمصر وقام الاتحاديون بحل الجمعية واعتقال زعمائها في

---

(١) من أوراق محب الدين الخطيب ـ القاهرة .

(٢) من أوراق محب الدين الخطيب ، مركز الوثائق التاريخية ، دمشق ، رقم الوثيقة : ٧٩ / ٦٠ بلانا .

(٣) تاريخ سوريا ـ نهاية الحكم التركي ، د . علي سلطان / ص٤٥ .





شهر نيسان ١٩١٣م[١].

●● كما تعاونت هذه الجمعية مع جمعية النهضة اللبنانية في المهجر، وقدّمتا رسالة مشتركة إلى حكومة فرنسا عام ١٩١٣ / ١٣٣١هـ، والتمستا فيها (من فرنسا) احتلال سوريا ولبنان.

لقد كان الاتجاه اللبناني النصراني واضحاً في الولاء لفرنسا ويمثلهم: اليازجي والبستاني، وجورجي زيدان وغيرهم[٢].

«٢»

الجمعيات والأحزاب السرية

لما رأى القوميون العرب سياسة الاتحاديين العنصرية، عملوا على تشكيلات سرية، على أسلوب العمل السري الأوربي والتركي الحديث.

وذلك ما ظهر جلياً خلال حكم جمال باشا لسوريا، وأثناء الثورة العربية بقيادة الشريف حسين ١٩١٦م[٣].

---

(١) ينظر: يقظة العرب، جورج أنطونيوس، بيروت ١٩٧٦٦م، ص١٩١.

(٢) تاريخ الدولة العثمانية: د. علي حسون، ص٢٤٩.

(٣) تاريخ سوريا ـ نهاية الحكم التركي، ص٢٩.

● **ومن الجمعيات السرية العربية:**

١ ـ الجمعية القحطانية:

كانت هذه الجمعية قد أسست في استانبول أواخر سنة ١٩٠٩م، وهي أولى الجمعيات السرية العربية، كانت تعمل لصالح العودة بالتاريخ العربي إلى ما قبل الإسلام، لأن قحطان هو جد العرب.

وتحولت إلى دمشق وبغداد، وكانت أول محاولة لضم ضباط العرب (على رأسهم عزيز المصري) إلى الحركة القومية، وهدفها أن تؤلف الولايات العربية مملكة واحدة تصبح جزءاً من امبراطورية تركية عربية.

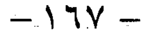
ويعتبر اتجاهها مقدمة لانفصال العرب عن الترك... وكان لهذه الجمعية خطورتها بسبب انضمام الضباط العرب إليها ثم انضم أعضاؤها إلى جمعيتي الفتاة والعهد فيما بعد، عام ١٩١٣م، وكانت بالنسبة للضباط، كالفتاة للمدنيين[١].

٢ ـ جمعية العربية الفتاة:

تشكلت في باريس عام ١٣٢٩هـ على منهج جمعية تركيا الفتاة، من قبل طلاب يدرسون هنالك، كانوا قد تشبعوا بالأفكار الغربية، وخاصة العصبية القومية، واستعمل بعضهم المصطلحات الماسونية، وكانوا يقصدون إلى استقلال العرب التام، ونقلوا مقرهم من باريس إلى بيروت ثم دمشق، حيث ازداد عدد

---

(١) ينظر: يقظة العرب، جورج أنطونيوس ط٤، بيروت، ١٩٧٤م، ص١٨٨ والحكومة العربية في دمشق: خيرية قاسمية ص١٩، دار المعارف بمصر، ١٩٧١م.



الأعضاء، وخاصة من نصارى العرب[1] .

● وتعتبر الفتاة أهم جمعية سرية قادت الاتجاه القومي العربي حتى نهاية الحرب في سوريا، وقاد رجالها الحكم الوطني في عهد فيصل بن الحسين، وخلال الانتداب الفرنسي تحت أسماء أحزاب أخرى .

وظلت هذه الجمعية سرية حتى ما بعد الحرب، وقد أُعدم عدد من أعضائها على يد السفاح جمال باشا، ولم يبوحوا بسر الجمعية وكان فيصل بن الحسين قد انتسب إليها عندما كان في دمشق عام ١٩١٥م .

وكان برنامجها أول تكوينها يتلخص في : العمل للنهوض بالأمة العربية إلى مصاف الأمم الحية، ولم يكن في منهجها الانفصال عن الدولة العثمانية في بداية أمرها، لكنه تغير بعد الحرب إذ أصبحت تناضل لتحرير البلاد العربية من الأتراك، ومن أجل استقلالها التام، وكان مؤسسوها جميعاً من المسلمين[2] .

● وقد سعت الجمعية إلى تقوية الشعور العربي بين طبقات الأمة العربية كافة، مبدؤها في ذلك «عربي قبل كل شيء وفوق كل شيء» .

وكان أعضاؤها غالباً من الأثرياء، الذين عملوا على دعم ميزانية الجمعية بالتبرعات والهبات .

وتمتعت الفتاة بنفوذ ضخم في الدولة أيام حكم الملك فيصل، وكانت الهيئة المركزية تبذل جهدها في تسيير الحكومة وفقاً لخطتها السياسية، وتسعى أيضاً

---

(١) حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة : د. جميل عبد الله المصري، ص١٢٠ ومابعدها، دار أم القرى ـ عمّان، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

(٢) حول الحركة العربية الحديثة : عزة دروزة ص٣٢، انطونيوس ص١٨٨ .



أن تأتي برجال أكفاء إلى الحكومة.

كما أنها كانت قوية بين فئات الجماهير في الداخل، وكانت تحركهم بسهولة، وانبثق عنها هيئات حزبية قامت بوحيها وعملت بتوجيهها، مثل حزب الاستقلال الذي يريد الاستقلال تاماً بلا وصاية ولا حماية[1].

وظلت الفتاة مؤيدة لسياسة فيصل والحلفاء حتى نهاية عام ١٩١٩م، حيث حدث الخلاف بعد اتفاقه مع (كلمنصو) رئيس وزراء فرنسا، مما كان له الأثر الرئيسي لنمو كثير من أحزاب المعارضة... وزالت الفتاة كغيرها من التنظيمات السياسية بعد عام ١٩٢٠م.

٣ ـ جمعية العهد:

وكانت سرية أيضاً، تشكلت في الآستانة في ٢٨/تشرين الأول/ ١٩١٣م، بدلاً من الجمعية القحطانية، ولكنها اقتصرت على عضوية العسكريين فقط.

أسسها الضابط «عزيز المصري»، وكان العراقيون يشكلون أعلى نسبة في هذه الجمعية، ثم السوريون.

وكانت غايتها الوحدة العربية في جميع الأقطار العربية وكان جل عناصرها من الضباط الأحداث، وقد لعبوا دوراً خطيراً في الثورة العربية[2]، وكان أعضاؤهاالبارزون قد انضموا إلى قوات الثورة، وبعد الحرب تابعت الجمعية

---

(١) الحكومة العربية في دمشق: خيرية قاسمية، ص٦٦ ـ ٦٨.

(٢) مذكرات جمال باشا ص٩٠، ومذكرات طه الهاشمي ـ بيروت، دار الطليعة ١٩٦٧م، ص٢٥٥.



نشاطها، وانضم إلى جانب أعضائها القدامى كثير من الضباط في الجيش العربي.

وكان مقر الحزب العام في دمشق قد انقسم إلى فرعين:[1]

عهد سوري، وعهد عراقي، واستمر التعاون بين الفرعين.

● وكان من أعضائها مَنْ لعبوا دوراً في السياسة العربية منهم: خالد الحكيم (دمشق)، وعلي النشاشيبي (القدس) وعلي رضا (دمشق)، ومن العراق: نوري السعيد وطه الهاشمي وياسين الهاشمي.

وقد أعدم جمال باشا ثلاثة من أعضائها وهم: علي النشاشيبي وسليم الجزائري وأمين لطفي الحافظ[2].

وبقي هذا الحزب حتى نهاية حكم الملك فيصل، وزوال الدولة العثمانية واستمر الاتجاه القومي (العربي الإسلامي) سائداً خلال سنوات (١٩٠٩ - ١٩١٥م) حيث صارت حوادث الحرب وسياسة جمال السفاح والاتفاقات الدولية تحرفه عن سيره نحو الاتجاه الاقليمي.

● **ومن الملاحظ على برامج تلك الجمعيات والأحزاب عموماً أنها لم تول المفاهيم الإسلامية أهمية تذكر.**

وكان الاتجاه السائد آنذاك هو ما تحدثت عنه صحيفة «المفيد» خلال ردها على التيارات الغالبة في تلك الفترة حيث تقول: «فلتتحول فكرة القومية العربية

---

(١) الحكومة العربية في دمشق: خيرية قاسمية، ص٧٠.

(٢) القومية العربية: مصطفى الشهابي، ص٧٩، القاهرة ١٩٦١م.





بالنسبة للعرب إلى ديانة جديدة؟!! » « فلتكن متعصباً لجنسك ولغتك وعقيدتك ولأسلوب فكرك الاجتماعي والسياسي، فالتعصب يحفظ للأمة لغتها ومناقبهاوأخلاقها وعاداتها الحسنة »[١].

●● ويلاحظ أن العلمانية بدأت تتسرب إلى عقول قادة الحركات القومية، وهذا ما ظهر خلال جلسات المؤتمر العربي الأول في باريس/ ١٩١٣م[٢].

●● كما يلاحظ أنّ التناقضات في الاتجاهات السياسية كانت قوية واضحة. من ذلك:

ـ أن حزب الاتحاد السوري المركزي، ومركزه في مصر، كان يؤيد سياسة حكومة الحجاز، وتأسيس سوريا الكبرى، ولا مانع من توحيدها مع بقية الولايات العربية.

ـ وأن اللجنة السورية المركزية، ومركزها باريس، أسست برعاية وزارة خارجية فرنسا، برئاسة (شكري غانم وجورج سمنة)، كانت تدعو لتحرير سوريا، تحت رعاية فرنسا ومساعدتها[٣].

● أما عصبة التحرير السورية اللبنانية، فقد أنشئت في نيويورك ١٩١٧م، برئاسة أيوب ثابت، وكانت تهدف إلى إقامة اتحاد فيدرالي في سوريا، يضم جبل لبنان، ودمشق وحلب وسواهما تحت إرشاد وحماية فرنسا[٤].

---

(١) صحيفة « المفيد » تشرين الثاني ١٩١٣م.

(٢) سنتحدث عن ذلك خلال المبحث القادم، « مؤتمر باريس ».

(٣) في سبيل الاستقلال: يوسف السودا، ج١، ص٩٣ ـ ٩٦. طبع بيروت، ١٩٦٧م.

(٤) المرجع السابق: يوسف السودا، ج١/ ص٩٦ ـ ٩٧.





واستمرت الانقاسامات حتى صارت تتلخص في فريقين:

١ ـ الفريق الإسلامي: من سكان ساحل لبنان والأقضية الأربعة، وكان مطلبهم يتمثل في الاستقلال التام، عن أي حكم أجنبي، مع الارتباط مع حكومة دمشق والأمير فيصل.

٢ ـ الفريق النصراني: ولا سيما سكان جبل لبنان والجمعيات النصرانية، وكان مطلبهم يتمثل في الاستقلال مع الحماية الأجنبية، ولا سيما حماية فرنسا، لضمان انفصال لبنان عن سوريا، والعمل على تكوين دولة لبنان الكبير بضم الأقضية الأربعة[١].

●● **أما الأحزاب والجمعيات السرية**: قبل العربية الفتاة، وجمعية العهد والجمعية القحطانية، فقد كانت أهدافها تتمثل في الوحدة العربية والاستقلال التام «عربي قبل كل شيء وفوق كل شيء» والعودة بأمجاد العرب حتى قبل الإسلام، وكانوا يؤيدون سياسة فيصل بن الحسين والحلفاء حتى نهاية الحرب العامة عام ١٩١٩م.

* * *

(١) تاريخ لبنان المعاصر: حسان حلاق، ص٥٤.





المبحث الثالث

حركة العرب الإصلاحية والمؤتمرات العلنية

سنتحدث في هذا المبحث عن التطبيق العملي لمبادئ الأحزاب والجمعيات العربية، وقد ظهر ذلك واضحاً في المؤتمرات العلنية التي قامت بها تلك الأحزاب القومية.

● بدأ حزب اللامركزية: في القاهرة يقوم بنشاطه الواسع، بإرسال الكتب والمناشير إلى سوريا يدعو الناس إلى مبادئه الإصلاحية ضمن الدولة العثمانية.

● وفي صيدا حدث اجتماع واسع حضره أكثر من (مائتي عضو) من المسلمين السنة والشيعة، في كانون الثاني ١٩١٢م وقد اتخذوا قرارات عديدة، لإقامة إمبراطورية واسعة، دون مساعدة القوى الأجنبية، تقوم على مبدأ الجامعة العربية وأن يكون لها خليفة عربي.

●● ونشطت الحركة الإصلاحية في بيروت: فكتب واليها، في كانون الأول ١٩١٢م، رسالة إلى الصدر الأعظم، يخبره بأن كثيراً من الأهالي، ولى وجهه شطر إنجلترا أو فرنسا لإصلاح الحالة التعيسة التي يعانون منها.

واجتمعت المجالس العمومية في المدن الكبرى - بناء على موافقة الصدر الأعظم - لوضع لوائح الإصلاحات، وفعلت بيروت ذلك، فاجتمع عدد من



الوجهاء، ووضعوا المنهاج المطلوب وسلموه إلى الوالي، الذي أرسله إلى العاصمة، وكان يعتمد على مبدأ (اللامركزية) في الحكم، وكان عدد أعضاء مجلس ولاية بيروت وجمعيتها (٨٦) من مختلف الطوائف[١].

● وكان أخطر تلك المؤتمرات وأبعدها أثراً، هو المؤتمر العربي الأول المنعقد في باريس عام ١٩١٣م.

***

المؤتمر العربي في باريس:

جاء هذا المؤتمر تتويجاً لمؤتمرات أصحاب الحركة الإصلاحية في مطلع القرن العشرين، وقد أشرفت عليها الجمعيات العربية كالعربية الفتاة وحزب اللامركزية وبقية الجماعات النشطة.. وفي باريس قامت الجالية العربية بالإعداد لمؤتمر يعقد هناك، وانتخبت لجنة تحضيرية من ثمانية أشخاص «أربعة مسلمون من العربية الفتاة، وأربعة نصارى؟!».

وقد وجهت اللجنة التحضيرية دعوات إلى الأحزاب والجمعيات لحضور المؤتمر، فحضر ممثلون عن حزب اللامركزية هما: اسكندر عمون، وعبد الحميد الزهراوي، الأول مسيحي ماروني كان يعمل لصالح فرنسا علناً، والثاني هو نائب حمص السابق، كان قد اقتنع بأن النظام التركي صار شؤماً على سوريا إلا إذا حصلت إصلاحات وهي صعبة التحقيق[٢].

---

(١) نشوء القومية العربية: زين نور الدين زين ص٢١٠.

(٢) دراسات في تاريخ لبنان المعاصر: د حسان حلاق، ص٣٠ - ٣١.



كما حضر ممثلون عن جمعية بيروت الإصلاحية، وممثلون عن العراق والمهجر وجالية باريس، وتألفت لجنة إدارية للمؤتمر من الرئيس عبد الحميد الزهراوي، ونائبه شكري غانم وآخرين[١].

● وعقد المؤتمر العربي الأول هذا في شهر يونيو ١٩١٣م، في عهد الأتراك الاتحاديين، وما كان يطالب آنذاك بالاستقلال عن الدولة الثعمانية، وإنما حصرت مطالبه في الإصلاح الإداري، على الرغم من أن الشبان الذين تولوا أمره، كانوا متأثرين بالتفكير العلماني ومنهم: عوني عبد الهادي، وندره مطران، وجميل معلوف وجميل مردم وآخرون[٢].

● وفي حديث لرئيس المؤتمر السيد عبد الحميد الزهراوي مع محرر جريدة «الطان الفرنسية» قال: «إنه يتحدث بلسان العرب العثمانيين باعتبارهم أهم عنصر في الدولة، ويؤكد أن المؤتمر ليست له صفة دينية، ولذلك ترى عدد أعضائه المسلمين والمسيحيين متساوياً، وأنهم لا يطالبون بالانفصال عن تركيا، بل يطالبون بتحسين أحوال الدولة والعنصر العربي معاً، وأن الفئة المتنورة ترى هذا الرأي، دون مساس بالمبادئ الدينية...»[٣].

ويقول أيضاً لمحاور جريدة «الطان»: «إن الذين ينكرون فضل أوربا مدفوعون إلى ذلك بسائق الأنانية العمياء، ونحن ننظر إليهم نظرة أسف

---

(١) المرجع السابق: ص٣٠ – ٣٥.

(٢) نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية، ص٧٥.

(٣) كتاب المؤتمر العربي الأول، مطبعة البوسفور، القاهرة. ١٩١٣م، إعداد حزب اللامركزية العثماني، ص١٩ – ٢١.



وإشفاق، حينما لا نستطيع إزالة أوهامهم، كما أن المدنية الأوربية العصرية قد انتشلتنا من سباتنا العميق»[1].

ويلاحظ من حديث الزهراوي ومواقفه أنه يمثل العلمانيين المسلمين، لأنه مفتون بأساليب الحكم الغربية، ولذلك فهو يدعو لفصل الدين عن الدولة بحذر.

بينما كان فارس نمر يمثل العلمانيين النصارى، وطالما كان يدعو في (المقتطف) إلى ضرورة الاحتلال الإنجليزي ويقول: «أنا احتلالي على رؤوس الأشهاد ولا أنكر أن المحتلين أصلحوا هذا القطر - مصر - إصلاحاً عظيماً»[2].

● وكان يشاركهما رؤيتهما: شكري غانم وشارل دباس وسواهما مثل: يوسف الهاني وبتروطراد، وأيوب ثابت وخليل زينية، ومعظم نصارى المشرق.

حتى أن قنصل فرنسا في بيروت طلب من وزير خارجيته في باريس «بيشون» وذلك في تقرير له في ١٦/ ايار/ ١٩١٣م، أن يستقبل (خليل زينية» في باريس استقبالاً خاصاً وحسناً لأنه «برهن دائماً عن كونه مخبراً متفانياً وفياً مخلصاً لهذه القنصلية، ولنا أن نعتبره بحق موالياً لفرنسا بصدق»[3].

وجاء في التقرير أن الجالية السورية والوفود الذاهبة للمؤتمر لن تطالب بأكثر

---

(١) وجيه كوثراني: نقلاً عن أرشيف الخارجية الفرنسية، مجلد ١٢١، ص٦٤.

(٢) نهضة أم تغريب: موفق زريق، ص١٢٠.

(٣) تاريخ لبنان المعاصر: د. حسان حلاق، ص٢٩ - ٣٠، وانظر: وثائق المؤتمر العربي الأول، وجيه كوثراني، ٨٠ - ٨٢، طبعة بيروت، ١٩٨٠م.



من نظام لا مركزي للبلاد السورية، ومستشارين أجانب للمساعدة في إعادة ازدهارها[١] .

* * *

● **وتركزت أبحاث المؤتمر حول :**

ـ الحياة الوطنية ومناهضة الاحتلال .

ـ تأمين حقوق العرب في الامبراطورية العثمانية .

ـ ضرورة الإصلاح على قاعدة : اللامركزية[٢] .

● وكانت كلمات الأعضاء تدور حول اللامركزية، وضرورة الإصلاح، ولم يبحث المؤتمر قضية الانفصال عن الدولة، أو لم يجرؤ أحد أن يصرح بذلك المطلب في تلك المرحلة المبكرة .

ـ قال اسكندر عمون ـ نائب رئيس المؤتمر ـ وهو نصراني :

« إننا نريد حكومة عثمانية، لا تركية ولا عربية، حكومة يتساوى فيها جميع العثمانيين في الحقوق والواجبات . . . لا يحرم فريق من حقوقه، لا بداعي الجنس ولا الدين، عربياً كان أم تركياً أو كردياً، مسلماً أو مسيحياً، إسرائيلياً أو درزياً »[٣] .

---

(١) تاريخ لبنان المعاصر : د . حسان حلاق، ص٢٩ ــ ٣٠، وانظر : وثائق المؤتمر العربي الأول، وجيه كوثراني، ٨٠ ــ ٨٢، طبعة بيروت، ١٩٨٠م .

(٢) تاريخ سوريا ـ نهاية الحكم التركي، د . علي سلطان، ص١٧٠ .

(٣) المؤتمر العربي الأول في باريس، ص١٠٣ ــ ١٠٤ .



دعوة النصارى هذه كانت مرحلة آنية للتخلص من الحكم العثماني، وقد ظهر ذلك بعد رحيل الأتراك عن البلاد.

- وتكلم عبد الغني العريسي، عن حقوق العرب القومية فقال: «لا تتطرق إلينا فكرة الانفصال عن هذه السلطة مادامت حقوقنا مرعية محفوظة».

● وصدرت قرارات المؤتمر تؤكد على ضرورة حفظ حقوق الولايات العربية على أساس اللامركزية، وأن تكون اللغة العربية لغة رسمية في الولايات العربية، وأن تكون معتبرة في مجلس المبعوثان، وشكر المؤتمر حكومة فرنسا شكراً جزيلاً، لترحيبها بالضيوف العرب(١).

هيمنة فرنسا على المؤتمر:

● لقد حاولت فرنسا استغلال المؤتمر لمصلحتها، عن طريق عملائها المقيمين في فرنسا، وخاصة نصارى العرب.

● وقد ذكر أسعد داغر في مذكراته: (بأن نقطة الضعف في مؤتمر باريس، كانت في الجمعية الإصلاحية التي اندس فيها، فريق من عملاء فرنسا وصنائعهم فتمكنوا من تشويه سمعة بعض رجالها في نظر شعبهم، وفي نظر الترك أيضاً»(٢).

● ومن نقاط الضعف أيضاً، طلب المؤتمرين الاستعانة بمستشارين أجانب في حكم البلاد الشامية(٣).

---

(١) تاريخ سوريا علي سلطان، ص١٧٦.

(٢) مذكراتي على هامش القضية العربية: أسعد داغر، ص٦٠، القاهرة، ١٩٦٠م.

(٣) تاريخ لبنان المعاصر: حسان حلاق، ص٣٩.



● ومن الثغرات المتمثلة في ذلك المؤتمر:

- كون المؤتمر يعقد في عاصمة أجنبية، هي باريس، ولها مطامع قديمة في بلاد الشام.

- وأن بعض المشاركين في المؤتمر، كانوا ممن لهم ارتباطات سابقة مع فرنسا وإنجلترا[1].

● وبذلك فإن مؤتمر باريس، لم يكن سوى جزء من التوجيه الاستعماري الفرنسي لتعميق التناقض العربي - التركي، وتوظيفه لصالح أهدافه، وهذا ما تدل عليه الوثائق، وتؤكده الأحداث[2].

● وقد صور الرصافي هذا الاتجاه الإصلاحي في باريس فقال:

لو كان في غير باريز تألُبُهم ... ماكنت أحسبهم قوماً مناكيبا

لكن باريز ما زالت مطامعها ... ترنو إلى الشام تصعيداً وتصويبا[3]

* * *

لقد كان اتجاه المؤتمر تتويجاً لنشاط الحركات الإصلاحية من الوجهة السياسية، على صعيد الواقع، لا على صعيد المبادئ والجمعيات... وقد تنازل المؤتمرون عن التمسك بالمبدأ الديني، إذ كان المؤتمر يعبر عن مرحلة لقاء هام في

---

(١) المرجع السابق، ص٢٧.

(٢) نهضة أم تغريب: موفق زريق، ص١٦٨.

(٣) ديوان الرصافي (ص٣٨١ - ٣٨٤)، بعنوان «ماهكذا؟!».

الاتجاه السوري المسيحي، مع العربي القومي المسلم(١).

●● **وكان الاتجاه العربي الإسلامي**: يعارض المؤتمر الباريسي بشدة فقد عبر عنه شكيب أرسلان في مذكراته أصدق تعبير عندما قال: «كنت ساخطاً على عقد هذا المؤتمر... وكانت وجهة نظري، أن مؤتمراً كهذا، لا ينبغي أن يعقد في عاصمة «كباريس» إذ لها مالها من المطامع في سورية... ولا يجوز أن يعقد والدولة العثمانية مشغولة بالحرب البلقانية...»(٢).

●● وفي ٢٥ / أيار / ١٩١٣م، وردت برقية من بعض الشخصيات الإسلامية في دمشق، تضمنت تأييد الدولة العثمانية، والاحتجاج على انعقاد المؤتمر في باريس وفيها: «اتهام لهؤلاء الشباب الجهلة، وأنهم يخونون بذلك دينهم ووطنهم» وكان من بين الموقعين على هذه البرقية: مفتي دمشق، ونقيب الأشراف، وعلماء الدين، وزعماء المدينة ورئيس البلدية، وأكثر من خمسين توقيعاً لبعض وجهاء دمشق والمناطق السورية(٣).

● وقد قاومت حكومة الاتحاديين انعقاد المؤتمر في باريس بكل الوسائل، وحاولت الوقوف في وجهه، كما حملت الصحف التركية كثيراً على ذلك المؤتمر، وخاصة جريدة «طنين» لسان حال جمعية الاتحاد والترقي.

ورغم ذلك بقيت العلاقة بالاتحاديين علاقة صداقة ظاهرياً مع المماطلة في

---

(١) تاريخ سورية «نهاية الحكم التركي» ص١٨٦.

(٢) شكيب أرسلان: سيرة ذاتية، ص١٠٩.

(٣) مذكرات سليم علي سلام: ص٢٦٨ - ٢٧١، عن تاريخ لبنان المعاصر: د. حسان حلاق، ص٣٢.



تنفيذ الإصلاحات، حتى عام ١٩١٤م[1].

* * *

لقد كان المؤتمر مسخراً لمصلحة فرنسا ومطامعها، بينما كان الإنجليز يتطلعون إلى نقمة العرب والحركة الإصلاحية بمزيد من التوجس والحذر فاستغلوا التذمر العربي من الحكم العثماني، كما استغلوا العلاقة المترددة بين الشريف حسين وحكومة الاتحاديين.

فخدعت الشريف حسين بشباكها المعسولة عن طريق ما يسمى بمشروع (الخلافة العربية)، واحتواء الحركة العربية الوليدة، التي ارتبطت بالشريف حسين ابن علي، وأرسلت إليهم ضابط المخابرات لورنس، ليؤجج فيهم روح القومية، رداً على دعاوى القومية الطورانية، ليؤلف ما سمي بالثورة العربية الكبرى، ضد دولة الخلافة، وببساطته تم الأمر في غفلة من المسلمين[2].

* * *

---

(١) تاريخ سورية «نهاية الحكم التركي»، د. علي سلطان، ص١٩٦.

(٢) نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة، ص١١٢، ١١٧، ومذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ص٥٨٠ - ٥٨١.

الفصل الثالث

الخديعة الكبرى

أو ما يسمى

بالثورة العربية الكبرى

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١].

المبحث الأول:

احتضان بريطانيا للحركة العربية

- مراسلات حسين ـ مكماهون.

المبحث الثاني:

الحركة العربية بقيادة الحسين بن علي.

المبحث الثالث:

إعلان الثورة على الدولة العثمانية ضمن التحالف العربي البريطاني.

المبحث الرابع:

قوات الصليبيين الجدد تدخل بيت المقدس ودمشق.

بمساندة القوميين العرب.

المبحث الأول

احتضان بريطانيا للحركة العربية

في عامي (١٩١٥م و ١٩١٦م) أفلحت بريطانيا بمساعي ممثليها في مصر والسودان في اكتساب ثقة الحركة العربية بقيادة شريف مكة: الحسين بن علي، لكنها لم تكتسب تلك الثقة بمعاهدات تلتزم فيها بوعود يمكن إنكارها أو تفسيرها بما يتفق ومصالحها، وهذا ما لم يفطن إليه قادة الحركة العربية آنذاك، لأنهم كانوا يثقون بشرف بريطانيا من ناحية، وكانوا يخوضون معركة ضارية من ناحية أخرى، وهم عزّل ضد جمال باشا، قائد الجيش الرابع في سوريا(١).

● ومن ثم ساعدت سياسة جمال باشا، وفتكه بقيادة الحركة العربية على دفع العرب دفعاً إلى الوقوع في فخ الوعود التي كانت بريطانيا تنثرها ذات اليمين وذات الشمال بين عامي ١٩١٤ - ١٩١٨م(٢).

● **بداية اتصال الإنجليز بالعرب(٣)**: أو بداية التغرير والخديعة

لم يكن الإنجليز بعيدين عن أحداث العرب وعلاقتهم بالترك فقد كان الأمير

---

(١) ينظر: الثورة العربية الكبرى: أمين سعيد، القاهرة ج١/ ص٧٣.

(٢) نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية: ص١٠٩.

(٣) ينظر: جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن: صالح مسعود أبو يصير، دار الفتح، بيروت ١٩٦٩م طبعة ثانية، ص٣٧ - ٤٦، والثورة العربية: أمين سعيد ص٢٧ و ما بعدها.

عبد الله بن الحسين يتردد كثيراً على القاهرة والاسكندرية في روحاته العديدة بين مكة واستانبول، وتقابل مراراً مع بعض موظفي دار المعتمد البريطاني بالقاهرة، الذين زاروه حين نزل ضيفاً على الخديوي، وأحجم عن مبادلتهم الود، وأخبر الممثل العثماني بذلك، ثم تطور هذا الإحجام إلى لقاء أكثر تجاوباً، وحدث أثناء مقابلة تمت في القاهرة في (٥/ فبراير شباط/ ١٩١٤م» مع اللورد كتشنر «المعتمد البريطاني في مصر» أن أفاض الأمير عبد الله في شرح أسباب الجفاء بين والده الشريف حسين والأتراك، وسخط العرب عامة عليهم بسبب الاتجاهات الطورانية الجديدة، وأشار عبد الله أنه من المحتمل إذا عزل الترك والده عن إمارة مكة، أن تندلع الثورة قوية في إقليم الحجاز لنصرة الشريف حسين. . . وأن زعماء العرب يريدون التحرر من الحكم المركزي العثماني الجديد.

● وقد شهد هذه المقابلة (رونالد ستورز) السكرتير الشرقي في دار المعتمد البريطاني.

وقد وجد هذا التلميح العربي استجابة لدى الإنجليز، ومن ثم بدأت بريطانيا الخطوة الأولى لتحطيم العرب والترك على السواء، فسلم (رونالدستورز) بالسفارة البريطانية كتاباً من حكومة بلاده إلى الشريف حسين في مكة، كان ملخصه: «أن بريطانيا تشكر الشريف على خدمته للأماكن المقدسة، وسهره على راحة الحجاج؟!! ثم دسّتْ عبارة مثيرة هامة أنهت بها الرسالة: «وإنها لا تعارض في إرجاع الخلافة إلى العرب»[1].

---

(١) الثورة العربية الكبرى: ج١/ص١٢٧، أمين سعيد، مطبعة الحلبي بمصر.



ولا ريب أن هذه العبارة بقيت تختمر في ذهن الشريف، وتزيدها الأحداث أهمية منذ تاريخ إرسالها في الشهر الثامن من عام ١٩١٤م إلى اليوم الثاني من يونيو حزيران ١٩١٦م، حيث بدأت ثورة مسلحة قوية حطم فيها العرب المسلمون مراكز الأتراك المسلمين وحصونهم[١].

● **تلهُّف بريطانيا على الاتفاق مع الحسين:**

لقد استغلت بريطانيا موضوع جمال باشا السفاح، ومحاولات الحسين لصرفه عن إعدام أحرار العرب الذين أعدموا بين ٢٢ آب ١٩١٥ و ٦ أيار ١٩١٦م.

استغلت بريطانيا تلك الفترة لإغراء الشريف وإعداده نفسياً للثورة وهي تمنّيه بمجد باذخ وملك شامخ... وهي تدرك محاولات الحسين لإصدار عفو شامل، وأن الترك رفضوا هذه الوساطة بصلفٍ وكبرياء[٢].

● وكانت بريطانيا قد أوفدت قبل ذلك مندوباً لاشبهة عليه هو «علي أفندي أصغر» من القاهرة، فحمل رسالة إلى الأمير عبد الله من «رونالدستورز» السكرتير الشرقي لدار الحماية البريطانية، وكانت الرسالة الأولى التي يتساءل فيها (رونالد) هذا باسم وزير الحربية البريطاني «كتشنر» عما إذا كان عبد الله ووالده لا يزالان على رأيهما الأول الخاص بالدفاع عن حقوق العرب، ويعد بأن بريطانيا عازمة على تقديم كل مساعدة للعرب ضد الأتراك، الذين يدخلون

---

(١) جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، صالح مسعود، ص٣٧.

(٢) جهاد شعب فلسطين، ص٤٥، صالح مسعود أبو يصير.



الحرب في زمرة الأعداء.

وعاد المندوب دون جواب، فلم تطق بريطانيا صبراً، وهي المتحرقة على فتح جبهة جديدة هامة ضد الأتراك، ومن مكان كانوا يأمنونه، فلم يمض أسبوعان حتى عاد المندوب من جديد ومعه رسالة موجزة ملحةتصور مبلغ القلق البريطاني، والتلهف على رد الشريف حسين، وكان نصها: «إنّ الفرصة سانحة لكم لتحقيق مطالب العرب، فأنا آسف لترككم كتابي بلا جواب، وآمل الإسراع في إرسال الرد على سؤالي».

ولكن المندوب لم ينل جواباً، وللمرة الثانية عاد من جديد برسالة ثالثة، كان ذلك في تشرين الثاني من عام ١٩١٤م، ومعه رسالة بالمقولة السابقة: «إننا على استعداد لمساعدة شريف مكة في قضيته، وتقديم كل ما يريده من مساعدة»[١].

● وهنا جاء الرد الأول من الشريف حسين وفيه:

«ليس في استطاعتي أن أعمل شيئاً قبل أن أستشير العرب وأسألهم رأيهم».

●● وكان الشريف حسين آنذاك يمر بأزمة نفسية حادة، أزمة الإقدام على قرار خطير، يحارب به دولة ارتبط بها العرب أربعة قرون... فهو ينتظر ويتربص على حذر وبقلق.

ومضت فترة طويلة لم يحفظ فيها التاريخ مراسلات جديدة، ولا ريب أنها

(١) الثورة العربية الكبرى: أمين سعيد، ج١/ ١٢٨.





الفترة التي حاول فيها الحسين أن يتفاهم مع جمال باشا، ومع الاتحاديين في استانبول، وهي الفترة التي قام فيها باتصالاته بإيفاد ولده فيصل، يطلب العفو عن المعتقلين... والظاهر أنه تأكدت لديه نية جمال باشا المتجه إلى القمع والإعدام، ورمى الحسين حينئذ بآخر سهم لديه كان يشده إلى الأمل.. فأرسل أول مذكرة إلى ماكماهون نائب ملك بريطانيا في مصر في ١٤/ تموز/ ١٩١٥م.

وبدأت المراسلات الشهرة بين الطرفين.

- **مراسلات الحسين ـ مكماهون:**

بدأ الشريف حسين رسالته الأولى إلى «السير مكماهون» نائب ملك بريطانيا في مصر في ١٤ تموز ١٩١٥م، ثم تبعتها رسائل أخرى، وكلها خمس رسائل، رد عليها ماكماهون برسائل مماثلة انتهت الأخيرة في ١٠ آذار ١٩١٦م[1].

- ويلاحظ على تلك الرسائل:

١ ـ لغة التبجيل والمبالغة في التعظيم للشريف حسين، فقد كان الإنجليز يداهنون الحسين، ويجارونه في مطامعه وأحلامه، ولكنهم لا يبذلون له وعوداً صريحة ولا يجيبونه إجابة واضحة، ويكتفون بالإحالة إلى رسائل شفوية، يبلغها حامل الرسالة فيما لا يريدون أن يتقيدوا فيه بوعد مكتوب.

٢ ـ وأن إدراك الملك حسين للمسألة العربية كان من وجهة نظر إسلامية

---

(١) ينظر: نماذج من تلك الرسائل في الملاحق آخر الكتاب.



خالصة «خلافاً لأبنائه عبد الله وفيصل»[١].

مما جعل الإنجليز ينصرفون عنه إلى ابنه فيصل، واعتمادهم عليه في زعامة الثورة، حتى أن لورنس سماه «نبيّ الوطنية» فقد كان فيصل يبشر بهذه الوطنية العربية في كل مكان، مذكراً البدو بأمجاد أجدادهم الذين فتحوا الدنيا، وينثر عليهم الذهب الإنجليزي مع خطبه النارية[٢].

٣ ـ تمت جميع المراسلات باللغة العربية وبأسلوب غامض معقد، وكانت المراسلات من الطرفين تترجم إلى لغة الطرف الآخر، وقد أخذ زعماء الحركة الوطنية على الحسين بساطة معالجته للقضية واستئثاره بالموضوع، وعدم تنظيم علاقاته مع الإنجليز بمعاهدة صريحة.

● **وذكر محب الدين الخطيب في مقابلة خاصة** «أن الحسين كتم المراسلات عن مستشاريه، ولما علموا بها طلبوا منه تصديق الاتفاقية في البرلمان البريطاني، فقال: إن الذين اتفقوا معي هي الحكومة نفسها، وكان يشير إلى جيبه ويقول: «وعودهم هنا»[٣].

ورفضت بريطانيا أن تنشر نسخة معتمدة رسمية للنصوص كاملة باللغة الإنجليزية، بحجة أن نشرها يضر بالمصلحة العامة، رغم أن أجزاء منها قد عرف

---

(١) الاتجاهات الوطنية: د. محمد محمد حسين، ج٢/ ١٠٤، وراجع نص الرسائل في: جزيرة العرب في القرن العشرين، حافظ وهبة ص١٧٨ - ١٨٩، طبع مصر، ١٩٣٥م.

(٢) الاتجاهات الوطنية: ج٢/١٠٦، الثورة العربية الكبرى، ج١/٥٢ أمين سعيد.

(٣) الحكومة العربية في دمشق: خيرية قاسمية، ص٢٩.



في الكتب والصحف العربية، ونشرت عام ١٩٣٩م في لندن، وأصبحت قضية هذه المراسلات من أهم الخلاف بين العرب والإنجليز، وخاصة حول فلسطين، إذ لم يثبت أن فلسطين قد نص عليها (صراحة أو ضمناً) في تحفظات مكماهون رغم أن بريطانيا كانت ترى أن فلسطين من ضمن المناطق المستثناه من سوريا، «أي تحكم مباشرة من قبل بريطانيا»(١).

٤ ـ لقد نصَّب الشريف حسين نفسه ممثلاً للعرب في آسيا، وهو لا يملك أصلاً ذلك التخويل، وخاصة أن البلاد كانت تحت الحكم العثماني، كما تعهدت بريطانيا للحسين بخلافة إسلامية، يكون الحسين هو ملكها، فكأن الحكومة البريطانية أصبحت هي صاحبة الحل والعقد في قضية الخلافة وأمور المسلمين؟!

٥ ـ تنازل الحسين عن عدد من القضايا دون ضمانات كافية لوعود بريطانيا من ذلك:

ـ أنه تنازل عن ولايتي اسكندرونة ومرسين والمناطق الشمالية من سوريا.

ـ الموافقة على مصالح فرنسا في ولاية بيروت مؤقتاً لمابعد الحرب؟! وعلى مصالح بريطانيا في (بغداد والبصرة) على أن تدفع تعويضات مناسبة خلال هيمنة بريطانيا عليها.

ـ قبول الشريف حسين بكوادر إدارية ومستشارين من دول الحلفاء لتشكيل

---

(١) ينظر: الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين (١٩١٥ - ١٩٤٦م) القاهرة، الجامعة العربية، إدارة فلسطين ١٩٥٧م ص٣٩ - ٤٢.

هيئة إدارية قومية، يكونون من رجالات الإنجليز خاصة.

- قبول المساعدات المالية والعسكرية والتموينية، مقابل الثورة على الترك(١).

● وكانت فرصة ذهبية للإنجليز، أن يسخّروا العرب في بلاد الشام وقبائل الحجاز، ليقاتلوا عنهم المسلمين من الدولة العثمانية، ثم يكون الغدر بدلاً من الوفاء، حيث كانوا قد اتفقوا مع فرنسا وروسيا على اقتسام الولايات العربية وإعطاء فلسطين هبة لليهود، فيما سمي باتفاقية (سايكس - بيكو)، تم ذلك بسرية تامة عن الشريف حسين والحركة القومية العربية.

● موقف القوميين العرب من مراسلات الحسين - مكماهون ولماذا كتمها الحسين والإنجليز؟!

رغم أن تلك المراسلات جرت قبل إعلان الثورة بأكثر من نصف عام، ولم تبدأ أخبارها بالانتشار بين القوميين إلا بعد اشتعال الثورة.

ذلك أنها أحيطت بستار كثيف من الكتمان، وكانت معلومات زعماء الحركة الوطنية عنها لا تتعدى الخطوط العريضة فيها، دون معرفة تفاصيلها، وكتمها الحسين والإنجليز عن كل الناس(٢).

حتى عن أبنائه أيضاً. أو هكذا قال أبناؤه.

● وكان فيصل يمثل أباه في مؤتمر الصلح في باريس عام ١٩١٩ -

---

(١) ينظر: الخيانة العربية الكبرى، ص٧٣ - ١١٤، أحمد رائف، بإيجاز.

(٢) الهاشميون وقضية فلسطين: أنيس صايغ، ص٥٥ - ٥٦. منشورات المكتبة العصرية وجريدة المحرر عام/ ١٩٦٦م، صيدا وبيروت.



١٩٢٠م، ويشكو من أنه لم يطلع على تلك المراسلات إطلاعاً مباشراً، وقال: بأنه أرسل إلى والده يطلب منه تلك المراسلات أو نسخاً عنها ،ولكن طلبه رفض أكثر من مرة.

● ومات الحسين قبل أن ينشر تلك المكاتبات، وحجته أنه أرفع من أن يفضح الذين خدعوه، وظل نص المراسلات مجهولاً إلى مارس ١٩٣٩م، حينما نشرت الحكومة البريطانية مجموعتها في (كتاب أبيض)، بمناسبة انعقاد المائدة المستديرة في لندن لبحث مستقبل فلسطين.

- وكانت جريدة «الطان» في باريس، قد نشرت ترجمة فرنسية لتلك الرسائل في ١٨/ سبتمبر ١٩١٩م، ثم نشرها جورج أنطونيوس في كتابه: «يقظة العرب» بالأصل الإنجليزي(١).

● ونشر لفيصل مقابلة في جريدة «المفيد» مع رئيس تحريرها، ضمّنه نداء لأبيه يناشده أن يرسل له نسخاً عن تلك المراسلات، التي قال عنها: «ما رأيتها وقد طلبت منه مراراً أن يجعلها سلاحاً لي، إذا كانت موجودة، ولا أعلم ما سبب تأخير إرسالها إلي»(٢).

ونحن كذلك مازلنا نستغرب من الحسين عدم كشفها للملأ أو لأنصاره وأبنائه من قادة الحركة الثورية، رغم غدر الإنلجيز واستغنائهم عن خدماته؟!.

●● وقد أثارت هذه السرية ريبة الكثير من أحرار العرب، وأخذوا

---

(١) الهاشميون وقضية فلسطين: أنيس صايغ، ص٥٥ - ٥٦.

(٢) جريدة المفيد، دمشق، عدد (١٥) شباط ١٩٢٠م.



يتسقطون أخبار المراسلات وتفاصيلها بالتدريج، وصاروا يفقدون الأمل بالحسين مع كل خبر جديد يصل إليهم.

١ ـ أخذوا على الحسين، بساطة معالجته للقضية... فحصر الأمور بنفسه، وأصر على الاستئثار بكل شيء... وكانت ثقته بالإنجليز مطلقة، وبوعودهم كذلك، لمجرد أن وعدوه بالملك والخلافة، وأعطوه مالاً وسلاحاً.

٢ ـ وأخذوا عليه: تحديداته المطاطة للدولة العربية ولا بد أنه فهم من مكاتبات مكماهون، أن فلسطين وسورية جزء أساسي من تلك الدولة... لكن الإنجليز صاغوا تلك الرسائل بمنتهى الخبث، إلا أن سكوته على ذلك الأسلوب المبطن أعطى الإنجليز حجة للتملص من وعودهم، كما زعم ذلك فيما بعد تشرشل أيضاً ١٩٢٢م، ومكماهون في رسالته لجريدة التايمز ١٩٣٧م[١].

٣ ـ وأخذ العرب على الحسين بعد هذا: أنه تنازل عن مناطق عربية كبيرة، تنازل عن عدن في أول رسالة له، وتنازل عن ولاية مرسين كلها في رسالته الثالثة، بعد أن كان يطالب بتحرير جميع الأنحاء السورية، وتنازل في رسالته الرابعة عن جبل لبنان مؤقتاً، وترك مصير العراق لعدل بريطانيا وحكمتها...

● لقد خاض الحسين الحرب إلى جانب بريطانيا، قبل أن يأخذ وعداً صريحاً بأن تكون سوريا والعراق بحدودهما المعروفة جزأين من الدولة العتيدة...

لقد خدعت بريطانيا العرب خديعة كبيرة، فأبرمت اتفاقات معاكسة لاتفاقاتها مع العرب، مع حكومات تطمع بأراضي العرب كطمع بريطانيا

(١) ينظر: الهاشميون وقضية فلسطين ص٥٧.



نفسها . . . فلم يطمع الإنجليز والفرنسيون بجزء من الوطن العربي، بل طمعوا به كله، ومن ثم تقاسموه كله، وقرروا أن يمارسوا درجات مختلفة من السلطة السياسية فوق البلاد العربية الآسيوية كلها باستثناء الحجاز.

* * *

المبحث الثاني

الحركة العربية بقيادة الحسين بن علي

كان قد تم الاتفاق رسمياً بين جمعيتي العهد والفتاة في دمشق أوائل ١٩١٥م، حيث تعاونتا على ضم القوميين العرب على أهداف واحدة.

وتم تعزيز قوتهما بأعضاء يمتازون بسلطة قبلية فعالة كالشيخ نوري الشعلان، زعيم قبيلة «الرّولا» الكبيرة في بادية سوريا، والشيخ فواز الفايز، شيخ قبيلة بني صخر، ونسيب الأطرش أحد زعماء الدروز في الجبل، كما ضموا الفريق المتقاعد علي رضا باشا الركابي[١].

● وبذلك انتقل العمل القومي من المرحلة الثانية النظرية إلى المرحلة الواقعية والسياسية، وبذلك خسر هذا الاتجاه القومي نقاءه المثالي، كي يتلقى كثيراً من شوائب السياسة الواقعية، كالتعاون مع المتلوّن (نوري الشّعلان) الذي سلم بعض القادة العرب إلى جمال باشا حيث أعدمهم، أوالتعامل مع الإنجليز والفرنسيين، أو الرضوخ إلى اتجاهاتهم السياسية الاستعمارية...

● وزاد من قوة القوميين أن معظم الفرق العثمانية التي كانت في سوريا، كانت تتألف من جنود عرب وضباط عرب، وكثير منهم كان ينتسب إلى جمعية العهد، وكان بإمكانهم إحداث ثورة ضد الأتراك، وتسلم الحكم في سوريا،

---

(١) أنطونيوس ص٢٣٧، وسليمان موسى: الحركة العربية، ص١٢٥.



وهذا ما خططوا له بالفعل، وأرادوا استغلال الإنزال البريطاني في اسكندرون كي ينفذوا الخطة[١].

لكن الخطة لم تنفذ لأن فرنسا رفضت ذلك، حتى لا تضع بريطانيا يدها وحدها على سوريا، ولأن معظم هؤلاء الضباط كانوا من الضباط الصغار، وتنقصهم القيادة العسكرية والسياسية، ولذا كانوا يفتشون على زعامة عربية قومية تستطيع أن تقف في وجه الأتراك والحلفاء الذين شاعت أخبار تآمرهم لاستعمار سوريا والبلاد العربية، لكن ذلك لم يمنعهم من التعاون العسكري مع بريطانيا كي يصلوا لأهدافهم، وتم هذا في شباط عام ١٩١٥م[٢].

●● وكانت قيادة الفتاة والعهد تعملان على الاتصال بالزعامات المحلية في سوريا والعراق وغيرهما، وتبحثان عن قائد سياسي معروف يستطيع دعم الحركة العربية بشكل قوي، وكان الحسين في تلك الفترة، يعتبر من أهم وأكبر الزعماء العرب...

فاستغل الوطنيون العرب في سوريا فرصة سفر أحد أعضاء جمعية الفتاة وهو «فوزي البكرى» من دمشق إلى مكة المكرمة، وجرى التنسيق مع الشريف حسين[٣].

● هذا ولا شك أن لمواقف الفتاة من الحسين أكبر الأثر في دفع الحسين حتى

---

(١) سياتي تفصيل هذا الموضوع ومعارضة فرنسا له.

(٢) وثائق الخارجية البريطانية، نقلاً عن تاريخ سوريةد. علي سلطان، ص٤٢٢ - ٤٢٣.

(٣) مذكراتي عن الثورة العربية: فائز الغصين، ص٢٠٣، طبع دمشق، ١٩٥٦م، وجورج أنطونيوس، ص٢٣٢، ٢٣٣.



النهاية ضد الاتحاديين.

وبعد أن تأكد للحسين نيات الاتحاديين السيئة ضده عندما عثر رجاله على أوراق تخص الوالي وهيب باشا، وفيها أوراق سرية ضد الحسين، عندها قرر الاتصال بالقوميين في دمشق وأوفد ابنه فيصلاً لذلك الأمر[1].

● **فيصل بن الحسين في دمشق:**[2]

وصل فيصل إلى دمشق في ٢٦ / آذار / ١٩١٥م، ومكث فيها شهراً ونزل ضيفاً عند آل البكري في القابون قرب دمشق، وكان يستقبل رجال الحركة الوطنية آخر الليل، بعدما تنتهي زيارة الناس العاديين ثم دخل فيصل في جمعية (العربية الفتاة) (وجمعية العهد) العسكرية، وكان مسروراً من أن القوات العسكرية العثمانية في سورية كانت في غالبها من العرب ضباطاً وجنوداً... وإنْ كانت هذه الحركة ما تزال تميل إلى التعاون مع الأتراك..[3].

● ثم سافر فيصل إلى استانبول وعرض شكوى والده على كبار المسؤولين: سعيد حليم (الصدر الأعظم) وطلعت وزير الداخلية، وأنور وزير الحربية، حيث استقبلوه بحفاوة بالغة وطمأنوه على وضع والده.

وعاد إلى دمشق، فاستقبله جمال (باشا) بحفاوة أيضاً، وبقي في ضيافته عدة أيام في القدس، حيث كان يحمل لأبيه الأماني الطيبة، وخمسة آلاف ليرة

---

(١) تاريخ سورية، نهاية الحكم التركي، د. علي سلطان، ص٤٢٥.

(٢) ينظر المرجع السابق: (ص٤٢٥ – ٤٣٠).

(٣) يقظة العرب: جورج أنطونيوس (ص٢٣٦ – ٢٤٢) مذكرات الغصين: (ص٢٠٤).



ذهبية من الحكومة التركية لينفقها على متطوعي الحجاز في حملة السويس الثانية[1].

● **موافقة الحسين على ميثاق جمعيتي الفتاة والعهد :**

عاد فيصل إلي دمشق ليجد أن قيادتي « الفتاة والعهد »، قد اتخذتا قراراً سياسياً هاماً خلال غيابه، وفيه :

ـ قطع العلاقات ما بين العرب والترك، مع وجوب استقلال البلاد العربية .

ـ وفيه شروطهم لعقد اتفاق مع بريطانيا للدخول معها في الحرب، وطلبوا منه أن يقدم الميثاق إلى والده، ليعمل بموجبه في اتفاقاته مع بريطانيا .

● **ومن بنود هذا الميثاق :**

١ ـ اعتراف بريطانيا العظمى باستقلال البلاد العربية الواقعة ضمن الحدود التالية :

ـ شمالاً : خطر مرسين ـ أضنة . . . إلى حدود إيران .

ـ شرقاً : حدود إيران إلى خليج العرب .

ـ جنوباً : المحيط الهندي باستثناء مدينة عدن ؟ ! . .

ـ غرباً : امتداد البحر الأحمر، ثم الأبيض المتوسط إلى مرسين .

٢ ـ إلغاء جميع الامتيازات الأجنبية . . . .

---

(١) يقظة العرب : أنطونيوس ص٢٤٢، والحركة العربية، سليمان موسى، ص٢٣١ .



٣ ـ عقد معاهدة دفاعية بين بريطانيا والدولة العربية المستقلة.

٤ ـ تقديم بريطانيا وتفضيلها على غيرها من الدول في المشروعات الاقتصادية[١].

●● لقد كان هذا الميثاق أساساً لمفاوضات الحسين مع الإنجليز، وكان ذا أهمية خاصة، لأنه بني على إيجاد دولة عربية كبيرة في آسيا، وليس دولة سورية فقط، وهذا ما سوف يصبح مصدر نزاع ثم تنازلات عن هذا الحلم العربي[٢].

● ولم يغادر فيصل دمشق إلا وقد دخل عن طريقه في جمعية الفتاة كثير من زعماء الدروز وحوران والبدو...

وفعلاً فإن فيصلاً قد أخصب تلك الحركة القومية، ودفع بها إلى ميدان الحركة والثورة، وتبرع بألف ليرة ذهبية، مما أتى به من استانبول لجمعية الفتاة ثم سافر ليقابل والده في مكة، وشرح له موافقته على ميثاق دمشق لإشعال الثورة العربية[٣].

● **مظالم وإرهاب جمال باشا يؤججان نيران الثورة:**

وقد فوجيء فيصل عند عودته إلى دمشق بانقلاب الأمور رأساً على عقب خلال غيابه عن سوريا.

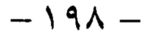
ـ فقد نقل جمال باشا كل الفرق العربية من سورية، كما نقل معظم الضباط

---

(١) يقظة العرب: أنطونيوس ص٢٤٣.

(٢) تاريخ سورية ـ نهاية الحكم التركي ـ د. علي سلطان، ص٤٤٨.

(٣) مذكرات الغصين: (ص٣٩، ٢٠٦) أمين سعيد: الثورة العربية الكبرى، ج١/ ٢٦ - ٢٧.





العرب إلى جبهات القتال البعيدة .

ـ واعتقل معظم قادة الفتاة والعهد ثم أعدمهم .

ـ كما ملأ السجون بأعداد أخرى من أولئك القادة، ونفى من سورية معظم الشخصيات التي لها تأثير في سورية، حتى يمنع أي تحرك أو ثورة ضد تركيا .

● وبدأ فيصل يرسل إلى والده رسائل يقول فيها :

« إن أهل الشام في ضيق ويأس عظيم من الحالة الحاضرة » .

● وأرسل نسيب البكري من المدينة في ٩ / آذار/ ١٩١٦م رسالة إلى الحسين يشرح له فيها أهمية فيصل بالنسبة للحركة القومية، ووجوب بقائه على رأسها في دمشق، ويقول نسيب أيضاً : « بأنه تذاكر مع علي بن الحسين عن وجوب إنزال قوة بريطانية في الساحل السوري، لقطع خط الرجعة في ساحل اسكندرون على أن يتم ذلك قبل بدء الثورة بشهر واحد على الأقل »[١] .

● وأرسل الحسين بن علي برقيات عدة للصدر الأعظم يطلب فيها :

ـ إعلان عفو عام عن المتهمين السياسيين في سوريا .

ـ إعطاء حكم لا مركزي لسوريا والعراق .

ـ جعل إمارة مكة وراثية في أحفاده .

● فإذا تم ذلك أرسل المجاهدين للحرب في فلسطين والعراق مع الدولة العثمانية، وإلا فسوف يكتفي لها بالدعاء والنصر، وأجابه الصدر الأعظم وأنور

---

(١) الثورة العربية : سليمان موسى، (ص٤٨ – ٥١) .



باشا بالرفض، وأن المتهمين سينالون عقابهم[١] .

● ثم أرسل جمال باشا للحسين برقية فيها تهديد ووعيد، ومن ثم يجب أن يقف مع الدولة في الحرب، واستدعى ابنه فيصلاً، وأطلعه على ما يدور بينه وبين والده.

●● كما كرر الحسين طلبه إلى (مكماهون) بسرعة التدخل إلا أن الإنجليز لم يكونوا جادين بإنزال عسكري في سوريا حتى لا يدخلوا في صراع مع الفرنسيين، وحتى لا تنشأ دولة عربية قوية، ستكون مصدر خطر عليهم وعلى حلفائهم، أطراف اتفاقية سايكس ـ بيكو[٢] .

وكانت غاية الإنجليز من ثورة الحسين، هي تعطيل الجهاد الإسلامي الذي أعلنه الأتراك باسم السلطان في استانبول . . .

كما علل مكماهون للحسين صعوبة الإنزال العسكري في سوريا لأن ذلك خاضع لقرارات مجلس الحلفاء الأعلى[٣] .

● وكان شهر أيار ١٩١٦م موعداً حاسماً رهيباً تجاه الدفعة الثانية من المعتقلين لدى جمال باشا . . إذ رفض فيه السفاح جميع التماسات الحسين وابنه فيصل.

---

(١) مذكرات الملك عبد الله ص١٤٧، ومذكرات أحمد قدري: (ص٤٧ – ٤٨)، وتاريخ سورية: علي سلطان، ص٤٣٦ .

(٢) سوف يأتي تفصيل الاتفاقيات الغادرة هذه في الفصول القادمة.

(٣) تاريخ سورية (نهاية الحكم التركي)، د. علي سلطان، ص٤٣٨ – ٤٤٠ .



●● وعندما بلغ الفيصل إعدام هذه الدفعة قفز واقفاً وألقى (كوفيته) من على رأسه، وقذف بها على الأرض، وداسها بعنف وصاح: « طاب الموت ياعرب »!.

ثم سافر إلى المدينة، وهنالك تسلم من المحافظ التركي (١٨ ألف) بندقية، وعشرين ألف ليرة ذهبية، بعد أن تأكد المحافظ من أن كتائب المجاهدين ستسافر إلى درعا في سورية خلال يومين.

وتغير الأمر، وأعطى الحسين الأوامر للكتائب بالتوجه إلى مكة المكرمة لبدء الثورة، وأبرق فيصل لجمال باشا يعلمه بذلك[١].

●● « وبذلك فإن الحسين رغم اللقب « الشريف » وما يعنيه من الناحية الدينية، ورغم خلفية الشريف العثمانية، ومفاهيمه « الرجعية » التي ظل يتشبث بها حتى منفاه إلى قبرص، إلا أن الرجل نصب ـ رغم أنفه ـ قائداً للقومية العربية »، « ورمزاً للحركة التي أرادت فصل الدين عن تلك القومية، وهو الذي قاد ثورة العرب المتعاونين مع الغرب النصراني ضد الخلافة العثمانية المسلحة »[٢].

* * *

---

(١) تاريخ سورية (نهاية الحكم التركي)، د. علي سلطان، ص٤٣٨ - ٤٤٠.

(٢) السعوديون والحل الإسلامي: محمد جلال كشك، ص٤٧٢، ط٤/ ١٤٠٤ - ١٩٨٤، المطبعة الفنية القاهرة.

المبحث الثالث

إعلان الثورة على الدولة العثمانية

ضمن التحالف العربي البريطاني

عندما انتهت مكاتبات مكماهون كان الشريف حسين يحلم بملك عريض وامبراطورية عربية وخلافة إسلامية، وفي صباح الثاني من حزيران ١٩١٦م، أطلق الرصاص على القلعة التركية بمكة، وكان ذلك إيذاناً ببدء صراع مرير لم تنته آثاره حتى الآن.

لقد استطاعت حيلة بريطانيا «التي فاوضت الشريف حسين» أن تجعله وأبناءه محاربين في صف الإنجليز والفرنسين، وأن تدفعه ليقاتل جنود الدولة الكبرى، التي كان العرب يسعون للإصلاح فيها، ولا يهدفون إلى تحطيمها[١].

● **وعندها أعلن الشريف حسين بياناً ألقته الطائرات الإنجليزية على الجيش العثماني، وتحمل توقيع شريف مكة وملك البلاد العربية؟!** ومن هذا البيان: «سمعنا بمزيد الأسف أنكم تحاربوننا، نحن الذين نجاهد في سبيل المحافظة على أحكام الدين الإسلامي من التغيير، ولتحرير العرب قاطبة من حكم الأتراك. نحن نعتقد أن الحقيقة الخالصة لم تصل إليكم، لذلك أرسلنا لكم هذا

---

(١) جهاد شعب فلسطين: صالح مسعود أبو يصير، ص٥٣.

الإشعار ممهوراً بمهرنا، نؤكد لكم أننا نحارب لأجل: حفظ الدين وحرية العرب عامة.

«ولقد عدد الحسين في بيانه الأسباب التي قادته للثورة ضد الاتحاديين كالظلم، ومحاربتهم للإسلام والعروبة، وإعدامهم لقادة العرب ومحاربة الإسلام واللغة العربية»(١).

● والتحق ضابط المخابرات العسكرية (لورانس) بالثورة في تشرين الثاني ١٩١٦م، وعمل كمستشار لفيصل الذي تولى قيادة أحد جيوش الثورة الثلاثة إلى جانب أخويه عبد الله وعلي، وعرف جيشه باسم الجيش الشمالي، وكان أكثر جيوش الثورة فعالية(٢).

● ثم تكاتب فيصل ولورانس مع شيوخ قبائل البدو في الشام، فلباهما: الشيخ نوري الشعلان شيخ قبيلة الرولة، والشيخ عودة أبو تايه شيخ قبيلة الحويطات، ودفع لورانس لكل منهما «ستة آلاف جنيه إنجليزي ذهباً» كسلفة، ثم بلغت (٢٥ ألف دينار) وذلك مما جعل تلك القبائل البدوية بيد لورانس.

وأخذ الأصفر الرنان يبهر ضعاف النفوس، وخاصة رجال البدو الذين لم يألفوا هذا الذهب من قبل، فراحوا يلتفون حول لورانس الذي أدخل بعضهم في فصائل جيش الحجاز، وصار ينقد كل واحد جنيهين ذهباً كل شهر(٣).

---

(١) الثورة العربية الكبرى: أمين سعيد، ص١٠٣ - ١٠٥، ومرآة الشام: عبد العزيز العظمة، ص٢٣٠.

(٢) الحكومة العربية في دمشق: خيرية قاسمية، ص٣٢، مرآة الشام: عبد العزيز العظمة، ص٢٣١.

(٣) الاتجاهات الوطنية: د. محمد محمد حسين، ص٣١ ومابعدها، وجزيرة العرب في القرن العشرين: حافظ وهبة، ص٢١١ - ٢١٧.



●● ثم أخذ الضباط العرب ممن كانوا أسرى، أو كانوا في خدمة الجيش التركي ينضمون إلى جيش الحجاز، وكان لجمعية العهد اليد الطولى في التحاق ضباط العرب بالجيش العربي...

وهذا الجيش هو الذي قاتل العثمانيين في الشام، وساعده وكان ينهال عليه من أموال الإنجليز، التي استمال فيها ملكُ الحجاز والقادةُ الأربعة أولاد الحسين العربان في الشام والحجاز، وقدر بعضهم عدد مَنْ انضم من البدو إلى الجيش العربي ما يناهز المائة ألف، والعسكر النظامي لا يتجاوز الخمسة آلاف[١].

● وكان رجال البدو الذين انضموا إلى هذا الجيش كثيري التردد على أهلهم، يحاولون في ذهابهم وإيابهم أن يخدموا الطرفين حيث يقبضون العطايا التي يقدمها لهم جمال باشا على أمل بقائهم على الطاعة، ثم يعودون ويأخذون رواتبهم من الإنجليز أيضاً.

● أما بعض المتشردين من الموارنة اللبنانيين الذي خدموا في بعض الكتائب الفرنسية، فقد كانت لهم وظائف خاصة كالتجسس والترجمة، وغير ذلك من الخدمات، رغم أنهم كانوا قلة كما أن بعض النصارى المهاجرين، كانوا قد خدموا تحت راية الجيش الأمريكي طمعاً في المال[٢].

* * *

● إن الثورة العربية قد غيّرت مجرى الحرب ضد الأتراك فعندما أعلن

---

(١) خطط الشام: محمد كردعلي، ج٣/ ١٤٠.

(٢) مرآة الشام: عبد العزيز العظمة، ص٢٣١ - ٢٣٢.



الشريف حسين ثورته (وحربه) ضد الأتراك كانت الريح والدولة مع جيش الخلافة، وكان الحلفاء في وضع سيء من الناحية العسكرية، وكانت جيوش الحلفاء تستسلم للأتراك عند كوت العمارة في ٢٦ / نيسان/ ١٩١٦م، وكان الحلفاء غير قادرين على مواجهة قوات العثمانيين عند قناة السويس واليمن، وذلك ما حدا بالإنجليز للضغط على الشريف حسين لإعلان الثورة حتى يحدث تخفيفاً على القوت الإنجليزية في جبهة القتال، وفعلاً أدى إعلان الثورة إلى رحجان كفة الحلفاء وبدأت الحاميات التركية في الاستسلام بعد أن حوصرت، واستعمل رجال الجيش معها حرب العصابات[١] .

استنكار إسلامي لما فعله الشريف حسين:

● وقد كتب شكيب أرسلان إلى الحسين بن علي ينهاه عن الإغارة مع الإنجليز على سوريا فقال:

« أتقاتل العرب بالعرب أيها الأمير؟! حتى تكون ثمرة دماء قاتلهم ومقتولهم استيلاء إنجلترا على جزيرة العرب، وفرنسا على سورية واليهود على فلسطين »[٢] .

● وقال محمد أسد في كتابه: « الطريق إلى مكة »:

« وكان الرأي العام الإسلامي غير راض عن الدور الذي لعبه الأشراف في الثورة التي قام بها الشريف حسين بوحي من الإنجليز ضد الأتراك، واعتبروها

---

(١) الخيانة العربية الكبرى: أحمد رائف، ص٦٣ - ٦٤، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٩٢م.

(٢) مجلة المنار: م٢٥، ج٩، ٧١٣.

خيانة من قبل المسلمين لإخوانهم في الدين. أما العرب في أفريقيا والمحميات، فكانوا مع الأتراك بعواطفهم نكاية في محتليهم الإنجليز والفرنسيين.. فقد رأوا في موقف الحسين عمالةً للمستعمرين... ومسلمو مصر والسودان، لم تكن لديهم عُقَد خاصة تجعلهم يفضلون الاستعمار البريطاني أو الفرنسي على الأتراك».

●● وكان من المستحيل على هؤلاء العرب الانضمام لثورة يقودها الإنجليز والفرنسيون، وتنفق عليه بريطانيا أكثر من مليوني جنيه لتحرير العرب[١]!

فصائل الجيش العربي تنطلق نحو دمشق:

قاد أبناء الحسين فصائل الجيش العربي ليحاربوا الأتراك، بدءاً من مكة والطائف والمدينة النبوية.

فهاجم الأمير علي مع ستة آلاف مقاتل محطة (المحيط) ثم (الحسا) واشتبك مع فخري باشا (قائد حامية المدينة) في صراع دامٍ استمر طويلاً.

واختص فيصل بطريق المدينة فتولاه بجيشه العربي متجهاً نحو العقبة والوجه...

أما عبد الله بن الحسين، فقد كان يقيم قرب الطائف التي يوجد بها الوالي التركي ـ غالب باشا ـ وكان الجدل عنيفاً بين هذا الوالي وحاشيته التي كانت تصر على اعتقال عبد الله.

---

(١) الطريق إلى مكة: محمد أسد، والخيانة العربية الكبرى، ص٦٦.



● وفي يوم الجمعة ٩ / حزيران ١٩١٦م، أعلن عبد الله أنه سيذهب بعد صلاة الجمعة لتأديب إحدى القبائل «العاصية» وطبقاً للتقاليد آنذاك ذهب إلى لقاء الوالي ووداعه، واخترق المعسكر التركي، فاصطف الجنود والضباط الأتراك لتحية الأمير الهاشمي، ثم خرج الوالي لوداعه أمام ضباطه وجنوده، وتذكر الوالي ما كان يسمع من أن عبد الله ينوي مهاجمة الجيش التركي، وظن أنه من ينوي المهاجمة لا يمكن أن يأتي للوداع وبروح كلها ود واستئذان، تذكر الوالي كل هذا فعانق الأمير عبد الله أمام الجنود والضباط، وتفاعلت في أحاسيسه روح الأخوة الإسلامية فبكى بكاءً مراً وهو مازال يعانق الأمير العربي، وكان مشهداً مؤثراً[1].

● وحين وصل الأمير خارج الطائف بادر مسرعاً بتقطيع الأسلاك البرقية والتليفونية، ثم هاجم الأتراك في نفس الثكنة (القشلاق) الذي ودع فيها الوالي، وتبادل معه التحية والعناق[2]. واستمر مسلسل المآسي الدامية، بالقتل والنهب والتخريب منذ أن انطلقت الشرارة الأولى بجوار بيت الله، ومطاردة الجيش العثماني في الصحراء العربية حتى أراضي الأناضول.. وكان الغدر، وكانت المكيدة ضد الترك وضد العرب أنفسهم.. وضد المسلمين جميعاً.

● كان الأمير فيصل (وينظر إليه) كقائد عربي، يتلقى الأوامر من الجنرال اللنبي، وقد لقبه بقائد الجيوش الشمالية

وجاء في نشرة وزارة الحربية البريطانية في آب ١٩١٧م، أنّ خطة العرب في

---

(١) الثورة العربية الكبرى: أمين سعيد، ج١/ ١٤٦.

(٢) جهاد شعب فلسطين: صالح مسعود أبو يصير، ص٥٤.



بدء نهضتهم خطة حسنة، تحوي حذقاً وحزماً ودهاء(؟!)، فقد خرّبوا قسماً من السكة الحديدية، واستولوا على مراكز الأتراك... خَرّبوا من أول شهر أيار إلى التاسع عشر منه، خمسة وعشرين جسراً[١].

● لقد كان الإنجليز يستخدمون الثورة العربية وجيش الشمال خاصة، لخدمة أهدافهم العسكرية في محاربة الأتراك، وقطع السكك الحديدية... وكان في جيش فيصل بعض ضباط الإنجليز منهم: كلوب ولورنس ومفرزة من الجيش الفرنسي.

● وكان لورنس ضابط مخابرات بريطاني، ولإلمامه باللغة العربية أوفدته بريطانيا إلى الحجاز في تشرين الأول ١٩١٦م وانضم إلى جيش فيصل كضابط مخابرات ومفرقعات... وأظهر نفسه بمظهر البطل الذي يحرك العرب، وكتب كتابيه: «ثورة الصحراء» وأعمدة الحكمة السبعة»، ويظهر أن لورانس كان بهلوانياً كذاباً مدعياً من طراز فريد.

● وكان مستشار الأمير العربي متعاطفاً مع الحركة الصهيونية، آزرها ما بين «١٩١٨م - ١٩٢٢م» منذ أن اجتمع بوايزمن لأول مرة ١٩١٨م، وحمل فيصلاً على الاجتماع بوايزمن في العقبة، وبارك مساعي التفاهم بينهما، وحجته أن وعد بلفور لا يناقض عهود مكماهون للجيش.

كما لعب لورنس دوراً خاصاً في اجتماعات فيصل والصهاينة في لندن وباريس، وكان قد قال للصحفيين بأنه يعتبر اليهود النقلة الطبيعيين للخميرة

---

(١) خطط الشام: محمد كردعلي، ج٣/١٤٩.



العربية الضرورية لدول الشرق الأدنى.

وكان وايزمان قد قال عن لورنس: «لقد وجدت عنده تفهماً عاطفياً لمطالبة اليهود بفلسطين»[١]، وخرجت الحملة التي شكلها فيصل لاحتلال العقبة في ٩ آيار ١٩١٧م، وعين عمه الشريف «ناصر» لقيادتها، ثم احتل العقبة، وما بعدها إلى عمان... وقد أصبح هذا الجيش تحت إمرة قوات الحلفاء، وقائدها الأعلى الجنرال اللنبي.

وفي جنوب فلسطين، استعان الإنجليز بنفوذ الحسين وفيصل على العرب في فلسطين، كي لا يحاربوا في صف الأتراك[٢].

وباقتراب صيف ١٩١٨م، أصبحت معظم القوات الموجودة في جيش فيصل من السوريين، الذين صاروا يحاربون في بلادهم.

وأخذت القوات البريطانية القادمة من جبال الجليل بفلسطين، والقوات العربية الزاحفة نحو الشمال، تزحف كلها في خطين متوازيين في عملية سباق نحو دمشق[٣].

● وخلال فترة الحرب هذه، ظهرت فضائح الاتفاقيات السرية، سايكس بيكو، ووعد بلفور[٤].

---

(١) الهاشميون وقضية فلسطين: أنيس صايغ ص٨٣ - ٨٤ وتاريخ سورية، نهاية الحكم التركي، ص٤٤٥ - ٤٤٩.

(٢) الهاشميون وقضية فلسطين: أنيس صايغ ص٨٣ - ٨٤ وتاريخ سورية، نهاية الحكم التركي، ص٤٤٥ - ٤٤٩.

(٣) الحكومة العربية في دمشق: خيرية قاسمية، ص٣٢.

(٤) سيأتي تفصيل ذلك في الفصل القادم.



وقع أنباء سايكس بيكو على الجيش العربي:

● لقد ظهرت أنباء سايكس بيكو الغادرة بتقسيم البلاد العربية بين الحلفاء عن طريق الحكومة الشيوعية في روسيا في ٨ تشرين الثاني ١٩١٧م.

وعن طريق جمال باشا الذي أرسل رسالتين إلى الأميرين عبد الله وفيصل، وثالثة إلي القائد العسكري الكبير في جيش فيصل بن الحسين «جعفر العسكري» فقد ذكره ببطولاته القديمة وحربه ضد الإنجليز بمصر.. وأعلم فيصل والده بتلك الأنباء، فأنكر ذلك، ورفض أن يغير موقفه.

● أما جعفر العسكري فقد أدت الرسالة إليه إلى محاولة لتمرد الجيش العربي على قيادته بعد أن نشرت أنباء الاتفاقية الغادرة ووعد بلفور في أسبوع واحد من شهر تشرين الثاني ١٩١٧م[١].

● كما رفض الضابط: ياسين الهاشمي، قائد الفرقة «٢٠» بفلسطين، أن يترك واجبه العسكري مع الجيش العثماني في تلك الظروف الصعبة، وقال: «إن ا لإنجليز غير مخلصين لفيصل ولا لوالده، وذكر اتفاقية (سايكس - بيكو)، ووعد بلفور... ورغم ذلك كله:

فقد نقلت العربية الفتاة مركز قيادتها إلى معسكر فيصل في الأردن ليزحفوا جميعاً نحو دمشق...[٢]. كما رفض الضباط العرب الاستمرار في الحرب إلى جانب الإنجليز لأنهم أحسوا بأنهم لم يحاربوا ليستبدلوا الأتراك بالإنجليز والفرنسيين لاقتسام بلادهم، وخرجوا على أوامر فيصل، الذي أرسل إلى والده

---

(١) جريدة القبلة بمكة المكرمة، العدد ٦٩٦، حزيران، ١٩٢٣م.

(٢) ينظر: مذكرات أحمد قدري، ص٦٤ - ٦٥، وأمين سعيد: أسرار الثورة العربية، ص٢٥٨ - ٢٦٠.



يطلب منه أن تقدم بريطانيا تأكيدات بأنها ستنفذ عهودها الأساسية له.

فأجابه أبوه في ١١/١/١٩١٨م، يعلمه بثقته بالحلفاء وأنهم لن يُخلّوا بحرف من مقرراتهم معه، وليس بينه وبين الترك إلا السيْف(١).

● وتكرر العصيان عند بعض الضباط العرب ضد قيادة الحلفاء واشتد هياجهم قبل الوصول إلى دمشق، مما اضطر الميجر (يونغ) أن يعتذر لهم ويطيب خاطرهم وذلك في أيلول ١٩١٨م وسَوَّى الأمر معهم، وانتهت الانتفاضة كذلك(٢).

● واستمر فيصل وجيشه في الإعداد لدخول دمشق، فاتصل بقيادة العربية الفتاة في سوريا، وقادة عشائر الشام، وأرسل الكتب إلى قيادات الدروز وضباط جمعية العهد في الجيش العثماني للانضمام إليه...

وكانت العشائر المسيطرة على البادية مهمة بالنسبة للعمل العسكري، وكانت بريطانيا قد خصصت لمفوضها بمصر مبلغ «٢٨ ألف ليرة إنجليزية» توزع على نوري الشعلان وبني شاكر والدروز في حوران وبقية مشايخ القبائل(٣).

●● وبذلك أكمل الإنجليز حلقات التآمر، والوعود الكاذبة والاتفاقيات الغادرة، والأموال الطائلة، وإراقة الدماء المسلمة البريئة، لقد غاب عن القوميين العرب قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾. [البقرة: ١٢٠].

---

(١) عن وثائق الخارجية البريطانية، نقلاً عن تاريخ سورية، د. علي سلطان، ص٤٦٥.

(٢) أسرار الثورة العربية: أمين سعيد، ص٢٢٠، طبع القاهرة، وصبحي العمري: لورنس كما عرفته، ص٥٨، طبع بيروت، ١٩٦٩م.

(٣) تاريخ سورية «نهاية العهد التركي»، ٤٨٩، والثورة العربية: أمين السعيد، ج١/٢٣٨.



المبحث الرابع

قوات الصليبيين الجدد تدخل بيت المقدس ودمشق بمساندة القوميين العرب

استمرت الجيوش الغازية تزحف نحو المدن الشامية، بمساندة قوات الثورة المخدوعة...

فحاصرت القدس، ودافع عنها العثمانيون دفاعاً مجيداً، وسقطت المدينة المقدسة بأيدي القوات الصليبية في ٩/١٢/١٩١٧م.

● وبقي أمر دخولها سراً عدة أيام، ودخل (بيكو) القائد الفرنسي إلى جانب اللنبي مع البعثات العسكرية الفرنسية والإيطالية، وكان الاحتفال بسيطاً لم يدم أكثر من نصف ساعة[١].

كان دخول قوات أوربية نصرانية أمراً حساساً ومذهلاً للمسلمين، إذ لأول مرة بعد انتهاء الحروب الصليبية تدخل هذه القوات، وبمباركة قومية هذه المرة.

●● لقد فرح النصارى فرحاً ظاهراً: فقرعت أجراس الكنائس بسقوط

---

(١) تاريخ سورية «نهاية الحكم التركي» ص٤٩٤ – ٤٩٦.



القدس، حتى الكنائس الألمانية فعلت ذلك، رغم أن ألمانيا قد خسرت الحرب سياسياً، إلا أن هذا كان يغريها دينياً لعودة الأرض المقدسة إلى النصارى[١].

فقد بلغ من تجلي معنى الصليبية، أن أجراس الكنائس في برلين قد دقها حراسها يوم دخول اللنبي القدس[٢].

● وكان البابا قد دعا أتباعه في العالم بأسره أن يقدموا الشكر لله بمناسبة احتلال القدس، وينهاهم عن السعي لإعادتها إلى تركيا[٣].

●● حتى الجنرال اللنبي نفسه، عندما دخلت جيوش الإنجليز المدينة، ترجل ماشياً إلى قلب المدينة، وقال عندما أشرف على كنيسة القيامة: «**اليوم انتهت الحروب الصليبية**»[٤]، لقد كان اللنبي يمثل التحالف الصليبي الصهيوني ضد المسلمين في فلسطين خاصة.

● قالت الكاتبة اليهودية «بربارة توخمان» في كتابها: «التوراة والسيف»: «وهكذا دخل الجنرال اللنبي إلى القدس فنجح من حيث كان ريتشارد قلب الأسد قد أخفق، ولولا ذلك الانتصار لما كانت إعادة إسرائيل إلى أرض الميعاد قد أصبحت حقيقة واقعة»[٥]

---

(١) خطط الشام: محمد كردعلي، ج٣/١٤٦.

(٢) من بيانات الأمير شكيب أرسلان، الذي كان يقيم في برلين عام ١٩١٧ - ١٩١٨م «عن جهاد شعب فلسطين: صالح مسعود أبو يصير ص٦٥».

(٣) مجلة الكواكب القاهرية، العدد ٧٤، في ٢٥ ديسمبر ١٩١٧م.

(٤) جهاد شعب فلسطين، ص٦٥، ومجلة الهلال ١٩١٧م.

(٥) العالم الإسلامي، أنور الجندي، ص٤١٩.



التوجه نحو دمشق:

استمر زحف قوات الجيش العربي بقيادة فيصل بن الحسين نحو الشمال، حتى اجتاز الأردن، وسقطت منطقة حوران في ٢٨ أيلول ودخلت القوات النظامية درعا، وانضم إليها أعداد كبيرة من سوريا، من البدو والدروز والحوارنة، وتم للجيش العربي الاستيلاء على درعا ودمشق، وحصلت مذابح كثيرة بين سكان قرى حوران، وصفوف الأتراك المنسحبين بفوضى وسرعة. ودخلت قوات الجيش العربي دمشق في ٣٠ أيلول ١٩١٨م ورفع العلم العربي على دار الحكومة، ثم نزل الأمير فيصل في دار آل البارودي بدمشق، وهناك شرع بتأسيس الحكومة العربية في الثالث من تشرين الأول ١٩١٨م.

كما دخلت القوات البريطانية، وكانت الجماهير تهتف بحرارة لا مزيد عليها.

كما دخل اللنبي والقائد الفرنسي مدينة بيروت واحتلوا دار الحكومة في السابع من تشرين الأول.

ثم عقدت الهدنة بين الحلفاء والأتراك في ٣١ تشرين الأول[١].

●● كان دخول الجيش العربي إلى دمشق حافلاً بالغبطة والفرح، وبلغ السرور ذروته بوصول (فيصل) إلى دمشق في الثالث من تشرين الأول

---

(١) ينظر: خطط الشام، ج٣، ص ١٥٢ – ١٥٤، وأسرار الثورة العربية: أمين سعيد، ص٢٦٠ – ٢٦٢، وأعمدة الحكمة السبعة، لورانس.



١٩١٨م، إذ دخل دمشق يمتطي جواداً أبيض، تحف به كوكبة من الفرسان « ١٥٠٠ فارس »، وسط تهاليل الجماهير وتكبيرها، الجماهير التي ملأت الشوارع والساحات حاملة الأعلام والأزهار، وقد انتشرت السجاجيد على شرفات المنازل، وأطلت آلاف الرؤوس من النوافذ ترشّ الموكب بالعطور، لقد بلغت الحماسة الوطنية ذروتها، وشهدت دمشق يوماً رائعاً، لم تعرفه منذ زمن طويل[١].

● ومع ذلك فإن الاستقبال لم يكن كله ترحيبياً، فقد روى اللواء عبد الله عطفة « من المعاصرين لذلك الحدث » أن الاستقبال، للقادمين الجدد أصاب كثيراً من الذين شاهدوا الأحداث بالذهول، وخاصة بعد المجازر الهائلة التي حلت بالجيش العثماني، إلى جانب ما شهدوه من دخول الجيوش الأجنبية الغازية[٢].

●● ورغم أن قسماً كبيراً من حوادث الثورة، قد جرى وراء الحدود السورية، إلا أن السوريين لعبوا دوراً كبيراً في أحداث الثورة، فشارك الضباط والجنود ووجهاء البلاد والموظفون في حملات الجيش العربي.. لقد كانت الخديعة عامة قوية.

وذكر أكرم ضياء الركابي في مقابلة خاصة أن والده الذي كلف بالدفاع عن دمشق من قبل الجيش العثماني، قد أطلع الجيش البريطاني على خطة

---

(١) ينظر: جريدة الحقيقة البيروتية، العدد (٩٥٥)، في ٦ تشرين الثاني ١٩١٨م، وصبحي العمري: لورنس كما عرفته، وتاريخ سورية (حكم فيصل بن الحسين) ص٢٦، علي سلطان.

(٢) الحكومة العربية في دمشق: خيرية قاسمية: ص٣٣.



للالتفاف حول دمشق[1].

هكذا كانت الوطنية عند الركابي، وهكذا تكون الأمانة؟!

●● ومع كل ما جرى فقد بقي عدد لا بأس به في سوريا مستمراً على ولائه للدولة العثمانية، رغم قسوة المشانق وانتشار المجاعة، وذلك بدافع الخضوع للخليفة، إذ كانوا يعتبرون الخروج على الخلافة والثورة عليها كفراً حتى لو كانت الثورة باسم الوطنية وتحت راية القومية!!

لقد قاوم المناصرون للعثمانيين الحركة الوطنية حتى اللحظة الأخيرة من الوجود التركي في سوريا[2].

بوادر الغدر البريطاني:

ظهرت بوادر الغدر بالعرب عندما وصل الجنرال اللنبي إلى دمشق في الثالث من تشرين الأول ١٩١٨م، واتخذ قراره لوضع السياسة البريطانية موضع التنفيذ، غير عابئ بكل الاحتفالات التي كانت تجري في المدينة فرحاً بالاستقلال.

فقد التقى به (فيصل) في نفس اليوم الذي وصلا فيه وذلك في فندق «فكتوريا» وسط دمشق، وحضر لورنس كمترجم، كما حضر «كلايتون ونوري السعيد»، وأبلغ اللنبي فيصلاً بسياسته الواجب تطبيقها في الأرض المحتلة، وأنه

---

(١) المرجع السابق ص٣٤، والمقابلة مع المؤلفة خيرية قاسمية.

(٢) الحكومة العربية في دمشق: خيرية قاسمية: ص٣٥.



مستعد للاعتراف بإدارة عربية على الأرض المحتلة شرقي نهر الأردن، من معان حتى دمشق وفيها: حمص وحماة وحلب، على أن تكون المنطقة تابعة لقيادته، بصفته القائد العام، وبصفة فيصل أحد قواد الحلفاء، كما قرر تعيين ضابطي ارتباط: أحدهما إنجليزي والآخر فرنسي، ليكونا وسيطية لدى الإدارة العربية تحت إشراف كبير ضباطه السياسيين «الجنرال كلايتون»، كما طلب من فيصل ألا يشغل نفسه شخصياً بالحكومة المدنية، بل يريح جيشه لمتابعة الزحف[١].

● وبذلك يكون اللنبي قد وضع اتفاقية (سايكس ـ بيكو) موضع التنفيذ، وعين فيصلاً حاكماً على المنطقة التي سماها «منطقة محتلة»، وليست محررة من الأتراك مثلاً، كما أنه لم يعط فيصلاً أي حق في إدارة لبنان أو فلسطين.

●● وقد اعترض فيصل بشدة، عندما علم بتولي الفرنسيين سواحل سوريا ولبنان، فأجابه اللنبي بإصرار: أن هذه الأوامر صدرت إليه بصفته القائد العام في فلسطين وسوريا، وعلى فيصل أن يطيع أوامره بصفته قائداً من قواد الحلفاء، وأنّ يقبل بالأمر الواقع حتى يحين وقت انعقاد مؤتمر الصلح... ويبدو أن فيصلاً قد أذعن للأوامر (بأدب جم)[٢].

● كان بإمكان فيصل وقادة جيشه «العربي»، أن يتمردوا على الغزاة، وهم مازالوا في منتصف الطريق، وأن يحصروا الدخلاء بينهم وبين الأتراك الموجودين

---

(١) وثائق الخارجية البريطانية، ص٥٥٦/١٩١٨م، نقلاً عن كتاب حكومة فيصل بن الحسين: د. علي سلطان، ص٢٧.

(٢) الحركة العربية: سليمان موسى ص٣٢٥، بيروت/١٩٧٧م.



شمالي دمشق وحتى حلب، ولكن أين هي صرخة العزة العربية، بعد أن أخمدوا عزة المسلمين في نفوس الأمة المخدوعة المضلّلة.

●● وظهر لورانس كوجه خادع لئيم من وجوه السياسة البريطانية، إذ كان يعلم باتفاقية سايكس بيكو، ولكن كان يخفيها على فيصل، حتى لا تقف مساعدة العرب للإنجليز، أو حتى يبقى العرب مقاتلين بالنيابة عن جيوش الغزاة، وليحرروا لهم البلاد ويذلوا العباد.

● لقد كان احتلال دمشق حداً فاصلاً في تاريخ المعارك بين الإنجليز والعرب من جهة، والترك من جهة ثانية، على أرض سورية وبلاد الشام، ولذلك تتابع جلاء الترك عن بقية المدن دون معارك كبيرة[١].

●● بدأت الجيوش التركية بالانسحاب، ورفض جمال باشا المرسيني «الصغير»، خليفة جمال باشا السفاح أن تنسف المنشآت والمباني في دمشق قبل الانسحاب (من دمشق).

وأشار على وجهاء دمشق أن يعلنوا استقلال البلاد، لأن العثمانيين نفضوا أيديهم منها بتاتاً، وذلك في ٢٩ / أيلول ١٩١٨م، ثم غادر دمشق متوجهاً إلى الأناضول... وبذلك قد سجل صفحة وفاء لأهالي دمشق، رغم أن الفلاحين في دمر، وكذا الجيش الأسترالي، نهبوا خزينة الجيش العثماني الموجودة في إحدى عربات القطار آنذاك[٢].

---

(١) أسرار الثورة العربية الكبرى: أمين سعيد، ص٢٦٥.

(٢) مرآة الشام: عبد العزيز العظمة، ص٢٣٨.



●● وفي شمالي سوريا، قام إبراهيم هنانو فحرَّر المنطقة باسم الشريف حسين من الأتراك، قبل وصول الجيش العربي إليها، وشكل حكومة وجيشاً في «كفر تخاريم» شمال حلب، ورفع عليها العلم العربي، ثم احتل أنطاكية.

وقد حمى (هنانو) الأتراك المنسحبين، ومنع الناس من الاعتداء عليهم، كما منعهم من تمزيق العلم العثماني وأقنعهم بقوله: «إن هذا العلم قد أظل الإسلام والعروبة ستة قرون، فمن حقه عليكم أن يظل محترماً، وأن الشعب التركي ما زال يستظل به، وهو أخ للشعب العربي، وإن تفرقا».

وكان لموقفه الأثر الطيب لدى الأتراك، فقد أصبحوا فيما بعد حلفاء له ضد الفرنسيين[١].

● وقد اضطر فيصل لتلبية طلبات «اللنبي»، فسحب شكري الأيوبي من دمشق؟!، وإبراهيم هنانو وقواته من أنطاكية، إثر احتجاج فرنسا لاحتلال العرب للجزء الشمالي من المنطقة الساحلية... فاستدعى (فيصل) إبراهيم هناهنو إلى حلب، وأقنعه بضرورة سحب قواته من مدينة أنطاكية وتسليمها للفرنسيين؟!!

هذا ما قام به ـ مع كل أسف ـ قائد الثورة العربية الكبرى؟!

ولعل فيصلاً كان قد أقنع (هنانو) بأن الاحتلال الفرنسي مؤقت[٢]، وأن الأمور ستسوى فيما بعد.

---

(١) الثورة العربية الكبرى: عبد الكريم غرايبة، ص٩٩ – ١٠٠، عمّان، ١٩٦٧م.

(٢) الثورة العربية الكبرى: عبد الكريم غرايبة، ص٩٩ – ١٠٠، عمان، ١٩٦٧م.



لقد كان فيصل وفياً مطيعاً لأوامر حلفائه، رغم كل هذه الأحداث الضخمة، ورغم الخيانة الواضحة، ولله في خلقه شؤون.

● والسؤال الذي يطرح نفسه بعد تلك الثورة هو:

ماذا كان يحدث لو حارب العرب مع الترك؟! وماذا يلحق بالإنجليز وحلفائهم الغربيين؟!

●● صحيح أنّ «لوْ» تفتح عمل الشيطان، إلا أنّ الشيطان كان قد فرغ من العرب والترك معاً، بطاعتهم إياه، وإشعال نار الحرب بينهم بوسوسة من الصليبيين واليهود.

على كل فالحق الذي لا مرية فيه، أن الثورة العربية قد ساهمت بقوة في انتصار الحلفاء، وتمزيق دولة الخلافة.

- قال الجنرال اللنبي، قائد قوات الحلفاء في تلك الحرب، والتي كانت تقاتل في بلاد الشام: «لقد ساعدنا الجيش العربي مساعدة عظيمة القيمة، بقطع مواصلات العدو قبل القتال، وبمنعه فرار جانب من الجيش العثماني الرابع، كما أنزل بالعدو خسارة كبيرة أثناء الزحف على دمشق»[1].

لقد قُتِل الكثير من مسلمي الجيش العثماني على جنبات الصحراء العربية، وفي وهادها وشعابها على يد إخوانهم في الدين أولاً، وبأسلحة النصارى الصليبيين ثانياً.

---

(١) الثورة العربية الكبرى: أمين سعيد، ج١، ص٢٧١.



● يصور لورانس في كتابه: «أعمدة الحكمة السبعة» جانباً من تلك المجازر والمآسي، وتلك الخرائب لمحطات سكة حديد الحجاز، إذ كان يعلّم البدو على نسفه وتحطيم منشآته، وها هي بقايا خرائبه ما تزال شاهدة على تلك الجرائم الأليمة.

● قال رئيس وزراء فرنسا عندما سلّم الوسام الفرنسي للأمير فيصل بن الحسين: «لقد ساعد فيصل الحلفاء، وأدار جبهة كبيرة، وأسر عدداً كبيراً من الأسرى «الأتراك»، واشترك في تمزيق شمل الجيش الرابع والجيشين السابع والثامن العثمانيين (؟!)، ودخل مع الحلفاء دمشق وحلب في منتهى الجرأة والإقدام»[١].

● أما لورانس الذي رافق الجيش العربي الثائر فيقول: «كلنا يعرف أن فيصلاً بذل جهداً كبيراً في نشر ألوية الثورة التي أُعلنت في مكة، وقد تم للجيش العربي أسر ما يزيد عن «خمسة وثلاثين ألفاً» من الجنود الأتراك، ومن ثم تم إخراج مالا يقل عن هذا العد دمن خطوط القتال، ـ وأما القتلى فحدث ولا حرج ـ، ولقد أدى العرب هذه الخدمة في زمن كنا في أشد الحاجة إليها، فنحن مدينون لهم»[٢].

وقد كافأهم المستعمر مكافأة سنمّار، إذ استعمروا بلاد الشام بعد أن مزقوها إلى دويلات صغيرة، وطردوا أهالي فلسطين على يد عصابات يهود، واقتطعوا

(١) الثورة العربية الكبرى: أمين سعيد، ج١ ص٢٧١ – ٢٧٢.

(٢) الثورة العربية الكبرى: أمين سعيد، ج١ ص٢٧١ – ٢٧٢.





اسكندورن وسلموها إلى تركيا.

ومهما تكن الظروف، فلن تكون النتائج أسوأ مما حل بالعرب لو استمروا على وضعهم قبل الثورة، ولسلموا من تلطيخ أياديهم بدماء إخوانهم من مسلمي الدولة العثمانية، ورحم الله الشاعر أحمد شوقي وهو يخاطب الشريف (حسين) بقوله:

كلنا وارد السّراب وكلٌّ   حَمَلٍ في وليمة الذئب طاعمْ

قد رجونا من المغانم حظاً   ووردنا الوغى فكنا الغنائمْ

* * *

الفصل الرابع

التآمر الصهيوني - الصليبي

من خلال

المؤتمرات المشبوهة والاتفاقيات الغادرة

تمهيد : مطامع بريطانيا وفرنسا في بلاد الشام.

المبحث الأول: مخططات اليهود لإقامة الوطن القومي في فلسطين.

المبحث الثاني: بريطانيا واتفاقيات الغدر المتناقضة :

أ ـ اتفاقية سايكس ـ بيكو.

ب ـ وعد بلفور.

ج ـ مؤتمر سان ريمو : وقرارات الانتداب.

المبحث الثالث: مواقف الملكين : الحسين وفيصل، من اتفاقيات الغدر المتناقضة.

تمهيد: مطامع بريطانيا وفرنسا في بلاد الشام:

● لفرنسا مطامعها في بلاد الشام، إذ كانت تعتمد على الطوائف النصرانية، وشكلت من الأرمن وبعض نصارى سوريا قوة عسكرية في قبرص لمساعدة الجيش الفرنسي عندما تحتل سورية، كما انخرط خلال الحرب العالمية كثير من نصارى لبنان في الجيش الفرنسي[١].

والغريب أن فرنسا كانت تزعم أن لها حقوقاً وعلاقات مع سواحل بلاد الشام، من خلال الحروب الصليبية، وإنه لأمر غريب أن يفكر أناس بهذا المنطق السّقيم، من إيجاد مبرارات صفيقة في احتلال بلاد المسلمين.

وقد كان لتعاطف فرنسا مع عملائها أثر فعال في تشجيع الإصلاحيين لعقد مؤتمرهم في باريس صيف عام ١٩١٣م، وقد كان معظم أولئك الإصلاحيين من أعوان فرنسا والمطالبين بانفصال سوريا أو لبنان عن الدولة العثمانية، ثم وضعها تحت الانتداب والحماية الفرنسية[٢].

● كتب «ندرة مطران» في كتابه عن سورية، وهو عضو المؤتمر العربي في باريس: «لبنان مسيحي وفرنسي، ولبنان هو المفتاح الاستراتيجي والاقتصادي لسورية».

●● وكان للإنجليز مطامعهم وعملاؤهم، فتسابقوا مع فرنسا على احتضان

---

(١) ينظر: الفكر العربي، ألبرت حوراني، ص٢٤٥، وتاريخ سورية (نهاية الحكم التركي) علي سلطان، ص٣٩٠.

(٢) تاريخ سوريا «نهاية الحكم التركي»، د. علي سلطان، ٢٥١.





الحركة العربية الثائرة على تركيا منذ ظهورها، وتنافسوا في السيطرة عليها وتوجيهها.

● فبينما كان الإنجليز يحمون اللاجئين إلى مصر، من زعماء هذه الحركة قبل الحرب، كان ممثل فرنسا يقوم بحماية زعماء الجمعيات السرّية العربية في الشام، ويحول دون بطش الترك بهم، يساعده في ذلك ممثل الحكومة الإنجلزية(١).

ولم يستطع جمال باشا أن ينكل بهم، إلا بعد أن رحل ممثلو الحكومتين عقب إعلان الحرب.

وكان اللاجئون إلى مصر يصدرون كتبهم ونشراتهم التي يشنعون فيها على الحكم التركي، مستندين إلى حماية إنجلترا، بينما كان اللاجئون إلى فرنسا يصدرون مثل هذه النشرات من باريس لمساعدة فرنسا.

● ومعلوم أن الإنجليز اتخذوا الشريف حسين وقادة الحركة القومية مطايا للثورة على الدولة العثمانية، بينما كانت فرنسا تحاول أن تتخذ من قرارات المؤتمر العربي الذي عقد في باريس ١٩١٣م وسيلة للضغط على تركيا والتدخل في شؤونها، زاعمة لنفسها حق حماية النصارى في المشرق(٢)

●● وكان التنافس بين الدولتين ظاهراً حتى في احتضان بعض ضباط العرب، فنوري الشعلان مثلاً، ظل مخلصاً لفرنسا حتى آخر حياته كما يذكر

---

(١) ينظر الاتجاهات الوطنية: ج٢/١٢٦ - ١٢٧.

(٢) «الثورة العربية الكبرى» ج١/٩٨ - ١٠٢.



ذلك «كيللر»، بينما كان الإنجليز يحتضنون نوري السعيد وآخرين، وقد ظل هذا التنافس قائماً خلال الحرب وبعدها[1].

• • •

أما اليهود فقد كانوا وراء «يهود الدونمة» وجمعية الاتحاد والترقي التي أطاحت بالسلطان عبد الحميد، ومعها كبار جال المحافل الماسونية...

• إن شرور هذا الثلاثي الغادر، تكاد لا تحصى، ويكفي أن نراجع الفصول السابقة من هذا الكتاب لنعلم مدى المؤامرة الضخمة التي نفذها هؤلاء الأشرار.

• أما هذا الفصل فقد خُصّصَ لبيان التآمر من خلال اتفاقيات الغدر المتناقضة المتمثلة في مخططات يهود من وراء الدول الصليبية وعلى رأسها:

بريطانيا وأمريكا، اللتان أخرجتا (وعد بلفور) إلي حَيِّز الوجود، واستمرت الدولتان في الإشراف على تنفيذ بنوده من خلال مؤتمرات دولية مشبوهة، ما تزال تتكرر حتى اليوم، وهي (شنشنة نعرفها من أخزم). ومنها الاتفاقية المشؤومة بين دول الحلفاء الصليبية، لاقتسام بلاد الشام والعراق، بعد نهاية الحرب، وتهيئة الأجواء لوطن قومي يهودي في فلسطين.. أما الضحايا فهم المسلمون، والحمقى من قادة القومية العربية، يساعدهم تمييع هؤلاء القادة لقضايا الأمة المصيرية، وتلك هي مباحث هذا الفصل.

---

(١) الاتجاهات الوطنية: د. محمد محمد حسين، ج٢/١٢٧.



المبحث الأول

مخططات اليهود لإقامة الوطن القومي بفلسطين

عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى، كان « سكويت » رئيساً للوزراء في بريطانيا، وكان معادياً للصهيونية، فقرر الممولون الدوليون ـ من اليهود ـ إزاحة حكومته، وإحلال حكومة ائتلافية مكانها، على أن يكون لويد جورج وتشرشل من بينها.

وكان (دافيد لويد جورج) محامياً عن الحركة الصهيونية التي خططت لها ومولتها عائلة « روتشيلد ».

أما « وينستون تشرشل » فكان مؤازراً للصهيونية السياسية منذ دخوله إلى المعترك السياسي[1].

●● وفي الخامس من نيسان ١٩١٧م، أعلنت الحكومة البريطانية عن إرسال وزير خارجيتها « بلفور » إلى الولايات المتحدة للاتصال بممثلي المصارف الأمريكية وإبلاغهم رسمياً، بأن الحكومة البريطانية ستتبنى رسمياً مشاريعهم المتعلقة بالصهيونية، مقابل تعهدهم بإدخال أمريكا إلى جانب الحلفاء في الحرب العامة.

---

(١) أحجار على رقعة الشطرنج: وليام غاي كار، دار النفائس، طبعة ١٤١٢هـ ١٩٩١م، ص١٨٨.



ودخلت أمريكا الحرب، وهبطت الكتائب الأمريكية الأولى في فرنسا في ٧ حزيران ١٩١٧م، وفي ١٨ تموز كتب اللورد (روتشيلد) إلى (بلفور) ما يلي:

«عزيزي السيد بلفور..

أخيراً أصبح بإمكاني أن أرسل لك الصيغة التي طلبتها فإذا تلقيت رداً إيجابياً من حكومة صاحب الجلالة ومنكم شخصياً، فسأقوم بإبلاغ ذلك، إلى «الاتحاد الصهيوني» في اجتماع خاص، سوف يدعى إليه لهذا الغرض خصيصاً».

وجاء في النسخة الأولية للنص ما يلي:

١ - تقبل حكومة صاحب الجلالة بمبدأ وجوب إعادة تأسيس فلسطين كوطن قومي لليهود.

٢ - سوف تبذل حكومة صاحب الجلالة كل طاقتها لتأمين الوصول إلى هذا الهدف، وسوف نتناقش فيما يتعلق بالطرق والوسائل التي يتطلبها تحقيق هذا الهدف مع المنظمة الصهيوينة[١].

● ومن الحوادث التي تلت عزل (اسكويت عام ١٩١٦م) عن رئاسة

---

(١) أحجار على رقعة الشطرنج وليام كار ص١٩١ - ١٩٨.

كان سايكس يفاخر بعواطه الصهيونية، وباشتراكه في وضع وعد بلفور ومفاخرته بانه هو الذي صمم علم الثورة العربية المثلث الألوان، فقد كان من دعاة الصهيونية المتحمسين.

ينظر: الهاشميون وقضية فلسطين: أنيس صايغ، ص٦٨.

الوزارة، أنه شكلت لجنة سياسية من الصهيونيين في ٧ شباط ١٩١٧م في منزل أحدهم: (د. موسى غاستر) وحضر هذا الاجتماع:

- السير مارك سايكس (ممثل إنجلترا في اتفاقية سايكس - بيكو) .

-- والسير هربرت صموئيل (أول مندوب سام لبريطانيا في فلسطين فيما بعد »، وهربرت بنتويتش (النائب العام بفلسطين فيما بعد »، وحاييم وايزمن (أول رئيس لدولة إسرائيل) . - وناحوم سوكولوف « صاحب كتاب تاريخ الصهيونية » .

●● وقد نوقش في هذا الاجتماع بالتفصيل، البرنامج الصهيوني الذي سيستخدم كقاعدة في المفاوضات الرسمية التي تشمل مصير فلسطين وأرمينيا، ومنطقة مابين النهرين (العراق، ومملكة الحجاز)[1] .

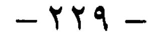
● مخططات اليهود وراء معاهدة فرساي و (مؤتمر السلام)

إن الذين يبحثون عن الحقيقة في غير الوثائق الرسمية، يعرفون أن الرئيس الأمريكي - نيلسون - الذي انتخب رئيساً للجمهورية بعد أن موله اليهود، كان يسير تحت إرشادات وأوامر أولئك الذين مولوه .

- أما الدكتور - يلون - فيوضح أن اليهود هم الذين وجهوا مؤتمر السلام هذا التوجيه، واختاروا (فرساي في باريس) ليحققوا برنامجهم المخطط بدقة والذي نفذ حرفياً . . .

---

(١) المرجع السابق .





وكانت مسودة الانتداب البرطياني علي فلسطين من تخطيط البرفسور «فيلكس فرانكفورتر» الصهيوني الأمريكي البارز الذي أصبح فيما بعد المستشار الأول في البيت الأبيض، في عهد الرئيس (روزفلت)، وساعده على ذلك كل من السير هربرت صموئيل، ود. جاكسون وآخرون[١] .

●● وعندما بدأت المحادثات التمهيدية للمؤتمر، كان المستشار الخاص للسيد (كليمانصو) رئيس وزراء فرنسا هو السيد «مانديل»، ولم يكن هذا في الحقيقة إلا اسماً مستعاراً لأحد أفراد آل روتشيلد الصهيونية.

وحضر المحادثات أيضاً: (المستر أوسكار ستراوس) الذي كان له دورٌ بارز في تكوين عصبة الأمم، وصياغة سياستها، بشكل يناسب خطة أسياده البعيدة المدى، والتي تهدف إلى السيطرة العالمية للمولين اليهود[٢] .

● يقول الكاتب الفرنسي جورج باتو في كتابه: المشكلة اليهودية ص ٣٨ : «إن المسؤولية تقع على عاتق اليهود الذين أحاطوا بلويد جورج وويلسون وكليمانصو»[٣] .

* * *

● وعندما زار تشرشل فلسطين في آذار ١٩٢١م، طلب مقابلة وفد القادة العرب، ولما قابلهم عرضوا عليه خشيتهم من أهداف الصهيونية في فلسطين،

(١) أحجار على رقعة الشطرنج: ص٢١٨ – ٢١٩ .

(٢) أحجار على رقعة الشطرنج: ص٢١٨ – ٢١٩ .

(٣) أحجار على رقعة الشطرنج، ص٢١٩ ، ٢٢٣ .





وأن العرب يعيشون فيها منذ أكثر من ألف سنة، وطلبوا منه أن يستخدم نفوذه لرفع هذا الظم، قال:

«أنتم تطلبون مني أن أتخلى عن وعد بلفور، وأن أوقف الهجرة اليهودية، وهذا ليس في طاقتي، كما أنني لا أرغب فيه، نحن نعتقد أن وعد بلفور هو لخير العالم، وخير اليهود وبريطانيا والعرب أنفسهم . . .ونحن ننوي أن نحقق هذا الوعد»[١].

● ومن ثم أعلن عام ١٩٥٤م خلال اجتماعه ببرنارد باروخ، وبصراحة قائلاً:

«أنا صهيوني، وقد عملت من أجل تقدم الحركة الصهيونية»، ولذلك كان تقيده بالوعد تقيداً حرفياً[٢].

● والغريب أن العرب كانوا متعلقين بصداقة هؤلاء الزعماء الغربيين من رجال العصابات الصهيونية أو أصدقائها أمثال: ويلسون ـ تشرشل ـ لويدجورج ـ كليمانصو ـ صموئيل، وسايكس . . . حتى آخر هذا المسلسل المأساوي.

* * *

(١) أحجار علي رقعة الشطرنج، ص٢١٩، ٢٢٣.

(٢) المرجع السابق: هامش ٢٢٣.



المبحث الثاني

اتفاقيات الغدر المتناقضة

ومن أبرزها :

أ ـ اتفاقية سايكس ـ بيكو:[1]

في الوقت الذي كان الشريف حسين، مازال يفاوض مكماهون لإعلان الثورة، كانت إنجلترا تعقد صفقة جديدة مع فرنسا، لتحديد مناطق النفوذ بينهما في البلاد العربية، منعاً لأي خلاف قد يحدث في المستقبل.

وليست الاتفاقية المعروفة باسم واضعيها (سايكس، وبيكو) سوى جانب من اتفاقية واسعة، عقدتها دول روسيا وبريطانيا وفرنسا بين بعضها، لاقتسام أجزاء كبيرة من أراضي الدولة العثمانية، وقد تم التصديق عليها في شهر نيسان ١٩١٦م، والحرب دائرة، تراق فيها دماء العرب والمسلمين لتحقيق مطامع الحلفاء الغادرة...

● وقد عينت الحكومة البريطانية السير «مارك سايكس» كما عينت فرنسا (جورج بيكو) قنصلها في بيروت، مندوبين عن الدولتين، ليقوموا بمباحثات غايتها الاتفاق على نصيب كل منهما ضمن نطاق الاتفاقية الثلاثية الكبرى،

(١) ينظر: الحكومة العربية في دمشق: بين ١٩١٨ – ١٩٢٠م، خيرية قاسمية، ص٣٦ – ٣٩، وتاريخ سورية، نهاية الحكم التركي، د. علي سلطان، ص٤١٢ – ٤١٧





وتوصل المندوبان إلى اتفاق، صادقت عليه حكومتاهما في شهر أيار ١٩١٦م.

وفي هذه الاتفاقية احتفظت فرنسا لنفسها:

- بمساحة كبيرة من أراضي الأناضول الجنوبية، وشمالي سوريا الطبيعية ولواء الموصل.

- واحتفظت بريطانيا لنفسها بولايتي البصرة وبغداد، ولواء كركوك، إضافة إلى القسم الجنوبي من سوريا الطبيعية، أي أراضي فلسطين.

- واتفقت الدولتان على جعل فلسطين باستثناء منطقة النقب منطقة تخضع لحكم دولي خاص...!!

● وتضمنت الاتفاقية نصوصاً تقضي بإنشاء حكم مباشر لفرنسا في الساحل السوري، ولونت الخريطة في هذا القسم بالأزرق وعرفت «بالمنطقة الزرقاء»، وبحكم مباشر لبريطانيا في ولايتي البصرة وبغداد «المنطقة الحمراء»، ويصار إلى الاعتراف بدولة عربية مستقلة تحت انتداب فرنسا فيكون لها الحق في تقديم مساعدات اقتصادية ومستشارين فنيين وإداريين لها... أي سوريا الداخلية.

وينشأ مثلها دولة عربية مستقلة في منطقة النفوذ البريطاني الداخلية «أي شرق الأردن»، يكون لبريطانيا حق تقديم المساعدة والمشورة[١].

● ويلاحظ على الاتفاقية أنها قد أهملت: الحقائق الجغرافية والسياسية

---

(١) ينظر: يقظة العرب، جورج أنطونيوس، ص٣٤٧.



والنفسية، وناقضت رغبات السكان وفكرة الوحدة لديهم، كما تعارضت مع وعود بريطانيا للحسين ولم تطلعه على اتفاقها مع فرنسا، رغم أنها أطلعت فرنسا على اتفاقها مع الشريف حسين»[١].

● كما يلاحظ على هذه الاتفاقية أنها لم تشرك أحداً من العرب في مباحثات حددت مصير مناطق عربية كانت تتفاوض مع الحسين بشأنها، وكتمت أمرها عن العرب تماماً، حتى كشفت بعد الثورة الشيوعية ١٩١٧م.

والذي زاد من تعاسة الاتفاقية الغادرة أنها لم تجعل سوريا تحت سلطة أجنبية واحدة، فقد أدى التنافس الاستعماري إلى مصيرها المجزأ، فصارت أربع دول بدلاً من كيان سياسي واحد، كان يتبع الدولة العثمانية[٢] وكانت هذه الاتفاقية نقطة الفصل في تاريخ سوريا وإبرازها للوجود كدولة قُصَّت عنها أجنحتها في العصر الحديث... فُصل عنها قسم كبير ألحق بلبنان، وفصلت الأردن ومن ثم فلسطين، ناهيك عن الموصل واسكندرون...

●● ولقد أدت اتفاقية الغدر المشؤومة إلى عدة نتائج منها:

١ ـ أنها جاءت تحقيقاً لحلم فرنسا في حكم سورية.

٢ ـ وتحقيقاً لحلم بعض نصارى سوريا في مولد دولة منفصلة عن العرب.

٣ ـ كما كانت تحقيقاً لحلم نصارى لبنان، بتأسيس دولة لهم في لبنان منفصلة عن سورية.

---

(١) الحكومة العربية في دمشق: خيرية قاسمية، ص٣٧ ـ ٣٨.

(٢) تاريخ سوريا «نهاية الحكم التركي»: د. علي سلطان ص٤١٢ ـ ٤١٧.

٤ ـ وكانت ضربة قاصمة للقوميين العرب، الذين حلموا حلماً تاريخياً بإعادة أمجاد الأمة العربية.. إذ مزقت سورية وحدها إلى دول متعددة.

٥ ـ وكانت هذه الاتفاقية مقدمة لإعطاء فلسطين إلى اليهود، ومن ثم تحقيق حلمهم الصهيوني(١).

● وتعتبر بريطانيا أن هذه الاتفاقية ما هي إلا محاولة عبقرية للتوفيق بين عهودها للعرب، وواجبها نحو فرنسا.

ـ وينكر الحسين بعد مقابلة سايكس وبيكو له في مدينة جدة، مثل هذه الاتفاقية، وإنما كان هنالك تلميحات حول قضية قبول العرب الاعتراف لفرنسا بمنطقة نفوذ في لبنان، شبيهة بما توصل له حول العراق مع إنجلترا، ضمن إطار السيادة العربية(٢).

● وكانت بريطانيا لا ترى في مراسلات (حسين ـ ماكماهون) ما يحول بينها وبين اتفاق مع فرنسا على تقسيم الشرق العربي بينهما، لكنها لم تجرؤ على كشف ذلك لقادة العرب، حتى بدأت بمحادثات سرية مع فرنسا وروسيا، كانت نتيجتها اتفاقية (سايكس ـ بيكو)، التي قامت على مبدأ تصفية الامبراطورية العثمانية(٣).

● وقد وصف (أنتوني ناتنج)، وهو أحد رجال السياسة البريطانية ـ كان

---

(١) تاريخ سوريا «نهاية الحكم التركي»: د. علي سلطان من ٣١٢ – ٤١٧.

(٢) يقظة العرب: أنطونيوس ص٣٥٦ – ٣٥٨.

(٣) نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية ص١٢٠ وص١٢١.



وزير دولة للشؤون الخارجية في حكومة إيدن ١٩٥٦ ـ وصف اتفاق سايكس بيكو، بأنه وثيقة مخجلة «لأن بريطانيا ما كادت تنهي محادثاتها مع شريف مكة، حتى شرعت في محادثات سرية مع فرنسا، تستهدف تحقيق مطامع الدولتين في الهلال الخصيب باقتسام سوريا والعراق، ولما تمض ستة أسابيع على آخر رسالة من ممثل بريطانيا في مصر هنري ماكماهون، إلى الشريف حسين»(١).

● ورغم كل ذلك لم يفقد قادة العرب الأمل في وعد بريطانيا حتى كان عام ١٩١٧م، عندما سددت لهم صديقتهم بريطانيا ضربة أخرى بإصدار وعد بلفور في ٢ نوفمبر ١٩١٧م.

● ثم تعلق العرب بمؤتمر الصلح بعد الحرب، والذي عقدت جلسته الأولى في باريس ١٨ يناير ١٩١٩. ولكن آمالهم تبددت بسبب خداع بريطانيا وغطرسة فرنسا، ومكر يهود... وكانت صكوك الانتداب لاقتسام البلاد العربية بين الحلفاء، هي جزاء سنمّار لهم، تبعها اقتطاع فلسطين لصالح الحركة الصهيونية.

ولما علم العرب بفحوى الاتفاقية عن طريق رسالتين من جمال باشا إلى كل من فيصل وجعفر العسكري، لعرض صلح منفرد والتخلي عن الحلفاء لأنهم يضمرون أغراضاً سرية تناقض استقلال العرب، أرسل فيصل الرسالتين إلى والده معبراً عن رأيه ورأي القادة حوله، برفض متابعة الحرب مع الحلفاء(٢).

---

(١) نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية ص١٢٠ وص١٢١.

(٢) أرسكين: فيصل ملك العراق ١٩٣٣م ترجمة عمر أبو النصر ص٩٩.



فقدم الحسين الرسائل إلى المندوب السامي البريطاني ليزوده بتفسير للاتفاقية السرية، فأحالها إلى وزارة الخارجية، ورفع نائب المعتمد البريطاني في جدة إلى ملك الحجاز في ٨ فبراير ١٩١٨م، برقية باللغةالعربية، أكدت أن بريطانيا كسابق عهدها ستقف إلى جانب العرب في كفاحهم من أجل التحرر، وتساعد الذين لا يزالون تحت نير الظالمين لينالوا حريتهم[١].

●● فكتب الحسين إلى ابنه فيصل قائلاً: «إن الوصول إلى الأغراض المطلوبة قد أصبح معلقاً بشرفه وشرف عائلته وأنه يعتبره خائناً إذا ترك القتال[٢]، وفشلت بذلك مساعي الصلح مع تركيا رغم أن المحاولات تجددت فيما بعد، إلا أنها لم تصل إلى نتيجة.

ب ـ وعد بلفور[٣]:

وهو الاتفاقية المشؤومة مع اليهود، والتي تناقض ما أبرمه الإنجليز مع الشريف حسين في مراسلات مكماهون؛ والوعود بإقامة خلافة عربية إسلامية، تستقل فيها البلاد العربية في آسيا، مقابل إعلان الحرب ضد الدولة العثمانية.

● لقد أثار اشتراك الامبراطورية العثمانية في الحرب الأطماع الصهيونية، وكان على رأس زعماء الصهيونية في إنجلترا (حاييم وايزمان) المولود في روسيا والمحاضر في جامعه منشستر في الكيمياء.

---

(١) أنطونيوس: الملحق ص٥٨٣.

(٢) أرسكين: ص٩٩، والسابق ص٥٨٣.

(٣) ينظر: الحكومة العربية في دمشق، خيرية قاسمية، ص٤٠ – ٤٣.



كتب وايزمان إلى زعماء الصهيونية في أمريكا طالباً دعم « ويلسون » الذي كان يرى أن التصريح سابق لأوانه، رغم عطفه على الأفكار الصهيونية.

● وجاء في وعد وزير خارجية بريطانيا الصادر في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧م: «أن حكومة جلالة الملك، تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يجحف بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية الآن في فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى»[١].

● وقد علق على التصريح سليمان موسى إذ قال: «إن المرء ليعجز عن العثور في كتابات شعوب العالم على عبارة تماثل في لؤمها العبارة التي وصف التصريح فيها ال (٩٣٪ من سكان العرب في فلسطين، بأنهم الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين... ولهذا السبب رفض مجلس اللوردات عام ١٩٢٣م أن يوافق على صك الانتداب»[٢].

● أما (جفريز) البريطاني، فقد وصف هذا التصريح وصفاً صادقاً عندما قال: «إنه صدر بصورة غير قانونية، وهو ينحو إلى غاية استبدادية، وصيغ صياغة مضللة، وأنه أكبر وثيقة مخزية، وضعت حكومة بريطانية يدها عليها في حدود ما تعيه الذاكرة»[٣].

---

(١) ينظر: السابق، ص٤٢، والصحف الصادرة في ذلك التاريخ، كالمقطم والمنار، فقد نشرت نص التصريح.

(٢) الحركة العربية: سليمان موسى ص٣٦٧.

(٣) تاريخ سوريا (نهاية الحكم التركي)، د. علي سلطان ص٥٠١.

●● وقد تمسكت الحكومات البريطانية المتعاقبة بهذا التصريح الذي أصبح عن طريق الانتداب إلزاماً دولياً، ولم يراع رغبات أكثرية السكان، بل ركز على الأقلية اليهودية، وذكر الأكثرية المسلمة باسم الطوائف والجماعات غير اليهودية، مع الإشارة إلى حقوقهم المدنية، دون التعرض إلى حقوقهم السياسية(١).

●● وكان من دوافع بريطانيا لهذا الغدر ضد العرب، هو وضع حاجز بشري، وقاعدة وطيدة، تحمي قناة السويس من ناحية الشرق، وفيها مصالحها الاستراتيجية، وكانت أهمية فلسطين في التخطيط البريطاني تزداد مع تطور الحرب، بعد أن أثبتت التجربة أن القناة ليست بعيدة عن الخطر، ولا تشكل سيناء درعاً كافياً لها(٢).

● والأمر الغريب أن وعد بلفور كان أخطر من اتفاقية سايكس بيكو، لكنّ بريطانيا أعلنته، وأبقت الاتفاقية سرية. وهذا يعني أنها كانت ملزمة بإعلان حق اليهود في فلسطين أمام العالم، وهو «حق دائم» حسب زعمها وزعم الصهاينة، أما اتفاقية التقسيم «سايكس بيكو» فهي مؤقتة وقابلة للتعديل.

ولعل الحسين لم يكن على علم بخفايا الحركة الصهيونية، ولذلك فعندما علم بها رفضها رفضاً قاطعاً...

- وبذلك فإن بريطانيا قررت الانقضاض على أراضي العرب الباقية من الدولة العثمانية، بينما هي لم تمس أرض الأتراك، أعدائها الحقيقيين في تلك الحرب(٣).

---

(١) الحكومة العربية في دمشق: خيرية قاسمية ص٤٠ - ٤١.

(٢) يقظة العرب: أنطونيس ص٣٦٩.

(٣) أمين سعيد: أسرار الثورة العربية الكبرى ص٢٠٦، وسليمان موسى: الحركة العربية ص٣٧٢ - ٣٧٥، وعلي سلطان: تاريخ سوريا نهاية الحكم التركي ص٥٠٤.

أثر وعد بلفور على الحسين وزعماء العرب:

● وعندما حملت صحف شهر نوفمبر ١٩١٧م خبر وعد بلفور، كان أثر هذا التعهد «الباطل من أساسه» مؤلماً جداً في الأوساط الوطنية، إذ لم يتوقعوا أن يغدر الإنجليز بهم، بهذا الشكل اللئيم، وإن كانوا قد ارتابوا بالإنجليز منذ البدء وخاصة منذ أن تبنى سايكس أقوال بيكو في مصر في أبريل من تلك السنة، حول حقوق الحلفاء في بلاد الشام...

وانتدب الوطنيون وفداً للحسين، ونجحوا بأن استحصلوا على مذكرة استفسارية جديدة، بعث بها الحسين إلى المسؤولين البريطانيين، فذهب رئيس المكتب العربي «هجارت» إلى جدة وقابل الحسين في يناير ١٩١٨م لتوضيح هذه المسألة.

● وقد أكد هجارت للحسين، أن الوعد لا يعرض العرب لحكم اليهود قط، وأخذ يصوّر له حسنات وهمية، سيجنيها العرب من تأسيس وطن قومي لليهود بفلسطين[١].

وقد أبدى الحسين استعداداً لقبول الفكرة، ووافق عليها بحماس قائلاً: إنه يرحب باليهود في كل البلاد العربية، كما يزعم هيجارت.

ومما يدعو إلى تصديق هذه المزاعم، أن الحسين نفسه كتب مقالاً في جريدة القبلة بعد زيارة ضيفه البريطاني بوقت قصير، يمدح فيه الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ويشيد بأثرها في تطوير البلاد العربية، ويعلن تشجيعه لها[٢].

---

(١) الهاشميون وقضية فلسطين: انيس صايغ، صيدا ـ بيروت ـ ١٩٦٦/ ص٦٧.

(٢) جريدة القبلة: مكة المكرمة/ عدد ١٨٣، ٢٣ مارس ١٩١٨م.



● لقد أكد هوغارت للحسين أن وجود اليهود في فلسطين لن يتعارض مع حرية أهلها من الجهتين السياسية والاقتصادية، وأن زعماء الحركة الصهيونية مصممون على إنجاح حركتهم بالصداقة والتعاون مع العرب. ويذكر هوجارت أنه برغم قبول المسلمين بإيجاد ملجأ للهيود في فلسطين وتقديره قيمة التعاون العربي اليهودي، إلا أنه لم يتنازل عن مطلب السيادة العربية[١].

● وكانت التعليمات أن يبلغ (هيجارت) الحسين رسالة شفوية إلا أن الحسين قد دونها، وأطلع عليها «أنطونيوس» فيما بعد، وظل النص الإنجليزي للرسالة مكتوماً حتى عام ١٩٣٩م، عندما قامت الحكومة البريطانية بنشره مع تقرير اللجنة الخاصة، التي عينت للبحث في مراسلات الحسين مكماهون[٢].

● ● ●

جـ - قرار مؤتمر سان ريمو (في إيطاليا) بالانتداب:

مؤتمر غادر آخر، من قرارات الأقوياء ضد الضعفاء، إذ عقد المجلس الأعلى للحلفاء اجتماعاً في سان ريمو في إيطاليا «من ١٩ - ٢٦ نيسان ١٩٢٠م»، وكانت غاية الاجتماع وضع اتفاقية خاصة بتركيا، وفي ٢٤ من الشهر المذكور، وضعت اتفاقية «سيفر»، ونصت المادة ٩٤ منها على انتداب سوريا والعراق وفقاً للمادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم.

---

(١) الحكومة العربية في دمشق: قاسمية، ص٤٢.

(٢) يقظة العرب: أنطونيوس ص٣٦٩ ومابعدها.

وبهذا الاتفاق تكون اتفاقية سايكس ـ بيكو، قد أقرت رسمياً في مؤتمر المجلس الأعلى للحلفاء مع بعض التعديلات، وما كان اعتراف المؤتمر بالاستقلال إلا صورياً، وكان الانتداب شكلاً من أشكال الاستعمار[1].

فَقُدِّم الانتداب على سوريا ولبنان لفرنسا، والعراق وفلسطين وشرق الأردن لبريطانيا على أن يعترف باستقلال سوريا الداخلية... واعتبر العرب ذلك ضربة قوية لمطلب الوحدة، حيث رسمت حدود سياسية وحواجز داخلية لا تتفق مع أي اعتبارات طبيعية للبلاد، واعتبر المؤتمرون في مؤتمر السلم قرار «سان ريمو» خيانة لقضيتهم، وقدم الوفد الحجازي احتجاجاً لمؤتمر السلم وإلى عصبة الأمم... وفيه أن العرب لم يثوروا ضد الترك إخوانهم في الدين، ليحاربوا إلى جانب الحلفاء من أجل استبدال حاكم أجنبي بآخر[2].

● وبينما كان استقبال الأوساط الصهيونية لقرارات سان ريمو حماسياً، ونظمت مظاهرات في لندن ونيويورك تؤيد القرارات، قدمت احتجاجات من جميع أنحاء سوريا وفلسطين إلى الحكومات المحتلة... كما كان احتجاج فيصل عنيفاً على البند المتعلق بفلسطين في قرارات (سان ريمو).. .ويبدو أن سياسة فيصل تجاه الصهيونية قد تحولت تحولاً جذرياً بعد خيبة أمله بقرارت مؤتمر السلم[3].

---

(١) الصراع الدولي في الشرق الأوسط: زين نور الدين زين ص١٦، وتاريخ سوريا ١٩١٨ – ١٩٢٠ حكومة فيصل بن الحسين: د. علي سلطان ص٣١٩، وص٣٢٠.

(٢) الحكومة العربية في دمشق: خيرية قاسمية/ ص١٧٦ – ١٧٧، وأوراق عوني عبد الهادي الخاصة، نقلاً عن قاسمية.

(٣) المرجع السابق: قاسمية ص١٨٤ – ١٨٥.



المبحث الثالث

مواقف الحسين وابنه فيصل من اتفاقيات الغدر المتلاحقة

عندما فُضحت اتفاقية (سايكس ـ بيكو) في ملفات وزارة الخارجية الروسية، في تشرين الثاني من عام ١٩١٧م، ونشرها الشيوعيون في الشهر التالي، وقرأها السفاح على زعماء سوريا في بيروت، ونشرها في صحف بيروت ودمشق، ثم وصل إلى الحسين عدد من جريدة المستقبل في أوائل حزيران، كان الحسين قد ذهل بخبر الاتفاقية[١].

لكن ماذا صنع الحسين؟!، كتب إلى المندوب السامي البريطاني في الخامس من شهر حزيران من نفس العام، يذكره باتفاقه مع حكومة بريطانيا، فأرسل إليه المندوب البريطاني من مصر يطمئنه بأسلوب المراوغة والغدر المألوفين...

ولم يبلغ الحسين الرد إلا في (يونيو حزيران ١٩١٨م) أي أن الإنجليز تعمدوا التباطؤ قدر الإمكان، وجاء في الرد: أن الاتفاقية لا تعتبر معاهدة رسمية، وإنما هي مجرد تبادل وجهات نظر ومباحثات بين حكومتي: بريطانيا وفرنسا.

---

(١) جريدة المستقبل: العدد «١٠١» في ٢٠ تشرين الثاني/ ١٩١٧ وتصدر في باريس باللغة العربية، لخدمة سياسة فرنسا.



وبذلك خدع الحسين مرة أخرى، واكتفى بذلك الجواب... وسكت على الموضوع، دون أن يلوم أو يعاتب أو يستنكر... قنع باستفسار، كان الرد عليه مهزلة كالمؤامرة نفسها[١].

● لقد خاف الإنجليز أن تنجح محاولات الصلح بين الأتراك وزعماء الثورة العربية، فضغطوا على الحسين وفيصل، ومنعوهما من مواصلة المباحثات التي مهد الأتراك لها، في أواخر عام ١٩١٧م.

● إلا أن الإنجليز أجهضوا تلك المحاولات ما بين «فيصل وجمال باشا» بأن ضغطوا على الحسين، فأرسل إلى ابنه يحذره من الاتصال بالأتراك أو الألمان، ويؤكد عليه: أن شرفه العربي، يمنعه من التخلي عن حلفائه وسط المعركة؟!![٢].

●● وإكمالاً للمؤامرة الخبيثة، فقد مرّ «سايكس وبيكو» على مدينة (جدة) في شهر مايو أيار ١٩١٧م، وكان كل منهما يرأس وفداً يمثل بلاده، واجتمعا مع الملك حسين مطولاً، وزعما أنهما لم يخفيا حقيقة الاتفاق عنه، كما زعما أن ذلك لا يتعارض مع اتفاقية مكماهون معه.

وكان (ساكيس وبيكو) قد مرا بمصر وهما في طريقهما إلى جدة في شهر أبريل عام ١٩١٧م، وخطب خلال تلك الفترة «بيكو ـ مندوب فرنسا» في جمع من السوريين في القاهرة، وأعلن أن الحلفاء اختاروا فرنسا (وصيةً) على

---

(١) الهاشميون وقضية فلسطين: أنيس صايغ، ص٦٢.

(٢) الهاشميون وقضية فلسطين: أنيس صايغ، ص٦٢ – ٦٤.

سوريا، واعترفوا بامتيازاتها في الشرق، فأسرع ممثل الحسين بمصر: محمد شريف الفاروقي، بنقل الخبر إلى الحسين، وضمن رسالته ترجمة حرفية لكلمات الوزير الفرنسي، وذكر في رسالته أن جزءاً فقط من سوريا، سينال استقلاله، ولا تزال نسخة من هذه الرسالة الخطيرة التي وقعها صاحبها في (٢٧ أبريل نيسان ١٩١٧م) ما تزال محفوظة في جامعة (ييل) الأمريكية مع أوراق تعرف (بمجموعة أوراق ييل) نسبة إلى صاحبها، وقد نشر جزءاً منها الكاتب الصهيوني العراقي الأصل (خدوري) في كتابه: (إنجلترا والشرق الأوسط)[١].

● ويفهم من رسالة الفاروقي، أن الحسين علم بالمؤامرة قبل أن يمر عام كامل على توقيع الاتفاقية المشؤومة، ومع هذا لم يحتجّ ولم يغضب، بل نهى معتمده في مصر عن التحدث في هذا الموضوع، وعن الاحتجاج عليه.

وحجته في ذلك: أن العرب سيصلون إلى غاياتهم في الوقت المناسب، فلماذا كل هذا التسرع؟![٢].

ونحن نقول: «أبشر بطول سلامة يا مربع»!!

● ● ●

ولنستمع إلى الأمير عبد الله بن الحسين متحدثاً عن الاتفاقية المشؤومة، وعن لقاء والده وأخيه فيصل مع سايكس وبيكو.

يقول في مذكراته: «ولما تبين أن الحركة العربية ثابتة، جاء سايكس وبيكو

---

(١) الهاشميون وقضية فلسطين: أنيس صايغ، ص٦٢ - ٦٤.

(٢) المرجع السابق: ص٦٤.

إلى جدة، ومعهما أخي فيصل، فكان ما تذاكروا فيه ـ مما خفي عليّ حتى الآن ـ غير ما كتب إليّ الوالد بشأنه وأنا بوادي العيص إذ قال:

« حضروا فأبدوا لنا ما أرادوا، فأجبناهم بما ألهمنا الله، وقد عادوا وعاد أخوك! » و« ومنذ ذلك الحين كان الجيش الشمالي العربي بقيادة فيصل ينال كل مساعدة وتأييد من الإنجليز والفرنسيين، بينما كانت بقية الجيوش في الحجاز لا ينالها من المطر إلا الرشاش، وتبين أن تلك الجهود كانت تنصرف لإيجاد قوة تسند جيش اللنبي من يمينه، كما تبين أن المحادثة كانت من أجل إيجاد سورية مستقلة عن الحجاز، وعراق مستقل عن الحجاز أيضاً[1].

● ويكمل الأمير عبد الله حديثه قائلاً:

« وبعد أن جلت الجيوش العثمانية عن بلاد الشام إلى ما وراء حلب، ظهر عياناً أن سفر الأمير فيصل إلى أوربا، (باسم رئيس الهيئة العربية) في مؤتمر الصلح، كانت حقيقته أن يعمل ـ رحمه الله ـ بين لندن وباريس للاتفاق على إيجاد مملكة سورية مسقلة عن الحجاز.

« وإن الأمر لظاهر: ففي إنزال الراية العربية عن بيروت في أول أيام الهزائم التركية ما يشير إلى صحة ما ذهبنا إليه، فهذه هي السياسة التي مزقت وحدة وملك العرب »[2].

---

(١) الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين، الدارة المتحدة للنشر بيروت، ١٩٧٩م، الطبعة الثانية، ص٢٠٥.

(٢) المرجع السابق، عبد الله بن الحسين، ص٢٠٥.





●● هذه حقائق يذكرها الأمير عبد الله بن الحسين بقلمه، ولعله كان بعيداً عن اقتسام الغنائم آنذاك، فكتب ما كتب، وسوف يسير بعيداً فيما سار فيه أخوه وأبوه بعد أن يصبح أميراً لشرقي الأردن.

● ● ●

وقد دهش السوريون المقيمون في مصر مما يجري، فألّفوا وفداً منهم برئاسة «رفيق العظم»، واتصلوا بالشريف حسين وطالبوه بأن يطلعهم على أسرار مباحثاته مع «سايكس وبيكو»، وعلى كتاباته مع «ماكماهون» و«وستورز» حتى يحددوا موقفهم من الإنجليز... على ضوء تلك المحادثات.

وأصبح موضوع تلك الاتفاقية حديث الجميع، ورغم الضغط الوطني بقي الحسين حتى اللحظات الأخيرة يفاخر بولائه للإنجليز وثقته بهم.

وقد أدرك كثير من أحرار العرب الخديعة، ورفضوا أن تنطلي عليهم الوعود مرة ثانية... وحكموا على الحسين بأنه متواطئ مع الحلفاء لتقسيم البلاد العربية عكس ما كانوا قد اتفقوا معه، وحملت الأنباء ما يدعم مخاوفهم.

علموا أن الحسين امتنع عن قصد عن نشر خبر الاتفاقية في جريدته «القبلة»، ولم تنشر الخبر إلا في أواسط يونيو ١٩١٨م بعد أن علم الناس به من مصادر أخرى، وأخبرهم أحد مرافقي فيصل بتلك المشاريع المشبوهة[١].

● وانبثق عن تلك المخاوف تكتل بين السوريين المقيمين في مصر تحول إلى حزب رسمي في أواخر ١٩١٨م، باسم «حزب الوحدة السورية»، وكان يعمل

---

(١) مجلة المنار: القاهرة العدد (٢٢ ص٤٥٢).



قبل ذلك التاريخ وشكلوا لجنة سباعية كان من بين أعضائها : فوزي البكري، وعبد الرحمن الشهبندر ورفيق العظم وكامل القصاب .

● وكتبوا إلى المعتمد البريطاني بمصر للاستفسار عن مصير البلاد العربية بعد الحرب، فكان الجواب يدور حول الوعد القاطع باستقلال المناطق العربية التي كانت مستقلة من قبل (أي شبه الجزيرة)، أما المناطق العربية الأسيوية، التي احتلها الحلفاء، فإن الحكم عليها سينبثق عن رغبة الشعب ورضاه(١) ، فماذا فعل هؤلاء أيضاً؟!

● ● ●

وافترضت أحلام (سايكس) أن يكون للحركة القومية العربية زعامة « معتدلة » فوضع الآمال على فيصل بن الحسين، خاصة وأن لورنس استبشر به خيراً، فراح يقدمه على أبيه وإخوانه ويسلط الأنوار عليه .

الأمير فيصل وقضية فلسطين: اللقاء يتكرر مع وايزمان:

●● ونتيجة لذلك أعدَّ المسؤولون البريطانيون في القاهرة مشروع لقاء بين وايزمان وفيصل، هو الأول من نوعه بين زعماء الحركتين المتناقضتين، ليسهم في الجمع بينهما في تحقيق الحلم، ويسهل بذلك على بريطانيا تحقيق وعد بلفور، بعد أن يتم التفاهم مع قائد مسيرة الحركة القومية .

●● ذهب وايزمان إلى العقبة، عن طريق وادي موسى، وجرى الاجتماع

---

(١) الهاشميون وقضية فلسطين: ص٦٦ .



بين فيصل ووايزمان في الرابع من يونيو ١٩١٨م، بحضور رجل ثالث هو: الكولونيل (جويس) الذي تولى الترجمة بين الزعيمين.

وقد سجل كل من الكولونيل ووايزمان ذكرياته عن الاجتماع، سجلها الأول في مقال في « النشرة العربية »، والثاني في مذكراته: « التجربة والخطأ »، أما فيصل فلم يدون شيئا، أو لعله احتفظ لنفسه بما دوّن[١].

• • •

يزعم وايزمن أنه شرح لفيصل المطالب الصهيونية.. وكان متفقاً معه تمام الاتفاق... ومهما يكن فإن تفاهماً قد حصل بين الرجلين، وكتب الزعيم الصهيوني يقول: « إن الاجتماع الصحراوي الأول، وضع أسس صداقة طويلة بيننا، لقد قابلت الأمير عدة مرات بعد ذلك في أوروبا، وتجسدت مفاوضاتنا باتفاق وضعه « لورنس » ووقعه الأمير بنفسه، ولا شك أنه كان سينفذ هذا التفاهم، لو كان مصيره كما كنا نأمل له، ولكن لسوء الحظ لم يستطع تحقيق آماله ». لأن سقوط فيصل عن عرش دمشق حرم اليهود من خدماته كما كانوا يرجون[٢].

لقد عاد وايزمان مسروراً إلى القدس ليضع حجر الأساس للجامعة العبرية... واستمرت لقاءات وايزمان بفيصل في لندن في « شهر ديسمبر من عام ١٩١٨م » عندما كان يمر ببريطانيا في طريقه إلى مؤتمر الصلح في باريس.

---

(١) مجلة (عرب يولّليتين) عدد ١٨ يونيو ١٩١٨م.، وكتاب وايزمان (التجربة والخطأ) ص٢٣٤ – ٢٣٦، نقلاً عن « الهاشميون وقضية فلسطين » ص٦٩.

(٢) الهاشميون وقضية فلسطين: أنيس صايغ، (ص٧٠ – ٧٤).



وكان فيصل قد أخبر صديقه اليهودي «هربرت صمويل» في رسالة خاصة، بأنه توصل إلى تفاهم كامل مع وايزمان حول مسألة فلسطين؟!!.

ثم صرح فيصل إلى وكالة (رويتر) الإخبارية، فقال ما ترجمته: «إني لآمل أن يحقق كل من الأمّتين ـ العربية واليهودية ـ تقدّماً ملموساً نحو أمانيهما وآمالهما. إن العرب لا يحملون ضغينة ضد اليهود الصهاينة، بل ينوون أن يسمحوا لهم بالعمل»[1].. «في فلسطين» «أذاعته رويتر في ١٢ ديسمبر».

●● **وأخطر ما قام به الأمير فيصل: اتفاقيته مع وايزمان: في الثالث من كانون الثاني لعام ١٩١٩م**، بعد مباحثات طويلة كان أهم ما فيها:

١ ـ تأسيس كيان فلسطيني منفصل عن الدولة العربية في سوريا.

٢ ـ تقوم الدولة الفلسطينية بكل التدابير لتحقيق وعد الحكومة البريطانية في ٢ نوفمبر ١٩١٧م، وهو تبنٍ كامل لوعد بلفور.

٣ ـ تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

٤ ـ أن تكون بريطانيا (صاحبة وعد بلفور) هي الحكم في حال نشوب خلاف بين الطرفين[2].

● والاتفاق هو مشروع (بالإنجليزية) قدمه وايزمن إلى فيصل عن طريق لورنس وبخط (الأخير) الذي قدم لفيصل إيضاحاً شفهياً عن محتوياته.

---

(١) الهاشميون وقضية فلسطين: أنيس صايغ، (ص٧٠ ــ ٧٤).

(٢) ينظر الملاحق: نص اتفاقية فيصل ـ وايزمن الملحق رقم (٢).



ـ وذكر عوني عبد الهادي، وكان عضو الوفد العربي، والذي لم يشترك أحد منهم بالمباحثات رغم وجودهم جميعاً في فندق « كالتون » والذي اجتمع في إحدى غرفه فيصل ولورنس وايزمن فقط؟! وأنّ فيصلاً وقع الاتفاقية دون أن يعرف محتوياتها لأنها بالإنجليزية، وليس لها نص عربي، وقد لا يكون لورنس قد ترجم كل محتوياتها.

● ويذكر (عوني عبد الهادي) أن فيصلاً كان قد أضاف شرطاً بالعربية بعد آخر مادة منها وفيه: « أوافق على المواد المذكورة أعلاه بشرط أن يحصل العرب على استقلالهم.. وإذا وقع أقل تعديل فيجب عندها ألا أكون مقيداً بأي كلمة وردت في هذه الاتفاقية »[١].

وعموماً فإنّ الاتفاقية هي عبارة عن تفاهم، فيه تساهل لصالح الحركة الصهيونية، وأنها لم تعرض على الحسين ولا الحكومة العربية فليس لها أدنى قيمة[٢].

ومما يزيد في مسؤولية فيصل أنه لم يكن يمثل عرب فلسطين، بل أنه وقع الاتفاقية باسم « مملكة الحجاز العربية »، وذلك ليس صحيحاً، لأن والده رفض الاتفاقية، ورفض التصديق عليها كما قال « فيلبي » في مقال له في جريدة لندنية في يوليو عام ١٩٣٧م. وكانت هذه الاتفاقية ١٩١٩م أول مصيدة صهيونية رسمية وقع فيها فيصل.

---

(١) يقظة العرب: أنطونيوس ص٥٩٢.

(٢) ينظر: الحكومة العربية: قاسمية ص٩٠ – ٩١، وينظر تفصيلاً لذلك الفصل القادم: حكومة فيصل بن الحسين.



●● وكتب فيصل في رسالة له إلى (فرانكفورتر) الأستاذ الصهيوني في جامعة « هارفر »، وعضو الوفد الصهيوني إلى مؤتمر الصلح في ٣ مارس ١٩١٩م، منها :

« عزيزي السيد فرانكفورتر . . إننا نحن العرب نشعر نحو الحركة الصهيونية بأعمق المشاعر، وإنّ وفدنا هنا في باريس ليدرك المطالب التي قدمتها المنظمة الصهيونية إلى مؤتمر الصلح في الأمس تمام الإدراك، وسوف نعمل جهدنا على الاشتراك في تحقيقها . . .

إن حركتينا تكمل كل منهما الأخرى، كلاهما قومية وليست استعمارية ولكلينا مكان في سوريا . . . إنني وشعبي نترقب مستقبلاً نساعدكم فيه وتساعدوننا فيه، حتى يتمكن بلدانا من أخذ مكانيهما، في مجتمع الشعوب المتمدنة في العالم . واسلم للمخلص فيصل » .

فهذه الرسالة تغني عن أي شرح، ورأي فيصل في الصهيونية واضح جداً، وهو يربط بين الحركة الصهيونية، وبين حركة القومية العربية ويعتبرهما قضية واحدة[١] .

أما مطالب الصهيونية المقدمة لمؤتمر الصلح، والتي ذكرها فيصل في رسالته وأيدها فهي :

- إدخال ما بين « ٧٠ - ٨٠ ألف » مهاجر يهودي إلى فلسطين سنوياً .

---

(١) الهاشميون وقضية فلسطين : ص٧٦، وانظر : خطط الشام، محمد كردعلي، ج٣/٢١٢ - ٢١٣ .



ـ ووضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني، مع توسيع رقعة فلسطين حتى تشمل سيناء وشرق الأردن وجزءاً من لبنان وسوريا، ثم تحويل فلسطين إلى دولة يهودية!!.

● هذه هي المطالب التي يراها فيصل معتدلة وصحيحة، والتي يأمل أن يشترك في تحقيقها، لينفع بها أمته واليهود على السواء.

●● ولم يترك اليهود الفرصة تذهب سدى، فأذاعوا نص الرسالة وكانت نصراً لهم ـ بعد يومين من كتابتها، ونشروها في عدة صحف[1].

●● وقد كان للرسالة صدى سيء في الأوساط الوطنية، إذ هاجمها كثير من القادة العرب، واتهموا الأمير بالخيانة، لكنه زعم أنه قد وقّع الرسالة دون أن يعرف محتوياتها، وأنّ (لورنس) هو الذي كتبها، ولم يعلمه بالأمر...

● هذا وقد عاد فايز الغصين[2] من باريس احتجاجاً على تساهل فيصل، وأبلغ رفاقه بكل ما حصل، فأقاموا المؤتمر الوطني العام في دمشق عام ١٩١٩م، ليقيدوا تحركات الأمير[3].

● ● ●

● لقد كان العرب يستندون في سياستهم على الأمير فيصل حليف دول

---

(١) جريدة: نيويورك تايمز، في ١٥ مارس ١٩١٩م، وجريدة: جويش كرونكل، في ١٧ مارس ١٩١٩م.

(٢) فايز الغصين: أحد زعماء الحركة الوطنية، وكان مرافقاً لفيصل في باريس.

(٣) الهاشميون وقضية فلسطين: أنيس صايغ، ص٧٧ - ٧٩.



الحلفاء، وكان الأمير يتنازعه عاملان متناقضان، أحدهما العرب الذين يطلبون إليه بشدة مقاومة الصهيونية، والثاني سعيه بإخلاص للتعاون مع قادة الصهيونية، فتحرّج موقفه بين هذه المطالب المتناقضة، وغلب عليه العرب . . . فلم يرض عن تأسيس وطن قومي يهودي في فلسطين.

ثم عدل عن هذا الرأي، وأرسل كتابه السابق إلى أحد زعماء اليهود الأمريكان، يعلن فيه استعداده للتعاون بين العرب واليهود[1].

وبذلك استغل الصهاينة والإنجليز والأمريكان، هذه السياسة اللينة من الأمير فيصل، ومن بعض مواقف والده، واستمروا في تنفيذ مؤامراتهم الضخمة، في تقسيم تركة الدولة العثمانية فيما بينهم، يهبون منها ويتركون منها، وكأن الدماء البريئة التي أريت نتيجة للخداع والتضليل ليس لها أدنى قيمة ولا يصح معهم إلا قول الشاعر الجاهلي:

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

وقادة الثورة العربية قاتلوا بأسلحة الإنجليز والفرنسيين وأموالهم، فهدمت حياضهم، واشتدت عليهم المظالم، وما تزال المصائب تتوالى فهل من معتبر؟!.

* * *

---

(١) خطط الشام: محمد كردعلي، ج٣، ٢١٢ - ٢١٣.



الباب الرابع

التحالف مع الإنجليز والحصاد المر

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة : ٥١]

الفصل الأول

: عهد فيصل بن الحسين في سوريا «١٩١٨ - ١٩٢٠»

المبحث الأول: الحكومة العربية في دمشق أمام التحديات

- نصارى لبنان يرحبون بفرنسا.
- النشاط السياسي في دمشق.
- سياسة فيصل المزدوجة.

المبحث الثاني: الأمير فيصل في أوروبا أمام ضغط الحلفاء ومكرهم

- فيصل في مؤتمر الصلح في باريس.
- عودة فيصل ولجنة كنغ كراين الأمريكية.
- الأمير فيصل في أوربا ثانية واتفاقيته مع كلمنصو.

المبحث الثالث: سياسة فيصل على ضوء اتصالاته في أوربا.





الفصل الثاني

الثورة العربية وجني الأشواك الدامية

تمهيد

نبحث في هذا الباب النتائج المريرة التي تركتها ما سمي بالثورة العربية الكبرى، بتحالفها مع بريطانيا تلك التي تنكرت لوعودها، ومكرت بحلفائها العرب، فأبرمت اتفاقيات غادرة مع الحركة الصهيونية، ومع فرنسا لاقتسام بلاد الشام بعد طرد الأتراك منها.

وخضع الأمير فيصل بن الحسين لضغوط شديدة من حلفائه في الشام وفي أوربا، فظهر عليه التناقض في مواقفه وأقواله بسبب مطالب الحلفاء ثم اليهود من جهة، ومطالب القوميين العرب، ومطالب والده من جهة ثانية.

وشكل الفيصل حكومة عربية في دمشق لم تكمل السنتين، حتى داهمها الجيش الفرنسي، وطرد مليكها وحكومته خارج الحدود، بعد كارثة ميسلون ومقتل يوسف العظمة.

● ومن آثار الحصاد المر لهذا التحالف الهجين: غدر الإنجليز بحليفهم الشريف حسين، ثم عزله بعد أن رفض المساومة على فلسطين في مقابلة لورنس له، ثم مزقت بلاد الشام إلى أربع دول، والدولة قسمت إلى دويلات، وسيف الانتداب مسلّط على الرقاب، ثم نفي الحسين إلى قبرص غريباً شريداً، يذوق المرارة والحرمان، ويقاسي الندم والآلام، مشتكياً من حلفاء الأمس وعقوق الأبناء، وقد هدّهُ المرض والعزلة، ولم يرض الحاقدون بكل ذلك، بل سعوا إلى

إنهاء الدولة العثمانية، وإسقاط الخليفة والخلافة عن طريق الدعي مصطفى كمال، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

وسنفصل هذه القضايا في الصفحات القادمة إن شاء الله .

الفصل الأول
عهد فيصل بن الحسين في سورية

المبحث الأول
الحكومة العربية أمام التحديات

● شكلت في دمشق إدارة حكومية، تحت إمرة القائد العام « الجنرال اللنبي »، وإدارة « فيصل بن الحسين » قائد القوات العربية، الذي كان مسؤولاً أمام « اللنبي »، عن طريق الجنرال « كلايتون » الضابط السياسي في القاهرة، وضابط ارتباط فرنسي للمشورة والإرشاد؟!.

● أما فلسطين فقد وضعت تحت الإدارة العسكرية الإنجليزية المباشرة، كما سيعهد إلى فرنسا بإدارة الشريط الساحلي السوري، تحت قيادة اللنبي.

وهذا كله هو فحوى اتفاقية « سايكس - بيكو » فقد طبقت بعد الانتهاء من الحرب مباشرة[1].

●● **وأعلنت حكومات عربية في المناطق الساحلية**[2]، تحت راية الشريف حسين إضافة إلى حكومة دمشق، فرفع العلم العربي في بيروت في « ٦ تشرين

---

(١) الحكومة العربية في دمشق: خيرية قاسمية، ص٤٧ - ٥٢.

(٢) المرجع السابق: ص٥٦ - ٥٨.

الأول ١٩١٨م» واحتج الفرنسيون لدى اللنبي، لأن المنطقة كانت قد خصصتها اتفاقية (سايكس بيكو) لفرنسا...؟! ثم ألزمت فرنسا ممثل فيصل بالانسحاب، فأزيحت الأعلام العربية على يد القوات البريطانية نفسها.

●● وكانت قد رفعت يافطات في شوارع بيروت وفي مركز البلدية تتضمن أهمية التآخي والتعاون بين المسلمين والنصارى، ومن بين تلك الشعارات (العرب قبل عيسى ومحمد)، إشارة إلى ضرورة التعاون على أساس قومي عربي، لا ديني طائفي، وقد كان التعاون ملحوظاً بين الطوائف، رغم قصر فترة الحكومة العربية في بيروت (ابتداء من أول تشرين الأول حتى ١١ من الشهر نفسه)[١].

● وبعد دخول قوات فرنسا بيروت ولبنان، تغير الحال إذ بدأت المظاهرات النصرانية ترحب بالقوات الفرنسية وتطالبها بأن تخلصها من الاستعمار التركي والإسلامي، مع أنهم كانوا قبل أيام قليلة يحتفلون مع المسلمين بإقامة الحكومة العربية في بيروت وبعبدا[٢].

●● وذكر الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار خلال زيارته لبيروت بعد خضوعها لفرنسا: «أن السلطة الفرنسية اعتمدت في إدارتها على النصارى ولا سيما الموارنة... وأعرض هؤلاء عن المسلمين، بل صاروا يؤذونهم بالقول والفعل...» «فقد اشتهر ما وضعه المسيحيون من الأناشيد في ذم

---

(١) مذكرات سليم علي سلام ص٥١، وتاريخ لبنان المعاصر ص٥٩.

(٢) تاريخ لبنان المعاصر: حسان حلاق، ص٦٠، عن مقابلة أجراها المؤلف مع سفير لبنان السابق، محمد علي حمادة، في ٤/ حزيران/ ١٩٨٢م، وقد شهد حمادة تلك المظاهرات في مرفأ بيروت.



المسلمين وإهانتهم في الشوارع والأسواق في بيروت، يوم عيد الفصح... بينما لم يفعل المسلمون شيئاً من ذلك في دولتهم أيام الحكم العربي وقبله»[١].

● على أن إجراءات الحلفاء السابقة أثارت احتجاجات فيصل، «حتى لقد هدد بالتخلي عن قيادة الجيش العربي، لو سُمحَ للفرنسيين باحتلال الموانئ، لأن ذلك يعني أن العرب سيعيشون في بيت ليس له أبواب».

إلا أن (اللنبي) بمكره طيب خاطر الأمير، بعد أن أكد له: «بأن عصبة الأمم، تهدف إلى إعطاء الأمم الصغيرة حق تقرير مصيرها.. وأن الحلفاء ملزمون بحكم واجب الشرف (؟!!) الوصول إلى تسوية تطابق رغبات الشعوب التي يعنيها الأمر»[٢].

* * *

النشاط السياسي في الحكومة العربية وتشكيل أحزاب جديدة:

ازداد النشاط السياسي في هذا العهد، ونجح الوطنيون في إيقاظ الشعور القومي، ونشر فكرة الاستقلال لدى الجمهور. ورغم ذلك بقي الشعور الموالي للترك قوياً بين العائلات السنّية الحريصة على الخلافة، وبين الموظفين السابقين، الذين لا يثقون بدعاية الشبان الأغرار.

واشتد أوار النزعة القومية في العهد الجديد: فلم نجد أي تنظيم سياسي

---

(١) مجلة المقاصد العدد التاسع/ كانون الثاني/ ١٩٨٣م، ص٣٨ محمد رشيد رضا.

(٢) الحكومة العربية في دمشق: خيرية قاسمية/ ص٥٨ – ٥٩.





في هذا العهد قام على توجه ديني، وقد استغل فيصل كل مناسبة للتأكيد على التيار القومي «فالعرب هم عرب قبل موسى وعيسى ومحمد»[1].

ويتملق الأمير فيصل حلفاءه الإنجليز في مذكرة رفعها إلى (داوننج ستريت) في أيلول ١٩١٩م بقوله:

«رغم أني من أعرق الأسر الإسلامية، فقد حملت السلاح ضد الخلافة إلى جانب الحلفاء لتحقيق أمل الوحدة»[2].

● وعندما استلم الأمير الحكم، أخرج من الوظائف كل من ينتمي إلى العرق التركي، وطردوا جميعاً من البلاد.

يقول عبد العزيز العظمة: «كنت في تلك الآونة ماراً ذات يوم أمام دار الحكومة، فرأيت لفيفاً من النسوة يبكين وينتحبن ودون أن أسألهن شيئاً، اعترضتني (عجوز) منهن وقالت بلسان مرتجف وعين باكية هذه العبارة التي أعربّها حرفياً: «لماذا قطعوا رواتبنا ونحن أرامل وأيتام، كما ترى، وأن الدولة العثمانية ما زالت تؤدي الرواتب المخصصة إلى «النّوَر»، فهل نحن في نظر الشريف أحط من أولئك القوم؟!»[3].

قال عليه الصلاة والسلام: «ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل

---

(١) من خطاب للأمير فيصل في حلب في ١١/١١/١٩١٨م، وينظر ساطع الحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية/ ص٢١٤ طبعة بيروت/ ١٩٦٥م.

(٢) الحكومة العربية: خيرية قاسمية، ص٦٤.

(٣) مرآة الشام: عبد العزيز العظمة، ص٢٤٣.



على عصبية، وليس منا من مات على عصبية»[1].

●● وبدأت الشكوى والنعرات الإقليمية تظهر في البلاد.. قال محمد كردعلي في مذكراته: «كان الركابي يعتمد على الغرباء في إنشاء حكومته أكثر من اعتماده على أبناء البلد!!»[2].

ويقول عبد العزيز العظمة: «بعد مجيء الأمير فيصل تأسس في دمشق النادي العربي الذي شابه جمعية الاتحاد التركية، وكان يزخر بالمرتزقة الذين استحضرهم فيصل من مختلف بلاد الله.. كما وسع الأمير لهم صدور المجالس، وأقامهم في مختلف الوظائف.. وسار هؤلاء على طريقة الاتحاديين في احتكار العروبة»[3].

● **وتشكلت أحزاب جديدة في هذا العهد:**

إضافة إلى الفتاة والعهد اللذين قادا النضال ضد الأتراك قبل الثورة، واستمرت (جمعية الفتاة) تؤيد سياسة فيصل والحلفاء حتى نهاية (١٩١٩م)، وكان من نتاجها **حزب الاستقلال**، الذي أصبح يعمل كمظهر خارجي لكل ما تريد العربية الفتاة عمله في مختلف الميادين بين طبقات الأمة، وأصبح العمود الفقري للحياة الحزبية في سوريا، والمسيطر على البلاد، حيث لم يقرر عمل أو تشكل وزارة، وتوضع خطة إلا بالاتفاق معه[4].

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الإمارة، حديث/١٨٤٨.

(٢) مذكرات كرد علي: ج١/ ٢٣١.

(٣) مرآة الشام: عبد العزيز العظمة، ص٢٤١ - ٢٤٢.

(٤) ينظر: أسعد داغر، مذكراتي على هامش القضية العربية، ص ١٠٧، طبع القاهرة/ ١٩٥٩م.



● وكان الارتباط وثيقاً بين حزب الاستقلال والعربية الفتاة، فهما يشتركان بنفس الأعضاء والبرامج، وزادت شهرة حزب الاستقلال، حتى بلغ عدد أعضائه (٧٥ ألف عضو) حسب رواية: أسعد داغر في مذكراته[١].

● وأنشئ النادي العربي في دمشق بعد انتهاء الحرب، وكان الركابي من جملة مؤسسيه، وقد اقتصر نشاطه على سوريا، كما اقتصرت عضويته على الطبقة المثقفة، وكان قد أعلن عن حياده السياسي، وأن أهدافه ستكون اجتماعية علمية فقط، إلا أن النادي غدا نادياً قومياً سياسياً ثقافياً، وأصبح مركز الحركة والنشاط، ومدرسة التربية الوطنية السياسية وأصبح فيما بعد هو المسيطر على الحياة العامة كلها»[٢].

ومن تلك الأحزاب الجديدة: الحزب الوطني السوري:

الذي انخرط فيه عدد ممن اشتهروا بتساهلهم مع الفرنسيين، وولائهم لهم، أمثال الشريف ناصر بن علي، والشيخ تاج الدين الحسني، وعبد الرحمن اليوسف، ومحمد كرد علي وغيرهم.

وأعلن هذا الحزب: أن مبدأه يتلخص في السعي وراء استقلال سوريا التام بحدودها الطبيعية..

---

(١) ينظر: أسعد داغر، مذكراتي على هامش القضية العربية، ص ١٠٧، طبع القاهرة/ ١٩٥٩م.

(٢) ينظر الحكومة العربية: خيرية قاسمية/ص٦٩ - ٧٠ وأسعد داغر: مذكراتي على هامش القضية العربية/ ص١٠٧.



● وتعددت الأحزاب حتى أربت على الثمانية، فكثيراً ما أسر الأمير فيصل لرجال الحزب الواحد بالشكوى من ضغط الحزب الآخر، حتى تصارعت الأحزاب مع بعضها، ولم يتمكن الأمير من لمّ الشمل، بل كثيراً ما كان يقع في التناقض بين توجهات تلك الأحزاب(١).

● ومن الأحزاب التي شكلت في مصر بين المهاجرين السوريين **حزب الاتحاد السوري**: الذي ظهرت نواته بعد أن كشفت اتفاقية سايكس بيكو وكان ميشيل لطف الله رئيس الحزب، ورشيد رضا وكيلاً له، وكان نشاط الحزب قد قوي أثناء مجيء لجنة كنغ كراين الأمريكية(٢).

ملامح من سياسية الأمير فيصل قبل مؤتمر الصلح(٣):

● يبدو أن الفيصل كانت تراوده فكرة حكم سوريا الطبيعية، ولو انفصلت عن الدولة العربية المنتظرة، فقد قبل بحكم جزء من سوريا تحت ضغوط الحلفاء، ولو بشكل مؤقت...

● ويبدو أن الأمير كان يحاول أن يتخلص من التناقض القائم بين الحكم القومي العربي، والدولة السورية الإقليمية بحدودها المعينة الجديدة، ولو مؤقتاً، وذلك باتباع سياسية ظن أنها ترضي الأطراف كلها، ولكنه كان يقع في ازدواجية مفضوحة.

---

(١) مرآة الشام: عبد العزيز العظمة/ص٢٤٥.

(٢) المنار: مجلد ٢١ ـ ٢٨، يونيو/١٩١٩م، ص٢٠٢.

(٣) ينظر: تاريخ سورية «حكم فيصل بن الحسين» علي سلطان/ ص٤٠ - ٥٢.



ـ فكانت نداءاته قومية حيناً ليرضي والده والقوميين العرب، حيث يقول في دمشق: «لا أراني إلا مبتهجاً حين أذكر أن والدي والأمة من خلفي يحاسبونني على عملي، ويطالبونني حيناً بعد حين نتيجة مسعاي...»[١].

ـ وحيناً آخر يقول في خطاب له في حلب الشهباء محاولاً إرضاء الحلفاء: «فأنا هنا، باسم كافة العرب أخبر إخواني أهل الشهباء، أن للحكومات الغربية، وخصوصاً إنجلترا وفرنسا اليد البيضاء في مساعدتنا وشد أزرنا، ولا ينسى العرب فضل معاونتهم لنا..»[٢].

ـ وقد أقنعهم فيصل بأن أمل الوحدة لن يتحقق إلا عن طريق السياسة وأن القوة ـ في نظره ـ غير متوفرة لدى العرب لمحاربة الحلفاء[٣].

● وكانت دعوة الأمير للقومية تقوم على المساواة بين جميع المواطنين، وأن أخوة العرب مقدمة «لأن العرب هم عرب قبل عيسى وموسى ومحمد»[٤].

●● وبالرغم من محاولات فيصل إنشاء دولة على أسس حديثة إلا أنه لم يهتم بتطوير الجيش العربي وتقويته، وقد ترك الأمر (لياسين الهاشمي) في وزارة الركابي، والذي حل الجيش من البدو والمتطوعين خلال الثورة، وشكل جيشاً

---

(١) جريدة الحقيقة/ بيروت/ العدد ٩٦٣/ في ٢/١١/١٩١٨م.

(٢) يوم ميسلون: ساطع الحصري، ص١٩٦، بيروت/ مكتبة الكشاف/ ١٩٤٧م، من خطاب لفيصل في حلب في تشرين الثاني ١٩١٨م.

(٣) تاريخ سورية (حكم فيصل بن الحسين)، د. علي سلطان/ ص٤٣.

(٤) يوم ميسلون: ساطع الحصري، ص١٩٨م.

مكوناً من ثلاث فرق فقط: في دمشق وحلب ودرعا، واختاره من الجيش السابق.

إلا أن الجيش بقي ضعيفاً صغيراً، تنقصه الأسلحة والذخيرة، إذ رفضت بريطانيا وفرنسا أن تمداه بالأسلحة[١].

●● ومن الغريب في هذا السياق، أن تدعي فرنسا لنفسها المشاركة في تحرير بلاد الشام من الأتراك، رغم أن قواتها (في حملة فلسطين وسوريا) لم تتجاوز (ثلاثمائة مقاتل فقط)[٢].

●● أما العلاقات الخارجية لحكومة دمشق في عهد فيصل، فكانت تتلخص في علاقتها مع الفرنسيين في الساحل، وبريطانيا في فلسطين وعرض القضية العربية على مؤتمر السلم للحلفاء.

- ففي الساحل أعلنت فرنسا حمايتها لأصدقائها من الموارنة، الذين أثبتوا أنهم حلفاء مخلصون لفرنسا في مؤتمر الصلح، وحملت إليهم خمسة ملايين وخمسمائة ألف جنيه مصري، خصصتها فرنسا للدعاية فابتاعت الانتداب بالجنيهات قبل العاطفة والتقاليد الفرنسية والمارونية[٣].

- وفي فلسطين دعمت بريطانيا الحركة الصهيونية إلى أبعد الحدود، فجعلت كبار الموظفين منهم، وجميعهم بريطانيون، تسعة منهم يهود، خلافاً للموظفين

---

(١) الثورة العربية الكبرى: عبد الكريم غرايبة/ص١٠٩/ عمّان.

(٢) تاريخ سورية «حكم فيصل بن الحسين ١٩١٨م - ١٩٢٠» علي سلطان/ص٥٢.

(٣) قبل وبعد لبنان: اسكندر الرياشي، جريدة الحياة عدد ١٠٠٣، ١٧/١١/١٩٥٢م.



العرب ودفعت بريطانيا الأمير فيصل للاتفاق مع زعماء الصهيونية خلال وجوده في أوربا دعماً لسياستها الخبيثة[1].

* * *

(١) الحكومة العربية في دمشق: خيرية قاسمية، ص٧٧ - ٧٨ بإيجاز.

المبحث الثاني

الأمير فيصل في أوربا أمام ضغط الحلفاء وكيدهم الغادر

● سافر فيصل إلى أوربا عدة مرات من أجل عرض القضية العربية أمام مؤتمر للصلح، عقد في قصر فرساي في باريس، والذي افتتح رسمياً في (١٨ / ١ / ١٩١٩م).

ولقد تردد الأمير على أوربا عشرة أشهر، كانت نصف أيامه التي حكم فيها سوريا.

وكان فيصل يستشير حلفاءه الإنجليز، الذين نصحوه بالسفر إلى المؤتمر، والتفاهم مع فرنسا، ذلك لأنه لم يعد لبريطانيا مصالح سياسية مباشرة في سوريا[١].

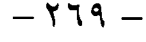
● وقد سافر الأمير إلى فرنسا بدعوة من وزارة الخارجية البريطانية، يتكلم باسم السوريين بقرار اتخذه المجلس البلدي في دمشق[٢].

- استقبل فيصل في فرنسا على أنه أحد قادة جيوش الحلفاء، وليس ممثلاً للعرب، فأقيمت له احتفالات وأنعم عليه بالأوسمة ثم التقى برئيس وزراء

---

(١) ينظر: الحكومة العربية في دمشق؛ خيرية قاسمية، ص٨١ – ٨٤.

(٢) جريدة العاصمة، العدد الأول في ١٧ / شباط / ١٩١٩م، والصادرة في دمشق.





بريطانيا «لويد جورج» وأفهمه بضرورة التفاهم مع «كليمانصو» رئيس وزراء فرنسا، وأن سوريا الداخلية ستكون تحت الانتداب الفرنسي، إضافة إلى حكم منطقة الساحل، فاحتج فيصل دون جدوى، وأصر أن العرب لم يعرفوا إلا دولة واحدة هي بريطانيا، وأن اتفاقية عام ١٩١٥م مع والده أسبق من اتفاقية سايكس بيكو. ثم قال بذلة: إن الأمة العربية كثيرة الامتنان لمساعدات بريطانيا؟!! وهو شخصياً مدين بكل شيء إلى بريطانيا... ثم قال: «أنا متعلق جداً بهذه الأمة الصديقة، بحيث أني لا أريد أن أسمع من الأمة البريطانية حكم الموت.. وإذا كان لا بد من سماعه، فليكن في مؤتمر دولي وليس من أصدقائي».

وعزاه لويد جورج مؤكداً أن القرار سيتخذ في مؤتمر دولي[1]، فيالذلة العرب، أمام هذا الصغار المزري!!.

● يقول عوني عبد الهادي: في الثامن من ديسمبر دُعينا إلى طعام الغداء على شرف وزير الخارجية، وساء الأمير منظر الراقصات أثناء الحفل، وقال: «أنا لم أحضر فرنسا للهو بل لخدمة بلادي».

- وعندما مرّ الأمير بلندن، كان موضع احترام وتكريم الإنجليز وكان يقول دوماً: «أنا لم أحضر من أجل المآدب والكلمات».

- ويضيف عوني عبد الهادي: «بأن لورانس كان يرافق فيصلاً ليس كترجمان فقط... بل بقي ملازماً له في باريس ولندن كظله، ونزل في القصر

(١) الحكومة العربية: خيرية قاسمية، ص١٣٢، وتاريخ سوريا (١٩١٨ - ١٩٢٠)، د. علي سلطان/ ١٨٤.



الذي نزل فيه الأمير، رغم شكوكنا وشكوك الحسين بلورانس»[١] .

●● هذا وقد فهم فيصل أن بريطانيا غير مستعدة للنزاع مع فرنسا حول سوريا، مهما كان عطفها على أماني العرب؟! ولكن الضغوط التي تعرض لها الأمير في لندن، مكنت بريطانيا «بشخص لورانس» من إقناعه بعقد اتفاق مع زعماء الحركة الصهيونية في «٣/١/١٩١٩م»، يضمن التعاون معهم في فلسطين[٢] .

وقد بذل (أنطونيوس) جهداً كبيراً لتربير عمل فيصل هذا، كما علق (عوني عبد الهادي) بأن ثقة فيصل الزائدة بلورانس، جعلته يعتمد على تأكيداته بأن اليهود ليس لهم مطامع سياسية .

● لكن ذلك لا يعفي فيصلاً من المسؤولية، حين انفرد وحده بوايزمن ولورنس، ليوقع اتفاقية كتبت بلغة إنجليزية مهما كانت ثقته بلورانس، وخاصة أن لورانس كان وثيق الصلة بالسياسيين الإنجليز، المنحازين للصهيونية[٣] .

* * *

---

(١) من مقابلة شخصية مع عوني عبد الهادي: خيرية قاسمية (ص٨٦ و ص٨٨) في كتابها: الحكومة العربية في دمشق. وعوني عبد الهادي: انضم إلى الأمير فيصل عندما كان مقيماً في فرنسا وهو من العاملين في الحركة العربية، وأحد مؤسسي العربية الفتاة.

(٢) الحكومة العربية: خيرية قاسمية، ص٨٧ – ٨٨. وقد تحدثنا عن هذا الموضوع في الفصول السابقة.

(٣) السابق/ ص٩٠ – ٩٢/ ويقظة العرب: أنطونيوس/ ص٣٩٥ – ٣٩٦.



مؤتمر الصلح في باريس[1]:

وكان مكوناً من عشرة أشخاص (من رؤساء الدول ووزراء الخارجية للدول الكبرى) إضافة إلى المجلس الحربي الأعلى.

وكانت فرص النجاح أمام فيصل ضئيلة، إذ وجد نفسه أمام عالم غريب غادر تقتله المطامع والمصالح الخاصة، حتى أن رئيس وزراء فرنسا « كليمنصو » كان يعارض وجود مقعد لفيصل في المؤتمر؟! فتوسط لورانس وجاء بسماح من لويد جورج بمقعدين، كما عُيّن كل من نوري السعيد وأحمد قدري وعوني عبد الهادي أعضاء مساعدين للوفد « فيصل ـ محمد رستم حيدر » ليعملوا في لجان المؤتمر.. واعتبر فيصل ممثلاً لمملكة الحجاز فقط، وليس للبلاد العربية.

● وبدأ النظر في القضية العربية رسمياً في « ٦ شباط ١٩١٩م » في مبنى وزارة الخارجية الفرنسية أمام (مجلس العشرة).

وكان خطاب فيصل توسيعاً لمذكرتين رفعهما الوفد العربي إلى مؤتمر السلم. وطالب بالاستقلال، كما ندد باتفاقية سايكس بيكو، لكنه لم يجد آذاناً صاغية بسبب أن المسيطرين على المؤتمر، كانوا قد خططوا مستقبل الشرق العربي قبل أن يستمعوا للأمير[2].

● **وظهر نشاط عملاء فرنسا في المؤتمر، بدعمٍ من فرنسا:**

إذ ظهرت وفود لتأييد خطط فرنسا، أولها: « الجمعية السورية المركزية »،

---

(١) ينظر: الحكومة العربية في دمشق، ص٩٣ – ١٠٣.

(٢) المرجع السابق، ومقابلة خاصة للمؤلفة خيرية قاسمية مع عوني عبد الهادي، ص٩٥.



برئاسة (شكري غانم) النصراني . . . قال في خطاب له في الموتمر : « أية صلات روحية وتقارب ذهني، تربط بين طبيعة السوري وطبيعة الحجازي؟! بين البدو والحضر؟! . . وإن فرنسا هي الدولة الوحيدة المؤهلة لإنجاز ما نصبو إليه، وهي التي ستوحدنا في مصيرنا المشترك »[١]، واقترح أن تكون سوريا الطبيعية تحت انتداب فرنسا .

● كما أن البطريرك « الحويّك » سافر على رأس وفد باسم : « مجلس إدارة جبل لبنان » على متن مدرعة فرنسية إلى باريس لحضور مؤتمر الصلح، فوصل في ٢٥ / ١٠ / ١٩١٩م، وقدم مذكرة إلى المؤتمر، وتحدث باسم المجلس مطالباً بالاعتراف باستقلال لبنان تحت الانتداب الفرنسي، وإرجاع البقاع إلى لبنان، وأن تستقل لبنان عن أي دولة عربية في سوريا . . ورد (كليمنصو) . . . برسالة إلى البطريرك، كلها ود وتطمين على مستقبل لبنان وذلك في (١٠ / ١١ / ١٩١٩م) .

● ويرى محمد جميل بيهم أن تلك الرسالة « كانت حجر الزاوية في بناء الكيان اللبناني، على ما أراده البطريرك الماروني وطائفته »[٢] .

●● ورغم أن الصهاينة لا يمثلون دولة، والسكان اليهود، لا يشكلون إلا (١٠٪) من سكان فلسطين، فقد أرسلوا وفداً للمؤتمر، استقبل بود بالغ في

---

(١) الصراع الدولي في الشرق الأوسط : زين نور الدين زين (ص١٠٤ – ١٠٥( )، بيروت / ١٩٧١م، و١٧٧م .

(٢) سوريا ولبنان : محمد جميل بيهم، ج١ / ١٩١٨ – ١٩٢٢م، ص٩٠ . وحقائق لبنانية : بشارة الخوري، ج١ / ٢٨٠ – ٢٨١ .





باريس للحصول على تأكيدات دولية لوعد بلفور، وتأمين ضم بنوده إلى نص معاهدة الصلح، وميثاق عصبة الأمم.

●● ولم يتخذ المؤتمر قراراً حول مستقبل البلاد العربية، وعاد فيصل إلى سوريا وهو يعتقد أن أفضل الطرق (حسب نصيحة بريطانيا) هو التوصل إلى تفاهم مع قادة فرنسا. واتفق فيصل مع (كليمنصو) شفهياً على أن «يستعمل فيصل جهده مع شعبه، لإقناعه بقبول انتداب فرنسي على سوريا، مقابل اعتراف فرنسا باستقلال سوريا»؟! وأصيب فيصل بخيبة أمل خلال زيارته الأولى لأوربا[1].

● ومع ذلك لم يبح بخيبة أمله ومخاوفه، إلا لنفر يسير من أعوانه، أما في أحاديثه الأخرى بعد عودته إلى دمشق، فكان يؤكد على «حسن نوايا الحكومات الأربع المعظمة، وصدقهم وتمسكهم بالمبادئ السامية التي جعلوها دستوراً لأعمالهم»[2].

●● لقد كان فيصل حديث عهد بالسياسة، وارتكب خطأين كبيرين هما:

١ - قبول وعد بلفور، باجتماعه مع وايزمان، وتعهده بتسهيل التعاون بين العرب واليهود.

٢ - قبول مبدأ الانتداب، إذ ساقه دهاقين السياسة بخبثهم إلى أن يرفع

---

(١) الحكومة العربية في دمشق: خيرية قاسمية، ص٩٨ - ١٠٢.

(٢) يوم ميسلون: ساطع الحصري، ص٢١٧، وبيان فيصل إلى الشعب بعد عودته إلى دمشق في ١/أيار/١٩١٩م «ينظر الملاحق آخر الكتاب».



للمؤتمر تقريراً يقول فيه: «إن سوريا بلاد بلغت من الرقي درجة تؤهلها لحكم نفسها، ولكنها مازالت في حاجة إلى المعاونة والاستشارة الأجنبية» (وعُدّ هذا الكلام مؤيداً لاتفاقية سايكس بيكو، ونواة لقبول الانتداب)[1].

● وقسمت بلاد الشام بين الحلفاء، إلى مناطق نفوذ ومناطق سيادة، ومناطق انتداب ومعونة، وبقي للعرب دمشق والمدن الداخلية فقط، تنفيذاً لوعد بريطانيا (للعرب) بخلافة عربية، وتحريراً من مظالم الترك المزعومة، ولله في خلقه شؤون[2].

عودة فيصل إلى سوريا ولجنة كنغ كراين الأمريكية:

وصل فيصل إلى بيروت بعد غياب خمسة أشهر، فاستقبله الجنرال «بولفان» القائد البريطاني في الساحل استقبالاً قوياً.

● **وكانت سياسة فيصل بعد عودته متناقضة**: فقد اتبع سياسة مزدوجة، الواحدة تحت تأثير بريطانيا والحلفاء لإرضائهم، والثانية ترضي الوطنيين القوميين في سوريا، رغم ما بين هذين الاتجاهين من خلاف في المبدأ والمنطلق[3].

ـ قال في بيروت: «كل من يطلب منا المساعدة من أمريكا، أو بريطانيا أو فرنسا، فهو ليس منا، نحن لا ننكر أننا محتاجون إلى المعاونة الفنية، وهذا لا يكون إلا بعد نيل الاستقلال»[4].

---

(١) مرآة الشام، عبد العزيز العظمة، ٢٤٧.

(٢) خطط الشام: محمد كردعلي، ج٣/ ١٦١ – ١٦٢، بإيجاز.

(٣) ينظر أحمد قدري: مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ص١٠٧ دمشق/ ١٩٥٦م.

(٤) ينظر أحمد قدري: مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ص١٠٧ دمشق/ ١٩٥٦م.





ـ ثم عاد ليقول في مناسبة ثانية، في الحفل الذي أقامته بلدية بيروت تكريماً له بأن القائدين «الفرنسي والإنجليزي» والجالسين عن يساره ويمينه: «إنهما يمثلان أمتين كريمتين تشبهان الوالدين اللذين إذا وجدا العرب قد بلغوا سنّ الرشد منحاهم كل ما يسرهم، وإذا رأياهم عكس ذلك ـ لا سمح الله ـ عاملاهم بمثل ما يضطر الأب إلى معاملة ابنه من القسوة لخيره»(١).

●● ثم تكوّن المؤتمر السوري: من كافة مناطق سورية الطبيعية، وكان المؤتمر قد قدم مطالب محددة إلى لجنة كنغ كراين، التي بنى عليها فيصل والمؤتمر السوري آمالاً عريضة.. فقامت بتحقيقات في آب ١٩١٩م، إلا أنها ذهبت أدراج الرياح، إذ أخفتها اللجنة المشرفة على المؤتمر في باريس، ولم تظهر إلا عام ١٩٢٢م بعد أن فقد التقرير تأثيره(٢).

وجاء في نتائج التحقيق: «أن الأهالي يطالبون في سوريا وفلسطين بالاستقلال التام، ويرفضون كل شكل من أشكال الانتداب الفرنسي».

فكان إخفاء التقرير هو الطريقة الوحيدة لإنهاء الوضع الذي أوجده تعيين تلك اللجنة، وبذلك انتهى الأمر(٣).

---

(١) جريدة لسان الحال «بيروت» في ٥/ أيار/ ١٩١٩م، وخطط الشام: محمد كردعلي، ج٣/ ١٦٥ ـ ١٦٨.

(٢) الحكومة العربية في دمشق/ ص١٠٤ ـ ١١٠، وص١١٨ ـ ١٢٢، وخطط الشام: ج٣/ ١٧٣.

(٣) الحكومة العربية في دمشق/ ص١٠٤ ـ ١١٠، وص١١٨ ـ ١٢٢، وخطط الشام: ج٣/ ١٧٣.



● وكانت ملاحظات اللجنة وتوصياتها قد رفعت إلى لندن، عن طريق القاهرة في ١٩ تموز من نفس العام: «بأن سوريا لن تقبل انتداباً فرنسياً، والبرنامج الصهيوني لا يمكن تنفيذه إلا بالقوة وضد رغبات الأهالي العرب، وإن رغبة العرب بالوحدة رغبة عامة لا بديل عنها[١]».

وكانت شعارات حق تقرير المصير مهزلة دنيئة وماتزال كذلك حتى اليوم.

●● وصار المؤتمر السوري أشبه بالبرلمان وبالمجلس التأسيسي، وأصبح يراقب أعمال الحكومة برئاسة الأمير فيصل ونيابة الحاكم العسكري (علي رضا الركابي).

وقامت مظاهرات عامة، وبدأ التطوع في الجيش[٢]. وقدم المؤتمر السوري احتجاجاً شديداً على قرارات التقسيم والانتداب عن طريق لجنة خاصة، لإبلاغ معتمدي الحلفاء في دمشق بذلك، كما قدموا احتجاجاً للأمير زيد «أخي فيصل» ليرسل لأخيه في باريس، ضد تجزئة البلاد[٣].

زيارة فيصل الثانية لأوربا واتفاقيته مع كلمنصو:

لقد ساد القلق أهالي سوريا بسبب قرارات الحلفاء بشأنهم، فقامت المظاهرات في البلاد تندد بغدر الحلفاء، ورفض المؤتمر السوري قرارات مؤتمر

---

(١) يقظة العرب أنطونيوس/ ص٦٠٠ - ٦١٦.

(٢) جريدة العاصمة: العدد ٤٥٨/ ١٥ أيلول/ ١٩١٩م/ دمشق، لعام ١٩١٩م.

(٣) العهد الفيصلي: يوسف الحكيم، ص١١٥ - ١١٦، وجريدة العاصمة: العددان (٧١ - ٧٤).



الصلح، وطالب بوحدة سوريا الطبيعية واستقلالها[١].

● عندها نصح وزير خارجية بريطانيا (كرزون) ـ الذي جاء خلفاً لبلفور ـ الأمير فيصلاً بالسفر إلى فرنسا والتفاهم مع قادتها، فقد أصبحت هي صاحبة الشأن في سوريا.

وفي باريس عقدت المفاوضات بين رئيس وزراء فرنسا (كليمنصو) والأمير فيصل، حول قضية مصالح فرنسا، التي أصبحت هي المفوضة من قبل عصبة الأمم بشأن سوريا، ثم توصل الطرفان إلى تفاهم مبدئي وذلك في ٦ / ١ / ١٩٢٠م، رغم التوتر الشديد الذي كان يسود سوريا، ورغم انعقاد المؤتمر السوري المستمر آنذاك حول تلك الأمور...

فكانت مواقف فيصل حائرة مترددة، يتوسل الإنجليز والأمريكان وهم أعداء كفرنسا[٢].

● ثم بدأ كليمنصو ينفرد بفيصل ويتلاعب بشأنه خلال إقامته في باريس التي تجاوزت شهرين ونصف، فتارة كان يجامله ويدعوه إلى الحفلات التمثيلية، ويزوره متعاطفاً معه ظاهرياً وتارة كان يعامله بجفاء رافضاً مقابلته لأنه لم يقبل بانتداب فرنسا واحتلال البقاع، واستبدال القوات الفرنسية بالإنجليزية، ولذلك

---

(١) الحكومة العربية في دمشق، (ص١٢٦ – ١٣٣)، وجريدة العاصمة العدد (٥٨) في ١٥ / أيلول / ١٩١٩م، وتاريخ سورية عهد فيصل بن الحسين، ص١٨٨.

(٢) الحكومة العربية في دمشق، (ص١٢٦ – ١٣٣)، وجريدة العاصمة العدد (٥٨) في ١٥ / أيلول / ١٩١٩م، وتاريخ سورية عهد فيصل بن الحسين، ص١٨٨.



فضل فيصل أن يعود على سفينة بريطانية، ولا يقبل بسفينة فرنسية احتجاجاً على معاملة الفرنسيين له[١] .

إلا أنه لم يسافر كما هدد، ورأى أنه لا مناص من الوصول إلى اتفاق مع فرنسا، فصار يحاول استمالة الرأي العام الفرنسي، وصرح بأنه يرغب باتفاق ودي مع فرنسا، والتعاون مع الجنرال غورو في بيروت[٢] .

●● وجاءت رسالة الحسين إلى ولده فيصل، يحظر عليه توقيع أي اتفاق يتنافى مع عهود بريطانيا قبل الحرب، والخاصة باستقلال العرب، ولذلك اكتفى فيصل باتفاق شفهي مع كليمنصو، حتى يعرض ذلك على الشعب السوري[٣] .

* * *

وقد نصت هذه الاتفاقية مع كليمنصو، التي كانت معدة منذ ٢٨ / ١٢ / ١٩١٩م، والتي أرخت في ٦ / ١ / ١٩٢٠م على ما يلي:

١ ـ تتعهد حكومة فرنسا بتقديم المعونة لسوريا، وتضمن استقلالها ضمن الحدود التي سيعترف بها مؤتمر الصلح . . .

---

(١) وثائق الخارجية البريطانية، نقلاً عن تاريخ سوريا: حكم فيصل بن الحسين، ص(٢٠٦ ـ ٢٠٧) د. علي سلطان.

(٢) أحمد قدري: مذكراتي عن الثورة العربية / ص١٥٤ وأمين سعيد: ج٢ / ص١١٩، أسرار الثورة العربية.

(٣) أحمد قدري: مذكراتي عن الثورة العربية / ص١٥٤ وأمين سعيد: ج٢ / ص١١٩، أسرار الثورة العربية.



٢ ـ يكون لفيصل ممثل دبلوماسي في باريس، وتتعهد الدولة الفرنسية بتمثيل مصالح سوريا في الخارج.

٣ ـ يعترف فيصل باستقلال لبنان تحت الانتداب الفرنسي.

٤ ـ يسهل الأمير تشكيل إدارة مستقلة لدروز حوران داخل الدولة السورية.

٥ ـ تقدم سوريا إلى فرنسا كل مساعدة عسكرية تطلبها في جميع الحالات.

٦ ـ تعتبر اللغة العربية لغة رسمية، أما اللغة الفرنسية، فتدرّس إجبارياً وبشكل ممتاز؟!.

● على أن يبقى هذا الاتفاق مكتوماً بين الفريقين، حتى توقيعه النهائي عند عودة فيصل إلى فرنسا، ثم يعرض على مؤتمر الصلح[١].

وأقامت الخارجية الفرنسية حفلة وداع لفيصل في الخامس من كانون الثاني قبل سفره إلى بلاده.

والواقع فإن هذه الاتفاقية تعتبر تخلياً عن الوحدة السورية إضافة إلى الوحدة العربية، حيث اعترف الأمير باستقلال لبنان، وتحديد حدود سوريا الداخلية مع لبنان وفلسطين ورضي بسوريا الداخلية ملكاً له، وبانفصال فلسطين أيضاً عن سوريا.

---

(١) ينظر: وثائق الخارجية البريطانية/ نقلاً عن الدكتور علي سلطان/ تاريخ سوريا حكم فيصل بن الحسين ـ ص ٢١٥.



وقد فسرت فرنسا المساعدات التي ستقدمها إلى سوريا، بأنها تعني الانتداب، وهذا نقص كبير في الاستقلال من حيث المبدأ...

ويمكن القول: بأن سياسة فيصل ـ كما ستتضح من تصرفاته ـ هي الإبقاء على ما يمكن إبقاؤه ولو كان قليلاً[1].

● ورغم كل ما جرته بريطانيا على فيصل والعرب من مصائب وغدر، كانت ثقته بالإنجليز في القضية السورية عظيمة جداً فقد كتب إلى محمد كردعلي رسالة في ٤ / آذار / ١٩١٩م يقول فيها: «... الأمة الأمريكية والبريطانية معنا، وسنصل إلى مانتمناه... فلا يشق عليكم ما يبلغكم من بعض الجهات فجميع أصوات العالم معنا، إذا استثنينا بعض من يريد الاستعمار»[2].

●● لقد كانت خديعة الحسين وفيصل والعرب جميعاً، خديعة لئيمة موجعة وضخمة، بسبب وعود بريطانيا وغدرها المتكرر. وعدت باستقلال الولايات العربية كلها، ثم ضاقت الدائرة حتى صاروا يدعون لاستقلال الشام بحدوده الطبيعية، ثم سكتوا عن فلسطين، ثم اكتفوا بالدعوة لاستقلال سوريا، ثم تخلوا عن لبنان واكتفوا باستقلال المدن الأربعة، وحتى هذه لم تسلم لهم على ما يراد لها[3].

●● وهذه نتيجة طبيعية لمن يسلك سياسة اللين والتنازلات مع أعداء الله،

---

(١) تاريخ سوريا (حكم فيصل بن الحسين) / د. علي سلطان (ص٢١٥ – ٢١٦)، وينظر: مذكرات خالد العظم ج١ / ١٠١ – ١٠٣ / بيروت ١٩٧٣م.

(٢) خطط الشام: محمد كردعلي، ج٣ / ١٧٣ – ١٧٤.

(٣) خطط الشام: محمد كردعلي، ج٣ / ١٧٣ – ١٧٤.





ولمن يوالي أعداء الإسلام، ويربط مصيره باليهود والنصارى، فيحارب أبناء دينه من المسلمين.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ ﴾[1].

● نسي الحسين وأبناؤه والقوميون العرب هذا النداء الرباني: ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ... ﴾[2].

* * *

---

(١) سورة الممتحنة: الآية الأولى.

(٢) سورة المجادلة: الآية (٢٢).

المبحث الثالث

سياسة فيصل على ضوء اتصالاته في أوربا

• كانت القوات البريطانية، على أهبة الرحيل عن سوريا، خلال غياب الأمير فيصل في أوربا، وكان ذلك يعني تطبيق الانتداب وتنفيذ اتفاقية سايكس بيكو عملياً.

ثم بدأت قوات بريطانيا انسحابها (في أوائل تشرين الثاني من عام ١٩١٩م) بالتخلي عن بعض المراكز الشمالية لتحل محلها قوات فرنسية.

وألقت الطائرات الإنجليزية مناشير الوداع خلال الانسحاب (في ٢٦ / ١١ / ١٩١٩م)، حيّتْ فيها الأمير زيد بن الحسين والهيئة الحاكمة في دمشق، كما حيت أهالي دمشق، وشكرت لهم لطفهم الذي أبدوه نحوهم[١].

• وعقد المؤتمر الوطني جلسته (في ٢٢ / ١١ / ١٩١٩م) وقدم احتجاجاً للحلفاء، وأصدر بياناً في (٢٤ / ١١) يوجب فيه على الأمة الدفاع ضد كل من يحاول الإخلال بوحدة البلاد واستعمارها، مع إعلان الاستقلال والملكية الدستورية[٢].

---

(١) جريدة العاصمة، العدد ٧٩، في ٢٧ / ١١ / ١٩١٩م.

(٢) يوم ميسلون: الحصري، ص٢٤٩ - ٢٥٠، وتاريخ سوريا عهد فيصل بن الحسين، ص٢٢٨ - ٢٢٩.





●● وقد لعبت جمعية العربية الفتاة، وحزب الاستقلال، والشيخ كامل القصاب، دوراً رئيسياً في اتخاذ القرارات السابقة، وطالبوا بتغيير الركابي الذي قد لا يجاريهم في خطتهم القادمة[١].

● وقد تم في هذه الفترة حادثان زادا من حدة التوتر هما:

اعتقال ياسين الهاشمي رئيس الشورى العسكرية في الحكومة العربية من قبل بريطانيا (في ٢/١١/١٩١٩م)، ثم وصول الجنرال غورو مندوباً سامياً (في الثامن عشر من نفس الشهر) إلى بيروت[٢].

●● وعند وصول غورو إلى بيروت استقبله نصارى لبنان استقبالاً حافلاً، وعقدوا عليه الآمال العريضة من أجل انفصالهم عن سوريا، وكان قد أعلن أمام مستقبليه: «أنه وإن كان قد جاء إليهم كأحد أحفاد الصليبيين، فإنه من أبناء الثورة الفرنسية أيضاً».

(يعني بأن الحقد كان أصيلاً، ورسالته الاستعمارية كانت واضحة).

●● وعندما عينه رئيس الوزراء (كليمنصو) لهذا المنصب قال له: «مهمتك أن تبني في البحر المتوسط مركزاً للإشعاع الفرنسي»[٣].

---

(١) يوم ميسلون: الحصري، ص٢٤٩ - ٢٥٠، وتاريخ سوريا عهد فيصل بن الحسين، ص٢٢٨ - ٢٢٩.

(٢) تاريخ سورية «العهد الفيصلي»، د. علي سلطان، الصفحات/ ٢٢٩ - ٢٣٢، ٢٣٧ - ٢٣٨/.

(٣) المرجع السابق/ ص٢٤٠.

●● ومن الواضح الجلي، أن فرنسا كانت قد قررت احتلال سوريا قبل «اتفاق فيصل مع كليمنصو»، وإن خطط الجيش الفرنسي، كانت قد أعدت لاحتلال البلاد، وخاصة بعد اتفاق: لويد جورج، وكلمنصو، في الثالث عشر من شهر أيلول من عام ١٩١٩م[١].

وهذا ما كشفت عنه الأحداث المتلاحقة.

إعلان الاستقلال السوري وما تلاه من أحداث:

كان فيصل بن الحسين يرغب في تنفيذ اتفاقه مع كليمنصو، إلا أنه كان يعلم كذلك مدى معارضة جماهير الشعب وهيئاته لذلك الاتفاق، وكان الأمير قد وصف رحلته لأوربا بأنها كانت مرة، بسبب موقف بريطانيا التي تخلت عنه، إلا أنه رغم خيانة الإنجليز له وللعرب جميعاً، لم ينطق بكلمة تهديد واحدة ضدهم، لأنه اعتاد أن يهدد، عندما يكون الفرنسيون هم خصومه[٢].

● لقد كان استقباله فاتراً لدى عودته من أوربا، بسبب اتفاقه مع رئيس وزراء فرنسا، وعندما قامت المظاهرات أنكر الاتفاق أمام المتظاهرين البالغين عشرات الآلاف. وقال: «إن غايته الوحيدة، هي استقلال الأمة العربية»[٣].

●● ثم طلب الأمير فيصل الاجتماع في قصره لبحث الأزمة، وذلك في العشرين من كانون الثاني، فحضره أعضاء المؤتمر الوطني والزعماء السوريون،

---

(١) تاريخ سورية: (عهد فيصل بن الحسين)، ص٢٥٤ – ٢٥٥.

(٢) جريدة العاصمة: العدد ٩٥، في ١٩ / ١ / ١٩٢٠م.

(٣) العهد الفيصلي: يوسف الحكيم، ص١٢٧.

وبين لهم: أن بريطانيا تخلت عنه في آخر لحظة، إرضاء لحليفتها فرنسا، وأن احتجاجه لم يفده شيئاً. كما برر (فيصل) اتفاقه مع كليمنصو، بأن فرنسا اعترفت باستقلال سوريا؟ وإنها تضمن وحدة الساحل والداخل، ما عدا جبل لبنان؟! على أن تمد سوريا بالخبراء والمستشارين وتدرب الجيش، وتقدم المال اللازم لذلك.

وهاهو يعرض الأمور عليهم، وعلى الأمة، قبل أنْ يوقع الاتفاق، وطلب من الجميع أن يدلوا بآرائهم بحرية تامة، ثم سألهم ملمحاً: هل هناك إمكانية لمقاومة فرنسا عند عدم الموافقة؟! وختم خطابه قائلاً: «الوطن لنا جميعاً، لا لبريطانيا ولا لفرنسا».

ويبدو أن أسئلته جعلت القوم في حيرة من أمرهم، فلم يجب أحد منهم بشيء، وبقوا صامتين، كأن على رؤوسهم الطير»[١].

ولكن سرعان ما تلاشت حيرتهم، فقرروا رفض الاتفاق، ثم طالبوا «الفيصل» بالاستقلال التام، دون حماية ولا وصاية.

● والحقيقة أن فيصلاً كان يكتم اتفاقه مع «كلمنصو» عن الرأي العام، ولكن كان يتحدث به سراً لبعض خواصه، محاولاً أن يقنعهم بسياسة الأمر الواقع، وأن رفض الاتفاق يعني الحرب ضد فرنسا[٢].

●● ولما شعر فيصل بقوة المعارضة، وخاصة العربية الفتاة، حاول أن يؤلف

---

(١) أحمد قدري: مذكراتي عن الثورة العربية، ص١٦١.

(٢) الثورة العربية الكبرى: أمين سعيد، ج٢/ص٤٢، القاهرة.





حزباً من المحافظين، فظهر الحزب الوطني في ٢٥ / ١ / ١٩٢٠م، وكان يحصر نشاطه في العمل بحدود سورية الطبيعية فقط، ويطالب باستقلالها الكامل كما يؤيد الملكية برئاسة فيصل[١].

وقد عرف هذا الحزب، بأنه حزب الذوات الأرستقراطيين، الذين يهتمون أولاً بالمحافظة على سلطتهم ومصالحهم، واندمج في هذا الحزب بعض أعضاء العربية الفتاة المؤسسين، ممن ينتسب إلى تلك الطبقة.

●● ويذكر عزة دروزة: أن تأليف الحزب الوطني، كان سبباً في إثارة النعرات الإقليمية والعصبيات المحلية، واتهم أعضاؤه بمماشاة كل سلطة.

●● واجتمع المؤتمر السوري في ٧/ آذار/ ١٩٢٠م:

برئاسة هاشم الأتاسي، وقرر أعضاؤه إعلان الاستقلال لسوريا الطبيعية بما فيها فلسطين، مع إعطاء ضمانات لنظام خاص في لبنان، وإنشاء حكومة تكون مسؤولة أمام المؤتمر، كما تقرر بالإجماع تقديم العرش للأمير فيصل، على أن تعلن البيعة في «٨ آذار في دار البلدية»[٢].

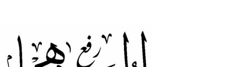
● وكانت هذه القرارات تعبر عن إرادة الشعب السوري بعد انتظار سنة ونصف، تحت الاحتلال والإدارة العسكرية وعُين (رضا الركابي) رئيساً للوزارة[٣].

---

(١) حول الحركة العربية: عزة دروزة، ص٨٦، الجزء الأول، صيدا/ ١٩٥٠م.

(٢) الحكومة العربية في دمشق/ ص١٦٥، وخطط الشام: محمد كرد علي: ج ٣/ ١٦٨ - ١٦٩.

(٣) جريدة العاصمة الدمشقية، العدد ٠٨-١/ في ١١/ ٣/ ١٩٢٠م، والعدد ٩٩/ في ٥/ شباط/ ١٩٢٠م.



●● ثم شكلت لجنة لوضع الدستور، برئاسة هاشم الأتاسي فوضع دستور من (١٤٨ مادة) على أساس النماذج الديمقراطية في دول أوربا، وبدأ الإعداد لإجراء انتخابات نيابية، لكنها توقفت نظراً لظروف إنذار غورو[١].

●● ورفضت حكومتا بريطانيا وفرنسا، الاعتراف بشرعية قرارات المؤتمر الوطني بدمشق، فلم تحصل المملكة الوليدة على الاعتراف باستقلالها من الحلفاء، إلا بشرط أن تقبل بالانتداب، ولا يمكنها قبول الانتداب دون التخلي عن الاستقلال، وعن ثلثي السكان[٢].

●● وكان المتآمرون في سان ريمو، قد قرروا تقسيم المناطق العربية ووضعها تحت سلطات الانتداب...

فاعتبر العرب تلك الإجراءات ضربة قوية لمطالب الوحدة، واعتبر الممثلون العرب في مؤتمر الصلح، أن قرارات سان ريمو خيانة لقضيتهم، وقدم الوفد الحجازي احتجاجاً رسمياً لمؤتمر الصلح، ثم إلى عصبة الأمم...[٣]

وكانت سياسة بريطانيا وفرنسا، تريد مصادقة رسمية من فيصل على الانتداب، فرفض فيصل تلك المطالب، واحتج بقرارات المؤتمر الوطني[٤].

---

(١) جريدة العاصمة الدمشقية، العدد ١٠٨/ في ١١/٣/١٩٢٠م، والعدد ٩٩/ في ٥/ شباط/ ١٩٢٠م.

(٢) الحكومة العربية في دمشق: خيرية قاسمية، ص١٧٤.

(٣) الحكومة العربية في دمشق (ص١٧٦ - ١٧٧) نقلاً عن أوراق عوني عبد الهادي.

(٤) المرجع السابق: خيرية قاسمية، ص١٧٨.



كما رفض المؤتمر السوري قرارات الحلفاء، واضطر الركابي إلى تقديم استقالته، بعد أن وجهت إليه حملات النقد والاتهام، وشكلت حكومة جديدة برئاسة (هاشم الأتاسي) فقررت توسيع نطاق التجنيد الإجباري(١).

● ومع تعنت فرنسا، وخذلان بريطانيا، ظهرت فكرة لدى الوطنيين بالتحالف مع الأتراك.

فسافر يوسف العظمة إلى حلب لهذه الغاية، واجتمع بوفد تركي أرسله مصطفى كمال، ورجع العظمة إلى دمشق، وأطلع الأمير على ما جرى ليتم الاتفاق، إلا أن فيصلاً، كان لا يرغب أصلاً بذلك الاتفاق، وكان يميل للاتفاق مع الفرنسيين حتى ذلك الوقت(٢).

●● لقد كانت دمشق كعبة الشباب العربي المثقف خلال الأشهر القليلة من الحكم العربي، فقد استوطنها رجال من مختلف الأقاليم الشامية، وقد لعبوا دوراً بارزاً في تاريخ تلك الفترة... وأصبحت البلاد في حركة دائبة وحماسة وطنية متقدة تضافرت فيها الجهود لبناء الدولة العربية الواحدة، وتوطيد دعائم الاستقلال والوحدة.

وكان الشعور العربي حتى ذلك الوقت ممزوجاً بروح إسلامية، حتى أن شوارع دمشق كانت تمتلئ بعشرات الآلاف من المتظاهرين في المناسبات

---

(١) مقابلة شخصية مع يوسف الحكيم: خيرية قاسمية، ص١٧٨.

(٢) جريدة لسان الحال، العدد ٤٢٢ في ١٦/ حزيران/ ١٩٢٠م، وجريدة البرق ـ بيروت/ ١٥ حزيران/ ١٩٢٠م، وتاريخ سوريا العهد الفيصلي ـ علي سلطان/ ص٣٣٤.





الوطنية، وهم يهتفون: «دين محمد دين السيف»[1].

●● وقام رجال الأحزاب والجمعيات والنوادي في تلك الفترة بدور فعال لمقاومة الانتداب، والحفاظ على استقلال البلاد، إلا أن هذا المفهوم القومي الوحدوي، أخذ يتدنى نحو المفهوم الإقليمي.

كان ذلك انعكاساً للظروف السياسية التي كانت تفرض على العرب في مؤتمر الصلح، والتي كان فيصل يعاني منها، حتى قنع بعدم جدوى العمل للوحدة العربية.

ونقل ذلك الشعور إلى المواطنين، فقنعوا «من الغنيمة بالإياب»، قنعوا بالعمل لوحدة سورية كمرحلة من مراحل الوحدة الوطنية الشاملة، واعتبرت الحكومة العربية نفسها ممثلة للأمة السورية كذلك[2].

وقديماً قيل: «تمخّض الجمل فولد فأراً».

* * *

---

(١) ينظر: أسعد داغر، مذكراتي على هامش القضية العربية، ص١٠٥.

(٢) ينظر تاريخ سوريا (عهد فيصل بن الحسين)، د. علي سلطان ص١٠٤ – ١١١.



المبحث الرابع
كارثة ميسلون واحتلال دمشق

« ١ »

ما قبل المعركة:

كان غورو قد أرسل إلى الملك فيصل كتاباً يشير فيه إلى استغرابه من بدء الفساد والتمرد منذ دخول جيوش فرنسا للمنطقة بعد رحيل بريطانيا، وذلك في (١١ تموز ١٩٢٠)، ثم أرسل إليه بلاغاً (إنذاراً) في ١٤ تموز ١٩٢٠م، يدور حول خمس نقاط، وهي:

- تسليم خط حديد رياق حلب.

- قبول الانتداب الفرنسي، والضرب بيد من حديد على يد رجال العصابات على حدود لبنان.

- إلغاء التجنيد الإجباري، وقبول تداول النقود السورية الجديدة.

● ثم أوضح غورو في إنذاره أن الانتداب يمكن أن يتوافق مع حكومة سورية وطنية، ثم بدأ الإنذار بتعداد شكاوى كثيرة ضد حكومة دمشق، غايتها تأمين إشراف فرنسا على أعمال حكومة دمشق.

● وطلب الأمير فيصل من وزير خارجية بريطانيا « كرزون » التدخل لدى



فرنسا، فرفض المذكور، لأن لفرنسا الحق الأول في سوريا؟![1].

●● ثم التقى الملك فيصل بأعضاء حكومته في ٢٣ تموز، يتدارسون إنذار غورو ومطالبه، ودار حوار شديد بين المجتمعين مع يوسف العظمة وزير الحربية، واقترحوا تسريح الجيش استجابة للإنذار المشؤوم، إلا أن العظمة بيّن لهم بأنه إذا سُرّح الجيش لا يعود بالإمكان جمعه ثانية.

ولكن الجميع أظهروا رغبتهم في المسالمة دفعاً لخطر الاحتلال، قرروا قبول مطالب غورو كلها، فخالفهم يوسف العظمة، ورفض الاشتراك بتوقيع هذا القرار وانسحب من المجلس، فاضطروه ثانية إلى التوقيع معهم مكرهاً (بحضور الملك)، وفي الحال صدرت إرادة الملك بفضّ الجيش وتسريحه، وكتب الملك برقية إلى غورو يخبره بقبول مطالبه، رغم معارضة المؤتمر الذي أجل اجتماعه لمدة شهرين[2].

● إلا أن الخبيث زعَمَ أن البرقية لم تصل في وقتها، وكان قد أرسل جيشاً للتوجه نحو دمشق... فوصل مجدل عنجر، وكان هنالك فوجان سوريان مستحكمان، فتلقيا الأوامر الملكية بالانسحاب، ثم فاجأهما الجيش الفرنسي وأسرهما دون أن يطلقوا رصاصة واحدة[3].

---

(١) ينظر خطط الشام، ج٣/١٧٨، مرآة الشام: ص٢٦٢ ، ٢٦٣ والحكومة العربية في دمشق: (ص١٩٤ - ١٩٨).

(٢) مرآة الشام: يوسف العظمة (ص٢٦٤ - ٢٦٥) ومجلة المنار ج١٠/مجلد ٢٢/في ٣١ تشرين الأول ١٩٢١م.

(٣) الحكومة العربية: خيرية قاسمية/ ص٢٠٣، عن مقابلة شخصية مع اللواء عبد الله =



وفي مقابلة لخيرية قاسمية مع بعض ضباط الفوجين، كانوا قد انتقدوا قضية الانسحاب من مجدل عنجر، لأنه كان أمنع من خط دفاع ميسلون، وكانت المواقع العربية هي المشرفة على تحركات الفرنسيين[1] .

●● ثم عاد الملك والوزارة فرجحوا فكرة الدفاع بعد ثلاثة أيام من تسريح الجيش وإخلاء الكتائب من معظم الجنود، ورفضوا مطالب غورو على أمل أن يسد الفراغ بآلاف المتطوعين ثم عادوا للضغط على وزير الحربية، بدعوى أن الوقت وقت حمية ينبغي فيها التضحية والفداء، فاضطر لمجاراتهم على أن يفادي بنفسه وهكذا كان .

وذهب الوزير إلى ميسلون وأخذ يُعّد المعدات منتظراً ما وعد به من النجدات، وكانت القوة الموجودة لديه تبلغ الألفي رجل، ولم يصل من النجدات سوى (٣٠٠ فارس) من حي الميدان وبعض المتطوعة من دمشق . . بينهم الشهيدان الشيخ عبد القادر كيوان، والشيخ كمال الخطيب، اللذان وقعا في أيدي الفرنسيين، فأكرهوهما على حفر قبريهما بأيديهما، وأنزلوهما فيهما وهما أحياء، ثم أطلقوا عليهما النار وقتلوهما رحمهما الله تعالى[2] .

* * *

= عطفة، وأخرى مع الزعيم جميل البرهاني، وكانا في اللواء الأول .

(١) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٢) مرآة الشام : عبد العزيز العظمة / ص٢٦٥ – ٢٦٦ .



وقبل التوجه إلى المعركة: وخلال مداولات الوزراء مع بعض الضباط (في قصر فيصل في ٢٣ تموز ١٩٢٠) كان يوسف العظمة يبدو ممتقع الوجه، فكلمه رشيد رضا ولامه على ادعائه بقدرة الجيش العربي على مقاومة فرنسا، بينما تبين العكس باعتراف العظمة نفسه، فأجابه الوزير: (بأنه مذنب ويتحمل تبعة عمله) وقال: «كدت البارحة أن أنتحر من الغم فلا تزد علي»[١] وقال لأسعد داغر وهو دامع العين: «كان الفوز مكفولاً لنا فأضعتُه بيدي، وإني أعرف ما يجب علي، وسأقوم بواجبي ولست آسفاً على نفسي، بل أسفي على الأمة التي ستظل سنوات هدفاً لكل أنواع المحن والمصائب، وأثق من عطف أصدقائي على طفلتي، فسأذهب مرتاح البال مطمئن القلب في طريق الواجب المفروض علي»[٢].

● ثم انتحى جانباً بالحصري، وأوصاه بابنته ـ باللغة التركية ـ وكانت زوجته وابنته، قد وصلتا من تركيا قبل أسبوعين.

ويروي الحصري أن فيصلاً ظل يرسل عشرين ديناراً شهرياً إلى ابنة يوسف العظمة «واسمها ليلى»، عن طريقه حتى وفاة فيصل، وقد توفيت (ليلى) فقيرة عمياء في تركيا عند زوج أمها[٣].

●● ثم دخل العظمة إلى غرفة فيصل وودعه بعد حوار قصير، قال فيه

(١) المنار: مجلد ٢١/ ج٦/ حزيران/ ١٩٢١، ص٤٧١.

(٢) أسعد داغر: مذكراتي على هامش القضية العربية/ القاهرة ١٩٥٢/ ص١٤٢، ولعله يشير إلى أسفه في قبوله تسريح الجيش العربي.

(٣) جريدة صوت العرب: رقم ٥٥٥/ ٢٢ شباط/ ١٩٥٦م.



العظمة: «إذن هل يأذن لي جلالة الملك أن أموت في ميسلون؟!» فقال فيصل: «بعد أن انتهت الأمور إلى هذا الحد، يجب علينا أن نموت جميعاً، وننقذ البلاد من حرب أهلية أيضاً»[١].

●● وكان الملك فيصل قد أرسل مرافقه (قائم المقام) **جميل الألشي إلى** ميسلون ليستطلع أحوال الجيش ويذهب إلى الجنرال (غوابييه) قائد الحملة الفرنسية، ويطلب منه الهدنة إن لزم الأمر، كحل أخير ومحاولة يائسة...

إلا أن الألشي خان الأمانة، وأبان للقائد الفرنسي مواطن ضعف الجيش العربي، وأكد له أنه لا يبلغ (٤٠٠٠ متطوع) فسُرّ الجنرال بهذه الأخبار وقال: «إذن غداً مساء في دمشق». وكرر الخائن العبارة نفسها جهرة، بعد ما وعده الجنرال بأن يحفظ له هذه الخدمة إذا رجعا إلى دمشق[٢]. وبهذه الأمانة (عند دعاة القومية) ضاعت البلاد.

«٢»

يوسف العظمة ورجاله على أرض ميسلون:

لقد كانت القوى غير متكافئة على أرض المعركة، رغم أن الأماكن قد اختيرت للجيش العربي بدقة، شهد بها الضباط الفرنسيون الذين حضروا المعركة.

---

(١) تاريخ سوريا حكم فيصل بن الحسين: ص٣٧٧، علي سلطان.

(٢) مرآة الشام: عبد العزيز العظمة/ ص٢٦٧، والعظمة من معاصري تلك الأحداث، وأحد أقارب وزير الحربية يوسف العظمة.

وقال عنها قائد الحملة الفرنسية (غوابيه)[1] :

« إن العظمة خصم لا يستهان به، عرف كيف يختار مكان دفاعه وحصّنه أحسن تحصين، وكان يعتقد أن المعركة ستكون شديدة » .

● وإذا كان من الصعب أن نطلق اسم معركة حقيقة على ما حدث في ميسلون، نظراً للفرق الكبير بين القوتين، فإن يوسف العظمة أراد ألا يدخل الفرنسيون دمشق إلا بقتال مشرّف للعرب، وكان العظمة هو الضابط الوحيد بين قتلى ميسلون من العرب . . .

●● وذكر غورو أن المعركة كانت خطيرة، وأنها دامت ثماني ساعات، وأن الدبابات والطائرات قامت بالضرب بشكل باهر، وكان حرباً تدور في أعظم المعارك في الحرب الكبرى[2] .

● وكان للخيانات وضعف النفوس دور في حسم المعركة أيضاً، من ذلك أنه منذ بداية المعركة تقدم رجل درزي (من المتطوعين) مع بعض الفرسان، وعرض على قائد المسيرة خدمته، وما إن تقدمت المسيرة نحو العدو حتى وثب عليها ذلك اللئيم من خلفها وجعلها بين نارين، وقتل منها عدداً ونهب سلاحها وعتادها .

● وحضر المدعو (حسين الشماط) رئيس عصابة سرغايا إلى الزبداني،

---

(١) جريدة ألف باء/ دمشق العددان (٩ ، ١٠) أيلول / ١٩٢٠م.

(٢) يوم ميسلون : الحصري/ ص٣٢٤، وانظر الأعلام للزركلي ج٨/٢١٣، طبعة دار العلم للملايين ـ بيروت .



وطلب من قائد الميمنة أن يسلّمه المدافع والرشاشات ليحفظها له، فدفعه القائد بالتي هي أحسن.

● ورغم ذلك كله، استمر القائد يوسف العظمة يدير المعركة حسب الإمكانات المتوفرة، حتى أصابته قذيفة من إحدى الدبابات، فأردته صريعاً (يوم ٧ ذي القعدة ١٣٨٨هـ ـ الموافق إلى ٢٤/ تموز/ ١٩٢٠) رحمه الله[١].

●● وقد سمح الفرنسيون لزوجته أن تكتب على قبره، وعلى لوحة خشبية العبارة التالية: «هذا وزير حربية الحكومة الشريفية، مات جندياً بشجاعة»[٢].

● قال المارشال (ماكنزن الألماني) قائد جبهة رومانيا في الحرب العالمية الأولى (حيث كان يوسف العظمة يشغل منصب رئيس أركان حرب الفيلق العثماني في تل الجبهة): «ما كان يخطر ببالي أن يكون في الجيش العثماني مثل يوسف العظمة»[٣].

●● وقد رثاه الشاعر أحمد شوقي بقصدته الرائعة بقوله:

سأذكر ما حييتُ جدار قبر   بظاهر جلّــقٍ ركب الرمالا

مقيــم ما أقامت ميسلون   يذكّر مصرع الأسد الشبالا

---

(١) مرآة الشام: عبد العزيز العظمة، ص٢٦٧.

(٢) فاجعة ميسلون والبطل يوسف العظمة: محيي الدين سفر جلاني، طبع دمشق ـ ١٩٣٧م، ص٣٧٨.

(٣) جريدة الأيام ـ دمشق/ ١٩٥٧م، من مقال لحسن الحكيم رئيس وزراء في سوريا سابقاً.



« ٣ »

ما بعد ميسلون: مواقف متباينة:

● وعلى أثر سقوط القائد أخذت فلول الحملة تتراجع نحو دمشق فاعترضها في الطريق نواف الشعلان بمن معه من الخيالة، وسلب سلاح المتراجعين وعتادهم.

كما سطا بعض أشقياء الأكراد على اصطبل الثكنة، ونهبوا ما وجدوه فيها من خيول الجيش.

● هذا ما كان في ميسلون أما في حمص، فإن القوة التي كانت مرابطة فيها، زحفت نحو الغرب للقاء الخصم مع الزعيم (زكي بك العظمة) شقيق الوزير يوسف العظمة، إلا أن معظم الجنود فروا ولم يبق منهم سوى الضباط وقليل من الجند، أما الباقون فقد ارتكبوا عار الفرار مما اضطر قائدهم إلى تسليم نفسه إلى كتيبة جزائرية كانت أقل منهم عدداً وعُدداً، وجرى قريباً من ذلك في فرقة حلب أيضاً.

● تلك هي بعض نتائج الحكم الفيصلي، الذي انتهى بهذه المأساة المؤلمة وأدخل البلاد تحت نير الاستعباد والأمر لله وحده[١].

●● وفي اليوم الثاني من وقعة ميسلون وهو يوم ٢٥ تموز ١٩٢٠م، دخلت

(١) مرآة الشام: عبد العزيز العظمة / ص٢٦٧.

فرقة من الجيش الفرنسي (من السنغال) والتي يقودها الجنرال (غوابيه) إلى دمشق واحتلتها بدون قتال ولا مقاومة . . .

وانسحب الملك ووزراؤه إلى قرية « الكسوة » جنوب دمشق، ولما تم الاحتلال، عادوا إلى المدينة أملاً في التفاهم مع الفرنسيين، الذين أصروا على رفض فيصل رفضاً تاماً، ثم أعدوا له قطاراً خاصاً، لينقله إلى خارج سوريا مع عائلته وبطانته، فانصاع للأمر وسلّم مستشاره علاء الدين الدروبي رئاسة الوزارة، بدلاً من وزارة هاشم الأتاسي المستقيلة، فاختار الدروبي وزراءه من أصدقاء فرنسا، وقبلت الوزارة بمطالب فرنسا كلها، وأدت الغرامة « عشرة ملايين فرنك »، وسرّحت الجيش وسلّمت سلاحه، ونقلت معداته إلى المقر الفرنسي[١] .

● ورجعت البعثة الفرنسية إلى تقارير جواسيسها واستخلصت منها (١٥٠ رجلاً) من دعاة الاستقلال، حكمت عليهم بالإعدام، إلا أنه لم ينفذ الحكم بأحد منهم، لأنهم تشردوا تحت كل كوكب، وهذا ما كانت ترجوه فرنسا[٢] .

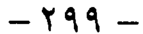
لقد كانت ميسلون حداً فاصلاً، تبعثر على إثرها رجال الثورة العربية، في مختلف الأقطار بما جنوه على أمتهم من دمار وعار.

●● وقد ألهب جلاء الملك فيصل عن دمشق مشاعر أهالي حوران واستغلوا

---

(١) يوم ميسلون : الحصري، ص٢٦٨ – ٢٦٩ ، والثورة العربية الكبرى : أمين سعيد ، ج٢ / ٢٠٨ – ٢٠٩ .

(٢) مرآة الشام : عبد العزيز العظمة ، ص٢٧٠ .





قدوم رئيس الوزراء (علاء الدين الدروبي) ورئيس مجلس الشورى (عبد الرحمن اليوسف)، وبعض الوزراء ليهدئوا من ثورة أهالي حوران، فهاجموا القطار في خربة الغزالة، وقتلوا أعضاء الحكومة لأنهم خونة وعملاء لفرنسا، هكذا كانوا يعتقدون، قتلوا الدروبي واليوسف وآخرين من مرافقيهم، وفرضت فرنسا على الأهالي مبلغ (١٢٠ ألف ليرة عثمانية)، منها دية الوزيرين، لكل منهما عشرة آلالف ليرة، كما حكم على عدد من المتهمين بمقتل الوزيرين بالإعدام، فزادت حوران خراباً فوق خرابها[١] . وكان ذلك في ٢٠ آب ١٩٢٠م.

« ٤ »

صليبية المعركة في ميسلون:

كانت بريطانيا وفرنسا تنطلقان من أحقادهما الصليبية، بعيداً عن كل صداقة مزعومة وأحلاف وثيقة، لا تعرفان وفاء ولا ديناً أو شرفاً.. ظهر ذلك في كل تصرفاتهم مع قادة ما سمي بالثورة العربية الكبرى، ومع العرب أجمعين. فبينما كان توجه العرب قومياً علمانياً في ثورتهم، لم يرفعوا شعاراً إسلامياً خلال صراعهم الطويل، وما عرفوا في قتالهم صيحات (الله أكبر) الجهادية، مكتفين بأخوة الجنس والوطن قبل مجئ (موسى وعيسى ومحمد)؟!

كان الأعداء يتبجحون بصليبيتهم صباح مساء، فمحقت بركة العرب خلال الخديعة الكبرى، ومزقت ديارهم، ولم يعتبروا حتى الآن.

---

(١) خطط الشام: ج٣ / ١٨٢ - ١٨٣، ومرآة الشام، ص٢٧٠.

● انظر إلى تصريحات قادة الحلفاء كيف تنضح حقداً ولؤماً!!

قال الجنرال غورو المفوض الداني الفرنسي، من خطاب ألقاه في بيروت عام ١٩٢٠م، ما تعريبه: «إنني سليل الذين دخلوا هذه البلاد في غابر الزمن، وقد أتيت إلى هنا، لأتمم رسالة ما تركه أولئك الأبطال»[١].

وقال الجبان الحاقد أمام قبر صلاح الدين رحمه الله:

«ها إنا قد عدنا فانهض لترانا هنا في سوريا»[٢].

وقال أيضاً: «إن حضوري هنا يقدس انتصار الصليب على الهلال»[٣].

● أما بريطانيا فقد وقفت تجاه احتلال فرنسا لسوريا وقفة المتفرج المشاهد في مسرحية، مع أنها شاركت في تركيب فصولها فصلاً فصلاً، وتركت فرنسا تنهي المشهد الأخير كما أرادت.

وكان اللنبي صديق فيصل الحميم، يستحث صموئيل للإسراع بإخراج فيصل من فلسطين ـ خلال مروره فيها ـ حتى لا يثير الناس ضد فرنسا، وخرج فيصل إلى إيطاليا في ١٨ آب ١٩٢٠م[٤].

●● وكان الشريف حسين قد أرسل لبريطانيا ما بين ١٢ إلى ٢٧ تموز

---

(١) مرآة الشام: عبد العزيز العظمة، ص٢٧١.

(٢) كفاح الشعب العربي السوري: إحسان هندي، دمشق/ ١٩٦٢م.

(٣) تاريخ سورية/ حكم فيصل بن الحسين: د. علي سلطان/ ص٤٠٣.

(٤) تاريخ سوريا ١٩١٨م – ١٩٢٠. د. علي سلطان، ص٣٩٩.

خمس نداءات ما بين برقية ورسالة إلى رئيس الوزراء البريطاني ووزير خارجيتها وإلى اللنبي، منها كتابه إلى الجنرال اللنبي يقول فيه: «لا تسكت على تسليم البلاد إلى الفرنسيين، لأنهم سوف يعتبرونك (الأهالي) شريكاً في الجريمة... إن إنذار غورو لفيصل يجعلني أشعر أن بريطانيا خفضت شرفي وكرامتي...» «نعيماً يا بطل!».

وجاء في كتابه إلى لويد جورج في ١٨ تموز: «إن لم تساعدني فسيعاملني العرب على أنني خائن وكذاب، وهذا مهين لسلالتي إلى الأبد»[١].

أيكون هذا جزاء من جمع إلى صف الحلفاء (٣٠ ألفاً) من العرب يقاتلون معهم الأتراك بقيادة ابنه فيصل[٢].

ثم تكون هذه المواقف جزاء وفاقاً، لمن تخلى عن دينه وبني قومه؟!

* * *

(١) السابق ص٣٩٩.

(٢) خطط الشام: ج٣/١٧٩.

الفصل الثاني
الثورة العربية وجني الأشواك الدامية

قال عليه الصلاة والسلام:

« مَنْ قاتل تحت راية عُميّة يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة، فقُتل فقتلة جاهلية ». صحيح مسلم بشرح النووي: جـ ١٢ / ٢٣٨.

● **من أبرز نتائج الثورة العربية:**

١ ـ التجزئة والتقسيم بدلاً من الوحدة الشاملة.

٢ ـ الخراب والدمار نتيجة الحروب والفوضى.

٣ ـ الأحقاد الصليبية مع التشفي والانتقام.

٤ ـ غدر الإنجليز بحليفهم الشريف حسين:

ـ الحسين يرفض توقيع معاهدة تتعلق بمصير فلسطين.

ـ نفيه إلى قبرص ونهاية المأساة.

ـ الشعور بالمرارة والندم.

ـ الملك حسين يشكو من عقوق أبنائه!!

٥ ـ إلغاء الخلافة:

ـ حزن المسلمين لعظم الفاجعة وضخامة المؤامرة.



● استبشر العرب بنصر الحلفاء، وظنوا أنهم سيفون بوعودهم وبنوا على ذلك الآمال، طالما قاتلوا معهم، وطاردوا بني دينهم من العثمانيين...

وتمت بيعة الشريف حسين بن علي ملكاً وخليفة للأمة العربية، في المسجد الحرام، الأول من شهر المحرم ١٣٣٥، ٢٩ أكتوبر ١٩١٦م.

ورفضت البيعة من قبل بريطانيا وفرنسا، وكتب المعتمدان لهاتين الدولتين في جدة سؤالاً للشريف فيه: «لِمَ تمت البيعة دون الرجوع إلى الحلفاء؟!»[١].

وأن بريطانيا لا تعترف بالشريف حسين ملكاً للعرب، وبعد اتفاق بين دول الحلفاء، أعلنوا اعترافهم بالشريف حسين ملكاً على الحجاز فقط!!. وأخطر بذلك رسمياً في رسالة مؤرخة في ١٠ ديسمبر ١٩١٦م[٢].

● وعندما بويع فيصل بن الحسين ملكاً على سوريا ثارت ثائرة الحلفاء، ومن ثم نددوا بالمؤتمر السوري الذي بايع الفيصل ملكاً.. وأبرق كيرزون (وزير خارجية بريطانيا) إلى اللنبي ليخطر (الأمير فيصل) بأن سوريا وفلسطين والعراق، فتحتها جيوش الحلفاء، وأخذتها عنوة من الأتراك ولن يتقرر مستقبلها إلا على أيدي دول الحلفاء مجتمعة...»[٣].

● كانت هذه بداية طريق الأشواك، بداية المأساة وسوف نوجز أبرز النتائج

---

(١) مذكرات الملك عبد الله بن الحسين/ عمان/ ١٩٤٧م، ص١٧٥ - ١٧٦.

(٢) نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية: (ص١٤٦، ١٥٢) محمد الخير عبد القادر.

(٣) نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية: (ص١٤٦، ١٥٢) محمد الخير عبد القادر.



المريرة لثورة العرب والتي بدأ الشريف حسين نفسه يشهد نتائجها العملية، ويتخذ خطوات مضطربة بعد أن أفلت الزمام من يده.

«١»

لقد حلم العرب ـ بقيادة الشريف حسين ـ بوحدة بلادهم وتحريرها من العثمانيين ـ كما يزعمون ـ فماذا جَنَوْا؟!

● مزقت بلاد الشام إلى دويلات أربع، والدولة الواحدة قسمت إلى مزق متناثرة في ظل الانتداب البغيض...

سُلمت سوريا لفرنسا، وفلسطين للوكالة اليهودية، والعراق والأردن وقعتا تحت سيطرة بريطانيا.

وتصدقت بريطانيا (بعد أن تخلت عن الحسين) بعروش كرتونية على ولديه: فيصل وعبد الله.

● وبعد الوعود الفضفاضة بتاج الملك على عرب آسيا كلهم، وخلافة عربية، ثمناً لإسقاط الخلافة العثمانية ماذا حصل؟!

ـ فصلت سوريا عن الحجاز، وبدأت الأحزاب السورية تقتنع بكيان سوري جديد، كحزب الاتحاد السوري بمصر برئاسة ميشيل لطف الله (نصراني)، ومحمد رشيد رضا وكيل الحزب[١].

---

(١) ينظر: مجلة المنار، مجلد، ٢١، ج٤ ص٢٠٤، حزيران ١٩١٩م.



ـ وانساق فيصل مع التيار الجديد وصار يوقع باسم أمير سورية وقائد جيوش الشمال، متجاوزاً رأي والده الذي أنبه ببرقية شديدة اللهجة في شهر آب ١٩١٨م يؤنبه فيها قائلاً: «أإلى هذا الحد تصل بك القِحَة يا فيصل؟!» فاستقال فيصل من قيادة الجيش، لكن والده رفض ذلك، وأمره ألا يعود إلى مكة قبل أن يدخل الشام[١].

● وهاجم الحسين في جريدة القبلة، شكري غانم رئيس اللجنة المركزية السورية في باريس، لأنه كتب في جريدة (المستقبل) يطلب فيها استقلال سوريا تحت رحمة فرنسا.

● كما انتقد الشريف حسين، حقي العظم لآرائه في القضية السورية حيث قال: «إن اللبنانيين وكل المسيحيين السوريين، يرفضون سلطة ملك الحجاز، الذي يستمد سلطته من الدين، ولأنه يشكل حكومة دينية، وأن كثيراً من المسلمين يحملون نفس الفكرة»[٢].

●● وعينت بريطانيا (صديقة القوميين العرب) يهودياً صهيونياً حاكماً على فلسطين وهو (صموئيل)، ولو كان يحمل الجنسية البريطانية.

وكان لورانس صديق العرب ـ كما يزعمون ـ من أشد الناس إخلاصاً للحركة الصهيونية، قال في كتاب له موجه إلى (ماك أنيس) كاهن الأبرشية

---

(١) أسعد داغر، مذكراتي على هامش القضية العربية، ص٩١.

(٢) مجلدة الزهراء ـ القاهرة/ المجلد الأول: الجزء الأول، محيي الدين الخطيب، ص١٩٨، وعلي سلطان: تاريخ سوريا حكم فيصل بن الحسين (ص٤٧٧ – ٤٧٨).



الأنكليكانية في القدس لاعتراضه على فكرة إقامة وطن قومي لليهود بفلسطين: «كان الأفضل لك أن تفعل شيئاً آخر غير الاحتجاج لكنك، لا تصلح حتى لتنظيف حذاء وايزمان»[1] .

● وبكى تشرشل في جنازة لورانس، ووصفه بأنه الأكثر شهرة بين رجالات بريطانيا العظماء[2] .

«٢»

● **وكان الخراب والدمار من أبرز نتائج التحالف العربي البريطاني:**

يقول محمد كرد علي وكان معاصراً لتلك الأحداث:

ماذا جنت هذه الحرب على العرب إلا الخراب والدمار؟!

لقد كانت أشأم حرب على بلاد الشام، لأن أهلها حاربوا وهم يحبون السلم، وفقدت الشام أبناءها وأموالها وضرب عمرانها...

فقد منها نحو عشر سكانها في المعارك والجوع والأمراض، أي نحو (ثلاث مئة ألف رجل على أقل تقدير)، وخسرت من حيوانها وشجرها وذخائرها وبيوتها وجسورها، ما يساوي الملايين من الدنانير.

هذا عدا عن مقتل كثيرين في الحرب في صفوف الحلفاء، فقد تطوع ـ من

---

(١) لورانس على خطا هرتزل/ زهدي الفاتح/ ص٢٩ – ٣٢ .

(٢) لورانس على خطا هرتزل/ زهدي الفاتح/ ص٢٩ – ٣٢ .



غير المسلمين ـ مع الحلفاء أكثر من عشرين ألفاً، منهم خمسة عشر ألفاً، كانوا في الجيش الأمريكي[1].

● لقد قامر أنور وطلعت وجمال بالمملكة العثمانية، وكأنها سلعة في السوق، فخسروا رأس المال، وبسقوطهم دب الفشل في الدولة العثمانية نفسها، وكيف لا يدب، وقد خرجت من الحرب رازحة بديونها، فاقدة أكثر من نصف مملكتها؟![2].

«٣»

وكانت الأحقاد الصليبية من أبرز دوافع الحلفاء في حربهم ضد المسلمين، وقد مكّن القوميون العرب بقيادة الشريف حسين وأبنائه لهؤلاء الحاقدين أن ينفذوا خطتهم الخبيثة.

ـ قال اللنبي عندما دخل بيت المقدس: «الآن انتهت الحروب الصليبية» وأعلن النصارى أفراحهم آنذاك، فقرعت نواقيس الكنائس لهزيمة العرب والمسلمين، بمساعدة الجيش العربي بقيادة الفيصل[3].

ـ وقد مرّ معنا في هذا الباب أقوال الجنرال غورو عند قبر صلاح الدين رحمه الله، وهو ينفث حقده مذكراً بأيام أجداده الصليبيين.

---

(١) ينظر: خطط الشام، محمد كردعلي، ج٣/١٥٨.

(٢) المرجع السابق.

(٣) ينظر جهاد شعب فلسطين، ص٦٥، ومجلة الهلال لعام/ ١٩١٧م.



ـ وها هو رفيق السلاح مستشار الأمير فيصل، لورانس العرب، كما أسموه يقول: «مهما تمخضت عنه هذه الحرب، فيجب أن تكون نتيجتها القضاء نهائياً، وإلى الأبد على السيادة الدينية للسلطان التركي»[1].

ويقول أيضاً في تقريره: «سياسات مكة»:

«لو تمكنا من تحريض العرب على انتزاع حقوقهم من تركيا فجأة وبالعنف، لقضينا على خطر الإسلام إلى الأبد، ودفعنا المسلمين إلى إعلان الحرب على أنفسهم، فنمزقهم من داخلهم وفي عقر دارهم.

وسيقوم نتيجة ذلك، خليفة للمسلمن في تركيا، وآخر في العالم العربي ليخوضا حرباً دينية داخلية فيما بينهما، ولن يخيفنا الإسلام بعد هذا أبداً»[2].

«٤»

غدر الإنجليز بحليفهم الشريف حسين وعزله:

● **الحسين يرفض توقيع معاهدة تتعلق بمصير فلسطين:**

بعد نهاية الحرب وانتهاء خدمات الشريف حسين، أرسلت بريطانيا «لورانس»، عسى أن يقنع الحسين بقبول مصير فلسطين.

قال راندال باكر مؤلف كتاب (الحسين ومملكة الحجاز): «نقلت الشؤون

---

(١) من تقارير لورانس السرية: كتاب لورنس العرب لزهدي الفاتح/ ص٧١، ٧٤ – ٧٥.

(٢) المرجع السابق.



العربية من إشراف (كيرزون) في الخارجية إلى (تشرشل) في وزارة المستعمرات » .

« فعقد تشرشل مؤتمراً في القاهرة في مارس ١٩٢١م، لمداواة الجراح التي أصابت العرب وبيت شريف مكة، وفي يوليو من نفس العام أُرسل (لورانس ضابط المخابرات البريطانية) إلى الحسين ليعقد المعاهدة بين بريطانيا والحجاز . وقال للملك حسين :

« إن قضية عروبة فلسطين لا جدوى منها، ولا مجال للنقاش حولها، فهي غير مقبولة، أما وعود الحرب فقد سقطت بفعل الأحداث، وعلى الملك أن يقبل بالأمر الواقع »، ولكن الملك رفض المساومة تماماً، رغم نصيحة فؤاد الخطيب وزير خارجيته ورغم إلحاح أولاده بأن يقبل ما يعرض عليه[١] .

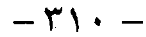
● قال لورنس للملك حسين : « إن أهالي فلسطين لا يريدونك » فرد الملك « هذا لا يغير من الأمر شيئاً، نحن لا نريد فلسطين لي ولا لأولادي، ولكن أريد أن تحفظ بريطانيا وعودها للعرب، فإنْ فعلت فأنا وأولادي على استعداد لمغادرة البلاد العربية »[٢] .

●● ويقول (راندال باكر) أيضاً : واستمر لورنس يغريه بأنه لو وَقّع

---

(١) السعوديون والحل الإسلامي : محمد جلال كشك، ص٤٧٣ القاهرة الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٢) السعوديون والحل الإسلامي : محمد جلال كشك، ص٤٧٣ .





المعاهدة، فسوف يحمي نفسه من الإخوان[1]، كما أن الدعم المالي سيقطع إذا لم يوقعها، ومن المؤكد أن قوات نجد لن تغزو بلداً تربطه معاهدة مع بريطانيا، فقال الملك بتأثر، وهو يعرف أنه بدون معاهدة لن يستطيع الاستمرار: «أنا لا أستحق القيادة، دع الأمراء يتفقون على قائد وأنا أتنحى»[2].

عندها أمر لورنس بأن يذهب إلى الأردن ليحصل على توقيع الأمير عبد الله، ولعل ذلك يلين موقف الشيخ، **وفعلاً وقع عبد الله في ٢١ أكتوبر ١٩٢١**، وأرسل خطاباً إلى والده يشرح له الأسباب، فأعيد الخطاب إليه دون أن يُقرأ واستمرت المفاوضات دون طائل حتى عام ١٩٢٣م»[3].

● ويشير حافظ وهبة إلى زيارة وفد فلسطيني إلى مكة في خريف ١٩٢٢م، فألهب حماسة الحجاج وفتحت جريدة القبلة له صفحاتها، فاستاءت بريطانيا من ذلك، وبعثت برسالة إلى الملك حسين تنتقد فيها حكومة الحجاز وهيئة تحرير القبلة! ويعتقد حافظ وهبة: «أن الملك اتخذ ذلك الموقف المتصلب بشأن قضية فلسطين تحت تأثير الأحزاب العربية»[4].

● لقد رفض الحسين كل توسلات أبنائه (علي - فيصل - عبد الله) بل يروي (سليمان موسى): أن الملك صعد إلى سطح قصره، وأقسم برب الكعبة

---

(١) الإخوان: هم المطوعون في جيش الملك عبد العزيز من أتباع حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمهما الله -.

(٢) المرجع السابق/ ص٤٧٣، محمد جلال كشك.

(٣) المرجع السابق/ ص٤٧٣، محمد جلال كشك.

(٤) السابق/ ص٤٧٤.



أن لا يوقع على معاهدة لا تحقق الوعود القديمة، فغضب لورنس وغادر الحجاز إلى عمان دون أن يودع الملك[1].

الشعور بالمرارة والندم:

وقد اعتذر الأمير علي بن الحسين ـ الذي أصبح ملكاً على الحجاز بعد أبيه ـ بقوله: «لم نكن سوى بدو بسطاء، لم يسبق لنا قبل الثورة أن دخلنا في الحياة الدولية، أو عاملنا الأجانب أو اتصلنا بهم من قريب أو بعيد، وقد جاءنا الإنجليز إلى الحجاز، ولم نذهب إليهم، جاءونا بورقة بيضاء في ذيلها ختم الامبراطورية، وقالوا لنا: هذه ورقة رسمية فاكتبوا فيها ما تشاءون، ونحن مستعدون للتنفيذ والتلبية، فصدقناهم ووثقنا بهم، وقاتلنا في جانبهم، ولكنهم ما لبثوا أن خانوا وغدروا بنا»[2].

● وقال راندال باكر: «وفي اعتقادي أنه إذا كان الملك حسين مذنباً في شيء، فهو أنه كان ساذجاً لا يفهم سياسات القرن العشرين» وقال: «وأعتقد أنه كان يتلقى نصائح ضارة من ابنه الثاني (عبد الله) الذي كان خلف الشطحات التي تنسب لأبيه، أما الملك فكان يتصرف بعقلية القرون الوسطى التي عرفها في البلاط العثماني في استانبول.

وكان يؤمن بشرف الكلمة، ثم واجه بهذه الأساليب أوربا، التي كانت

---

(١) سليمان موسى: موظف في إدارة الإعلام في الحكومة الأردنية من كتاب له عن الحسين.

(٢) أمين سعيد: أسرار الثورة العربية ومأساة الشريف حسين، نقلاً عن (السعوديون والحل الإسلامي) ص٤٨١.



تخوض حرباً لا تعترف باتفاقيات، ولا حياد ولا ما شابه ذلك»[1].

●● وقد وصف أمين الريحاني مآدب الملك فيصل ملك العراق «في أحد البساتين»، بأنها مآدب الغم، كان ذلك وهو محاط بحاشيته من الإنجليز وأضرابهم في العراق.

● قال الريحاني: «قال الملك: تراني اليوم محاطاً بالأعداء، ولا صديق لي غير الإنجليز، فمن أين لي الحليف لو شئت المخالفة؟! في سوريا الفرنسيون وهم أعدائي، وفي الشمال الأتراك وهم يكرهونني، وفي الشرق العجم يدسون الدسائس بواسطة الشيعة على حكومتي، ومن الجنوب ابن سعود يهددنا دائماً بالإخوان من جيشه، من إذاً غير الإنجليز؟!».

«وكان جلالة الملك أثناء المأدبة، صورة من صور اليأس المحزنة، وقد رأيته غير مرة يتثاءب، وما سمعته والمندوب السامي يتحدثان ولو عن الطقس...» «وجلس الملك في خيمة يلعب بسبحة، ويدخن السيجارة تلو السيجارة فياله من غم!!»[2].

●● وهذه نتيجة طبيعية لمن يوالي أعداء الله، من اليهود والنصارى ولمن يثق بأحفاد القردة والخنازير، فإن خلاف المواعيد ديدنهم، والغدر واللؤم من أنبل أخلاقهم.

ـ وها هو التاريخ يعيد نفسه، فهل من متعظ؟!

---

(١) الملك حسين ومملكة الحجاز، وانظر السعوديين والحل الإسلامي ص٤٨١.

(٢) السعوديون والحل الإسلامي ص ٥٠٣، ورسالة بتاريخ ١٥ ربيع الأول ١٣٤٣هـ نقلاً عن الريحاني وكشك، ينظر: ص٥٠٣ – ٥٠٥ السعوديون والحل الإسلامي.





اتفاقيات ومعاهدات مع دولة إسرائيل بحماية أمريكا، فهل أبناء اليوم خير من أجدادهم بالأمس؟! ألا ياليت قومي يعلمون.

إبعاد الحسين إلى قبرص ونهاية المأساة الأليمة:

● عندما انتهى دور الشريف حسين وأراد الإنجليز استرضاء العالم الإسلامي، أوحوا لأبنائه بالتقدم بعريضة يوقع عليها عدد من الأشراف، يطلبون فيها عزل الشريف حسين (خليفة المسلمين) عن إمارة مكة، وتعيين ابنه بدلاً منه.

● فوقّع الأمير عبد الله هذه الوثيقة، وقدم الشريف حسين استقالته للمعتمد البريطاني الذي اندهش من ذلك[١].

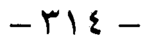
●● وتبدلت لهجة بريطانيا مع الحسين، بعد الألقاب التي دبّجَها مكماهون باسم بريطانيا: «إلى السيد الحبيب النسيب، سلالة الأشراف، وتاج الفخار، وفرع الشجرة المحمدية والدوحة القرشية، صاحب المقام الرفيع.. قبلة العالمين، عمت بركته الناس أجمعين»[٢].

ضاعت هذه الألقاب كلها للحسين، ثم وُجِّهَ إليه خطاباً موحشاً وإنذاراً لا يقبل نقاشاً ولا رأياً، تبدلت لهجة الخطاب مع الحسين، ضاعت مع أرواح قتلى العرب في سبيل الإنجليز وجاء في الإنذار: «إلى جلالة الملك حسين، من وكيل

---

(١) الخيانة العربية الكبرى: أحمد رائف/ ص٧٠، الزهراء للإعلام العربي/ ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(٢) ينظر الملحق رقم (١) من رسائل مكماهون والحسين، الرسالة الأولى.





خارجية بريطانيا، بُلّغت حكومة جلالة ملك بريطانيا أن عظمة سلطان نجد هيأ قوة لمهاجمة العقبة، والباعث هو جلالتكم وحكومة الحجاز » إلى أن يقول: « وفي هذه المناسبة نصر بإلحاح بوجوب مغادرتكم العقبة، ولا يمكنها أن تسمح لكم بالبقاء أكثر من ثلاثة أسابيع ».

ورست بارجتان بريطانيتان في العقبة، ورفضت بريطانيا السماح له بالسكن في يافا أو حيفا العربيتين[١].

● خرج الشريف ليلاً على البارجة (دلهي) من ممتلكات التاج البريطاني منفياً إلى قبرص، وصحب معه حفيده الأمير طلال، وكان قد طلب التأخر يومين فرفضوا، وقال أذهب إلى حيفا بدلاً من قبرص فقالوا: لا، وأراد أن يستقل يخته الخاص به، ولكنهم لم يوافقوه.

وأنزلوه بمنزل متواضع لا يليق بأمير، وألحقوا حفيده بوظيفة (نائب حاكم قبرص)، وكان المرتب الذي يتقاضاه كل شهر لا يكفي ثمن الغذاء والدواء، كما روى الملك طلال في مذكراته عن تلك الفترة.

وهكذا تحول الثوار الذين ضربوا الإسلام بالعروبة إلى موظفين في وزارة الخارجية البريطانية[٢].

● وعندما مر الحسين عبر قناة السويس، مأخوذاً إلى قبرص صَحِبَهُ بعض كبار العرب من السويس إلي بورسعيد، وسمعوه يحدثهم في أسى وألم قال:

---

(١) الثورة العربية الكبرى: أمين سعيد، ج٣ / ص٢٠٩.

(٢) الخيانة العربية الكبرى: أحمد رائف / ص٧١.



«إنه كان مخطئاً، وأنه ماكان يعرف أخلاق الأوربيين، وما تنطوي عليه» وقال: «إنه يشهد أنه فعل ما فعله عن حسن نية»[1].

●● وفي ٢٢ حزيران ١٩٢٢م، نزل الحسين في (فاماجوستا) بقبرص منفياً شريداً بعيداً عن الأصدقاء، فاقداً الملك والوطن، مُرْهَباً بحلفائه وخادعيه... أصبح الحسيب النسيب ضيف حلفائه وسط المنفى في جزيرة قبرص.

وبذلك تتضح الصورة من جديد، في تحالف الصهيونية العالمية مع الصليبية الاستعمارية.

●● نزل الحسين في قبرص ضيفاً مبعداً، ولكن حاكم قبرص البريطاني كان هو «رونالد» السكرتير الشرقي في دار المندوب السامي بالقاهرة أثناء الحرب العظمى، فكثيراً ما جاء مندوباً إلى الحسين من حكومته، فأجزل له العطايا وأثقله بالهدايا، وظن الحسين أنه سوف يلقى الخير من صديقه ذاك، وسوف يحيا في منفاه معززاً مكرّماً، ولكن هيهات: أفي قومه الوفاء، أم آباؤه الصِّيدُ؟!

لقد كان ما رآه الحسين من ذاك الصديق قاسياً رهيباً، أرادت بريطانيا أن ترهب العرب وترعبهم آنذاك، فليكنْ الحسين أمثولة للجميع[2].

● وتكالبت الآلام والإحباطات على الشريف حسين، وهاجم الشلل ملك العرب، واستراحت بريطانيا، فقد انشغل عنها الملك المبعد بأمراضه ومتاعبه وهمومه، وعاد إلى عمان مريضاً، ليدفنَ في جنبات المسجد الأقصى بعد أن

---

(١) الثورة العربية الكبرى: ج٣/ص٢١١، أمين سعيد.

(٢) جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن: صالح مسعود أبو يصير ص٧٥ و ٧٦.



قال لأصحابه ناصحاً: «إياكم وتصديق الإنجليز، فكم ذقت مراً من صداقتهم التي هدمتني، وهدمت العرب والإسلام»[1].

● قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[2].

● وقيل أن الحسين كان يطوف في أرجاء قصره، بعد أنْ خُلعَ من الملك وهو يهتف: «هذا جزاء من يثق بالإنجليز».

وعندما زالت المرارة ضد الترك بزوال دولتهم، انتبه العرب على المصير الذي سقطوا فيه، بعد سقوط الخلافة، فحمّلوا مسؤولية ذلك كله للحسين وأبنائه، وخاصة أنهم أصبحوا هم المنتفعين الوحيدين بما نزل بالعرب من كوارث ومصائب.

● فعين فيصل ملكاً على العراق، بعد قبوله بالانتداب البريطاني، وعين الأمير عبد الله أميراً على شرقي الأردن، بعد قبوله بانتداب بريطاني على العراق والأردن وفلسطين.

ذهل العرب من توزيع الإنجليز تلك العروش على أفراد الأسرة الهاشمية، بينما كانت علاقة الملك حسين بالإنجليز في تدهور مستمر[3].

---

(١) جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن: صالح مسعود أبو يصير ص٧٥ و ٧٦.

(٢) سورة المائدة: الآية (٥١).

(٣) السعوديون والحل الإسلامي، محمد جلال كشك/ ص٥٠٩ - ٥١٠.



لقد كانت المأساة أليمة، وثمار الثورة تحولت إلى أشواك مريرة، عبر عنها الشاعر أحمد محرم وهو يخاطب فيصل بن الحسين حينما مرّ بمصر مطارداً من فرنسا عام ١٩٢٠م فقال:

نزيلَ النيل أين تركتَ ملكاً | ألمّ ببابك العالـــي نزيلا
وأين التاج يرفع في دمشق | فيصدع هامة الجوزاء طـولا
وأين الجند حولك تزدهيه | مواكب تحمل الخطر الوبيلا[١]

● وأشار الشاعر أحمد شوقي إلى غدر الحلفاء وهو يرثى الشريف حسيناً بقوله[٢]:

قمْ تحدثْ أبا عَليٍّ إلينـــا | كيفَ غامرت في جوار الأراقم
قد رجونا من الغنائم حظاً | ووردنا الوغـــى فكنا الغنائم

● **علاقة الشريف حسين بأبنائه آخر أيامه[٣]:**

● تفيد تقارير القنصلية البريطانية، أن الأمير عبد الله قدَّم للقنصلية بواسطة عمدة جدة (سليمان قابيل) عريضة تتضمن توقيع عبد الله وستين شريفاً يطلب السماح لهم بخلع الملك حسين والده، ولكن المعتمد البريطاني رفض التدخل، كما أنّه كان للحزب الوطني الحجازي الدور المباشر في خلع

---

(١) أزمة العصر: د. محمد محمد حسين ص٥٠ - ٥١.

(٢) أزمة العصر: د. محمد محمد حسين ص٥٠ - ٥١.

(٣) السعوديون والحل الإسلامي، محمد جلال كشك ص٥٠٧ - ٥٠٨.



الشريف حسين.

●● وبعد عبد الله جاء أخوه علي، فقال المعتمد البريطاني (جراني سميث) عنه: «أبلغني فؤاد الخطيب أن الأمير علياً تحدث معه بجدية في السنة الأخيرة، عن قيادة انقلاب ضد أبيه والذي يعتبره أولاده عقبة في طريق القضية العربية».

●● ولم يكن رأي الحسين في أولاده بأفضل من هذا العقوق... كان يسخر منهم ويقلل من شأنهم أمام الأجانب.

قال للريحاني عن أولاده بأنهم «فتحوا الباب لفرنسا في سوريا وقتلوا الحركة العربية».

ويقول راندال باكر: «إن الملك (حسين) كان مقتنعاً بأن فيصلاً غدر به في فرساي، وساوم على حقوق العرب بقبول عرش بريطاني الصنع، أما عبد الله فهو مرتبط بالبريطانيين تمام الارتباط»(١).

●● وفعلاً خدم الأمير عبد الله الإنجليز طوال ثلاثين عاماً، كما أنه سهّل السبل لمصالح اليهود، وقامر على فلسطين خلال حكمه الطويل(٢).

---

(١) سوف نتحدث عن الأردن والملك عبد الله ما بين ١٩٢٠ ـ حتى مقتله عام ١٩٥١م، في الباب القادم «الانتداب».

(٢) أمين الريحاني: ملوك العرب، نقلاً عن السعوديون والحل الإسلامي ـ محمد جلال كشك/ ص٥٠٨.



● وقد اشتكى الملك حسين للريحاني، مما سماه: عقوق أولاده له فقال:

«... ما جئتك شاكياً أيها النجيب! فأقرب الناس إليّ يخونون ويخطئون... لكنها العهود وحقوق الأب على بنيه، إن أحقر البدو لا يخونون عهداً يعاهدون به، ولو اتبعوا نصيحتي، لو امتثلوا أمري، لما كان ذلك التساهل والتذبذب في المؤتمرات...

فتحوا باب سوريا لفرنسا، وكادت سياستهم تقضي على القضية العربية»[1].

* * *

وهكذا ابتعد عن صاحب الثورة العربية، أقرب الناس إليه، أبناؤه وحلفاؤه وشعبه...

شعر بالمرارة ولكن بعد فوات الأوان، جنى أشواكاً دامية في حياته، وترك آثاراً خطيرة، وجراحاً عميقة في كيان الأمة بعد مماته.

وكان آخرها إسقاط الخليفة العثماني، وتمزق الامبراطورية التي رفرف علمها على بلاد العرب أربعة قرون...

اشترك في تلك المؤامرة الخطيرة: الحركات القومية: الطورانية والعربية، بشعارات جاهلية، وعصبيات خبيثة علمانية، وأشعل النيران فيها: عصابات يهود، ومجرمو السياسة الدولية، والخائنون للعهود من الحلفاء الصليبيين.

---

(١) المرجع السابق.

« ٥ »

إسقاط الخلافة وحزن المسلمين لضخامة المؤامرة

بعد هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى، سهلت القوى الماسونية اليهودية السرية انتصار مصطفى كمال على الجيش اليوناني، الذي تغلغل في الأناضول واحتل أزمير.

وانسحبت جيوش الحلفاء التي كانت تحتل تركيا أمام أتاتورك، لأنه هو الجواد الرابح الذي سينفذ أوامرهم، ويهدم الخلافة، متظاهراً بالتدين والإسلام ليحشد القوى الشعبية التركية معه[١].

وقد استعان أتاتورك لتنفيذ خططه في هدم الإسلام بعدد من اليهود، وبرؤوس الفتنة من الماسون مثل: جاويد اليهودي، وعصمت إينونو الماسوني وضيا صفوت اليهودي أيضاً[٢].

وكان من أكبر مستشاريه «حاييم ناحوم» الذي ولد في أزمير وتعلم في الجامعة العبرية في استانبول، وهو الذي وضع شروط معاهدة لوزان، التي اشترط رئيس الوفد البريطاني (كرزون) أربعة شروط للاعتراف بتركيا والانسحاب منها وهي:

---

(١) جهاد ناطق: عمر مفتي زادة/ ص٨، ١٢، والأفعى اليهودية في معاقل الإسلام/ ص٨٩.

(٢) مصطفى كمال الذئب الأغبر، أرمستر ونج (ص٢١٢)، دار الهلال/ مصر/ ١٩٥٢م.



١ ـ إلغاء الخلافة الإسلامية إلغاء تاماً.

٢ ـ طرد الخليفة خارج البلاد.

٣ ـ مصادرة أمواله وأملاكه.

٤ ـ إعلان علمانية الدولة.

ولم تنسحب بريطانيا من تركيا حتى تحققت تلك الشروط، ثم طبق حكام تركيا هذه الشروط بأمانة، ومايزال كابوس أحكام أتاتورك نافذاً حتى اليوم، بقوة الجيش وجبروته(١).

● جاء في دائرة المعارف الماسونية:

أن الانقلاب التركي عام ١٩١٨م، الذي قام به الأخ العظيم مصطفى كمال، أفاد الأمة، فقد أبطل السلطنة وألغى الخلافة، وأبطل المحاكم الشرعية، وألغى دين الدولة الإسلام، وألغى وزارة الأوقاف.. أليس هذا الإصلاح، هو ما تبتغيه الماسونية في كل أمة ناهضة؟! فمن يماثل أتاتورك من رجالات الماسون سابقاً ولا حقاً؟!»(٢).

---

(١) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية، علي حسون/ ص٢٨٧، طبع المكتب الإسلامي ـ بيروت ودمشق/ والشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية: د. عمر سليمان الأشقر/ ص٨٨ ـ دار النفائس ومكتبة الفلاح/ الكويت وعمّان ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

(٢) دائرة المعارف الماسونية/ ص١٦٢، والأفعى اليهودية في معاقل الإسلام/ ص٩٧ ـ



● وجاء خلفاء أتاتورك: عصمت إينونو وآخرون، فأكملوا المسيرة الخبيثة، والأحكام الكافرة، وما تزال سارية حتى الآن[1].

ولعله من أحسن ما كتب في تصوير انحرافات كمال أتاتورك وخبثه، مقال لمصطفى صادق الرافعي رحمه الله، بعنوان: تاريخ يتكلم، وقد جاء فيه:

«إن هذا الطاغية ملك حاكم، يستطيع أن يجعل حماقته شيئاً واقعاً، فيقتل علماء الدين بإهلاكهم، ... ويقتل مدارس الدين بإخرابها.. ويبلغ من كفره أن يتبجح ويرى هذا قوة. ولا يعلم أنه لهوانه على الله، قد جعله الذّبابة التي تصيب الناس بالمرض، والبعوضة التي تقتل بالحمى، والقملة التي تضرب بالطاعون. فلو فخرت ذبابة، وتبجحت قملة، أو استطالت بعوضة، لجاز أن يطنّ طنينه في العالم، وهل فعل أكثر مما تفعل؟!»

* * *

لقد حزن الناس على سقوط الخلافة، وامتلأت قلوب المسلمين حزناً لمصير دار الخلافة ـ الآستانة ـ وقد احتلتها جيوش الأعداء، وتقاسمها الإنجليز والفرنسيون والطليان حتى أصبح الخليفة سجيناً أو كالسجين، وقد عبر الشاعر حافظ إبراهيم عن هذا المصير المؤلم خير تعبير حينما قال[2]:

١٠٣/ عبد الله التل.

(١) دائرة المعارف الماسونية/ ص١٦٢، والأفعى اليهودية في معاقل الإسلام/ ص٩٧ – ١٠٣/ عبد الله التل.

(٢) ديوان حافظ: ج٢/ ٨٨ – ٨٩ (أيا صوفيا: هي المسجد الكبير في استانبول، كان قبل =



أيا صوفيا حان التفرق فاذكري عهود كرام فيك صلّوا وسَلّموا

إذا عدتِ يوماً للصليب وأهله وحلّى نواصيك المَسيحُ ومـريمُ

ودقّت نواقيسٌ وقام مزّمـــــرٌ من الروم في محـرابه يتـرنّمُ

●● وعندما انكشفت حقيقة أتاتورك، وتبين خداعه للمسلمين، بكى شوقي الخلافة التي أعلن الخبيثُ إلغاءها، وجعل تركيا دولة علمانية، وطرد آخر الخلفاء العثمانيين وارتفع صوت الباكين يعلنون موتها المفاجئ في صخب المحتفلين بعرسها، إذ كفنوها في ثوب الزفاف بين جزع الجازعين، وذهول الذاهلين، هكذا صوَّرَ أمير الشعراء تلك المأساة بقوله(١) :

عادت أغاني العُرس رجْعَ نُواح ونعيت بين معالم الأفــراح

وكفّنْتِ في ليل الزفاف بثوبه ودفنتِ عند تبلج الإصباحِ

شُيّعْتِ من هلع بعبرْة ضاحك في كل ناحية وسكرة صاح

« فالناس ما بين ذاهل عن نفسه كالسكران، وثمل بنشوة الكماليين قد استخفه الطرب، وآخرين قد فاضت عيونهم بالدموع قبل أن تتلاشى آثار الفرح

= العثمانيين الكنيسة الأولى في الشرق فحوله السلطان محمد الفاتح إلى مسجد، ثم حوله أتاتورك إلى متحف إرضاء للنصارى آنذاك، وما يزال كذلك حتى الآن في الدولة العثمانية.

(١) ديوان شوقي: ج٢ / ١١٤، طبعة مصر/ ١٩٥٠م.



بسبب الخداع اللئيم»[1].

● ثم قال شوقي مخاطباً الخلافة ومدى حزن المسلمين عليها:

ضجت عليك مآذن ومنابر   وبكتْ عليك ممالك ونواح

الهند والهة ومصر حزينة   تبكي عليك بمدمع سحاحِ

والشام تسأل والعراق وفارس   أمحا من الأرض الخلافة ماحِ؟![2]

ونختم بحثنا ببعض أبيات لأحمد محرم حين يخاطب العاصمة استانبول بقوله:

أعن خطب الخلافة تسألينا؟!   أجيبي يا فَروقُ فتىً حزينا

مضى الخلفاء عنك فأين حلّوا   وكيف بقيت وحدك خبّرينا

●● حقاً كانت المأساة موجعة، والمؤامرة ضخمة، والتخطيط خبيثاً اشترك فيه اليهود والمسلمون، وأهل الصليب وخبائث النزعات القومية، طورانية وعربية، ﴿ولله الأمر من قبل ومن بعد﴾.

* * *

(١) الاتجاهات الوطنية: د. محمد محميد حسين، ج٢/ ٣٧.

(٢) ديوان شوقي: ج٢/ ١١٤، طبعة مصر/ ١٩٥٠م.

الباب الخامس
مرحلة الانتداب
مرحلة تقسيم البلاد وتجزئتها

الفصل الأول : الانتداب الفرنسي على سوريا .

الفصل الثاني : الانتداب الفرنسي ودولة لبنان الكبير .

الفصل الثالث : إمارة شرقي الأردن في ظل الانتداب البريطاني .

الفصل الرابع : تهويد فلسطين في ظل الانتداب البريطاني .

تمهيد

التعريف بالانتداب:

الانتداب: صيغة ابتكرها الحلفاء المنتصرون، لتكون قناعاً يخفون وراءه ما أئتمروا عليه في اتفاقية (سايكس - بيكو) من رغبة في التحكم بالشعوب ووضعها في مناطق النفوذ بالنسبة للأراضي المنفصلة عن الامبراطورية العثمانية[١].

● ذلك أنه في ٢٤ تموز ١٩٢٢م، صدر صك الانتداب على سوريا ولبنان عن جمعية الأمم، وهو مؤلف من مقدمة وعشرين مادة. وتتعهد بموجبه الدولة المنتدبة بأن تضع خلال ثلاث سنوات نظاماً للحكم في كل من سوريا ولبنان تراعى فيه المصالح المحلية، وأن تبلغه خلال المدة المذكورة لجمعية الأمم.

كما سمحت المادة الثانية من صك الانتداب للدولة المنتدبة بأن تحتفظ بقواتها العسكرية فوق الأراضي، الموضوعة تحت الانتداب لغاية الدفاع عنها...

وتتولى العلاقات الخارجية (تلك الدولة المنتدبة)، وهي التي تصدر البراءات القنصلية، وهي التي تضمن حدود البلاد وتتعهد بالدفاع عنها ضد أي أجنبي.

---

(١) من أوراق الانتداب: زهير الشلق/ ص٧/ دار النفائس بيروت/ ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.





● وحتى عام ١٩٢٨م، لم تحاول فرنسا أن تنفّذ شيئاً من التزاماتها، ومضت المدة حتى ذلك العام، وكان الحكم مباشراً، أو عن طريق الحاكميات والعملاء..[1]

كانت مرحلة الانتداب احتلالاً شرساً لبلاد الشام، بقوة السلاح وقرارات عصبة الأمم الظالمة...

كانت مرحلة صراع الشعوب الضعيفة مع أضخم دوليتن خرجتا ظافرتين بعد الحرب العالمية الأولى: بريطانيا وفرنسا، كانت مرحلة إحباط وخداع وغدر، ليس لها نظير، إذ ساهم أهل بلاد الشام في إخراج الجيوش العثمانية، ليوقعوا بلادهم تحت احتلال صليبي حاقد مزق بلادهم، وقضى على خليفة المسلمين، وشرد قياداتهم التي مكنت لهم هذا الاحتلال.

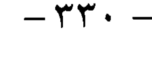
أمضى المحتلون أكثر من ربع قرن من الزمن، وهم يستغلون خيرات البلاد، ويربون لهم العملاء، ليحكموا عنهم بالوكالة بعد خروجهم...

بعد أن أفسدوا المناهج التعليمية، واتخذوا قوانينهم الوضعية بدلاً من الشريعة الإسلامية... واستمر العلماء بعد سادتهم يكملون المسيرة الشوهاء، وما زالوا حتى الآن ينفذون ما عجز عنه سادتهم.

كانت مرحلة الانتداب، مرحلة مفاجآت وتغييرات في الكيان الواحد... مهدوا لتهويد فلسطين وتهيئة الوطن القومي لليهود، وما خرجت بريطانيا إلا

---

(١) المرجع السابق: ص٩٥ - ٩٦.





بعد تنفيذ المؤامرة...

وضمت أجزاء من سوريا إلى منطقة جبل لبنان، لتنشأ دولة لبنان الكبير، تحت مظلة حراب فرنسا، وأحقاد الصليب...

وأنشيء كيان مسيخ جديد، هو دولة في شرقي الأردن سلخت من سوريا لتسلم إلى الأمير عبد الله بن الحسين، تحت هيمنة بريطانيا حليفة الأمس، وخائنة العرب والمسلمين... حتى اليوم.

قسموا سوريا بكيانها الجديد إلى دويلات، استغلوا فيها الطائفية والإقليمية إلى أقصى الحدود... بعد أن سلخوا عنها لواء اسكندرون، ومنطقة الموصل إرضاءً للإنجليز وحكومة أتاتورك.

* * *

الفصل الأول
الانتداب الفرنسي على سوريا

المبحث الأول: سياسة فرنسا في عهد الانتداب

ـ سياسة التقسيم والتمزيق.

ـ سيادة النزعة العلمانية والأفكار الدخيلة.

ـ تدهور الاقتصاد واستغلال خيرات البلاد.

المبحث الثاني: الكفاح الوطني المسلح ضد فرنسا.

ـ ثورة هنانو في الشمال، وأهالي حوران في الجنوب.

ـ الثورة السورية الكبرى في عامي: ١٩٢٥ - ١٩٢٦م.

ـ وحشية الفرنسيين في قمع الثورة وتدمير معالم دمشق.

المبحث الثالث: الكفاح الديبلوماسي ومرحلة التنازلات.

١ ـ نشوء الكتلة الوطنية وسياسة «التعاون الشريف»!

٢ ـ الجمعية التأسيسية: عام ١٩٢٨م.

٣ ـ إضراب ومعاهدة ١٩٣٦م.

٤ ـ مشكلة الاسكندرونة.

٥ ـ على طريق الاستقلال.

ـ ظروف سوريا خلال فترة الحرب العالمية الثانية.

ـ عدوان فرنسا على دمشق عام ١٩٤٥م.

المبحث الرابع: الدويلات الطائفية في عهد الانتداب.

ـ دولة جبل الدروز وحقيقة ثورتهم.

ـ دولة النصيريين والولاء لفرنسا.

المبحث الأول
سياسة الانتداب الفرنسي في سوريا

● عقب سقوط مملكة فيصل في دمشق، تولى الحكومة في ظل الانتداب علاء الدين الدروبي، الذي رضي بشروط الجنرال غورو ومنها :

ـ أن تقدم الحكومة السورية تعويضاً قدره (٢٠٠ ألف دينار من الذهب) .

ـ معاقبة المجرمين؟ الذين يتذرعون بالوطنية، ومعاقبة كل من ساعدهم، مع حرمانهم من الحقوق المدنية ومصادرة أملاكهم .

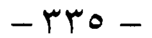
ـ تخفيض الجيش وجعله قوة لحفظ الأمن فقط .

●● وبدأ الفرنسيون بالاعتقالات لتنفيذ هذه الشروط في ظل حكومة الدروبي، كما بدأوا في جمع الأموال ومصادرة الأملاك، حتى انتهى عهد الدروبي، الذي اغتيل في حوران في ٢١ آب ١٩٢٠م، وكان ذلك أول انقضاض على الحكم الفرنسي في سوريا .

وخلفه جميل الألشي، ثم حقي العظم، وهما من رجالات فرنسا[١] .

---

(١) الشرق العربي المعاصر ـ الهلال الخصيب : د . محمود حسن صالح منسي، ص١٤٥ .





●● وتتلخص سياسة فرنسا في إدارة البلاد :

بأنها قسمت ديار الشام منذ عام ١٩٢٠م إلى مناطق نفوذ مختلفة تحت الانتداب، ثم مزقوا البلاد إرباً، واصطنعوا الحدود والحواجز الجمركية، التي تعيق المرور الحر للبضائع والناس، لقد قسموا سوريا إلى دولتي: سوريا ولبنان، فحققوا حلم الموارنة في إقامة دولة «لبنان الكبير» الذي ضموا فيه إلى جبل لبنان، مدن طرابلس وصيدا وصور بأقاليمها وأغلبيتها المسلمة، إضافة إلى بيروت بأهلها من مسلمين ونصارى، علاوة على سهل البقاع الخصيب وأغلبية أهله من المسلمين.

وكانت خطوةً في محاباة فرنسا لصالح النصارى، لأن غورو كان (كاثوليكياً متعصباً)، ويهدف إلى لم شمل أبناء ملته[١].

لقد كانت هذه السياسة تنفيذاً لاتفاقية (سايكس ـ بيكو) ووعد بلفور، وأعلنت في قرارات (سان ريمو ١٩٢٠م).

وهي الصيغة الرسمية التي تداعت بموجبها كل الأحلام القومية التي حملها فيصل ووالده ومؤيدوهما من القوميين العرب.

● **كانت السنوات الست الأولى من الانتداب**، مرحلة تثبيت لوجود حكومة الانتداب، إذ أنشيء لبنان الكبير (٣١/٨/١٩٢٠م) بضم الأجزاء السورية المسلمة، وفيها قسمت سوريا الجديدة إلى عدة دول (حلب ـ دمشق ـ ودولتي الدروز والعلويين) وسنجق اسكندرون.

---

(١) المرجع السابق: ص١٤٩.





وفيها قامت الثورات السورية، ومحاولة لاغتيال الجنرال غورو (١٩٢١م)[1].

لقد أمضى الفرنسيون ربع قرن (في سوريا)، كان حافلاً بالمتاعب مليئاً بالثورات ومظاهر المقاومة الوطنية المختلفة.

سياسة التقسيم:

ومبدأ (فرِّقْ تَسُدْ) كان هو السائد أيام الحكم الفرنسي، وكانت سياسة متقلبة متغيرة أيضاً.

- ففي عام (١٩٢٠م) أقامت فرنسا دولتين منفصلتين في دمشق وحلب، يحكم كلاً منهما حاكم محلي، يساعده عدد من المستشارين الفرنسيين.

- وفي عام ١٩٢٢م، أُعْلِنَ جبل الدروز وحدة مستقلة إدارياً، تحت الحماية الفرنسية، وكان الأمير سليم الأطرش أول حاكم له.

- ثم أعلنت دولة العلويين، وجعلوا لها نظاماً إدارياً خاصاً، وعُيِّن لها حاكم فرنسي.

- وفي عام ١٩٢٢م، أعلن (غورو) قيام اتحاد فدرالي سوري، يتضمن دويلات (حلب ودمشق والعلويين) ثم حلوا هذا الاتحاد عام ١٩٢٤م، في أيام (فيجان - المندوب السامي الجديد)، وحلت محله دولة سورية (تضمن

---

(١) الفكر السياسي المعاصر في سورية: د. جورج جبور، ص٤٧، المنارة/ بيروت/ ١٩٩٣م.





دويلات حلب ودمشق وسنجق الاسكندرونة) واستبعدوا منها دولة العلويين، وأصبح التنظيم الجديد يطلق عليه (دولة سوريا منذ عام ١٩٢٥م)[١] .

- وفي عام ١٩٣٩م، تنازلت فرنسا عن سنجق الاسكندرونة إلى تركيا، من أجل ضمان حياد تركيا في حالة نشوب الحرب العالمية الثانية .

وما كان لسياسة التجزئة هذه أي مبرر، فقد تجددت المنازعات الدينية، وكان المندوب السامي خلال تلك المرحلة، أشبه بحاكم عام لمستعمرة يتبعه عدد كبير من الموظفين، يرأسهم سكرتير عام[٢] .

● وكانت السنوات العشر الأولى من أيام الانتداب، مرحلة كرّ وفرّ بين الوطنيين وسلطة الانتداب الفرنسي، فقد تصالحت السلطة مع الكتلة الوطنية حيناً منذ مطلع ١٩٢٨م[٣] .

ثم جرت انتخابات عامة في البلاد « ما عدا منطقتي العلويين والدروز » فاز فيها رجال الكتلة الوطنية، ثم وضعوا مشروع دستور، لم توافق سلطات الانتداب عليه، رغم كثير من التنازلات[٤] .

---

(١) الشرق العربي المعاصر: الهلال الخصيب/ د. محمود حسن منسي، (ص١٥١ - ١٥٦)، وخطط الشام: محمد كردعلي، ج٣ (ص١٨٤ - ١٩٠).

(٢) المرجع السابق .

(٣) سيأتي تفصيل حول الكتلة الوطنية .

(٤) الفكر السياسي المعاصر في سوريا: د. جورج جبور/ ص٤٨ وحول الحركة العربية



●● واستمرت مرحلة الصراع بين الكتلة وسلطات الانتداب، حتى عام ١٩٣٦م، حين قبلت السلطة بالتفاوض مع الكتلة الوطنية، باعتبارها أول ممثل للقطر العربي السوري[١].

وخلال هذه المرحلة اضطهد الصحفيون، وكبتت الحريات وازدادت مطاردة الوطنيين وتعذيبهم.

* * *

وتميزت هذه المرحلة بتطور المفاهيم السياسية[٢]:

إذ كان التوجه نحو العلمانية سريعاً، وقويت النزعة العلمانية لدى القيادات السياسية للبلاد، بحجة مخاطبة فرنسا وعصبة الأمم بلغة حديثة؟!.

●● اتضحت هذه النزعة لدى عدد من المفكرين أمثال: الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، وزكي الأرسوزي، وقيادات الأحزاب العلمانية كالحزب القومي السوري «أنطون سعادة»، وحزب البعث العربي الاشتراكي «عفلق والبيطار» في الأربعينات، والكتلة الوطنية، وإن كانت تستخدم الدين وسيلة

الحديثة: عزة دروزة، ج٢/ ٤٤، صيدا ـ المطبعة العصرية/ ١٩٥٠م.

(١) الفكر السياسي المعاصر في سوريا: د. جورج جبور/ ص٤٨ وحول الحركة العربية = = الحديثة: عزة دروزة، ج٢/ ٤٤، صيدا ـ المطبعة العصرية/ ١٩٥٠م.

(٢) الفكر السياسي المعاصر: (ص٥١ – ٥٣).

ضغط على سلطات الانتداب.

● وقد تمكن الفرنسيون من القضاء على الحركات الجهادية في العالم الإسلامي، ويشاركهم في ذلك الحقد دولة بريطانيا، كما أنهم ألغوا المحاكم الشرعية وأحلوا محلها القوانين الوضعية، حتى كان نصيب الشريعة الإسلامية لا يتجاوز الأحوال الشخصية إلا قليلاً... بعد أن كانت مجلة الأحكام العدلية المعتمدة على الشريعة هي الأساس[1].

● كما أن دولتي الانتداب تمكنتا من القضاء على التعليم الإسلامي والأوقاف الإسلامية.

وجعلوا اللغة الفرنسية في سوريا ولبنان هي صاحبة الامتياز ليضمنوا نشوء الجيل السوري الجديد نشأة موالية، وثار أهالي البلاد عدة مرات مطالبين بإصلاح نظم التعليم ولكن دون جدوى (فقد وضع الفرنسيون المخططات الماكرة لتقليص التعليم الديني تدريجياً وإحلال التعليم اللاديني مكانه، كما وضعوا نماذج خبيثة للتدريس والتشويه من خلال المنهج التعليمي في البلدان التي سادها نظام الانتداب)[2].

● وقد نشأ نتيجة للتربية الاستعمارية هذه، جيل مقطوع الصلة بدينه مفتون بالغرب وتياراته الثقافية المختلفة، التي تتفق على شيء واحد هو تحللها من

---

(١) العلمانية: د. سفر الحوالي، ص٥٣٨ - ٥٣٩.

(٢) هل نحن مسلمون: محمد قطب، ص١٣٦ وما بعدها.

الالتزام بالدين...

وظل الشعور بالنقص لدى هؤلاء الأتباع هو الإحساس المسيطر في البلاد، حيث اصطنع المستعمر علماء ومثقفين من أبناء المسلمين[1].

● **وعلى صعيد نظام الحكم:**

كان الاتجاه العام يعتمد على مفاهيم الليبرالية الغربية، بما يتضمن من إمكان تعدد الآراء التي كثيراً ما كانت تختلط أو تتضارب، ومع ما كانت تراه الكتلة الوطنية من ضرورة وحدة الصف تحت قيادتها، كانت لا تقبل أي شيء إلا بزعامتها هي، حتى أن الميثاق الوطني المعلن في عام ١٩٣٦م، أوشك أن يتهم بالخيانة كل من لا يشارك الكتلة أسلوبها في النضال.

● ويمكن القول: بأن الفكر السياسي في القطر السوري، كان يعتبر الوريث الشرعي لتلك المدرسة الفكرية، التي كانت إجمالاً علمانية، بحجة مناهضة الفكرة الإسلامية العثمانية، وكانت هذه الفكرة قد نمت منذ أواخر القرن التاسع عشر في بلاد الشام خاصة.

وكانت النزعة القومية تتميز بعنصرية حادة، لتناقض الاستعمار بأنواعه..، كما أن الكتلة الوطنية باتت ترضى بالوحدة السورية ابتداء.

وعموماً فإن القطر العربي السوري، لم يكن قد استقر لدى مقدم الاستقلال على مفاهم سياسية تصلح للعهد الجديد، كما أنه لم يكن قد وجد فلسفته

---

(١) العلمانية: ص٥٩٦ (د. سفر الحوالي) وص٥٤٢.



السياسية الخاصة به[1].

أما السياسة الاقتصادية في عهد الانتداب:

فقد كانت تخدم مصالح فرنسا وإضعاف الاقتصاد الوطني، حيث ربطت النقد السوري بالنقد الفرنسي، وكانت السلطات الفرنسية تستغل السلطة لمساعدة الشركات الفرنسية إضافة إلى إضعاف الصناعات السورية، بسبب انتشار المصنوعات الأوربية وخاصة الفرنسية، مما أدى إلى انتشار البطالة وإلى التدهور الاقتصادي، كما أن الدويلات السورية كانت تجبر على المساهمة في ميزانية قوات الشرق الفرنسية، حتى وصلت عام ١٩٢٧م إلى (٩٣ مليون فرنك) أي بنسبة ٢٤٪ من ميزانية القوات المسلحة[2].

* * *

---

(١) الفكر السياسي المعاصر في سوريا: جورج جبور ص٥٤ - ٥٥.

(٢) ينظر الهلال الخصيب: د. محمود منسي، ص١٥٤ - ١٥٦، ١٦٠، بإيجاز.



المبحث الثاني
الكفاح الوطني المسلح

لقد أصيب الشعب السوري بإحباط شديد، نتيجة تعسف فرنسا وتلون بريطانيا، فقامت الثورات منذ الأيام الأولى لاحتلال البلاد.

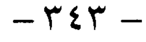
● فكانت **ثورة إبراهيم هنانو في شمال سوريا** من أول بوادر التمرد والمقاومة... كان هنانو عضواً في جمعية العربية الفتاة، وعضواً في المؤتمر السوري في دمشق لعام ١٩١٩م، ولكن الرجل لم يكن راضياً عن المؤتمر، بل كان يرى أن الوسيلة الوحيدة للدفاع هو حشد القوى الشعبية ضد المعتدين.

وفعلاً غادر (هنانو) دمشق إلى حلب، وترك المؤتمر، وجند الشباب في رابطة «الدفاع الوطني»، كما اشترك في إنشاء النادي العربي في حلب[١].

● نشبت ثورة (هنانو) في خريف ١٩١٩م، في الريف المحيط بحلب واستمرت ثورته عشرة أشهر، حتى احتل الفرنسيون حلب في شهر تموز عام ١٩٢٠م، بسبب تفوق فرنسا في العدد والعدة.

---

(١) الوثائق الأمريكية، من القنصل الأمريكي في ١٣/ آذار/ ١٩٢٠م.، نقلاً عن كتاب الهلال الخصيب. محمود منسي/ ص١٦٧.





وكانت الثورة تتلقى المساعدة المالية والسلاح آنذاك، من الوطنيين الأتراك[١]، كما كانت تتلقى العون من أمير الأردن (عبد الله بن الحسين)..

واتسع نطاق الثورة، وزاد عدد المشتركين فيها، وسقط عدد من المدن والقرى في أيدي الثوار.

● إلا أن فرنسا دعمت قواتها، وحصلت على اتفاق مع الترك بشأن (كليكيا) مما أدى إلى انقطاع المساعدات عن ثورة هنانو، ومع ذلك استمرت عمليات الثوار خلال شتاء وربيع ١٩٢١م، حتى لجأ هنانو إلى الأردن، فانضم إلى الساسة السوريين المنفيين هناك، ومن ثم اعتقلته السلطات البريطانية، وقامت بترحيله إلى سوريا فأمضى ستة أشهر في سجن حلب، وقد ندد هنانو خلال المحاكمة بالسلطات الفرنسية، وبالاحتلال غير المشروع لسوريا، ثم برأته المحكمة من التهم الموجهة إليه[٢].

جهاد أهل حوران ضد الفرنسيين[٣]:

كان الثوار فيها قد قتلوا رئيس الوزراء (علاء الدين الدروبي)، ورئيس مجلس الشورى (عبد الرحمن اليوسف) وعدداً من المسؤولين في محطة خربة

---

(١) وثائق الخارجية البريطانية من دمشق إلى الخارجية في آب ،١٩٢١م، نقلاً عن الهلال الخصيب ص١٦٧.

(٢) المرجع السابق: محمود منسي/ ص١٦٨.

(٣) جريدة العاصمة في ٢/أيلول/ ١٩٢٠م، وينظر: الصراع العربي الإسرائيلي، ص(٧١ - ٧٣).



الغزالة، قرب درعا . . . واستمرت الثورة بعد هذه الحادثة وشملت معظم مدن وقرى حوران احتجاجاً على احتلال سوريا وطرد الملك فيصل .

ومنح أهالي حوران مهلة ثمانية أيام ليقدموا خلالها الطاعة للحكومة، كما وجه إليهم إنذار بمضاعفة العقاب لو حصل أدنى اعتداء بتدمير أقرب قرية لذلك الحادث، مع إلقاء القنابل على القرى المتمردة(١) .

● واستخدمت الطائرات ضد القرى الآمنة، واضطر أعيان حوران إلى قبول شروط الإنذار من قائد الحملة (الجنرال غواية ورئيس الوزراء جميل الألشي) منها : إعادة المنهوبات ودفع دية الوزراء مع غرامة مائة ألف ليرة عثمانية ذهباً .

ورغم همجية القوات الفرنسية وشدة تنكيلها بأهالي حوران، ورغم الخسائر الفادحة في الأنفس والأموال، استمرت المقاومة، وكان للمجاهدين فيها صلات مع ثوار دمشق، كما كانت لهم صلات مع الدروز في ثورة ١٩٢٥م(٢) .

* * *

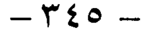
أما في دمشق:

فقد تأخرت المقاومة الشعبية بسبب غياب الزعماء الوطنيين في المنفى،

---

(١) جريدة العاصمة في ٢ /أيلول/ ١٩٢٠م، وينظر: الصراع العربي الإسرائيلي، محمد عبد الغني النواوي/ ١٩٨٣م. ص(٧١ – ٧٣) .

(٢) ينظر: صحيفة المقطم في ٤ /٩/ ١٩٢٠، ٤ /١٠/ ١٩٢٠، وتطور الحركة الوطنية في سوريا/ ص٢١١، د. ذوقان قرقوط .





وبمجرد عودتهم إلى دمشق، كونوا أول جمعية وطنية منذ الاحتلال، هي جمعية «**القبضة الحديدية**» التي نشطت سراً بسبب الأحكام العرفية.

وكانت القوة المحركة وراء هذه الجمعية هو الدكتور (عبد الرحمن الشهبندر) أكثر الزعماء الوطنيين نفوذاً في أوائل عهد الانتداب.

● وكان قد تولى وزارة الخارجية في حكومة فيصل (أيار ١٩٢٠م) ومن ثم حكمت فرنسا عليه بالإعدام فلجأ إلى مصر، وعاد إلى سوريا ثانية، واعتقلته السلطات الفرنسية بدمشق فقامت مظاهرة صاخبة عبر أسواق دمشق، ثم حكم عليه بالسجن لمدة عشرين عاماً، ثم نقل وغيره إلى جزيرة أرواد ليسجنوا فيها.

● وانتقل النشاط المعادي إلى بقية مدن سوريا (حمص ـ حماة ـ حلب) حيث أنشأ سعد الله الجابري (**جمعية اليد الحمراء**) مشابهة للقبضة الحديدية، وكان الفرنسيون يتهمون بريطانيا بمساندة هذه الجمعية[1].

ما قبل الثورة:[2]

في الثاني من شهر كانون الثاني عام ١٩٢٥م، وصل المندوب السامي الجديد (موريس سراي) إلى بيروت، وكان يبلغ من العمر سبعين عاماً، وبدأ عهده بالتودد إلى الزعماء الوطنيين في سوريا، ثم أمر بإلغاء الأحكام العرفية ثم طالبه الزعماء الوطنيون بعدة مطالب منها:

---

(١) وثائق الخارجية البريطانية رقم ١٠٩٦٢/ ٣٧١، والهلال الخصيب/ ص١٧٠.

(٢) ينظر: الهلال الخصيب/ ص١٧١ – ١٧٦. د. محمود صالح منسي.





ـ وحدة سوريا، ودعوة الجمعية التأسيسية لوضع دستور للبلاد، والعفو عن جميع المحكوم عليهم، وعن المبعدين السياسين وتسليم إدارة الأوقاف إلى المسلمين...

ـ فوعدهم سراي بإجراء انتخابات في تشرين الأول ١٩٢٥م، أما مسألة الوحدة والاستقلال فقد تجاهلها...

ثم زار (سراي) دمشق في شهر شباط ١٩٢٥م، وأفرج عن الدكتور الشهبندر في جزيرة أرواد، وكان الشهبندر وراء تأسيس حزب جديد هو (حزب الشعب).

وقد كان لهذا الحزب نشاط ملموس خلال زيارة (اللورد بلفور) إلى دمشق في ٨ نيسان ١٩٢٥م، فظهرت مقالات حادة ضده، كما انطلقت المظاهرات من الجامع الأموي الأمر الذي جعل (بلفور) يغادر دمشق إلى بيروت بسرعة تحت حراسة قوات فرنسا وطائراتها[١].

وكان الطلاب قد تجمعوا أمام فندق (فكتوريا) الذي يقيم فيه، وهم ينددون بسقوطه: «ليسقط بلفور، ليسقط بلفور»[٢].

واستمر حزب الشعب ينظم صفوفه، ويؤسس فروعه في المدن السورية.

---

(١) الوثائق الأمريكية، نقلاً عن الهلال الخصيب/ ص١٧٤.

(٢) دمشق تحت القنابل: اليس بولو ـ ترجمة محمد نمر المدني/ دار دانية للنشر ـ دمشق/ ١٩٩٦م، ص٣٠.



• واجتمع الحزب في دمشق في حزيران ١٩٢٥م، وأعلن برنامجه الوطني، على لسان رئيس الحزب «الشهبندر»، وخطاب فارس الخوري، نائب الرئيس.

ـ هذا ورغم التأييد الجماهيري لحزب الشعب، فقد كان يعتبر منظمة النخبة السياسية في البلاد، وكان من أبرز مبادئه:

تحقيق السيادة الوطنية ثم وحدة سوريا الكبرى؟!.

• **ويلاحظ الاتجاه العلماني على سياسة الحزب**، فلم ترد أية إشارة إلى الدين خلال برنامجه، وكانت قد حلت الزعامات الوطنية محل الزعامات الدينية.

• كما شهدت سوريا في تلك الفترة ميلاد حزب آخر هو: **حزب الوحدة السورية**: الذي كان يرعاه المقيم السامي الفرنسي، وكان رئيسه صبحي بركات، رئيس الدولة السورية، وأحد كبار المتعاونين مع فرنسا[١].

وقد وجهت صحيفة الزمان الناطقة بلسان حزب الوحدة الاتهامات إلى مبادئ حزب الشعب، ودعوته لقيام دولة سوريا الكبرى دون معرفة كيف يمكن أن يعيش اللبنانيون والسوريون والفلسطينيون المتقدمون في دولة واحدة مع قبائل البدو في صحراء العراق والحجاز، واتهمت حزب الشعب بأنه يهدف إلى إقامة دولة إسلامية تحت سيطرة الهاشميين؟! ودعا حزب الوحدة إلى التعاون مع

---

(١) من وثائق الخارجية البريطانية: رقم ٣٧١/ ٤٣٤٨ من بالمر «دمشق» إلى الخارجية في ٢٣ / آذار/ ١٩٢١م نقلاً عن الهلال الخصيب/ ص١٧٥.



المشرفين عليهم من الفرنسيين، وذلك هو الحل الأمثل لديهم؟![1]

الثورة السورية الكبرى:[2]

بعد وفاة سليم الأطرش حاكم جبل حوران من قبل السلطات الفرنسية، نقض الفرنسيون اتفاقهم مع زعماء الجبل، وعينوا عليهم حاكماً فرنسياً، كان قد استبد بهم، وذلك عام ١٩٢١م.

ثم نفى المفوض السامي الجنرال (سراي) زعماء الجبل، فتمرد الدروز ووقعت (معركة المزرعة)، هزمت فيها فرنسا، فاضطر سراي أن يدخل في مفاوضات مع الدروز لوقف القتال، وأطلق سراح الزعماء المعتقلين.

- ثم اتصل أعضاء حزب الشعب بزعماء الدروز، وقرروا التعاون للدفاع عن استقلال البلاد، وحث الدكتور (الشهبندر) سلطان الأطرش على التقدم نحو دمشق ضد السلطات الفرنسية، فاشتعلت المعارك حول دمشق وغوطتها، والجبل وقراه، فأرسلت فرنسا الجنرال (جاملان) وعينوه قائداً عاماً لجيش الشرق، فزحف نحو الجبل، ولم يتسطع احتلال عاصمة الجبل (السويداء).

- ثم نشبت ثورة في مدينة حماة، في شهر تشرين الأول ١٩٢٥م وانتشرت إلى دمشق، وعمت أنحاء سوريا، وقصفت قوات فرنسا دمشق، بعد أن اتسع نطاق حرب العصابات فأطلق الفرنسيون نيران مدافعهم وقنابل طائراتهم

---

(١) الهلال الخصيب، د. محمود صالح منسي/ ص١٧٦.

(٢) ينظر الهلال الخصيب: د. محمود صالح منسي/ ص١٧٦ - ١٨٤.



على دمشق وأسواقها وأحيائها أياماً وشهوراً خلال أيام الثورة .

●● هذا ورغم أن الثورة السورية ، كانت ثورة وطنية شعبية ، اشتركت فيها معظم الطوائف ، بما في ذلك البدو إلا أن هنالك بعض الطوائف لم تشترك بالثورة ، كالنصيريين ، وسكان سنجق الاسكندرونة ، وفيه أقلية تركية وأخرى نصيرية . كما أن بعض الأقليات العرقية تعاونت مع القوات الفرنسية في إخماد الثورة ، كالشركس والأرمن ، وبعض قبائل البدو ، مثل قبيلة الرّولة وذلك بسبب عدائهم القديم للدروز[1] .

كما أن الدروز في أواخر عهد الثورة السورية ، انضموا إلى المستعمر الفرنسي ، تحت لواء قيادتهم (عبد الغفار الأطرش ومتعب الأطرش) اللذين كانا من أركان قيادة سلطان الأطرش ، وعضوين اختارهما سلطان باشا في اللجنة العليا للثورة السورية ، وكان لهما صلات بقواعد المجاهدين في الغوطة وغيرها . . وما لبث الاثنان أن قادا معظم الدروز في حركة لئيمة ضد الثوار وأعلنوا انضمامهم إلى السلطات الفرنسية ، ثم تطوعوا في جيش فرنسا وأجهزة أمنها .

● ولذلك أعلن المجاهدون حل اللجنة العليا ، التي تربطهم بالدروز وحافظوا على صلات واهية مع سلطان إرضاءً لغروره ، ثم سكتوا عن وصف الدروز له بأنه (قائد الثورة العام) ، وكان قد لجأ إلى الأردن مدة عشر سنوات .

● لقد كان المجاهدون ينطلقون من المساجد في غوطة دمشق ومعظم مدن سورية وقراها ، وليس من صالونات باريس ولندن ، ولا من مصايف

(١) الهلال الخصيب : د . محمود صالح منسي / ص١٨٢ .





الاسكندرية، وكل أرض يحتلها الإنجليز[1].

كما أن كبار الملاك من الجناح غير الوطني، وقفوا موقف المتفرج من الثورة العامة، وكذلك عموم النصارى في سوريا.

صور ومقتطفات عن وحشية الفرنسيين

خلال الثورة السورية لعامي: ١٩٢٥ - ١٩٢٦م:

وصفت صحفية فرنسية بني قومها في كتاب لها ضمنته مشاهداتها في دمشق خلال أيام الثورة، كما وصفت أحداثاً مفصلة حول ضرب المدينة بالقنابل ودكها بالمدفعية، وتخريب المباني والأسواق.

● تقول (أليس بولو)[2] وهي تتحدث عن وحشية بني قومها: «كيف يمكن أن أُفهم أصدقائي الدمشقيين، بأن سوريا قد وقعت في قبضة نفر من أبناء الحانات الوصوليين؟!! أعتقد أننا أفرغنا في سوريا قمامة بلدنا الفرنسي.. والحقيقة أن أكثر مواطنيّ هنا، هم مخجلون إلى حد كبير، وجاهلون إلى درجة يرثى لها، فكل ما يعرفونه عن الشرف، لا يتعدى معرفتهم لبعض الأمكنة العامة التي تتحدث عنها الصحف»[3].

● وصفت الكاتبة أحداث الثورة يوماً بيوم، على طريقة المذكرات اليومية،

---

(١) الصراع العربي الإسرائيلي: محمد عبد الغني النواوي ص٦٠ - ٦٢ وتطور الحركة الوطنية في سوريا: د. ذوقان قرقوط/ ص٩٤.

(٢) كتاب دمشق تحت النقابل: أليس بولو، للصحيفة الفرنسية، التي كانت تقيم في دمشق خلال سنوات الثورة.

(٣) دمشق تحت القنابل: ص٤٣ - ٤٤.





ومما قالته: «إن سياسة أبناء وطني، قد أدت إلى جعل غوطة دمشق ملجأً مليئاً بالأشقياء (تقصد الثوار)، وإن شخصاً يدعى (حسن الخراط) كان رئيس قسم الشرطة، قام بتشكيل عصابة كبيرة احتلت البساتين، وراحت تعترض المسافرين، وكان من قادة الثورة أيضاً (نسيب البكري) »[1].

●● ويلاحظ أن المعلومات التي كانت تذكرها الكاتبة عن الثوار، كانت مغلوطة ومتأثرة بالدعاية الفرنسية، فلم تذكر مثلاً: أن الخراط كان من تلاميذ المشايخ، يصحبه لفيف من طلاب العلم الأتقياء.

● ومن مشاهدات الكاتبة ما ذكرته عن قصف الطائرات للغوطة وضواحيها في ١٥ / ١٠ / ١٩٢٥م، فأحرقت «كفر بطنا» (ويارا والمليحة وجرمانا وجسرين) ..

تقول أليس: «روت لي إحدى سيدات عائلة البكري، بأن الجنود أثناء قيامهم بعمليات القمع والتمشيط، سطوا على بيت أحد أجداد عائلة البكري في جرمانا، وسرقوا أثاث بيت جديد لفتاة مخطوبة من أحد الأقارب، ونهبوا كل شيء حتى الشراشف وملابس النساء، مما جعلهن يصلن دمشق وهن نصف عرايا، كما نهبوا الحلي والجوارب و الألبسة الداخلية والتحف الأثرية ... كانوا وقحين للغاية، حتى أنهم سرقوا سيارة العائلة، وحملوا الغنائم المسروقة فيها، وأكد الشهود بأن ذلك قد تم بحضور ضباطهم، مما شجع أهالي القرى الأخرى للالتحاق بالثوار»[2].

---

(١) المرجع السابق: ص٧٢.

(٢) دمشق تحت القنابل، ص٧٥ – ٧٧.



●● ومما حز في نفسي هذا المنظر المرعب الوحشي، ففي الساعة الثالثة من بعد الظهر في ١٥ / ١٠ / ١٩٢٥م، وصل رتل جنائزي من الجِمال المحملة بجثث القتلى، وقد تم وضعها قرب بعضها في ساحة المرجة، وشاهدتْ سيدةٌ حامل من صديقاتنا هذا المشهد من نافذة منزلها، فأسقطت من شدة التأثر والرعب . . .

كانت أحذية القتلى تترامى هنا وهناك، وأذرعتها ممتدة، وبدت الساحة من بعيد كأنها مذبح للجثث البشرية الهائلة، . . . وقد روت عدة نساء محجبات وهن ينتحبن، أن الجنود قتلوا هؤلاء الفلاحين الأبرياء، عندما عجزوا عن مطاردة الثوار، ثم صرخن «لقد كان هؤلاء أبرياء وحقِّ الإله»[١] .

هذه بعض لقطات من كتاب (أليس بولو) وهي شاهد عيان وليست متحيزة لصالح أهالي دمشق .

● واستمرت القنابل في التساقط على الأحياء: الميدان التحتاني، وعند انفجار أي قنبلة كنا نسمع ضجة كبيرة تصدر عن الناس، وأظلمت المدينة كلها باستثناء لهب الحرائق المتوهجة .

● وقد أمر كهنة الكنائس، بأن توضع أقمشة بيضاء على أسطحة منازل شعبهم، على أن يرسم وسطها صليب أحمر، **ليتجنب الطيارون أماكن أحياء النصارى**. . بينما استمرت الحرائق في حي الشاغور . . .

كما استمرت الحرائق والقصف، حتى أحرقت دمشق وغوطتها الجميلة، وهاهي ثغرات المنازل البعيدة، التي أصبحت الآن بدون سقوف . . . واليوم

---

(١) دمشق تحت القنابل، ص٧٥ - ٧٧ .



صمت المؤذنون، ولم نسمع نداءاتهم إلى الصلاة، وظلت المآذن خرساء طوال اليوم حتى صلاة المغرب، وهذا ما يذكر الكاتبة بيوم «الجمعة الحزينة» الذي لا تقرع فيه الأجراس بفرنسا(١).

●● وكان فوزي القاوقجي يرسل أوراقاً صغيرة بين وقت وآخر لمعتمده في دمشق، تتضمن طلباته من التموين والسمن والسكر والأرز وما إلى ذلك، فكان كبار التجار في الأسواق يتقاسمون تأمينها، ويؤمنون إيصالها بعد غروب الشمس إلى المكان الي يُعيَّن لهم، حيث تأتي الجمال التي يرسلها القاوقجي لاستلام البضاعة.

● وكان التجار يقيمون في حي «سيدي عامود» الذي كان يضم أجمل الدور الشامية، الحدائق تتوسط الدور والياسمين والأشجار وبرك الماء... وفي ساعات قليلة انقلب هذا الحي إلى خرائب مهجورة وسمي (حي الحريقة)، وجميع الأوراق التي كان يرسلها القاوقجي (مكتوبة بخط يده بقلم الرصاص) مازالت موجودة(٢).

وفي ٢٢ تشرين الأول ١٩٢٥م، كتبت (أليس بولو) تصف وحشية المستعمر في إحراق الأسواق وهدمها تقول:

«لقد حطموا أغلاق المخازن ومزقت بالمصفحات، وكان الجنود ينهبون كل

---

(١) دمشق تحت القنابل: أليس بولو، ص(٨٥ - ٩٠).

(٢) من أوراق الانتداب: زهير الشلق ص(١٩٣ - ١٩٤). طبعة دار النفائس/ بيروت/ ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.



شيء في السوق الكبير، وسوق المكتبات (المسكية)، وقد رأيت أكواماً من الكتب والأوراق المبعثرة الملطخة بالوحل والتي يداس عليها بالأقدام!!».

● وفي البزورية (سوق الحلوانيين) عم الخراب أيضاً بشكل محيّر بعد أن كانت مليئة بالبضائع الثمينة، وأصبح نفقاً يعج بروائح الحرائق الكريهة، ويمتلئ ببرك الوحل.. وهذا ما لا يمكن أن أنساه طوال حياتي، ولقد دمر الحي ما بين الحميدية وسوق الطويل تماماً وسمي (بالحريقة).

● أما شارع مدحت باشا، وهو من أعظم شوارع دمشق، فقد التهمته نيران القذائف المتساقطة... من الطائرات والسيارات المصفحة... لقد أغرقت المدينة بالنار والدماء، فاحتج القناصل لهذا القصف العشوائي، والأقوال الكاذبة الصادرة عن السلطات الرسمية[1].

● ثم فرضت السلطات الغاشمة على الأهالي غرامة مالية قدرها مائة ألف ليرة ذهبية، يجب أن تدفع خلال ثلاثة أيام، وإلا سيعاد قصفها من جديد.

كما طلبت السلطات جمع ثلاثة آلاف بندقية موزعة على جميع الأحياء، ولكن من أين يمكن الدفع؟! ومن أين يجمع المال؟ وقد أحرقت البيوت بكل ما فيها، وصار الدمشقيون يقولون: «إن فرنسا تأمرنا بدفع ثمن العصا التي ضربتنا بها»، وصار الجميع يفكرون بالهرب والهجرة، فهاجر آنذاك خمسة عشر ألفاً من سكان دمشق إلى بيروت ومصر وغيرها[2].

---

(١) ينظر: دمشق تحت القنابل/ ص ١٠٠ – ١٠٢، ص١١٥ – ١١٧.

(٢) ينظر: دمشق تحت القنابل/ ص ١٠٠ – ١٠٢، ص١١٥ – ١١٧.





● **ومن الصور الوحشية :** القصف المستمر على الأحياء السكنية في (٢٩ – ٣٠ تشرين الأول) منذ العاشرة مساء وحتى منتصف الليل، فاضطر سكان حي الميدان إلي مغادرة منازلهم، واللجوء إلى الكهوف وكانت النسوة يركضن في الشوارع بدون « ملاءات وشراشف » وهن حافيات الأقدام خوفاً وهلعاً، وكانت البيوت تتهاوى مبتلعة تحت ركامها عائلات بكاملها، إذ لم تجد وقتاً للهرب . . .

وعندما حاول سكان الحي مقابلة المندوب السامي، أمرهم برفع الرايات البيضاء لمنع القصف، ودفع (مائة ألف ليرة ذهبية) توزع على أحياء المدينة، وتدفع خلال فترة محددة . . .

وألصقت إعلانات رسمية، تنص على أن التعويضات ستزداد بمعدل (٥٠٠ ليرة) كل يوم تأخير عن الوقت المحدد، مما جعل الفقراء المعدمين، يضحون بما يملكون من أثاث ومتاع، لأنهم الأكثر سخاء في الوقت نفسه[١] .

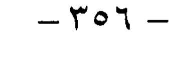
وشمل القصف بنيران المدفعية، وقذائف الطائرات (حتى نهاية كانون الأول لعام ١٩٢٥م) أحياء دمشق المختلفة وقراها المتعددة، كالزبداني والأشرفيّة، وأُعدم ثلاثة من الثوار شنقاً من بينهم : ابنٌ لحسن الخراط، وذلك في ساحة المرجة بدمشق واستمر مسلسل العنف والدمار حتى ١٧أيار ١٩٢٦م[٢] .

● وبدأت موارد الثورة تنضب، لأنها كانت تعتمد على التبرعات،

---

(١) دمشق تحت القنابل / ص١٢٥ – ١٢٨ .

(٢) السابق / ص١٤٢ – ١٥٢ .





وصعّدت القوات الفرنسية من تكثيف السلاح والرجال، فلجأ الثوار إلى أطراف البادية، أو إلى مصر والعراق وفلسطين والأردن... ثم أرسلت فرنسا « هنري جوفنل » مفوضاً سامياً لسوريا ولبنان ـ والذي كان عضواً في مجلس الشيوخ ـ وصرح عند مقدمه بسياسته المدنية اللينة، وأجرى مباحثات مع بعض المسؤولين السوريين، وتوصلوا لاتفاق مبدئي لإجراء مفاوضات عامة في بيروت ومصر وباريس، استمرت المباحثات نحو تسعة أشهر، دون التوصل إلى نتيجة حاسمة، وعادت فرنسا إلى سياسة العنف وقصف الأحياء ونهبها[(١)].

● هذه هي سياسة الانتداب، التي تهدف فرنسا من ورائها أن تعمل على تقدم البلاد وتحضرها، حتى تصبح قادرة على إدارة شؤونها بنفسها، بعد أن تبلغ سنّ الرشد أمام هؤلاء السفهاء المجرمين؟!!.

●● وقد أنشد أمير الشعراء (أحمد شوقي) قصيدة مؤثرة « يصف فيها ما حل بمدينة دمشق من خراب ودمار » وذلك في مسرح حديقة الأزكبية في حفل أقيم عام ١٩٢٦م شهر كانون الثاني، منها هذه الأبيات[(٢)]:

سلام من صبا بردى أرق ... ودمع لا يكفكف يا دمشق

ومعذرة اليراعة والقوافي ... جلال الرُّزْء عن وصف يدقّ

وبي مما رمتكِ به الليالي ... جراحات لها في القلب عُمق

دم الثوار تعرفه فرنسا ... وتعلم أنه نورٌ وحقّ

---

(١) الهلال الخصيب: د. محمود صالح منسي/ ص١٧٨ - ١٧٩.

(٢) ينظر ديوان شوقي... والهلال الخصيب/ ص١٧٧.



وللحرية الحمراء بـــــاب بكل يد مضرجةٍ يُـــــدَقّ

جزاكم ذو الجلال بني دمشق وعزُّ الشرق أوله دمشـــــقُ

* * *

المبحث الثالث
الكفاح الديبلوماسي ومرحلة التنازلات

« ١ »

الكتلة الوطنية:

وهي تجمع حزبي عرف بهذا الاسم، منذ عام ١٩٢٨م وسارت في خط سلمي غير ثوري، وأصبحت تدعو إلى ما أطلق عليه « التعاون الشريف » وكانت أقل نزوعاً إلى الصدام من جمعية القبضة الحديدية وحزب الشعب، وقد انبعثت هذه السياسة من هزيمة الثورة السورية الكبرى، وتفوق فرنسا العسكري.

●● وقد أعلنت الكتلة الوطنية في مؤتمرها المنعقد في حمص خلال شهر تشرين الثاني / ١٩٣٢م) أنها مؤسسة سياسية تهدف إلى وحدة سوريا الكاملة واستقلالها، مع تضافر الجهود مع الأقطار العربية الأخرى لتوحيدها، دون المساس بأهداف كل منها ولا باحتياجاتها الخاصة.

كما أعلن في مؤتمر حمص عن تنظيم الحزب، وأُسس له مكتب دائم من سبعة أعضاء منتخبين، هاشم الأتاسي رئيساً، وإبراهيم هنانو زعيماً سياسياً، وسعد الله الجابري « نائباً للرئيس »، وفارس الخوري « عميداً »، وجميل مردم

وشكري القوتلي وعبد الرحمن الكيالي أعضاء[١].

لقد أصبحت الكتلة الوطنية تمثل حركة النضال السياسي، في تاريخ الانتداب، ورجالها مجموعة من الزعماء أكثرهم من ملاك الأراضي الزراعية، الذين اتفقوا فيما بينهم على حل الأحزاب التي ينتمون إليها، وأن يقوموا بعمل مشترك للوصول إلى استقلال سوريا، ووضع حد للانتداب الفرنسي.

كما كانت تهدف إلى الوحدة العربية، حسب ميثاق العمل الوطني لديها، والحقيقة أن معظم ما كان ينادي به الزعماء كان غامضاً عند السواد الأعظم من الناس وذلك بسبب الجهل والطرح الجديد لهذه الأفكار[٢].

● إذن تبنت النخبة الوطنية استراتيجية «التعاون المشرّف مع الفرنسيين» وسلكوا لذلك عدة أساليب: إضرابات منسقة بعناية، وتأكيد كبير على ذلك في المجال الديبلوماسي، الغرض منها إقناع الفرنسيين بأن الوطنيين وحدهم، يجب أن يدعوا لتشكيل حكومة وطنية في سوريا.

مع القناعة بتعديل النظام القائم، والتخفيف التدريجي من السيطرة الفرنسية، ولذلك سعى رجال الكتلة الوطنية إلى إيجاد علاقات أكثر مرونة مع الفرنسيين، وخلال ذلك رحبت المفوضية الفرنسية العليا بهذه السياسة الجديدة[٣].

---

(١) الهلال الخصيب: د. محمود منسي/ ص١٨٤ - ١٨٥.

(٢) من أوراق الانتداب: زهير الشلق/ ص١٠٩.

(٣) الشرق الأوسط الحديث: ج٣/بإشراف ألبرت حوراني وآخرين ترجمة: د. أسعد صقر.



● وكانت العائلات الإقطاعية الكبرى مثل: عائلة مردم بك، وعائلات القوتلي والبارودي والبكري والغزّي، هي التي انبثقت منها القيادة الوطنية في دمشق، وخصوصاً رجال الكتلة الوطنية.

وتعتبر أكبر تحالف سياسي فعال في عهد الانتداب.

وقد انهمك هؤلاء القادة بمساومات ديبلوماسية تدريجياً، فضعفت مصالح المؤسسات الدينية ونفوذها لأجيال متعددة، وذلك بسبب سيطرة السلطات على معاهدها، كما أن النشاطات التقليدية للعلماء كمفسرين للشريعة، وكمربين وقادة للطرق الصوفيّة تضاءلت مكانتها الاجتماعية أيضاً.

● وقد ظهرت ولاءات جديدة مثل: بروز القومية العلمانية، التي رافقت التغيرات البنيوية العامة التي بدأت في القرن التاسع عشر، إلا أن المؤسسات الدينية من معلمين وقضاة ووعاظ في المساجد قاوموا السيطرة الأجنبية، ومخططات فرنسا الاستعمارية، لقد كان تأثير الكتلة الوطنية على الحياة بسوريا أشبه بتأثير حزب الوفد بمصر[1].

« ٢ »

الجمعية التأسيسية: ١٩٢٨م:

دعي الناخبون لانتخاب جمعية تأسيسية تضع دستوراً للبلاد، فلاح أمل الاستقلال للسوريين، بعد أن وجدوا أنفسهم معزولين عن العالم، إذ انفصلوا عن الإمبراطورية العثمانية، وكانت سوريا الإقليم المزدهر فيها، ثم قسم المفوض

ص١٢٨ - ١٢٩.

السامي أراضيها إلى دويلات صغيرة تافهة، لقد اختنقت سوريا المزدهرة...

فقام عصيان بعد عصيان في كل مكان، وكان من أهمها الثورة الكبرى (١٩٢٥ - ١٩٢٦م)، وعندما وضع الدستور وكان السيد هاشم الأتاسي هو رئيس الجمعية، بدأت مرحلة الصراع السياسي[١].

● وأعلنت الحكومة برنامج عملها للشروع في إجراء انتخابات نيابية حرة وإلغاء الأحكام العرفية، وأحرز الوطنيون في انتخابات (٢٤ نيسان/ ١٩٢٨م) نجاحاً كبيراً، بحيث سيطروا على الجمعية التأسيسية ثم انتخبت الجمعية (الأتاسي) رئيساً لها، واختارت لجنة من أعضائها لوضع مشروع الدستور، ولكن المندوب السامي تحفظ على بعض المسائل التي تخص الانتداب، وطلب حذف المواد المذكورة من صلب الدستور، فرفض المجلس ذلك، وقام المفوض السامي بتعطيل الجمعية لمدة ثلاثة أشهر، ثم أجلها إلى إشعار آخر غير محدد، واستمر ذلك سنة كاملة.

ثم حصلت تطورات في إصدار دساتير عديدة، أحدها لدولة سوريا وآخر لدولة العلويين في اللاذقية، وثالث لجبل الدروز، وحلت الحكومة المؤقتة ودعا المندوب إلى انتخابات جديدة/ ١٩٣١م، وفاز صبحي بركات عميل فرنسا على هاشم الأتاسي كرئيس للمجلس، ومحمد علي العابد رئيساً للجمهورية وحقي العظم رئيساً للوزراء[٢].

---

(١) السابق، ص١٢٩ - ١٣٠، ص١٥٥.

(١) من أوراق الانتداب: ص١١٨ وما بعدها.



« ٣ »

إضراب عام ١٩٣٦م:

في أواخر عام/ ١٩٣٥م، توفي في حلب الزعيم إبراهيم هنانو، فدعت الكتلة الوطنية إلى الاحتفال بتأبينه على مدرج جامعة دمشق في ١٠/ ١/ ١٩٣٦م.

وانطلقت بعد الاحتفال مظاهرات وصدامات مع السلطة، فوقع عدد من القتلى والجرحى، ولجأت السلطة الفرنسية إلى نفي زعماء الكتلة منهم: جميل مردم ونسيب البكري وفخري البارودي، وقام إضراب في دمشق استمر خمسين يوماً[١].

معاهدة عام ١٩٣٦م:

وبسبب استمرار الإضراب اضطرت وزارة الشيخ تاج الدين الحسني لتقديم استقالتها، وخلفتها وزارة فيها عدد من رجال الكتْلة الوطنية.

وتم الاتفاق على معاهدة تضع حداً للانتداب، فشكل وفد من بين الوفد السوري (هاشم الأتاسي وفارس الخوري وجميل مردم وسعد الله الجابري وغيرهم)، والتقى بسياسيي وزارة الخارجية بفرنسا (في باريس).

● وكان أهم بنودها: هو الاتفاق العسكري الذي يجيز للحكومة الفرنسية أن تحتفظ ولمدة خمس سنوات ببعض القوات خارج المدن، وبمطارَيْن وبقوات

---

(٢) الهلال الخصيب: د. محمود منسي/ ص١٩٣، وأوراق الانتداب/ ص١٨٨ - ١١٩.



محدودة ضمن محافظتي جبل الدروز ومنطقة العلويين، على أن تعترف المعاهدة باستقلال سوريا، وصادق المجلس النيابي السوري على المعاهدة في (٢٠ / ١٢ / ١٩٣٦م) لكنها لم تُعرض على البرلمان الفرنسي ولذلك لم ينفذ منها شيء[١].

● وكيف تنفذها فرنسا والعقلية الاستعمارية في رؤوس قادتها والنزعة الصليبية في نفوس سياسييها، انظر إلى ما يقوله المفوض السامي (المسيوبيو):

« سورية التي صَنعناها، تضم حقيقةً كيانات عنصرية ودينية ذات خصائص لا يمكن النيل منها أو تبديلها، فهي نوع من الدمامل التي تغشى جسماً لا يجد صعوبة في امتصاصها، ولقد وضعت المعاهدة الفرنسية السورية هذه الأقليات تحت رحمة حكومة دمشق...؟!».

● وخلال جولةٍ له في أنحاء سوريا يقول: « ففي جبل الدروز سمعت الصراخ: لتسقط سورية، وسمعت: تعيش سورية من قبل مظاهرات محمولة على شاحنات قادمة من دمشق... وفي جبل العلويين ـ النصيريين ـ فوجئت باستعراض ميليشيا مؤلفة من ألفي قاطع طريق مجندين، من قبل شخصية غريبة هو « سليمان المرشد » زعيم ديني وسياسي في وقت واحد... كانوا ينهبون بنادق الدرك المرسلين من قبل محافظة دمشق للمحافظة على الأمن.. وكانوا

(١) من أوراق الانتداب: ص(١٢٥ - ١٢٦).

(١) المرجع السابق ص١٣٢، وينظر تفصيلاً لذلك في: الهلال الخصيب، د. محمود منسي ص١٩٥ - ٢٠٤، تاريخ الصحافة السورية: د. شمس الدين الرفاعي/ ص١١٠ - ١٢٠.



يسلبون ملابسهم الرسمية أيضاً»[1].

ثم يقول: «إن الأديان والمذاهب والطوائف تشكل في سوريا (موزاييك) غريبة، منها السامريون والصابئة، وعبدة الشيطان واليزيديون...

وأنسال الحشاشين وحدهم القادرون على معادلتهم بالحكمة، فقد كانوا آخر تلاميذ شيخ الجبل»[2]. ويرى المفوض بأن الهدف الآن هو تنحية الكتلة الوطنية عن الحكم دون اصطدام ولا مخاطرة.

● ثم رجعت فرنسا عن المعاهدة:

إذ زعم رجالها أن المعاهدة لا تحفظ حقوق النصارى، ولذلك وقعوا «بروتوكولاً في باريس يُعترف بموجبه بحقوق للنصارى منها: أن لا تطبق عليهم التشريعات القرآنية؟!.

وهي حجة واهية لأن القوانين الوضعية هي التي كانت تسود البلاد منذ بداية حكومة فيصل بن الحسين، وخلال فترة الانتداب الفرنسي على البلاد[3].

●● ثم اقترح المفوض السامي على حكومته إضافة ملاحق جديدة على المعاهدة منها:

- إعطاء الدروز والنصيريين وسكان الجزيرة الفراتية حكماً ذاتياً.

---

(١) من أوراق الانتداب: زهير الشلق، ص١٤٤.

(٢) المرجع السابق/ ص١٤٧.

(٣) من أوراق الانتداب: زهير الشلق/ دار النفائس/ بيروت/ ١٩٨٩م، الصفحات: (١٥١ - ١٥٦) وص١٦٣.

ـ وتعديل الاتفاق العسكري الذي يوجب جلاء الجيش الفرنسي عن البلاد، بحيث يصبح هذا الوجود دائماً»[١].

ـ أي يقترح هذا المفوض: تعطيل الدستور، وإلغاء دور مجلس النواب ورئيس الجمهورية، ويشكل في البلاد مجلس مديرين على رأسه بهيج بك[٢].

ـ كما يقترح إبقاء دولة للعلويين وأخرى للدروز يتولى القضاء فيهما قضاة فرنسيون، أما الجزيرة فيقوم ضابط فرنسي بالإدارة باسم الحكومة السورية.

« ٤ »

مشكلة الاسكندرونة:

لقد عملت فرنسا على التنازل عن الموصل لصالح بريطانيا، واسكندرونة لصالح تركيا مقابل مكاسب خاصة لها.

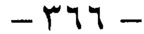
فمنذ ٩ آذار ١٩٢١م، كانت قد عقدت معاهدة في لندن تعيد بموجبها إلى تركيا إقليم (كليكيا)، ومنحت الأقلية التركية في سنجق الاسكندرونة نظاماً إدارياً خاصاً.

ثم جرى توقيع اتفاق بين هيئتي أركان الجيشين التركي والفرنسي في مدينة أنطاكية، وبموجبها تحتل كتيبتان (تركية وفرنسية) السنجق ثم تنظم انتخابات

---

(١) من أوراق الانتداب: زهير الشلق/ دار النفائس/ بيروت/ ١٩٨٩م، الصفحات: (١٥١ – ١٥٦) وص١٦٣.

(٢) المرجع السابق: ص١٥١ – ١٦٣.





عملت فرنسا على إنجاحها لصالح الأتراك .

● وفي عام ١٩٣٨م هيأت الحكومة السورية مجموعة عمل، كلفت بالذهاب إلى اسكندرونة من أجل العمل لتأمين أكثرية عربية برئاسة (نبيه العظمة) إلا أن الفرنسيين حالوا دون ذهاب هذا الوفد، بل أمنوا للأتراك أغلبية على ما يعترف به المفوض السامي الفرنسي (بيو)[١] .

●● ثم ألفت لجنة من عصبة الأمم عام ١٩٣٧م للإشراف على انتخابات جمعية محلية لهذا الإقليم .. وقد دل الإحصاء على أن نسبة الأتراك لا تزيد على ٣٩٪ من السكان، ولذلك استقال العضو الإنجليزي من عضوية تلك اللجنة بسبب ممالأة الفرنسيين للأتراك في ذلك الاستفتاء، فسارعت فرنسا بإبرام معاهدة صداقة فرنسية تركية في حزيران ١٩٣٨م، تسمح للأتراك بدخول اللواء لمساعدة فرنسا في حفظ النظام[٢] .

● وقد أفاد أحد البريطانيين العاملين باللجنة والمتصلين بالمشكلة في تقرير له (بتاريخ ١١ آذار ١٩٣٨م)، أن الأتراك يشكلون في اللواء مجموعة تبلغ (٤٠٪) من مجموع سكانه، كما يشكل الأرمن ١٥٪ وبذلك فإن الفرنسيين يعتبرون أن الأغلبية غير عربية بينما يشكل العرب (٤٠٪) . وهم يواجهون الاضطهاد من جانب الترك والفرنسيين، لدرجة أن لجنة الانتخابات التابعة لعصبة الأمم أوقفت أعمالها، وغادرت اللواء في آخر حزيران ١٩٣٨م .. ومن ثم

---

(١) ينظر أوراق الانتداب : زهير الشلق/ ص١٧٣ – ١٨١ .

(٢) تاريخ الصحافة السورية : ج٢ / ص١٢٥ ، د . شمس الدين الرفاعي .



سمحت فرنسا لقوات تركية بدخول اللواء بعد عقد معاهدة الصداقة بينهما[١].

●● والواقع أن فرنسا تنازلت لتركيا لتضمن حيادها في الحرب العالمية الثانية، وإضعافاً لسوريا بتقسيمها الشائن هذا...

وقد برّر وزير خارجية فرنسا (جورج بونيه) التنازلات الفرنسية في الاسكندرونة بالظروف الدولية في أوربا، وعدم الرغبة في إثارة النزاع مع تركيا بسبب وضعها الاستراتيجي في الشرق الأوسط؟!

وقد جاءت نتيجة الانتخابات لصالح الترك بسبب تحيز الفرنسيين وعقدت الجلسة الافتتاحية المنتخبة للواء الذي أصبح يسمى (هاتاي) وذلك في (٢ أيلول ١٩٣٨م في أنطاكية)[٢].

●● وفي ٢٣ حزيران ١٩٣٩م وقعت فرنسا في أنقرة التسوية النهائية مع تركيا، التي تضمنت جلاء الفرنسيين عن اللواء بعد شهر، والتنازل عنه وتسليمه لتركيا، فاحتجت حكومة سوريا، وغادر عدد كبير من غير الترك السنجق إلى سوريا (٥٠ ألفاً خلال شهرين)، نصفهم من الأرمن[٣].

● وطيلة الحكم الوطني السوري منذ عام ١٩٤٣م، لم تعترف سوريا بانتقال اللواء إلى الأتراك، وقد منعت سوريا الأتراك من التصرف بعقاراتهم داخل القطر السوري.

---

(١) وثائق الخارجية البريطانية رقم ٣٩٨ / ٣٧١، والهلال الخصيب/ ص٢١٠.

(٢) ينظر السابق ٥٤٧٤/ ٣٧١، والهلال الخصيب/ ص٢١١.

(٣) الهلال الخصيب: د. محمود منسي/ ص٢١٢.



وسجلت (في المحافل الدولية العربية) قضية الاسكندرونة كأول قضية من قضايا الوطن العربي الدائمة .

● ونزح الكثير من لواء اسكندرونة منهم (١٤ ألف) من الأرمن، الذين اتجهوا نحو: حلب واللاذقية ولبنان وكَسب، فوطنتهم الحكومة السورية في تلك المناطق[١] .

●● وبقيت مشكلة هذا اللواء من المشكلات العويصة، التي خلفها الاستعمار الغادر، وما تزال سبباً في توتر العلاقات بين سوريا وتركيا . . .

« ٥ »

على طريق الاستقلال:

وخلال فترة الحرب العالمية الثانية، تطورت الأحداث تطوراً سريعاً، فقد سقطت فرنسا واستسلمت للقوات الألمانية، التي شكلت فيها حكومة تابعة لها سميت بحكومة فيشي . . . أما حكومة فرنسا الحرة بقيادة الجنرال (ديغول)، فقد رفضت الاعتراف بحكومة فيشي، وكانت تخطط لاستلام المستعمرات الفرنسية، ومنها سوريا ولبنان[٢]

● وفي أوائل أيلول ١٩٣٩م، كان الفرنسيون قد استغلوا فرصة الحرب،

---

(١) من أوراق الانتداب: زهير الشلق/ ص١٨٣ – ١٨٤ .

(٢) ينظر: من أوراق الانتداب، ص٢٢٤ – ٢٢٥، والهلال الخصيب/ ص٢٢٠ .

فأعلنوا الأحكام العرفية في سوريا، واعتقلوا الزعماء الوطنيين[١] .

●● وانتقلت التبعية إلى حكومة فرنسا الحرة «ديجول» الذي عين «كاترو» مندوباً سامياً في سوريا ولبنان، وكلفه بالحوار مع الوطنيين، فأجريت مفاوضات في ١٧ آب ١٩٤١م، انتخب بعدها شكري القوتلي رئيساً للجمهورية، وفارس الخوري رئيساً لمجلس النواب، وألف سعد الله الجابري الوزارة[٢] .

وتطورت أحداث الحرب، فدخلت قوات بريطانيا وفرنسا دمشق بعد معارك حامية حول الكسوة «جنوب دمشق»، وكان معظم الجنود من السنغال والهند.. وحطت طائرة ديجول» على مطار المزة في ٢٣ حزيران...

وكان ديغول وحكومته يريدون أن يكون الاستقلال ترجمة أخرى للانتداب الفرنسي..[٣]

● وبدأ الصراع ظاهراً وخفياً بين فرنسا وبريطانيا، للهيمنة على سوريا ولبنان.. وأجريت انتخابات بضغط من بريطانيا في ١٧ آب ١٩٤٣م، وانتخب شكري القوتلي رئيساً للجمهورية، وبدأت المفاوضات لإكمال مراحل الاستقلال، لكن فرنسا كانت تصر على بقاء وضع خاص لها في سوريا ولبنان، الأمر الذي كان يجد معارضة من المواطنين السوريين، وكذلك من بريطانيا

---

(١) الهلال الخصيب: د. محمود منسي، ص٢١٧، ص٢٢٣.

(٢) المرجع السابق.

(٣) من أوراق الانتداب: زهير الشلق، ص٢٥٧، ٢٦٠.



وأمريكا[١] .

●● ثم أنزلت فرنسا قواتها على ساحل لبنان، فقامت المظاهرات وضُربتْ دمشق بالمدافع والطائرات، وقررت فرنسا أن تدير البلاد عن طريق (حاكم عسكري) . . . إلا أن الحكومة البريطانية أصدرت تعليماتها إلى القائد العام البريطاني في الشرق الأوسط للتدخل دون سفك الدماء، نظراً لأهمية المنطقة في الحرب، التي ما تزال دائرة ضد اليابان[٢] .

● العدوان الفرنسي على دمشق ١٩٤٥م.

بعد نهاية الحرب وانتصار الحلفاء، وبعد نزول القوات الفرنسية في بيروت، وجه ممثل فرنسا (بينيه) مذكرة إلى حكومتي سوريا ولبنان، تضمنت طلبات متعسفة، تتعارض مع السيادة الوطنية . .

وكان فيها إصرار شديد لعقد اتفاقيات تجعل لفرنسا مكاناً متميزاً وأوضاعاً استراتيجية، فلم ترضخ الحكومتان لهذه الضغوط، ولم تقبلا بتلك الاتفاقيات، وبدأ الهياج الشعبي في البلاد .

● وفي ٢٩ آيار ١٩٤٥م، حضر جنود السنغال وبيدهم السواطير واستاقوا رجال الشرطة المكلفين بحراسة مبنى مجلس النواب، وطلبوا منهم أن يشتركوا في تحية العلم الفرنسي، فرفض قائد الشرطة (سعيد القهوجي) ورفض رجاله تلبية الطلب، فقتلوهم جميعاً، ثم وجهت المدفعية إلى مبنى مجلس النواب من

---

(١) الهلال الخصيب : د . محمود منسي / ص٢٢٣ ، ٢٢٧ .

(٢) الهلال الخصيب : د . محمود منسي / ص٢٢٣ ، ٢٢٧ .



الشارع العام، كما قام الطيران الفرنسي بقصف قلعة دمشق، وفيها مقر قيادة الدرك، فمات خلق كثير من المساجين في القلعة نتيجة القصف الوحشي[١].

●● وتدخلت بريطانيا، وبلغت سفير فرنسا في لندن بضرورة وقف إطلاق النار في دمشق حالاً.. كما وجه تشرشل إلى ديغول رسالة يخبره بأن الأوامر صدرت إلى الجيش التاسع البريطاني لإعادة قوات فرنسا إلى الثكنات[٢].

●● فرحل جميع العسكريين الفرنسيين، ووضعت حراسة مشددة على الثكنات الفرنسية، ولم يبق من قوات فرنسا عملياً إلا القوات الخاصة، وبدأ الضباط السوريون في تلك القوات يلتحقون بما سمي بـ (سرية المقر العام) التي افتتحتها وزارة الدفاع السورية.

وكانت سوريا ولبنان، قد بدأتا باستلام ما سمي بالمصالح المشتركة التي كانت تدار عن طريق المفوض السامي الفرنسي مثل: الجمارك وسكك الحديد والآثار والشؤون الصحية والبريد والبرق والدفاع المدني.. وقد تم فعلاً استلام هذه المصالح عام ١٩٤٤م.

●● وتم جلاء القوات الفرنسية في ١٦ نيسان ١٩٤٦م عن سوريا، أما لبنان فقد تم جلاء القوات عنها في ٣١ / ١٢ / ١٩٤٦م وأصبح يوم ١٧ نيسان يسمى عيداً وطنياً في سوريا.

● إن صراع القوى الاستعمارية، كان سبباً في إخراج فرنسا من سوريا

---

(١) من أوراق الانتداب: الصفحات/ ٣١٧ - ٣٢١، ٣٢٨.

(٢) المرجع السابق: الصفحات/ ٣١٧ - ٣٢١، ٣٢٨.

ولبنان . . . أما بريطانيا فقد كانت وطأة حكمها ناعمة الملمس، إلا أنها مسمومة وطويلة المدى، أكيدة المفعول .

* * *

المبحث الرابع
الدويلات الطائفية في عهد الانتداب

بعد احتلال فرنسا لسوريا قسمتها إلى دويلات متناثرة، تعتمد في ذلك على إثارة النعرات الطائفية، والنزعات الإقليمية فشكلت دولة في جبل الدروز، وأخرى في جبال النصيرية، وتبرعت بلواء الاسكندرون لتركيا الكمالية، كما اقتطعت أربعة أقضية من سوريا وألحقتها بجبل لبنان، لتشكل ما سمي بدولة: لبنان الكبير وتنازلت عن لواء الموصل لحليفتها بريطانيا، وكأن فرنسا كانت تتصرف بملحقات باريس ومرسيليا؟!

دولة جبل الدروز:

بعد معركة ميسلون دخلت فرنسا دمشق، واستمرت المقاومة ضدها طوال عهد الانتداب، من قبل المسلمين في طول البلاد وعرضها، إلا الدروز والنصريين فقد رحبوا بالغزاة، وكذلك نصارى لبنان بشكل خاص.

● **يقول الدكتور ذوقان قرقوط (وهو درزي) متحدثاً عن بني جلدته:**

«وعندما عُيّن الجنرال «غورو» مفوضاً سامياً وقائداً عاماً لجيوش فرنسا في الشرق، اختار حرسه الخاص من الدروز بمعرفة «متعب الأطرش»، وخُصّ الجبل بأكثر من ثلاثة آلاف صورة من صور غورو وهو في زيه العسكري، وكان يحيط



به حرسه من الدروز بثيابهم العربية، وسيوفهم المتوهجة»[١] .

فهل كان غورو غبياً عندما اختار حرسه الخاص من الدروز؟ لم يكن غبياً وكان اختياره دليلاً على ثقة غير محدودة بهم، وكان متعب الأطرش من المقربين إلى سلطان الأطرش[٢] .

● ثم قويت علاقات الدروز بالفرنسيين المحتلين، وجرت اتصالات لاستقلال الجبل عن سوريا، وعقد زعماء الجبل والرؤساء الدينيون اجتماعات وضعوا فيها برنامجاً لاستقلال الجبل، ورفعوا كتاباً إلى المبعوث الفرنسي هذا نصه :

«لحضرة رئيس البعثة الفرنسي في دمشق الأفخم :

بناء على بلاغاتكم المتكررة للرؤساء الروحيين، لنا الشرف أن نقدم لسيادتكم بالنيابة عن الشعب الدرزي في جبل حوران، برنامج الاستقلال المدرج أعلاه الذي يطلبه الشعب، كي تتكرموا بتقديمه لحضرة صاحب الفخامة المندوب السامي، راجين أن يتوسل بالتصديق عليه، من قبل حكومة الجمهورية الفرنسية المعظمة واقبلوا فائق احترامنا» .

الإمضاءات : الرؤساء الروحيون ومشايخ الجبل[٣] .

---

(١) تطور الحركة الوطنية : د. ذوقان قرقوط / ص٦٤، نقلاً عن رؤية إسلامية في الصراع العربي الإسرائيلي ص٤٦ .

(٢) الصراع العربي الإسرائيلي : ص٤٦ / محمد عبد الغني النواوي .

(٣) تطور الحركة الوطنية في سورية : د. ذوقان قرقوط / ص٦٦ ملحق (٦) .

● وإليك أهم بنود البرنامج المقترح، ويتكون من (١٢ مادة) :

ـ أن تكون حكومة جبل الدروز حكومة سورية ومستقلة استقلالاً تاماً.

ـ أن تقبل حكومة الجبل الانتداب الفرنساوي بشكل لا يمس باستقلالها؟! وتسمى هذه الحكومة (مشيخة جبل حوران) ويدخل ضمنها كامل وعرتي اللجاة والصفا..

ـ يرأس هذه الحكومة حاكم أهلي تنتخبه الأهالي وفقاً لقانون مخصوص، مرة كل ثلاث سنوات، ويكون لها مجلس استشاري كبير، ينتخب أعضاؤه وفقاً لقانون مخصوص مرة كل ثلاث سنوات أيضاً.

ـ تستمد حكومة الجبل ما تحتاج إليه من المساعدة المادية والفنية، والاقتصادية من حكومة الانتداب الفرنسي.

ـ لا يحق لحكومة الانتداب التدخل بأمور الجبل الداخلية، ولا تجنيد أهالي الجبل في الخدمة العسكرية.

ـ مشايخ العقل يكونون منصوبين مدى الحياة، ولا يعزلون ولا يحق للحكومتين الوطنية والمنتدبة التدخل بوظائفهم الدينية[١].

●● يقول د. ذوقان قرقوط: « وهكذا خلقت دولة لم يكن عدد سكانها يتجاوز الخمسين ألفاً، ووجد لها علم مستمد من رموز طائفية، ومجلس تمثيلي،

---

(١) تطور الحركة الوطنية في سورية / ص٢٦٦، نقلاً عن الصراع العربي الإسرائيلي ص٤٨ – ٤٩.



يكاد أعضاؤه جميعهم أن يكونوا أميين»[١] .

●● وبناء على ذلك عُيِّن (سليم بن يحيى الأطرش) حاكماً على الجبل، وكان قبل سنوات قائداً للجيش التركي، ومسؤولاً عن الجبل تحت مظلة الدولة العثمانية؟!

وهكذا يكون التلون الطائفي، وتوزيع الأدوار، وكان والِده من قبله قد تم إطلاق سراحه من منفاه في رودس، بعد أن قدم تعهداً بالتعاون مع فرنسا ضد تركيا[٢] .

● إذن كيف قام الدروز بثورتهم ضد فرنسا؟! وما السبب في قيادة سلطان الأطرش لثورة سوريا الكبرى؟! وهل كان التلون الطائفي وراء توزيع الأدوار؟ هذا ما سوف نفصله في الصفحات القادمة .

أضواء على ثورة سلطان الأطرش:[٣]

لقد شهدت سوريا في عام ١٩٢٢م، خمساً وثلاثين ثورة، قتل فيها من الجيش الفرنسي خمسة آلاف جندي، فأين كان الدروز آنذاك وأين كان سلطان الأطرش خلال تلك الفترة؟!

● وما أسباب ثورة سلطان؟!

---

(١) تطور الحركة الوطنية في سورية/ ص٢٦٦ .

(٢) ينظر الصراع العربي الإسرائيلي/ ص٥٠ – ٥١ .

(٣) ينظر: الصراع العربي الإسرائيلي/ ص٥٤ – ٦٥ .



أولاً: كان سلطان باشا من عملاء بريطانيا، وأنصار لورنس، فقد كان في طليعة الذين استقبلوه مع جيش فيصل، عند دخولهم سوريا وكان ابن عمه سليم الأطرش آنذاك قائداً للجيش التركي في جبل حوران، وكتب رسالة إلى سلطان يحذره من مغبة السير في الاتجاه المعارض للدولة العثمانية.

● فرد سلطان برسالة على ابن عمه يوضح فيها موقفه يقول فيها: «نحن أعلنا الحرب المقدسة على بواقي جيوش الترك الجائعة، وننصحك أن تعود إلى جادة الصواب، لئلا تندم حيث لا ينفع الندم.. لقد سقطت نابلس والناصرة وطبريا، بيد دولة سيدة البحار، بريطانيا العظمى، صديقتنا القديمة؟!... أما الأتراك اللئام، فهم قوم (جالطة يوك)، أي كل شيء عندم مفقود حتى الجند... ولن نجعل الدروز يداسون كما تريد أن تضعهم أنت، تحت أقدام أسقط وأوحش دويلة في العالم ودمتم»[1].

قال الدكتور ذوقان: «وقد عرضت الرسالتين المتبادلتين بين زعيمي هذين الاتجاهين على سلطان باشا الأطرش فتذكرهما، وصادق على صحتهما»[2].

● فسلطان باشا يعرب في رسالته عن فرحه بسقوط مدن فلسطين على يد بريطانيا العظمى!! ويتشفى بهزيمة الدولة العثمانية.

ومهما قلنا عن ظلم حكام تركيا، وانتشار الفساد بين جندها، وسيطرة روح التعصب القومي على تصرفات قادتها.. لا يستطيع أحد أن ينكر أن الجنود

---

(١) المرجع السابق/ ص٤٠ – ٤١، والرسالة مؤرخة في: ١٩/ ذي الحجة/ ١٣٣٦هـ.

(٢) الحركة الوطنية في سورية: د. ذوقان قرقوط، ص٢٦٤ – ٢٦٥.



الذين يذبحهم الإنجليز مسلمون يصلون كما نصلي، ويؤمنون بالعقيدة نفسها التي نؤمن بها.

ويؤكد ذوقان قرقوط ـ وهو درزي ـ هذه الصلات بالإنجليز في كتابه المذكور[1].

ثانياً: إذن لماذا ثار الجبل بقيادة سلطان باشا؟!

١ ـ ثار بسبب خرق فرنسا لأعراف الجبل وتقاليده، حيث ألقت فرنسا القبض على (أدهم خنجر) الذي التجأ إلى (القريّة) بلدة سلطان، إثر اشتراكه بمحاولة اغتيال غورو (في ٢٢/٧/١٩٢١م)، فغضب سلطان بسبب ذلك.

٢ ـ هناك تنافس تقليدي، بين آل الأطرش على زعامة الجبل، وعندما منح الفرنسيون (سليم الأطرش) لقب أمير وعينوه حاكماً على الجبل، أغضب هذا الأمر أجنحة أخرى في العائلة، لأن ذلك كان يعني وقوف فرنسا مع قسم من آل الأطرش ضد القسم الآخر.. ثم تجدد الخلاف عند موت سليم واختيار عمه (حمد الأطرش) حاكماً، فرفض عبد الغفار الأطرش هذا الاختيار، وأدّى التنافس بين آل الأطرش إلى فقدان منصب الحاكم الوطني، وعين الكابتن (كاربيه) مستشاراً جديداً لحاكم الجبل الوطني في تموز ١٩٢٣م، ثم أصبح حاكماً للجبل في عام ١٩٢٤م، بانتخاب المجلس الوطني لذلك المستشار بدلاً من حمد أو عبد الغفار الأطرش[2].

---

(١) الصراع العربي الإسرائيلي: محمد عبد الغني النواوي، ص٤٢.

(٢) الصراع العربي الإسرائيلبي/ ص٥٥ – ٥٧.



● إلا أن الدروز بدأوا يشتكون من ظلم الفرنسيين لهم، وخاصة بعد أن نقضوا الاتفاق معهم.

ثم حاول وفد منهم مقابلة الجنرال (سراي) فردهم خائبين، ثم نفى زعماءهم إلى تدمر، وحاول القبض على سلطان فاستنفرَ قومه للثورة، وبدأت بمعركة المزرعة، وكان النصر حليفهم ضد الفرنسيين.

ـ فكانت ثورتهم من أجل تحقيق مطالبهم الخاصة، وقد أهانهم المندوب السامي (سراي) وأمر بنفيهم، وكان من عادة الدروز أن يثوروا ضد الحكومات الوطنية من أجل مثل هذه المطالب، فليس مستغرباً إذن أن يثوروا على الفرنسيين[١].

مصير ثورة الدروز:

استمرت عاماً ونصف العام، وفي ٢٨ / ٥ / ١٩٢٧م، غادر سلطان البادية متوجهاً إلى قريات الملح، ثم لجأ إلى الأردن، وأقام في الكرك حتى عام ١٩٣٧م، حيث عاد إلى الجبل بعد صدور العفو عنه.. فكان قد عاش عشر سنوات في الأردن، كما كان يعيش رجال الكتلة الوطنية، حيث يتحدثون عن سورية من خارجها، وتحت مظلة الإنجليز وعطفهم، بينما كان المجاهدون ينطلقون من المساجد، ومن غوطة دمشق وأرياف حوران والجزيرة وروابي سوريا كلها.

وكنا عرفنا أن قادة الدروز، قد انقلبوا ضد الثورة السورية وأعلنوا

---

(١) الصراع العربي الإسرائيلي/ ص٥٥ – ٥٧.



انضمامهم إلى السلطات المحتلة.

● وقد نسي كثير من الكتاب كيف أحرقت أسواق دمشق وأحياؤها نتيجة القصف الشديد بنيران الطائرات والمدرعات الفرنسية، كما قصفت المدن السورية الثائرة ضد الاحتلال.

● أيريد أعداء الإسلام أن نتناسى دور المساجد وحلقات العلم في مقاومة الفرنسيين؟! ولا نذكر إلا السويداء والقريّة والمزرعة؟!.

أيريدون أن نتناسى تاريخنا الزاهر، بتاريخ مزور مشحون بالخيانة والتآمر؟![1]

●● أما موقف النصارى في بلادالشام، فسوف نتحدث عنه من خلال: (دولة لبان الكبير)، الدولة الطائفية الكبرى في ظل الانتداب الفرنسي، في الفصل القادم.. إن شاء الله.

* * *

دولة النصيريين في ظل الانتداب الفرنسي:

بعد أن شكلت فرنسا حكومتي دمشق وحلب، استغلت التركيب الطائفي في البلاد، فأنشأت حكومة الدروز ومركزها مدينة السويداء، وأخرى للنصيريين، مركزها مدينة اللاذقية، وذلك في منذ عام ١٩٢٠م، وشكلت مجالس لإدارة شؤونها.

---

(١) الصراع العربي الإسرائيلي/ ص٦٠ - ٦١، وتطور الحركة الوطنية في سورية/ ص٩٤.

● وكانت الطائفة النصيرية قد تحركت لخدمة فرنسا منذ عام (١٩١٩م)، وطالبتها بالاستقلال عن حكومة دمشق.

يقول يوسف الحكيم وقد كان معاصراً للأحداث آنذاك:

«إن النصيرية أخلصوا للانتداب الفرنسي، فلم يبعثوا بنائب عنهم إلى المؤتمر السوري».

«وكان موقفهم هذا متفقاً مع عرفانهم للجميل، حيث شملتهم فرنسا بالعناية والعطف»[١].

● لقد كانت العلاقة حميمة بين النصيريين وفرنسا، بينما كاننت العلاقة متوترة، وعلاقة عداء مع الحركة الوطنية السورية.

●● أما ثورة صالح العلي:

التي قاد فيها ـ صالح العلي ـ المقاومة ضد فرنسا عام ١٩١٨م، في منطقته، في قرية الشيخ بدر، إحدى نواحي طرطوس، فقد ضُخم دورها كما ضخم دور ثورة الدروز... وحقيقة أمرها أنها كانت ترتبط بالصراع القائم بين النصيرية والإسماعيلية آنذاك، فقد كان صالح العلي يشنّ غاراته على الإسماعيليين في القدموس وما حولها بهدف طردهم منها، ولما كان الاسماعيليون قد تحالفوا مع فرنسا توسعت دائرة الصراع، كما أن حكومة دمشق، وكمال أتاتورك أمدا (صالح العلي) بالمال والعتاد ضد فرنسا وحلفائها، وكل من هؤلاء كان يسعى

(١) سورية والعهد الفيصلي: يوسف الحكيم، ص٩٤/ بيروت ١٩٨٠م.

لهدف يختلف عن الآخر[1] .

● وقد ساهم صالح العلي في هدم الخلافة الإسلامية، عندما قام بقطع الطريق التي تصل طرطوس بحماة، فكانت خسائر الأتراك كبيرة نتيجة قطع الطريق عليهم[2] .

وعندما قل العتاد واستولى المستعمرون على أكثر معاقله في منطقته استسلم واعتزل شؤون الحياة العامة، بعد أن عفا عنه الفرنسيون، واستمر بعيداً عن الأحداث منذ استسلامه ١٩٢١م، حتى توفي في قريته سنة ١٩٥٠م[3] .

● فما صلة صالح العلي بأتاتورك العلماني الملحد؟! ولماذا توقف طيلة حياته عن الكفاح، حينما كان المسلمون في مدن سوريا كلها يقدمون التضحيات طيلة أيام الانتداب الفرنسي؟![4] .

●● واستمرت الثورة السورية الكبرى ما يقرب من عامين (١٩٢٥ – ١٩٢٦) وقد شملت البلاد كلها باستثناء منطقة النصيريين، وبينما كان الوطنيون يطالبون باستقلال البلاد ووحدتها، سارع قادة النصيرية وقدموا إلى

---

(١) ينظر: كتاب النصيرية : تقي شرف الدين/ ص٦٨ – ٧٤/ طبع بيروت/ ١٩٨٦م، وعن صراع النصيرية والإسماعيلية انظر: خطط الشام، محمد كرد علي، ج٣/١٧٤ – ١٧٥ .

(٢) مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى، د. أحمد قدري ص١٣٣ .

(٣) الأعلام للزركلي : ج٣/ص١٩٣، طبعة/ دار العلم للملايين/ بيروت/ ١٩٩٧م.

(٤) الصراع العربي الإسرائيلي/ ص٢٦٣ وما بعدها.





سلطات الاحتلال العديد من المذكرات التي تطالب بإبقاء انفصالهم عن سوريا .

● جاء في مذكرة الوفد النصيري الذي ترأسه رئيس المجلس التمثيلي في اللاذقية في (٢٨ / ٤ / ١٩٣٣م)، والمقدمة للمفوض السامي في بيروت ما يأتي : « **إننا لا نريد الوحدة مع سوريا** ، بل على العكس، نحن نعارضها ، فالسوريون يعادوننا من الوجهة الدينية ، ولا يمكن لنا التعاون معهم ، ولا الارتباط مع سوريا ، ولو كان ذلك على شكل اتحاد كونفدرالي »(١) .

● وجاء في مذكرة رفعها المفوض السامي، مؤرخة في : ١٦ حزيران ١٩٣٣م ، إلى وزير الخارجية الفرنسية بعنوان : (النصيرية قبل وبعد الانتداب) ، وتحمل اسم : محمد سليمان الابن الأكبر لسليمان الأحمد ، أحد زعماء النصيرية البارزين، وأحد أعضاء مجلس حكومة اللاذقية ، جاء فيها ما يأتي :

« إن النصيرية ليسوا بمسلمين، والعالِم الشهرستاني ، يذكر في كتابه : (الملل والنحل) أن المذهب النصيري من المذاهب الإلحادية ، ولا صلة له بالدين الإسلامي »(٢) .

●● وخلال فترة النضال الوطني من أجل الاستقلال ، منذ عام ١٩٣٦م ، رفع زعماء النصرية (ونوابهم في المجلس التمثيلي لحكومة اللاذقية) العديد من

---

(١) عن سجلات وزارة الخارجية الفرنسية ـ سوريا ولبنان ، الملف (٥١٠ وثيقة / ١٢٤ ، ص١١٤) .

(٢) سجلات الخارجية الفرنسية ، الملف ٤٨٥ ، وثيقة رقم ٢٠٥ ، نقلاً عن كتاب النصيرية : تقي شرف الدين ، ص ٨٥ ، ٨٦ .



المذكرات، يطالبون فيها بتكريس انفصالهم عن حكومة دمشق، وبعثوا خلال شهر واحد بأربع مذكرات إلى حكومة فرنسا، وهي مؤرخة في الثامن والحادي عشر وفي (٢٤ و٢٥) من شهر حزيران لعام ١٩٣٦[١] .

●● وفيما يأتي نموذج من تلك العرائض المرفوعة إلى رئيس الحكومة الفرنسية، وقد تضمنت العريضة أشياء خطيرة وعجيبة .

نص الوثيقة :[٢]

« دولة ليون بلوم: رئيس الحكومة الفرنسية :، إن الشعب العلوي الذي حافظ على استقلاله سنة فسنة بكثير من الغيرة والتضحيات الكبيرة، هو شعب يختلف في معتقداته الدينية وعاداته وتاريخه عن الشعب المسلم السني، ولم يحدث في يوم من الأيام، أنْ خضع لسلطة من الداخل؟! .

● وإننا نلمس اليوم أن مواطني دمشق يرغمون اليهود القاطنين بين ظهرانيهم، على عدم إرسال المواد الغذائية لإخوانهم اليهود الطيبين؟! والذين نشروا الحضارة والسلام، ونثروا على أرض فلسطين الذهب والرخاء، ولم يوقعوا الأذى بأحد، ومع ذلك أعلن المسلمون الحرب المقدسة ضدهم، بالرغم من وجود إنجلترا في فلسطين، وفرنسا في سوريا .

---

(١) ينظر: النصيرية، تقي شرف الدين، ص ٨٧، وسجلات وزارة الخارجية الفرنسية/ سوريا ولبنان/ الملف رقم ٤٩٢، وثيقة ٤١٢ ص ١٩٣ وما يليها.

(٢) ينظر: الصراع العربي الإسرائيلي/ ص٢٦٨، والحركات الباطنية في العالم الإسلامي: د. محمد أحمد الخطيب (ص٢٣٥ - ٢٣٦).





● وإننا نقدر نبل الشعور الذي يحملكم على الدفاع عن الشعب السوري، ورغبته في تحقيق استقلاله، ولكنّ سوريا لا تزال بعيدة عن هذا الهدف الشريف(؟!!)، خاضعة لروح الإقطاعية الدينية للمسلمين.

● ونحن الشعب العلوي، الذي يمثله الموقعون على هذه المذكرة، نستصرخ حكومة فرنسا ضماناً لحرية هذا الشعب واستقلاله، والذي يضع بين يديها مصيره ومستقبله، وهو واثق أنه سيجد لديهم السند القوي لشعب علوي صديق، قدم لفرنسا خدمات عظيمة».

الموقعون: محمد سليمان الأحمد، محمود آغا حديد، آغا غواش، سليمان المرشد، سليمان الأسد، محمد بك جنيد.

● فلا غرابة أن يعبر النصيريون في عريضتهم عن تعاطفهم مع اليهود تارة، ومع الفرنسيين تارة أخرى، ومن قبل تعاونوا مع الحملات الصليبية على بلاد الشام، ومع التتار خلال اجتياحهم للعالم الإسلامي.. وتاريخهم المعاصر حلقة من حلقات ذلك التآمر ضد الإسلام والمسلمين[١].

* * *

● **وقد برز دور سليمان المرشد**، بعد انتهاء دور صالح العلي إذ تجمع حوله النصيريون، وزعموا أنه إله عندهم، ثم عبدوه من دون الله.

يقول الزركلي: «سلمان المرشد: علوي متأله من النصيرية، من قرية يقال لها - جوبة برغال - تقع شرقي اللاذقية، تلقّب بالرب»!!.

---

(١) المرجع السابق.

● بدأت سيرته سنة ١٩٢٠م، ثم سجن سنة ١٩٢٣م، ونفي إلى الرقة حتى سنة ١٩٢٥م، وعاد من منفاه، وتزعم أبناء نحلته، ثم استماله الفرنسيون واستخدموه، وجعلوا لبلاد ـ النصيريين ـ نظاماً خاصاً، فقويت شوكته، وتلقب برئيس الشعب العلوي الحيدري الغساني.

●● عيّنَ قضاةً وفدائيين عام ١٩٣٨م، وفرض الضرائب على القرى التابعة له، وأصدر قراراً جاء فيه: «نظراً للتعديات من الحكومة الوطنية والشعب السني على أفراد شعبي، فقد شكلت لدفع هذا الاعتداء جيشاً يقوم به الفدائيون والقواد...» وجعل لمن سماهم الفدائيين ألبسة عسكرية خاصة.

● «كان سليمان المرشد يزور دمشق نائباً عن النصيريين في المجلس النيابي السوري، فلما جلا الفرنسيون عنها، تركوا له من سلاحهم ما أغراه بالعصيان، فجردت حكومة سوريا قوة فتكت ببعض أتباعه، ثم اعتقلته مع آخرين، وأعدمته شنقاً في دمشق»[١].

● لقد كانت السلطات الفرنسية تجامل النصيريين، وتهتم بمدينة اللاذقية عاصمتهم، وجعلوها تحت إدارتهم المباشرة لتصبح دولتهم جزءاً من فرنسا، كما سمحت السلطات الفرنسية لهم بإصدار العديد من الصحف منذ عام ١٩٢١م، ومنها صحف: اللاذقية، والصَّدى العلوي، والمنار والزمر[٢].

●● هؤلاءهم النصيريون والدروز، وهذا إيجاز عن دورهم أيام الاحتلال

---

(١) الأعلام للزركلي: ج٣/ ١١٢، وجريدة الجلاء في اللاذقية، تاريخ ٤/ ١٢/ ١٩٤٦م، والصراع العربي الإسرائيلي/ ص٢٦٥، ويذكر الزركلي أنّ اسمه سلمان المرشد.

(٢) تاريخ الصحافة السورية: د. شمس الدين الرفاعي، ج٢/ ٣٣ - ٣٤.

الفرنسي للبلاد... وهم يتابعون سيرة آبائهم وأجدادهم في معاونة الصليبيين خلال حملاتهم على بلاد الشام في القرن السادس الهجري، والتعاون مع المغول التتار عندما غزوا بلاد المسلمين، وها هو التاريخ يعيد نفسه فهل من معتبر؟![1].

* * *

(١) ينظر تفصيلاً لذلك: أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين: يوسف إبراهيم الشيخ عيد/ ص٢٥٤ – ٢٦٠، طبعة: «دار المعالي ـ عمّان/ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م».

الفصل الثاني
الانتداب الفرنسي وإنشاء دولة لبنان الكبير

المبحث الأول:

موقف الطوائف المختلفة من كيان لبنان الجديد

- تأييد النصارى لسياسة الانتداب وللكيان الجديد.

- موقف المسلمين: المعارضة والمطالبة بالوحدة مع سوريا.

المبحث الثاني:

التطورات السياسية على ضوء التكتلات الطائفية والقومية

١ ـ الاتجاهات الطائفية والقومية «١٩٢٣ - ١٩٣٥م».

٢ ـ فرنسا وتعميق الطائفية في البلاد.

٣ ـ معاهدة (١٩٣٦م) وموقف المسلمين منها.

٤ ـ مرحلة ما قبل الاستقلال (١٩٣٦ - ١٩٤٣م)، والتحولات الإسلامية نحو الاعتراف بكيان لبنان الجديد.

المبحث الثالث:

الميثاق الوطني وأبعاده الداخلية والخارجية

- هو ميثاق قام على التوازن الطائفي إلى حد كبير...

- الجوانب العربية والدولية للميثاق...

- الجوانب الداخلية في الميثاق الوطني.

● جلاء فرنسا وانتهاء عهد الانتداب عام ١٩٤٦م.





المبحث الأول
موقف الطوائف المختلفة من كيان لبنان الجديد

● بعد أن تم إسقاط الحكومة العربية في دمشق في تموز ١٩٢٠م أصدر غورو (المفوض السامي) الفرنسي في ٣١ آب ١٩٢٠م، مرسوماً بضم بيروت وأقضيتها القديمة : صيدا وصور ومرجعيون وطرابلس، وبعض سكان ولاية الشام وأقضيتها الأربعة : حاصبيا وراشيا وبعلبك والبقاع، إلى متصرفية جبل لبنان وجعلها جميعاً وحدة سياسية منفصلة باسم « دولة لبنان الكبير » .

●● وبعد أن مدح الفينقيين خلال احتفال أقامه في بيروت في الأول من أيلول ١٩٢٠م، وأعلن فيه ولادة « لبنان الكبير » هدد بشكل غير مباشر أهالي لبنان ليحافظوا على النظام، ضمن هذا الكيان الجديد .

وقد رفض سكان الساحل من المسلمين ذلك التقسيم رفضاً باتاً، أما سكان الجبل ولا سيما الموارنة فقد أيدوا هذا الإعلان . . .

وقد زاد هذا التصرف مشكلات لبنان تعقيداً، وأكد أنطونيوس « أن الفرنسيين يستحقون الإدانة، لأنهم اقترفوا عملاً شنيعاً بإغفالهم للقيم الخلقية إغفالاً خبيثاً، مصحوباً بقصر النظر »[1] .

●● فلماذا رحب الموارنة بدولة لبنان الكبير ؟ !

---

(١) يقظة العرب : جورج أنطونيوس / ص٤٩٤ .





كان الهدف من تكوين لبنان الكبير، هو إتاحة الفرصة كي يتمتع النصارى بمركز ممتاز في مجالات الاقتصاد والإدارة . . .

وحظي الموارنة خاصة بمعاملة تفضيل قياساً إلى طوائف لبنان الأخرى .

أما طائفة الروم الأرثوذكس فقد كانت متأثرة بحركة القومية العربية ، لأنهم عانوا كثيراً من النشاطات الكاثوليكية والبروتستانتية ، واتجه كثير من شبابهم للتعلم في دمشق وتأثروا بالجو السياسي هناك .

وبعكس الروم (الأرثوذكس) ، كان الروم الكاثوليك يؤيدون مشروع لبنان الكبير ، تحت مظلة الاستعمار الفرنسي ، وكان أبناء هذه الطائفة يتمتعون بثراء كبير .

● **وطبيعي أن أهل السنة كانوا** يرفضون فكرة الكيان اللبناني أصلاً ، ويتطلعون للاتحاد مع سوريا ، وخاصة أهل طرابلس الذين كانت مصالحهم الاقتصادية ترتبط بسوريا .

أما الشيعة ، فقد كان موقفهم غامضاً ، فبعضهم أيد الدولة العربية في دمشق ، بينما كان البعض الآخر يرى أنه من الأفضل بقاؤهم ضمن دولة صغيرة متعددة الطوائف ؛ كيلا يذوبوا وسط أغلبية سنية متفوقة عليهم كثيراً من الناحية العددية .

أما الدروز: فقد كانوا مرتبطين تاريخياً بلبنان لدرجة أن الشخصية اللبنانية ، كانت مستمدة من تعايش طائفتي الدروز والموارنة ، رغم قيام المعارك



الطاحنة بينهما[1].

● **أما تأييد النصارى للاحتلال الفرنسي:**

فيعود إلى تاريخ الحروب الصليبية، عندما تعاون نصارى الشام مع الغزاة المحتلين ضد بني وطنهم، في عمليات التجسس والقتل والحصار[2].

●● وفي مرحلة الاستعمار الحديث، أعلن نصارى بلاد الشام تأييدهم للاحتلال الفرنسي، ووقوفهم إلى جانب المستعمر بلا حياء ولا مواربة.

ـ قدموا العرائض الكثيرة إلى المندوب السامي الفرنسي يطلبون حماية فرنسا دون غيرها.

● ومن تلك العرائض ما قدمته **الطائفة الكلدانية في حلب**، تطالب بالانتداب الفرنسي على البلاد.

ـ **كما قدم كهنة ووجوه منطقة «إهدن»** في جبل لبنان عريضة يطالبون فرنسا بتوسيع حدود لبنان، بما يناسب حالة الأهالي وطبائعهم، على أن يكون لبنان تابعاً لإدارة جمهورية فرنسا، وفي العريضة عشرون توقيعاً[3].

● كما قدم عرائض مماثلة: **طائفة الروم الكاثوليك** من قضاء راشيا،

---

(١) الهلال الخصيب: د. محمود صالح منسي/ ص٢٧٢ - ٢٧٦.

(٢) ينظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٨/ ٢٣٥، ج٩/ ١٤ والبداية والنهاية لابن كثير: ج١٢/ ٢٢.

(٣) وثائق الخارجية الفرنسية في: ٦/ ٧/ ١٩١٩م، وفي ٦/ ١٢/ ١٩١٨م. «نقلاً عن تطور الحركة الوطنية في سوريا: ذوقان قرقوط/ ص٢٠٤، ٢٦٠.

يرجون إعادة القضاء إلى إدارة لبنان الكبير، تحت حماية فرنسا . . . وطالبت بقية الطوائف النصرانية في قضاء راشيا بحماية فرنسا لهم[1]

ويشهد المواطنون المعاصرون لتلك الفترة على تواطؤ النصارى المشين مع فرنسا .

● **وكان رجال الدين النصارى أسرع الفئات إلى تأييد فرنسا** التي كانوا يطلقون عليها اسم (الأم الحنون) فهم أبناء بررة بأمهم، وجنود مخلصون لقيادتهم في الفاتيكان وباريس .

ـ وكنا قد تحدثنا عن دور بطريرك الموارنة (يوسف الحويّك) في مؤتمر الصلح بفرساي حيث قدم مذكرة يطلب فيها، أن تكون فرنسا هي الدولة المنتدبة على لبنان، بعد أن يفصل عن سوريا . . . وكانت المذكرة ممثلة للقيادة الدينية لنصارى لبنان »[2] .

● هذه مواقف النصارى، رغم أنهم هم الذين رفعوا لواء القومية العربية في الشام، وهم أصدقاء فيصل بن الحسين، ومنهم كبار أعوانه ومستشاريه، وهو الذي كان يرفع شعار : « الدين لله والوطن للجميع »[3] .

---

(١) المصدر السابق : ذوقان قرقوط / ص٢٦٠ ، وفي العريضة أكثر من (٤٠٠ توقيع) .

(٢) ينظر : الصراع العربي الإسرائيلي / ص١٦٣ – ١٦٤ ، وسياسة الحكم في لبنان : د . حمدي الطاهري، ص٢٤٥ – ٢٤٨ ، المطبعة العالمية في القاهرة، وقدمت العريضة بتاريخ ٢٨ / حزيران / ١٩١٩م .

(٣) الصراع العربي الإسرائيلي / ص١٦٥ ، وص١٦٩ – ١٧٨ .



●● ويذكر دعاة القومية أن بعض المواطنين النصارى قاوموا الاستعمار الفرنسي، كفارس الخوري، وبشارة الخوري، ويحاطُ أولئك بهالات من التضخيم.. ولا ننكر أن بعض هؤلاء عارض سياسة الاحتلال الفرنسي ولكن تلك المعارضة كانت سياسية إعلامية فقط، وأنها كانت مؤيّدة من رجال الحكومة البريطانية في صراع المنافع مع فرنسا في بلاد الشام.

● وهنالك صنف، كان يتحرك ضمن إطار توزيع الأدوار بين قيادات النصارى، ويمثل هؤلاء: كميل شمعون، وبيّار الجميّل، وغيرهما من الأسماء التي صنعتها فرنسا، لتكون بديلاً عنها بعد خروجها من البلاد[1].

● وقد عاصر الشاعر القروي ـ رشيد سليم الخوري ـ الانتداب الفرنسي وشاهد بعينه خيانة بني جلدته، فصحا ضميره ذات مرة وقال:

وكيف ألوم في وطني الزمانا   ومنّا ذلّة لا مِنْ سـوانا

ألسـنا قد أهنّاه فهانا   وقلنا: كنْ فرنسياً فكانا؟!

إذن فليهننا نيـل المـراد

رضينا للتعصـب أن نهونا   فأغمضنا على الضيم العيونا

نقول: المسـلمون المسلونا   فنرميهم ونحن الخائنـونا

نبيع بدرهم مجد البلاد

بربـك قل: متى لبـنان ثارا   ليدرك من علـوج الغرب ثارا؟!

---

(١) الصراع العربي الإسرائيلي/ ص١٦٥ – وص١٦٩ – ١٧٨.



متى نفرت إلى السيف النصارى لتغسل بالدم المسفوك عارا؟!

وتحرز مرةً شرف الجهاد[1]

* * *

● كما تعاون الموارنة منذ العقد الثلاثيني مع الحزب القومي السوري والأمير عبد الله بن الحسين، وكان تعاوناً سرياً بطبيعة الحال.. من أجل مشروع سوريا الكبرى، الذي نشط إليه الأمير عبد الله ما بين (١٩٤٣ - ١٩٤٧م)، وكان قد تعهد لعدد من زعماء الموارنة بأنه سيكتفي بضم المناطق الإسلامية من لبنان، ويعيد إلى المناطق النصرانية مركزها شبه المستقل، الذي كان لها في النصف الثاني من القرن الماضي.

وقد تولى الاتصالات مع الأمير عبد الله، حزب الكتلة الوطنية بزعامة (إميل إدّه) الذي كان يهادن الانتداب، ويعارض مشروع الجامعة العربية، وقد زار وفد من هذا الحزب عمّان (١٩٤٥ - ١٩٤٦م) واتفق الطرفان على إجراء عمل مشترك في القضايا المتفق عليها[2].

● **موقف المسلمين من الكيان اللبناني الجديد (١٩٢٠ - ١٩٣٠م).**

كان المسلمون عموماً يؤيدون الوحدة ما بين سوريا ولبنان، ولما لم يجدوا تجاوباً مع مطالبهم، بدأ أكثرهم يرفضون المناصب ا لسياسية والإدارية في الدولة متجاهلين أن ذلك السلوك، سيبعدهم عن مركز القرار السياسي والاقتصادي،

---

(١) حقيقة القومية العربية: الشيخ محمد الغزالي/ ص١٥٠.

(٢) الهاشميون وقضية فلسطين: أنيس صايغ/ ص١٦٤ - ١٦٥.



ولما شعر المسلمون أن هنالك خطة سياسية للقضاء على تطلعاتهم، تكونت جمعية إسلامية سرية، كان هدفها القضاء على كل مسلم يتعامل مع الفرنسيين بصورة أو بأخرى[1] .

● وبعد رحيل (غورو) وتعيين فرنسا للجنرال (ويغان) خلفاً له في عامي (١٩٢٣ - ١٩٢٤م)، طالب أنصار الوحدة السورية من سكان مدن الساحل بإعادة الوحدة مع سوريا، كما طالب بذلك أبناء الأقضية الأربعة من المسلمين، وخاصة أنه لم يؤخذ رأيهم في ضمهم إلى متصرفية جبل لبنان[2] .

●● وفي عام ١٩٢٥م، وصل مفوض جديد هو (هنري دي جوفنيل) فشكل لجنة لوضع دستور للبلاد، إلا أن أعيان الطائفة الإسلامية في بيروت، قرروا رفض الاشتراك في سنّ هذا الدستور، لأنه لا يتفق مع مصلحة البلاد، مع إصرارهم على رفض الالتحاق في دولة لبنان، كما رفع مفتي بيروت الشيخ (مصفطى نجا) إلى رئيس المجلس النيابي قرار أعيان الطائفة الإسلامية في بيروت في ٥/١/١٩٢٦م.

●● كما عقد وجهاء صيدا والأقضية الأربعة مؤتمراً في عام ١٩٢٦م قرروا فيه رفضهم المشاركة في صياغة الدستور، وطالبوا بالالتحاق بالوحدة ا لسورية، ورفعوا مضبطة إلى رئيس المجلس النيابي بذلك، كما وردت مضابط مشابهة من طرابلس وبعلبك وجبل عامل، تضمنت كلها رفض الاشتراك في صياغة

---

(١) دراسات في تاريخ لبنان المعاصر: د. حسان حلاق/ ص١١١، ص١١٤.

(٢) المرجع السابق: ص١١٥.



الدستور، مع طلب الالتحاق بالوحدة السورية على أساس اللامركزية[١].

● لكن مفتي طرابلس الشيخ (محمد رشيد ميقاتي) كان يؤيد الاشتراك في صياغة الدستور اللبناني، واعتبر أن الرافضين لذلك الاشتراك في طرابلس كانوا (متهوّسين في طلب الوحدة)، وأرسل إلى رئيس المجلس النيابي رسالة حول هذا الموضوع في: ٢٦ / ١ / ١٩٢٦م[٢].

●● ومهما يكن من أمر فقد أُقرّ الدستور في المجلس النيابي، وقد كرّس الانتداب الفرنسي، واتخذوا العلَم الفرنسي علماً لدولة لبنان وأكد الدستور وحدة لبنان الكبير، كما جعل اللغة الفرنسية لغة رسمية لجمهورية لبنان، إلى جانب اللغة العربية[٣].

●● ولم ينص الدستور على دين رئيس الجمهورية أو طائفته، ولكن فرنسا كانت حريصة على تولية الرئاسة لنصراني، فكان المرشح الأول لرئاسة الجمهورية (شارل دباس) وكان من الأرثوذكس، بسبب تعذر اتفاق طوائف النصارى، وأن طائفته لا تشكل أكثرية عددية كالموارنة والسنة، وكان محبوباً عند فرنسا، وخادماً أميناً لمصالحها ورغم اعتراض البطريرك الماروني على هذا الترشيح، عين رئيساً وجددت له فترة ثلاث سنوات أخرى[٤].

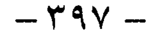
---

(١) تاريخ لبنان المعاصر: د. حسان حلاق/ ص١٤٧ – ١٥٤ و ص١٤٠ – ١٤٢.

(٢) المرجع السابق، ص١٥٠، و١٢٠، والهلال الخصيب، ص٢٧٧.

(٣) المرجع السابق، ص١٥٠، و١٢٠ والهلال الخصيب، ص٢٧٧.

(٤) حقائق لبنانية: بشارة الخوري، ج١ / ١٣٢ – ١٣٥، طباعة لبنان ـ درعون ـ حريصا / ١٩٦٠ – ١٩٦١م، وينظر الهلال الخصيب، د. محمود منسي/ ص٢٧٨.





واستمرت شكوك المسلمين بفرنسا وأتباعها، من ذلك محاولة حبيب باشا السعد في أواخر كانون الأول ١٩٢٨م، القضاء على اللغة العربية، عن طريق جعل (اللهجة العامية) لغة رسمية، يمكن لطالب الثانوية العامة أن يتقدم بها في امتحاناته[١] .

● وفي (٩ / ١١ / ١٩٢٩م) عقد المسلمون اجتماعاً ضخما في دار مفتي بيروت، بحضور النواب المسلمين لمناقشة قرار رئيس الوزراء الجديد (أميل إدّه) الهادف لإلغاء المدارس الحكومية، التي يستفيد منها أبناء المسلمين بصورة أساسية.

ـ وقد صدر عن المجتمعين مذكرة، نددوا فيها بالقرار، لأن أهدافه كانت تقصد تشريد أبناء المسلمين، وإحلال الحروف اللاتينينة مكان اللغة العربية، ومن ثم قتل الثقافة العربية[٢] .

●● وقد تناوب على رئاسة الوزراء خلال فترة الدباسي، أحد شخصيات الموازنة : أميل إده، وبشارة الخوري رغم الصراع الشخصي والسياسي المستمر بينهما.

ـ كان بشارة الخوري يقر بالروابط اللبنانية العربية، كما أنه دعا للاعتراف باللغة العربية لغة رسمية في لبنان، بينما كان إدّه يؤكد على الوطنية اللبنانية الخاصة، والأصل الفينيقي لأهالي لبنان، فهم ورثة الحضارة الفينيقية ـ كما يزعم ـ

---

(١) تاريخ لبنان المعاصر/ ص١٢٢ – ١٢٣ .

(٢) المرجع السابق، وجريدة ألف باء في/ ٨ / ١١ / ١٩٢٩م.



وعلى هذا كان يرى أن لبنان يختلف بشرياً واجتماعياً عن الأقطار العربية المجاورة .

وبعد اختيار المجلس النيابي لأميل إدة الماروني رئيساً للجمهورية، اختار إدّة (خير الدين الأحدب) لرئاسة الوزراء، وبذلك وضعت نواة العرف السياسي الذي استمر في عهد الاستقلال وحتى اليوم[1] .

* * *

---

(١) الهلال الخصيب / ص٢٨٠ .

المبحث الثاني

التطورات السياسية على ضوء التكتلات الطائفية والقومية

١ ـ الاتجاهات الطائفية والقومية في لبنان (١٩٢٣ - ١٩٣٥م)

٢ ـ فرنسا وتعميق الطائفية في لبنان.

٣ ـ معاهدة ١٩٣٦م، وموقف المسلمين منها.

٤ ـ مرحلة ما قبل الاستقلال (١٩٣٦ - ١٩٤٣م) والتحولات الإسلامية نحو الاعتراف بكيان لبنان الجديد.

« ١ »

الاتجاهات الطائفية والقومية في لبنان

(١٩٢٣ - ١٩٣٥م)

●● شعر المسلمون بالتمايز بين اللبنانيين على الصعيدين السياسي والثقافي . . .

ففي حزيران ١٩٣٢م، أصدرت الدولة مرسوماً يقضي بتوزيع مبلغ عشرين ألف ليرة سورية على المدارس الخاصة، وُزع معظمها على الإرساليات النصرانية والتبشيرية، وغير الإسلامية[١] .

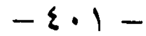
● وفي هذا المجال قال محمد جميل بيهم في مقابلة مع جريدة لسان الحال : « . . . رأينا بعد إعلان الإحصاء الأخير وظهور المسلمين فيه بمقام نصف سكان لبنان، أن الفرصة سانحة لنطلب المساواة والتفاهم بحبّ وولاء مع سائر الطوائف لأجل التناصف بمثله . . . » .

وتحدث عن أثر الغبن السياسي والاجتماعي فقال :

« فالمسلمون ماداموا يعتقدون أن حقوقهم تهضم، ومقامهم الاجتماعي يتدنى يوماً بعد يوم في هذه الجمهورية، فإنهم مستمرون على التنكر

---

(١) ينظر: تاريخ لبنان المعاصر، د. حسان حلاق/ ص١٤١ - ١٥٨ .





والتذمر».

وقال بخصوص قضية أن يكون الرئيس نصرانياً: «لقد تعودنا أن نسمع تصريحات عدة بأن من لايعجبه حال لبنان، فليهاجر منه وليرحل عنه، على حين أن هذه البلاد بأموالها وأملاكها، وبحق السكن فيها، هي للمسلمين كما هي لغيرهم»[1].

● لقد كانت التكتلات الطائفية هي السائدة، إلا أنه كانت تظهر بين فترة وأخرى تكتلات قومية، من ذلك: (المؤتمر الوطني) الذي ضم قوى مسيحية وإسلامية على السواء، وعقد في بيروت في (تموز ١٩٣٣م) ورأى المؤتمر ضرورة تأييد النظام الجمهوري، واعتبر أن فرنسا مسؤولة عن الأزمات الاقتصادية وطالب بالحفاظ على اللغة العربية لغة للبلاد[2].

ولعل اشتراك النصارى مع المسلمين يكون عادة من باب توزيع الأدوار ليس إلا، وهذا ما كشفته حوادث التاريخ الطائفي.

● كما ظهرت كذلك اتجاهات قومية في المهجر وخاصة في البرازيل.

●● غير أن هذا التيار القومي لم يستطع الصمود أمام التيارات الطائفية التي كانت قد تغلغلت في نفوس اللبنانيين منذ عشرات السنين، حتى صبغت لبنان بالصبغة الطائفية حيث كان المستعمر الفرنسي جاثماً والقوى الصليبية تؤججها من الخارج.

---

(١) جريدة لسان الحال في ٣/٢/١٩٣٣م، الصادرة في بيروت.

(٢) لسان الحال/ ٢ آب/ ١٩٣٣م.



ثم توصل القوميون إلى تأسيس (الحركة العربية السرية) التي انتهت إلى إصدار كتاب سري عرف باسم (الكتاب الأحمر) أو كتاب (القومية العربية)[١] .

● يقول الدكتور حسان حلاق : « وقد حصلت مجلة الشراع البيروتية على نسخة من الكتاب الأحمر، ونشرته في عددها الصادر في ٩ / آيار / ١٩٨٣م، العدد (٦٠) ص (٦٠ - ٧٣) .»[٢] .

ومما جاء في ذلك الكتاب : « أن الدولة العربية دولية قومية، لا دولة دينية، والأديان فيها هي سبيل المرء إلى خالقه في العبادات، فهي مصونة ومحترمة، وفق ما يرِدُ عنها في القوانين .

أما الشؤون الدنيوية الخالصة، كالإدارة والأحكام المدنية والعقوبات، والتجارة والمعارف، فلا دخل للدين أصلاً فيها . . . والوازع فيها هو عرف مدني يجري عليه الناس، أو قانون تَسنّه الدولة، ويخضع له جميع العرب »[٣] .

● ويلاحظ هنا قوة النزعة العلمانية اللادينية . . . بعد أن كانت (مجلة الأحكام العدلية) في الدولة العثمانية والمنبثقة من الفقه الإسلامي، هي السائدة في العالم العربي . . . وكذا الحال في دساتير سوريا في العهدين الوطني والاستعماري، فلم تكن تلك الدساتير تشير إلى أي مطلب من مطالب تحكيم

---

(١) تاريخ لبنان المعاصر : د . حسان حلاق، ص١٤٨ - ١٥٥ .

(٢) المرجع السابق : هامش الكتاب / ص١٥٦ .

(٣) تاريخ لبنان المعاصر : د . حسان حلاق / ص١٥٦ .



الشريعة الإسلامية .

وذلك كله هدف من أهداف حكومات الانتدابين الفرنسي والبريطاني . . . والحال مستمر حتى الآن مع كل أسف . . .

« ٢ »

الإدارة الفرنسية في لبنان وتعميق الطائفية في البلاد

كان هدف الانتداب هو ضرب الوحدة الوطنية عن طريق تعميق الطائفية ، وقد نجحت هذه السياسة في لبنان أكثر من سوريا ، وازداد عدد الموظفين الفرنسيين (في لبنان) حتى وصل إلى (١٥ ألف) شخص .

وكانت فرنسا قد أبقت على مجلس إدارة لبنان المعروف منذ عهد المتصرفية ، حين كانت مهمته مختصة بالضرائب فقط . . . وقد خصص للنصارى ٧٠٪ من المقاعد دون إجراء إحصاء دقيق للسكان .

وكان يجوز للمندوب السامي تعطيل قرارات المجلس بل وحله ، ثم قسمت البلاد إلى أربعة أقاليم ، لكل منها مجلس محلي إضافة إلى مدينتي طرابلس وبيروت ، إذ صار لكل منهما مجلس بلدي ، وجعلت قرية (زغرتا) عاصمة للإقليم الشمالي ، و(بعبدا) للوسط) و(صيدا) للجنوب ، وزحلة) للبقاع .

● وشجع الفرنسيون إنشاء محاكم للشيعة تطبق الفقه الشيعي ، كما استحدثوا منصب (المفتي الأكبر) لأهل السنة في لبنان ، وذلك لمنع تطلع

المسلمين إلى رئاسة دينية خارج البلاد . . . بينما كان بطريرك الموارنة ينتخب من قبل الإكليروس المحلي[١]، وقد كرس الفرنسيون الطائفية في البلاد، وتحيزوا علناً للنصارى وطائفة الموارنة في كل مؤسسات الدولة، وعلى رأسها رئاسة الجمهورية .

● **وقد حالت فرنسا دون تولي المسلم لرئاسة الجمهورية :**

حتى لو كان صديقاً لسياستها، ورئيساً لمجلس النواب، ذلك هو الشيخ (محمد الجسر)، فقد حاول ترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية عام ١٩٣١م، وثابر على خطته رغم نصيحة أصدقائه من الفرنسيين واللبنانيين، وكان من جملتهم المفوض السامي الفرنسي نفسه (هنري بونسو) . . ذلك أن سياسة فرنسا كانت ترى إبعاد المسلمين عن رئاسة الجمهورية . . .

● ومن ثم حاول الجسر أن يحمل نسخة من دستور لبنان إلى السراي ليقابل (نائب المفوض السامي) ويؤكد له أن الدستور لا يحول دون وصول مسلم لرئاسة الجمهورية . . لكن نائب المفوض السامي، فاجأه بقرار تعليق الدستور، وحل المجلس النيابي والوزارة أيضاً؛ مع إبقاء (شارل دباس) لأجل غير مسمى، يعاونه مجلس من المديرين[٢] .

●● **وعندما أجري إحصاء عام لتعداد السكان**، تبين أن عدد المسلمين بلغ (٣٨٦,٤٦٩ نسمة) بينما بلغ عدد النصارى ـ بما فيهم الأرمن والسريان

---

(١) الهلال الخصيب : د. محمود صالح منسي/ ص٢٧٤ – ٢٧٥ .

(٢) تاريخ لبنان المعاصر، ص١٣٠ .



والكلدان ـ (٣٩٦,٩٤٦ نسمة)، رغم التزوير والإرهاب خلال الانتخابات ولمصلحة النصارى طبعاً، فكان عدد المسلمين والنصارى متساوياً تقريباً..

●● ويعلق (محمد جيل بيهم)، رئيس جمعية اتحاد الشبيبة الإسلامية على نتيجة هذا الإحصاء بقوله: إن تلك النتيجة عزَّزَت مطالب المسلمين في نيل حقوقهم في مرافق الدولة، وفي منصب رئاسة الجمهورية، غير أن فرنسا استمرت في رفضها وصول الشيخ محمد الجسر للرئاسة، وعلقت الدستور نهائياً في ١٢ / ١٠ / ١٩٣٢م.

● وقد وردت برقيات باسم المسلمين إلى رئيس جمهورية فرنسا، وإلى رئيس الوزراء ووزير الخارجية، جاء فيها:

« بما أننا نشكل نصف سكان جمهورية لبنان، فلنا الحق في الوصول إلى سدة الرئاسة الأولى، لأنّ لبنان اليوم ليس لبنان ما قبل الحرب، أي لبنان القومي المسيحي؟!»[١].

● وكان المفوض السامي (بونسو) قد أكد في ١١ /نيسان، لدولته إمكانية وصول الشيخ الجسر لرئاسة الجمهورية، بسبب تنافس النصارى، وتكتل المسلمين موضحاً: «أن إمكانية وصول الشيخ الجسر إلى الرئاسة كبير جداً بسبب تماسك الكتلة السياسية الإسلامية، ولذلك فنجاح الشيخ الجسر سيضع فرنسا في مواجهة سياسية صعبة جداً، لأنّ نفوذنا في المشرق يرتكز أساساً على المسيحيين اللبنانيين أعواننا التقليديين.. ولذلك عمدت فرنسا جادة لإبعاد الشيخ

---

(١) تاريخ لبنان المعاصر: د. حسان حلاق، ص١٣٢ - ١٣٦.



الجسر[1].

●● ومن المعلوم أن الشيخ محمد الجسر، كان لبنانياً يؤمن بدولة لبنان الكبير، ومعارضاً لضم أي جزء منه إلى سوريا، بل كان رئيساً للمجلس النيابي، ونائباً معيناً تعييناً من قبل فرنسا في مجلس (١٩٢٩ - ١٩٣٢م)، وصديقاً للمفوض السامي، ولكن ذلك كله لم يوصله للرئاسة لأنه مسلم؟!

«٣»

معاهدة ١٩٣٦م وموقف المسلمين منها[2]

● في ٣٠ / ١ / ١٩٣٦م، تسلم الرئيس إميل إدة مهام الرئاسة وفي عهده تزايدت حدة التيارات السياسية والطائفية المتصارعة، ومن ثم بدأت المفاوضات اللبنانية ـ الفرنسية، التي حذت حذو المفاوضات السورية ـ الفرنسية.

● وكانت الكتلة الدستورية برئاسة بشارة الخوري، قد تقدمت بمذكرة (في ٣ / آذار / ١٩٣٦م)، إلى المجلس النيابي تضمنت المطالبة بمعاهدة مع فرنسا لتحل محل الانتداب الفرنسي.

●● وبسبب هذه الظروف تداعت القوى الإسلامية والقومية الوحدوية، من مختلف الطوائف إلى عقد (مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة)، في العاشر

---

(١) تاريخ لبنان المعاصر: د. حسان حلاق، ص١٣٢ - ١٣٦.

(٢) ينظر: تاريخ لبنان المعاصر/ ص١٦١ - ١٧٤.



من شهر آذار / ١٩٣٦م، في منزل سليم علي سلاّم في بيروت.

وأوضح سليم سلام، بأنه قد تم وضع مشروع مذكرة لرفعها إلى المفوض السامي، وتتضمن المطالبة بالوحدة السورية، وأنها هي الخطوة الأولى للوحدة العربية(١).

●● وفي ١٥ / ١٠ / ١٩٣٦م، ناقش المجلس النيابي مشروع المعاهدة والمفاوضات التي قامت بها اللجنة اللبنانية للمفاوضة التي تألفت من بشارة الخوري وآخرين(٢).

* * *

وفي هذه الفترة تداعى المسلمون إلي عقد مؤتمر إسلامي عام عرف باسم (المؤتمر القومي الإسلامي): عقد في ٢٣ / ١٠ / ١٩٣٦م في منزل عمر بك بيهم، للتباحث في موضوع المعاهدة وفي المطالب الإسلامية.

وتقدم المؤتمر بمذكرة إلى المفوض السامي الفرنسي (دي مارتل) تضمنت ما يلي:

١ ـ أن المسلمين هم من جملة طلاب السيادة القومية، من أبناء هذه البلاد التي ترتكز على وحدة شاملة لأجزاء سوريا أولاً، والأقطار العربية ثانياً.

٢ ـ أن المسلمين لا يرون بأساً في الصلة بين لبنان وسوريا على أساس

---

(١) السابق، وصحيفة البلاد في ١١ / ٣ / ١٩٣٦م الصادرة في طرطوس.

(٢) تاريخ لبنان المعاصر: ص١٦٦.



الاتحاد، حباً في إيجاد الألفة والتقارب بين أبناء الوطن الواحد . .

٣ ـ وأن المسلمين يطلبون وضع فصل صريح في المعاهدة يقر اللامركزية على النحو الذي تضمنته المعاهدة الفرنسية / السورية على أنْ يضمن المساواة بين الطوائف في الحقوق والواجبات .

●● **وقد رد المفوض السامي في ١٣/١١/١٩٣٦م**، بعد أن أُبرمت المعاهدة مع (إميل إدة)، ومما جاء في رده على المذكرة السابقة قوله : « في الوقت الذي تبذل فرنسا فيه جهودها لمحو كل أثر للمنازعات الدينية، لا يسعني إلا أن آسف لرؤيتي طابعاً دينياً، يوضع على وثيقة ذات صبغة سياسية »(١) . لقد رمتني بدائها وانسلت . . .

● وقد رد وفد المؤتمر فوراً على ملاحظات المفوض السامي إذ نفى تهمة طائفية المؤتمر، ثم دافع (رياض الصلح)، عن موقف المجلس القومي الإسلامي، ومما قاله للمفوض الفرنسي : « إننا لم نتقدم بمطالبنا باسم الشعار الطائفي، ولولا الطائفية ما كان لبنان منفصلاً عن سوريا، ونحن مع ذلك مددنا يدنا للاتفاق مع إخواننا، وهذه يدنا لا تزال ممدودة . . . »(٢) .

● والحقيقة تكمن في أن السياسة الفرنسية، ما كانت تنوي أن تتجاوب مع المطالب الإسلامية، وبعد مفاوضات ثلاثين يوماً تم التوقيع على المعاهدة في ١٣ / ١١ / ١٩٣٦م، من قبل رئيس الجمهورية إميل إدة، والمفوض السامي (دي

---

(١) تاريخ لبنان المعاصر : د . حسان حلاق / ١٦٩ .

(٢) جريدة النهار في بيروت / ١٤ / ١١ / ١٩٣٦م .



مارتل)، وكانت مدة المعاهدة (٢٥ عاماً).

●● وبموجب هذه المعاهدة، تعترف فرنسا باستقلال لبنان، كما تتعهد بمساعدته للانضمام إلى عصبة الأمم، كما نصت المعاهدة على إبقاء جنود فرنسيين في لبنان، وأن تمثل فرنسا لبنان في الشؤون الخارجية والعسكرية[١].

● وفي ١٧ / ١١ / ١٩٣٦م، عقد المجلس النيابي جلسة وافق فيها على المعاهدة المبرمة، فأقفلت مدينة بيروت وبعض المناطق احتجاجاً على إبرامها، مع العلم أن المجلس النيابي الفرنسي، رفض إبرام هذه المعاهدة عندما حولت إليه بعد فترة.

ومما يلفت النظر أن أميل إدة وبشارة الخوري والموالين لفرنسا جميعاً، يتحملون المسؤولية في هذه المعاهدة فيما لو طبقت آنذاك، لأنّ تطبيقها كان يعني بقاء القوات الفرنسية والنفوذ الفرنسي في لبنان حتى عام (١٩٦١م)، بينما تم جلاء هذه القوات عن لبنان عام ١٩٤٦م[٢].

* * *

---

(١) تاريخ لبنان المعاصر: حسان حلاق، ص١٧٢ - ١٧٣.

(٢) المرجع السابق.



« ٤ »

مرحلة ما قبل الاستقلال (١٩٣٦ - ١٩٤٣م)

والتحولات الإسلامية نحو الاعتراف

بالكيان اللبناني الجديد

انتخب إميل إدة لرئاسة الدولة (١٩٣٦ - ١٩٣٨م) واستمر في الحكم حتى عام ١٩٤١م، بسبب نشوب الحرب العالمية الثانية، وقد عين خير الدين الأحدب لرئاسة الوزراء، وهي أول مرة يتولى فيها مسلم رئاسة الوزراء، وذلك لاعتقاد (إدة) أن التعاون مع المسلمين السنة، ربما يؤدي تدريجياً إلى قبولهم الاقتراح بالكيان اللبناني، وتخفيف معارضتهم له، ومطالبتهم بالوحدة السورية[١] .

●● وقد بدأ (إميل إدة) بإدارة شؤون البلاد وفقاً لمعتقداته وآرائه الطائفية، بل وعمالته لفرنسا (أمهم الحنون) .

ـ فقد صرح في باريس في حزيران ١٩٣٧م بقوله : « إننا الجزيرة المسيحية الوحيدة في البحر الإسلامي، وأضاف في تصريح آخر قوله : « إن اللبنانيين

---

(١) تاريخ لبنان المعاصر: حسان حلاق، ص١٧٨ - ١٨٠ .



يرجعون في الأصل إلى سلالات البحر المتوسط، وأنهم أحفاد الفينقيين». [1]

● ويقول (إدة) أيضاً: «ونحن على كل حال بذلنا جهدنا لإلباس علاقتنا بفرنسا صفة الدوام بشكل ملموس، فبينما طالب جيراننا بسحب الجيوش الفرنسية، طلبنا نحن بقاءها دون شرط... إن ساحل لبنان يعتبر كله قاعدة بحرية فرنسية»[2].

هكذا تكون شجاعة العملاء ولا فخر!!.

● وقد أدت هذه السياسة الجائرة، إلى كثير من التنازع الطائفي والتشاحن بين الفئات، سواء أكان ذلك داخل المجلس النيابي أم خارجه...

●● كما أن الصراع الدولي حول قضية لبنان، تحول إلى صراع فرنسي ـ بريطاني، بعد الحرب العالمية الثانية.

● ومن ثم ترجم ذلك الصراع إلى صراع سياسي بين اللبنانيين أنفسهم حيث أن الموارنة شكلوا كتلتين سياسيتين.

ـ الأولى تؤيد فرنسا بزعامة إميل إدّة، والثانية تؤيد بريطانية بزعامة بشارة الخوري[3].

●● ثم بدأ التدخل (الإكليركي) واضحاً في شؤون الدولة، منذ عام

---

(١) قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور: محمد جميل بيهم، ج٢، ص١٠٧.

(٢) المرجع الأسبق: محمد جميل بيهم/ ج٢/ ١٠٧ ـ ١٠٨.

(٣) تاريخ لبنان المعاصر/ ص١٩١، ص١٩٨.



١٩٤٣م، إذ مارست هذه القوى ضغوطاً على رئيس الجمهورية، لإقالة رئيس الوزراء المسلم، فأرسلت الكتلة الإسلامية مذكرة إلى رئيس الجمهورية، أعربت فيها عن احتجاجها على نبأ رغبة البطريرك الماروني في إقالة رئيس الحكومة «سامي الصلح»(١).

● وبسبب الانتخابات النيابية المرتقبة، أصدر الجنرال «كاترو» قراراً في ١٨/٣/١٩٤٣م، طلب فيه من الرئيس الفرد نقاش، ومن رئيس الوزراء (سامي الصلح) تقديم استقالتهما ثم عين النائب (أيوب ثابت) رئيساً للجمهورية لفترة انتقالية، وكان المذكور من الأقلية البروتستانتية المسيحية، وكان يتمنى جعل لبنان وطناً قومياً مسيحياً تضمن فرنسا سلامته(٢)، وقد بدأ أيوب ثابت يترجم عقيدته إلى أفعال متطرفة مناوئة للمسلمين، وضد وحدة اللبنانيين.

ففي ١٧/٦/١٩٤٣م، أصدر مرسومين تشريعيين، الأول برقم (٤٩)، حدد فيه زيادة عدد النواب إلى (٥٤ نائباً) خصص منها (٣٢) مقعداً للنصارى، و(٢٢ مقعداً) للمسلمين.

أما المرسوم الثاني رقم (٥٠) فيتعلق بتوزيع زيادة عدد النواب على المناطق الانتخابية.

ـ وجاء في المرسوم (٤٩) أيضاً ضرورة إدراج المهاجرين في السجلات الرسمية.

---

(١) المرجع السابق نفس الصفحات.

(٢) تاريخ لبنان المعاصر، ص١٩٩ - ٢٠٠.

وقد أثار هذان المرسومان الطوائف الإسلامية، وأحدثا احتجاجاً صارخاً، لأنّ هدفهما البعيد صبغ لبنان بصبغة ملّية طائفية[1].

●● وقد تحرك المسلمون وتدخلت وساطات كثيرة، واقترح مصطفى النحاس باشا أن يكون عدد النواب (٣٠ نصارى و ٢٥ مسلمون) مؤقتاً، وعقدت لهذا الغرض مؤتمرات إسلامية عديدة، كما انتقل الصراع حول الموضوع نفسه إلى مجلس النواب اللبناني، وحول الحقوق الطائفية ومصالح كل طائفة[2].

* * *

---

(١) تاريخ لبنان المعاصر: ص١٩٩ - ٢٠٠.

(٢) ينظر النزعات السياسية في لبنان: محمد جميل بيهم، بيروت ١٩٧٧م، ص٧٠ - ٧٣، وينظر تاريخ لبنان المعاصر: د. حسان حلاق/ ص١٩٧ - ٢١٤.

المبحث الثالث

الميثاق الوطني وأبعاده الداخلية والخارجية[١]

لقد تم وضع الميثاق، مع أنه لم يتخذ شكل الوثيقة المكتوبة، ولكنه كان اتفاقاً عرفياً، ويعتبر أفضل صيغة أمكن التوصل إليها .

وكان الميثاق ثمرة سيادة التيار المعتدل نسبياً، وجهود بشارة الخوري ورياض الصلح . وقد اعتمد على أساس التوازن الطائفي . . . وأبرز المبادئ الواردة في الميثاق كان قد أعلنها رياض الصلح خلال أول بيان وزاري له، في مجلس النواب ومن تلك المبادئ :

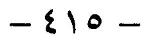
١ ـ أن لبنان جمهورية مستقلة استقلالاً تاماً، ولا يرتبط بأية دولة أجنبية، ومن واجب النصارى الامتناع عن طلب الحماية الأجنبية، وخاصة فرنسا، كما أنه على المسلمين ألا يحاولوا توحيد لبنان مع سوريا .

٢ ـ وأن لبنان جزء من الوطن العربي، ولغته هي العربية، ومع ذلك ستظل علاقته الثقافية والروحية بالحضارة الغربية ؟!

٣ ـ على لبنان أن يتعاون مع جميع الدول العربية، بشرط أن تعترف تلك الدول باستقلاله وسيادته داخل حدوده الحالية .

---

(١) ينظر: الهلال الخصيب، د. محمود حسن صالح منسي، ص٢٩١ – ٢٩٣ .





٤ ـ توزع الوظائف كلها بالتساوي بين الطوائف، فالوظائف الفنية تكون الأولوية فيها للكفاءات الفنية، أما المناصب الرئاسية فيكون رئيس الجمهورية مارونياً، ورئيس الوزراء مسلماً سنياً، ورئيس مجلس النواب مسلماً شيعياً، وقد ساعد الميثاق على حل مشكلات مستعصية عديدة:

أ ـ فقد تراجعت سوريا عن المطالبة بالأقضية الأربعة، وعن إقليم طرابلس، وهو الثمن الذي دفعته سوريا لجذب لبنان إلى حظيرة الجامعة العربية.

ب ـ رغم توزيع المناصب بين الطوائف بنسب متساوية في بداية الأمر، إلا أن المسلمين شعروا بعدم المساواة ذلك أن تعداد عام ١٩٤٣، الذي قامت عليه النسب كان ينطوي على مغالطتين اثنتين:

أولاهما: احتساب المهاجرين مواطنين لبنانيين.

وثانيهما: حساب الأرمن ضمن النصارى اللبنانيين، رغم أنهم كانوا وافدين، ولا يشعرون بالانتماء الوطني إلى لبنان.

ج ـ يرى المسلمون أن الدستور يمنح رئيس الجمهورية سلطات واسعة، تفوق سلطات رئيس الوزراء ورئيس مجلس النواب.

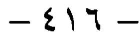
الجوانب الدولية والعربية... للميثاق الوطني:[1]

لم يكن الميثاق الوطني في لبنان منذ عام ١٩٤٣) مجرد تسوية محلية فحسب، ولكن كان له جوانب عربية ودولية أغفلها المؤرخون في الميثاق.

فقد كان لمصر وسوريا والعراق، ثم بريطانيا، دور في صيغة الميثاق.

---

(١) ينظر: تاريخ لبنان المعاصر، ٢١٩ – ٢٢٨.





● من ذلك أن بشارة الخوري وجميل مردم وزير خاريجة سوريا، قد تلقيا دعوة من النحاس باشا (رئيس وزراء مصر) لعقد مؤتمر في القاهرة.

وتبين من خلال المناقشات أن بشارة الخوري (رئيس الكتلة الدستورية في لبنان) والذي كان يأمل في الوصول إلي رئاسة الجمهورية، قد أبدى استعداده للتعاون مع الدول العربية، بشرط استقلال لبنان، ضمن حدوده المعترف بها آنذاك.

وقال جميل مردم: «نحن نثق بكلام الشيخ بشارة، وعندما تطمئن سوريا لهذا الاتجاه في السياسة اللبنانية، فنحن مستعدون لأن نتنازل عن كل مطلب لنا في لبنان، بل أنْ نوسع أراضي لبنان إذا لزم الأمر»[١].

●● ومن الأهمية بمكان القول: بأن بريطانيا وبعض المسؤولين العرب، كانوا يريدون التأكد من سياسة بشارة الخوري، في حال مساعدته للوصول إلى سدة الرئاسة الأولى في لبنان وبهذا دعي هو بالذات إلى مصر، وليس سواه، في وقت كانت فيه فرنسا تعمل علناً ضد أي تقارب (لبناني - عربي) باستغلالها للمشاعر الطائفية[٢].

●● وخلال فترة الانتخابات في صيف ١٩٤٣م، وبعد تسوية أزمة المرسومين (٤٩، ٥٠) بدأت فرنسا تدعم الكتلة الوطنية برئاسة (إميل إدة)، بينما دعمت بريطانيا الكتلة الدستورية برئاسة بشارة الخوري.

---

(١) حقائق لبنانية: ج١ / ٢٤٥، بشارة الخوري.

(٢) تاريخ لبنان المعاصر: ص٢٢١.



●● وقد أسفرت الانتخابات السياسية (عام ١٩٤٣م) عن نجاح المعادين لفرنسا، مع استمرار أقلية نيابية موالية للفرنسيين، إلا أن فرنسا نشطت في إطار انتخابات رئاسة الجمهورية لدعم مرشحها (إميل إدة) ونشطت بريطانيا ومصر والعراق وسوريا لدعم بشارة الخوري[١].

●● وقد اتفق الرئيس السوري (شكري القوتلي) ورئيس وزرائه (سعد الله الجابري)، ووزير خارجيته (جميل مردم) على إرسال وفد خاص إلى بيروت لتسوية الأمور، وقد انتهى الاجتماع بالموافقة على تأييد بشارة الخوري، في انتخابات رئاسة الجمهورية...

وفي ٢١/ أيلول/١٩٤٣م، عقد المجلس النيابي جلسته الأولى فانتخب (صبري حمادة ـ شيعي) رئيساً للمجلس النيابي، وانتخب (بشارة الخوري) رئيساً للجمهورية.

ومن هنا نلاحظ أن هنالك توافقاً عربياً وبريطانياً حول واقع لبنان ومسقبله، وقد كان لهذا التوافق الأثر البالغ في الاتفاق الداخلي اللبناني، وفي إيجاد صيغة الميثاق[٢].

الجوانب الداخلية في الميثاق[٣]:

بعد أن تبوأ الرئيس بشارة الخوري مهام منصبه، اختار رياض الصلح لتأليف

---

(١) تاريخ لبنان المعاصر: د. حسان حلاق، (ص٢٢٥ وص٢٢٧).

(٢) تاريخ لبنان المعاصر: د. حسان حلاق، (ص٢٢٥ وص٢٢٧).

(٣) ينظر تاريخ لبنان المعاصر/ د. حسان حلاق، ص٢٢٧ – ٢٣٥.



الوزارة الأولى.

وبعد الجلسة الأولى بين الخوري والصلح، كان قد تم الاتفاق على الخطوط العريضة لما سمي «بالميثاق الوطني».

وقد اعتبر المسلمون أن هذا الميثاق بمثابة استقلال لبنان عن فرنسا... بينما اعتبره النصارى انفصالاً عن سوريا والدول العربية.

● وجاء في البيان الوزاري، وبعد نقاش طويل: **«أن لبنان بلد مستقل ذو وجه عربي»**.

● **وقد رأى منح الصلح، أن لهذا الميثاق عدة اتجاهات جديدة هي:**

١ ـ أنه قد ارتد عدد كبير من الطائفة المارونية، عن فكرة الضمانات الفرنسية، ومن هؤلاء: بشارة الخوري ويوسف السودا.

٢ ـ وأن الحركة الوطنية السورية قد تخلت عن الأقضية اللبنانية الأربعة، وأعلنت استعدادها للقبول بحدود لبنان، التي رسمها الانتداب عام ١٩٢٠م، إذا كان ذلك يقنع موارنة لبنان بسلوك السياسة الاستقلالية.

٣ ـ وجد كثير من المسلمين: أن انضمام الأقضية الأربعة لسوريا يعني بقاء جبل لبنان جزيرة طائفية مستقلة، وتحت حماية الأجنبي، ولذلك تبنوا فكرة وحدة لبنان، وعدم تقسيمه[١].

---

(١) المارونية السياسية: منح الصلح/ ص٣١ - ٣٣، ص٢٩١ - ٣٠٠، طبع بيروت/ ١٩٧٨م.



● لقد كان الهدف من الميثاق، هو عدم وقوع لبنان تحت التبعية الأجنبية عند بعض السياسيين، وعدم وقوعه في أحضان الوحدة العربية عند آخرين.

● كما أن الميثاق ما كان يعني تكريس طائفية الرئاسات الثلاث، وقد ورد تأكيد لذلك في محاضرة للرئيس صائب سلام عندما قال: « ... فالميثاق وهو غير مكتوب، لم يتضمن أية إشارة إلى صيغ طائفية دستورية أو غيرها، ولم يبتّ في طائفية الرئاسات الثلاث ولا في تكريسها »[١].

● وقد أكد السياسيون الذين شاركوا في سياسة عام ١٩٤٣م بأن الميثاق الوطني لا يعني التوزيع الطائفي للرئاسات، وإنما هو توفيق بين الاتجاهات الإسلامية الوحدوية، وبين الاتجاهات الانفصالية عند النصارى[٢].

●● والجدير بالذكر أن الدارس للتيارات السياسية والطائفية في لبنان خلال فترة (١٩٤٣ - ١٩٥٢م)، أي في عهد الرئيس بشارة الخوري، يجد أن الميثاق لم ينفذ على كافة الأصعدة.

إذ لم يتقيد بشارة الخوري بوعوده لرياض الصلح برفع الغبن عن المسلمين، وإقامة العدل والمساواة بين الجميع، كما أن رياض الصلح لم يستطع تنفيذ التزاماته بالحصول على دعم كامل لاستقلال لبنان من السوريين.[٣]

---

(١) الرئيس صائب سلام: من محاضرة بعنوان: « وهل فشل الاستقلال » مجلة المقاصد، العدد الأول، كانون الثاني/ ١٩٨١م، ص١٦٥.

(٢) تاريخ لبنان المعاصر: ص٢٣٤، ٢٣٨.

(٣) المرجع السابق.



● وحقيقة كان للغموض الذي اكتنف الميثاق، وللثغرات التي أحاطت به، دور كبير في الصراعات السياسية والدموية، التي ظهرت بعد ذلك، واستمرت حتى الآن .

جلاء فرنسا وانتهاء عهد الانتداب :[١]

لقد كانت ظروف تحرر لبنان من سطوة الانتداب الفرنسي، هي نفس ظروف سوريا، من حيث سياسة المماطلة والتسويف، التي كانت فرنسا تتبعها، ومن حيث الظروف الدولية خلال الحرب العالمية الثانية .

● وكانت فرنسا تصر على الاحتفاظ بامتيازات خاصة لها في لبنان، لكن الظروف الدولية والعربية حالت دون ذلك .

●● وكانت فرنسا تماطل في تسليم السلطات للحكومة الوطنية وساعدها على ذلك : الخلاف الشديد حول توزيع المقاعد في مجلس النواب بين الطوائف المختلفة خلال فترة (١٩٤١ - ١٩٤٣م) وعلاقة لبنان بمشروع الجامعة العربية .

●● كان المسلمون يريدون المقاعد مناصفة مع النصارى، وبعد توسط النحاس باشا - رئيس وزراء مصر - صار للمسلين (٢٥ مقعداً) وللنصارى ثلاثون، أي بنسبة (٥ :٦)، واستمر لبنان يسير طبقاً لهذه النسبة، حتى اضطرت حكومة لبنان تحت ضغط الحرب الأهلية إلى قبول مبدأ المناصفة في اتفاق شباط ١٩٧٦م .

---

(١) ينظر : الهلال الخصيب، د . محمود صالح منسي / ص٢٨٦ - ٢٩١ .





●● أما علاقات لبنان مع العالم العربي، فقد كان بشارة الخوري يفضل مسايرة لبنان لحركة التجمع العربي، مع الاحتفاظ بكيان لبنان وحدوده القائمة، وكانت بريطانيا تؤيد اتجاه بشارة الخوري. بينما كان إميل إدة متطرفاً في فكرة الوطنية اللبنانية، ثم خاض بشارة الخوري وأميل إدة انتخابات الرئاسة لعام ١٩٤٣، فرجحت كفة الخوري وأصبح رئيساً للجمهورية ورياض الصلح رئيساً للوزراء.

● وفي عهد المندوب السامي الجديد (هيلو)، أراد أن يخمد الاتجاه الوطني الجديد (الخوري والصلح)، فاعتقل رئيس الوزراء ورئيس الجمهورية، ومعظم أعضاء الحكومة.

فأحدث ذلك ضجة دولية كبرى، وظهرت بوادر مقاومة مسلحة في لبنان، واعترض (تشرشل وروزفلت) على هذه التصرفات، مما اضطر فرنسا لإرسال (كاترو) كمبعوث لإصلاح ما أفسده (هيلو).

● ثم وجهت بريطانيا إنذاراً شفوياً إلى السلطات الفرنسية في ١٧ / ١١ / ١٩٤٣م، طالبت فيه بالإفراج عن الزعماء المعتقلين، وإلا ستضطر لاستخدام القوة، ورغم احتجاج كاترو على هذا الإنذار، فقد أفرجت السلطات الفرنسية عن الزعماء المعتقلين، ثم أعيد تشكيل الحكومة اللبنانية بالوضع السابق وسلمت فرنسا السلطة لحكومة لبنان، كما سلمتها إلى حكومة سوريا الوطنية[١].

● واستلمت لبنان ما يسمى بالمصالح المشتركة، كما كانت سوريا قد

---

(١) الهلال الخصيب: د. محمود صالح نمسي/ ص٢٩١.



تسلمتها، تم ذلك فعلاً في عام ١٩٤٤م واحتفظت فرنسا لنفسها بإدارة القوات العسكرية الخاصة التي كانت قد جندتها فرنسا، كما احتفظت بما سمته: حراسة أموال الأعداء[١].

●● وتم موعد الجلاء عن لبنان في ٣١/١٢/١٩٤٦م، بعد أن تقدمت حكومتا سوريا ولبنان لمجلس الأمن بطلب إجلاء جميع القوات الأجنبية عن بلديهما[٢].

* * *

---

(١) أوراق الانتداب: زهير الشلق، ص٣٠٥ - ٣٠٧.

(٢) المرجع السابق: ص٣٤٢.

الفصل الثالث

إمارة شرقي الأردن في ظل الانتداب البريطاني

١ ـ نشأة الإمارة :

ـ ظروف وملابسات نشأتها بعد نهاية الحرب العامة .

ـ بريطانيا تهيمن على إدارة البلاد وراء الأمير .

ـ الأمير عبد الله يشيد بدولتي بريطانيا وفرنسا ؟ !

وصف عمان والأردن بعد الحرب العالمية الأولي .

٢ ـ معاهدة عام ١٩٢٨م وموقف المعارضة منها :

ـ بنود المعاهدة والتعديلات الطارئة .

ـ النضال السياسي ووضع المثياق الوطني .

٣ ـ الأردن في الحرب العالمية الثانية :

ـ تعاون الأمير مع سلطات الانتداب وإرسال قوات لقمع ثورة العراق ، ومعاونة الإنجليز في حملتهم على سوريا ضد دول المحور .

ـ الأردن بعد الحرب : تحمل اسم مملكة وتوقع معاهدة مع الإنجليز .

٤ ـ الأمير عبد الله ومشروع سوريا الكبرى :

حلم دائم لم يتحقق ، ومعارضة قوية عربية ودولية .

٥ ـ سياسة الأمير وصلاته خلال مرحلة الانتداب :

أ ـ صلته بالإنجليز وبالوكالة اليهودية .

ب ـ موقفه من ثورة فلسطين الكبرى (١٩٣٦ - ١٩٣٩م) .

ج ـ موقفه من مشروعات تقسيم فلسطين .

« ١ »

نشأة الإمارة

كانت المنطقة الواقعة شرقي نهر الأردن، جزءاً لا يتجزأ من بلاد الشام، التي خضعت للعثمانيين منذ عام ١٥١٦م، وكان لهذه المنطقة أهمية خاصة، لوقوعها على طريق الحج الثاني وازدادت أهميتها، بعد مدّ خط سكة حديد الحجاز من دمشق إلى المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم.

● وبعد أن احتل الحلفاء سوريا وفلسطين، قررت الحكومة البريطانية تأسيس إدارة بريطانية في شرقي الأردن تكون منفصلة عن إدارة فلسطين، وتحت رئاسة المندوب البريطاني في فلسطين (هربرت صمويل) اليهودي البريطاني، وقد استخدم صمويل عدداً من الضباط البريطانيين في إدارة شرقي الأردن، وتأسست بعدها حكومات محلية، كان يرأسها أقوى شيوخ العشائر.

●● وعندما اجتاحت فرنسا مملكة الأمير فيصل بن الحسين بدمشق في شهر تموز لعام ١٩٢٠م، غضب الملك حسين، ملك الحجاز وفكر بالثأر من فرنسا، فأرسل ابنه عبد الله (وزير خارجية حكومة الحجاز) على رأس حملة لهذا الغرض[١].

فاحتوت بريطانيا غضبة الشريف حسين، ومحاولات ثأر الأمير عبد الله،

---

(١) ينظر الهلال الخصيب. د. محمود صالح منسي، ص٣٠٥ - ٣٠٧.



فكانت إمارة الأردن ترضية لحلفاء الأمس، وانتهى كل شيء، وسار الأمير في ركاب الأصدقاء[1].

● يذكر الأمير عبد الله بن الحسين في مذكراته موضحاً ذلك الأمر بقوله: «... لما وصلت طلبات ممن قام بالحركة الثورية في (خربة الغزالة) في حوران، وبطلب من عمّان ومعان ورجالاتها، تطلب الإذن لأحد أبناء الحسين بترؤس الحركة بعد إسقاط حكومة الفيصل بدمشق فقدمني والدي لذلك، وتوجهت إلى معان، وبعد مشقات الطريق الهائلة وصلت وأعلنت نفسي نائباً لملك سوريا، ثم دعوت أعضاء المؤتمر السوري في معان، واستدعيت رؤساء العشائر والضباط والجنود من الجيش العربي السوري، كان ذلك في ١١/٣/١٣٣٩هـ، ٢١/١١/١٩٢٠م»[2].

- ثم يقول الأمير عبد الله: «وأصدرت منشوراً إلى إخواننا السوريين قلت فيه: لا أجد في نفسي أدنى ريب في أن أبناء الوطن السوري سيتلقون بياناتنا بقلوب ملؤها التصديق والإخلاص، وليعلم أبناء سوريا أن ما أصابهم من الضياع المحزن، من اعتداء رجال الاستعمار الفرنسي على وطنهم لهدم عرشهم في أول

---

(١) كان عودة أبو تايه من كبار مشايخ الحويطات في الأردن، وقد دخل دمشق مع الأمير فيصل، وأعان عبد الله بن الحسين واستقبله عندما قدم من الحجاز ليثأر من الفرنسيين، ولما استقر في عمّان أميراً عليها قال له عودة: «أراك وقد أمّروك، هوّنت عن قصد الشام»، فتنكر له الأمير وسجنه ليلة بعمان ثم أطلقه (الأعلام للزركلي ج٥/ ٩٤).

(٢) الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين، الدار المتحدة للنشر، بيروت/ الطبعة الثانية/ ١٩٧٩م، ص٢٦.



سعيهم... فقد أثر على حواس كل عربي... ولقد أتينا لذلك المنهج دونكم لا لتخريب البلاد كما يفترى علينا»[1].

● ورأت حكومة بريطانيا أنه من الممكن أن يُحَّققَ أكثر من هدف، فيما لو تسترت وراء حاكم عربي يخضع لسيطرتها... فكان ابنا الحسين (فيصل وعبد الله) خير من يرشحان لعرشي العراق والأردن، ولذلك عقد مؤتمر الشرق الأوسط في (القاهرة والقدس) في آذار ١٩٢١م، برئاسة تشرشل، للتوصل إلى سياسة جديدة توفق بين التزامات بريطانيا، والحفاظ على نفوذها بأقل تكلفة ممكنة، ودعي الأمير عبد الله فحضر بعض جلسات المؤتمر، حينما طرحت مسألة شرق الأردن على بساط البحث.

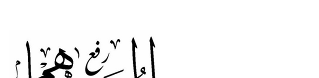
● وتوصل المؤتمر إلى قرارات بإقامة حكومة وطنية في العراق، واختيار فيصل ملكاً لها، والاتفاق مع الأمير عبد الله على حكم شرقي الأردن، ورغم اعتراضات (هربرت صمويل) تمسك تشرشل بفكرة تعيين عبد الله أميراً على شرق الأردن، على أساس أن وجود القوات البريطانية سيحول دون قيام الأمير بأية محاولة معادية للفرنسيين في سوريا، وأن هذه القوات ستحرس الحدود بين فلسطين وشرق الأردن، كما تقرر استثناء شرق الأردن من تصريح بلفور، وخطة الوطن القومي اليهودي[2].

وشكلت الحكومة الأردنية الأولى في ١١ نيسان ١٩٢١م، وفيها سبعة

---

(١) المرجع السابق: ص١٥٦ - ١٥٨.

(٢) الهلال الخصيب: د. محمود صالح منسي/ ص٣٠٨ - ٣٠٩، وانظر: خطط الشام، محمد كردعلي، ج٣/ ٢٢٦ - ٢٢٧.



مستشارين بريطانيين لمساعدة الأمير في الإدارة الجديدة، وعين رئيس للمثلين، وكان معظم أعضاء الحكومة من زعماء حزب الاستقلال، الذي ورث جمعية العربية الفتاة، وكان أعضاء حزب الاستقلال قد غادروا سوريا ومارسوا نشاطهم السياسي في عمّان، وكانوا على علاقة طيبة بالأمير عبد الله والممثل البريطاني (١).

●● وأعلنت الحكومة البريطانية، أنها ستتولى تطبيق نظام الانتداب على شرق الأردن، وفي تشرين الأول من عام ١٩٢٢م زار الأمير عبد الله (لندن)، يصحبه المعتمد البريطاني (جون فيليبيّ) حيث تفاوض مع المسؤولين في وزارة المستعمرات من أجل استقلال الأردن، ولعقد معاهدة مع الحكومة البريطانية لتنظيم علاقة البلدين... إلا أن بريطانيا لم تستجب لمطالبه، ومن ثم وعدته على لسان المندوب السامي في فلسطين، بإقامة حكومة مستقلة لاحقاً (٢).

● ويحدثنا الأمير عبد الله عن نصائح تشرشل وخططه بشأن الأردن وبلاد الشام فيقول:

«قال مستر تشرشل: باعتبار أن الحكومة البريطانية محايدة في القضية بين العرب والفرنسيين الذين هم حلفاؤها، فإنها تنصح بلزوم انصراف الأمير فيصل عن سوريا، وسفره إلى العراق، ليرشح نفسه لملك العراق.

---

(١) الهلال الخصيب: د. محمود صالح منسي/ ص٣٠٨ - ٣٠٩، وانظر: خطط الشام، محمد كردعلي، ج٣/ ٢٢٦ - ٢٢٧.

(٢) ينظر: تاريخ الأردن المعاصر، عهد الإدارة، د. علي محافظة/ ص٣٣ - الطبعة الثانية، عمّان، ١٩٨٩م.



ثم أكد تشرشل: أن فرنسا لن تتعاون بوجه من الوجوه مع الملك فيصل أو الأمير زيد، وأنها لا تريد أن يكون على عرش العراق إلا الشخص الذي تأمن جانبه...

ثم نوه بوعد بلفور قائلاً: إن البحث بشأنه سيترك للمندوب السامي، يبحث معه فيما بعد.

أما إمارة شرقي الأردن، فتقرر أن يزور المندوب السامي (عمّان) للاتفاق على تشكيل الإدارة العامة في البلاد، وتألفت بذلك أول حكومة في الأردن أوائل نيسان عام ١٩٢١م[١].

●● كما يحدثنا الأمير عبد الله عن إعجابه (بهربرت صمويل) حيث يقول: «وصلنا إلى دار الحكومة بالقدس على جبل الطور، وتلقانا (صمويل)، ولا بد لي من ذكر دماثة أخلاقه وجم أدبه... فهو سياسي محترم كامل، وكان له موقف لا أنساه فعندما أبلغني أن المطلوب من والدي (رحمه الله) ترك العقبة والسفر إلى قبرص، فقد كانت الدموع ملء عينيه، وهو يفضي إليّ بالنبأ بحرقة وأثر عميق... (فلعلها دموع التماسيح ومكر يهود).

● ثم قال لي: أرجوك أن تفضي إليّ بكل ما يجيش في صدرك فإنني مقدر الموقف، فقلت: لا بأس عليك؟! وإنني شاكر لك عواطفك، وهذه الدنيا كثيرة المحن، ونصبر ونحتسب، وعند انقضاء مدته في فلسطين ـ أي بعد تخريبه فلسطين ـ ورجوعه إلى إنجلترا، عرّج على قبرص وزار الوالد، الذي عرفه بعمّان

---

(١) الآثار الكاملة: الملك عبد الله بن الحسين، ص١٦٥.



يوم أن زار شرقي الأردن»[1].

ولعله زاره ليطمئن على سوء أحواله الصحية، وتدهور حالته النفسيه، «ولله في خلقه شؤون».

* * *

ثم اعترفت بريطانيا باستقلال الأردن الاسمي: في ١٥/٥/١٩٢٣م وتم إعلان ذلك في حفل رسمي حضره رجال الحكومة ووفود من فلسطين، وفي مقدمتها المندوب السامي (صمويل) والجنرال (كلايتون).

وألقى الأمير عبد الله خطاباً جاء فيه: «وإنني في هذا الموقف أخبركم بما تم على يد صاحب الجلالة الهاشمية، وصاحب الامبراطورية البريطانية من العهد الضامن إن شاء الله لكل الرغائب، وأشترك معكم بكل سرور في هذه الحفلة بما كان قد تم أثناء وجودي في لندن من اعتراف الحكومة البريطانية باستقلال هذا القسم من المملكة العربية، ولا شك بأن ذلك من نتائج السياسة الحكيمة التي اتبعت هنا، ومعاضدة الحكومة البريطانية العظمى...»[2].

«وإننا نبشر شعبنا بأن حكومتنا ستشرع في إعداد القانون الأساسي للمنطقة، وتعديل قانون الانتخابات بما يوافق روح البلاد وطبيعتها وبيئتها.

ولا يمكننا أن نغفل عن شكر الحكومة البريطانية العظمى حليفة العرب وعضيدهم القوي في السياسة العربية، منذ النهضة العربية المباركة حتى

---

(١) الآثار الكاملة: عبد الله بن الحسين، ص١٦٢ – ١٦٣.

(٢) المرجع السابق، ص١٧١ – ١٧٢.



الآن»[1].

●● ويستمر مسلسل الإشادة بدولتي التحالف الصليبي:

فرنسا وبريطانيا، وينسى الأمير المهمة التي جاء من أجلها، وهي تحرير سوريا ثأراً من فرنسا لطرد أخيه فيصل من دمشق.

يقول الأمير عبد الله بعد رحلته إلى بريطانيا: «ويحسن بي أن أؤكد هنا أنني عدت من هذه الرحلة، وقد لمست آثار المودة البريطانية التي سنجني باستمرارها حقائق المنافع المرموقة، كما أنني عظيم الرجاء في أن حكومة الجمهورية الفرنسية الفخيمة الموجودة الآن على الوجه المعلوم في القسم الشمالي من وطننا المحبوب، لا تحمل حقداً على قوميتنا وقضيتنا، وإننا بمشيئة الله سنصل قريباً إلى إسعاد الوطن كله بتعضيد دولتي التحالف الكبيرتين، وانكشاف آمالنا القومية...»[2].

● وكانت النزعة القومية ـ في خطب الأمير ومنشوراته ـ واضحة تشير إلى التضحية في سبيل الوطن والقومية لا غير، مع الإشادة بدولتي التحالف؟!

قال في بيان للشعب الأردني: «لو كانت لي سبعون نفساً وضحيتها كلها في سبيل القومية والوطن لما رأيتني قمت بالواجب»[3] مسكين هذا الوطن ومسكينة تلك القومية، كم تاجر بهما دعاة القومية، منذ مطلع القرن العشرين وحتى الآن!!

---

(١) الآثار الكاملة: الملك عبد الله بن الحسين، ص١٧١ - ١٧٢.

(٢) المرجع السابق: ص١٦٩.

(٣) المرجع السابق: ص١٦٨.



عمّان وشرقي الأردن بعد الحرب العالمية الأولى:

يقول محمد أسد في كتابه (الطريق إلى مكة)، واصفاً الأردن وأميرها عبد الله(١) :

« تعرفت في القدس على الأمير عبد الله أمير شرقي الأردن، الذي دعاني لزيارة بلاده، وهناك رأيت لأول مرة بلاداً بدوية حقيقية، كانت عمان ـ العاصمة ـ المبنية على أطلال في ذلك الوقت، كانت مدينة مغمورة لا يتجاوز عدد سكانها ستة آلاف نسمة .

كانت شوارعها مليئة بالبدو، بدو السهول المنبسطة الذين نادراً ما كان يراهم المرء في فلسطين على حقيقتهم : محاربين أحراراً، ومربي إبل .

وكانت الجياد المدهشة ترمح في الشوارع، كما كان كل رجل مسلحاً بخنجر في حزامه، وبندقية على ظهره . . . » .

« ولم يكن في عمان أبنية مناسبة، وكان الأمير عبد الله يعيش في تلك الأيام في مخيم على رابية تشرف على عمان، وكانت خيمته أكبر (نوعاً) من سائر الخيام، تتألف من عدة غرف، يفصل بينها قواطع من القماش، وتتميز بالبساطة المتناهية » .

ـ هذه هي عمان التي قدم إليها الأمير عبد الله، وجعلها عاصمة إمارته، تحت الانتداب البريطاني .

---

(١) الطريق إلى مكة : محمد أسد، ص١٤٥ ـ ١٤٦ .





●● **وكان خير الدين الزركلي** قد زارها قبيل قدوم الأمير عبد الله إليها، وذلك في عام ١٩٢١م في شهر شباط، فوصفها قائلاً: «لم تكن عمان في ذلك الحين أكثر من قرية قليلة السكان، ضئيلة المباني، مظلمة السبل، لا يصل بينها وبين تاريخها المجيد إلا ما شخص من آثارها.

ولا يدل على إمكان الحياة فيها غير توسطها بين قبائل بني صخر، وبني حسن والعدوان، حيث يترددون عليها بين الفترة والفترة، يبيعون فيها بعض ما تنتجه ماشيتهم، يبتاعون منها ما يكتسبون.

وللتجارة فيها شبه سوق، ولولا ذلك لانفرد بسكانها جماعات من الشراكسة، نزحوا إليها حوالي عام ١٩٢٠م كما انفردوا بكثير مما حولها من قرى ومزارع، ولكن ابتغاء الربح وطلب الكسب هما اللذان حملا إلى عمّان تجاراً من دمشق ونابلس، افتتحوا فيها حوانيت صغيرة، فقصدها أهل الخيام والأكواخ من البداوة الضاربة حولها، والمقيمين فيما جاورها من قرى، وأصبحت ولها شيء من الشأن»[١].

---

(١) عامان في عمّان: خير الدين الزركلي، ص٦، نقلاً عن كتاب الخيانة العربية الكبرى: أحمد رائف، ص٢٥٩ - ٢٦٠.



« ٢ »

المعاهدة الأردنية البريطانية عام ١٩٢٨م، وموقف المعارضة[١]

● كانت حكومة بريطانيا قد وعدت بالاعتراف باستقلال الأردن، ومضت خمس سنوات قبل أن تنفذ بريطانيا هذا الوعد استجابة لمساعي الأمير عبد الله، وضغوط لجنة الانتدابات التابعة لعصبة الأمم.

● وفي ٢٠ شباط ١٩٢٨م، تم في القدس التوقيع على المعاهدة ومن بنودها:

١ ـ وضع قانون أساسي للبلاد. (الدستور).

٢ ـ تنازل حكومة الانتداب للأمير عبد الله عن السلطتين التشريعية والتنفيذية.

٣ ـ لحكومة بريطانيا حق الاحتفاظ بقوات مسلحة في شرق الأردن.

٤ ـ تقدم بريطانيا معونة مالية للأردن سنوياً.

●● وفي ٦ نيسان ١٩٢٨م، صدر دستور لشرقي الأردن تولى بمقتضاه الأمير عبد الله سلطات التشريع والإدارة، وكان يعاونه مجلس (شورى) تشريعي وتنفيذي... وكانت هناك حكومة الانتداب على فلسطين والأردن، يحتلها في عمان مقيم دائم، يعاونه هيئة من المستشارين البريطانيين وكانت

---

(١) ينظر الهلال الخصيب، د. محمود منسي، ص٣١٢ - ٢١٤.





صلاحيات الأمير والمجلس التشريعي مقيدة بالتزامات شرقي الأردن نحو بريطانيا . . .

●● وفي عام ١٩٣٤م، أُدخل تعديل على المعاهدة، بحيث صار من حق الأمير تعيين الممثلين القنصليين في الخارج .

● وكانت الإمارة تتلقى معونة مالية من الحكومة البريطانية ـ منذ إنشائها ـ بلغت نحو مائة ألف جنيه سنوياً في العشرينات، وازدادت حتى تجاوزت مليوني جنيه في الأربيعنات، وكانت هذه المعونة تفرضها الاعتبارات الاقتصادية والسياسية . . .

●● وفي عام ١٩٣٩م، حل الميجر « جون باجوت جلوب » محل الجنرال (بيك)، الذي ترأس الفيلق العربي الذي أنشيء عام ١٩٢١م، وكان الانضمام إلى ذلك الفيلق، يتم على أساس التطوع من أي بلد عربي، شرط السلامة البدنية، ولذلك ضم بين صفوفه عراقيين وحجازيين، وسوريين وفلسطينيين، إضافة إلى الأردنيين .

●● وإلى جانب هذا الفيلق تكون في شرق الأردن قوة عرفت باسم قوة حدود شرق الأردن، وذلك بعد معاهدة ١٩٢٨م، وكانت مهمته الوحيدة الدفاع عن الحدود . . .

● وازدادت القوتان عدداً وتحديثاً خلال الحرب العالمية الثانية، واستخدمتا خارج حدود الأردن .

وساهمت الأردن بالفيلق العربي، تحت قيادة (كلوب) وأربعين ضابطاً في



حرب العرب مع إسرائيل عام ١٩٤٨م، كما سيأتي تفصيله لاحقاً.

النضال السياسي ووضع الميثاق الوطني[1]:

عندما أبرمت معاهدة ١٩٢٨م، عبر الأهالي عن سخطهم بالمظاهرات في مختلف المدن، وإرسال البرقيات إلى عمان بالاحتجاج.

● ثم دعا الزعماء والمثقفون إلى مؤتمر وطني لمناقشة بنود المعاهدة وعقد المؤتمر في عمانّ في ٢٥ تموز ١٩٢٨م، ووضع ميثاقاً وطنياً نص على ما يأتي:

١ ـ إمارة شرقي الأردن دولة عربية مستقلة ذات سيادة.

٢ ـ تدار بحكومة دستورية مستقلة، برئاسة الأمير عبد الله وأعقابه من بعده.

٣ ـ عدم الاعتراف بالانتداب، إلا كمساعدة فنية، بموجب اتفاق بين الأردن وبريطانيا، دون مساس بالسيادة القومية.

٤ ـ رفض تصريح بلفور.

٥ ـ رفض أي تجنيد لا يصدر عن حكومة وطنية دستورية.

٦ ـ رفض تحمل شرق الأردن لنفقات قوات الاحتلال.

٧ ـ ورُفع الميثاق إلى الأمير عبد الله، فأحاله إلى المعتمد البريطاني الذي شكك في إمكانية قيام حكم نيابي صحيح حالياً، بدعوى أن الشعب لم تثبت

---

(١) ينظر الهلال الخصيب، ص٣١٤ ـ ٣١٧.



مقدرته على تحمل مثل هذه المسؤوليات[١].

●● ثم انتقلت المعارضة إلى المجلس التشريعي فطالب بالاستغناء عن الموظفين غير الأردنيين في البداية، وعدّدَ القضايا الوطنية التي ينبغي الوصول إليها.

●● ومع اقتراب شبح الحرب العالمية الثانية، حاولت بريطانيا أن ترفع من شأن شرقي الأردن وشأن أميرها في العالم العربي، وذلك بسلسلة من الامتيازات، من ذلك: تحويل المجلس التنفيذي إلى مجلس وزراء، على أن يكون كل وزير مسؤولاً أمام الأمير، كما منح الأمير حق تعيين قناصل لبعض الأقطار العربية المجاورة[٢].

«٣»

الأردن في الحرب العالمية الثانية

قامت الحكومة الأردنية باتخاذ تدابير أمنية مشددة، منذ عام ١٩٣٩م، واشتدت الرقابة على الحريات العامة، وشاركت المعارضة الأردنية كلاً من المعارضة في فلسطين والعراق في الاتصال بدول المحور، من أجل التخلص من السيطرة البريطانية[٣].

---

(١) ينظر الهلال الخصيب: د. محمود صالح منسي، ص٣١٤ - ٣١٨.

(٢) المرجع السابق: ص٣١٤ - ٣١٨.

(٣) المرجع السابق: ص٣١٤ - ٣١٨.

وقد أخذ العرب يبحثون عن حليف جديد بعد غدر الحلفاء واحتلالهم للبلاد، فكانت ألمانيا (ودول المحور أعداء الحلفاء بريطانيا وفرنسا) هي الأمل لتحقيق العرب بعض مطالبهم ضد الحلفاء على قاعدة: عدو العدو صديق.

ولم يتَعدَّ التأييد العربي للمحور نطاق المشاعر العاطفية بنجاح المحور وتمني انتصاره في الحرب، أما المساعدات المادية فكانت محدودة بين الطرفين[١].

وصادف أن ازداد الضيق والتمرد على قوات الانتداب وعملائه في العراق، فحصلت انتفاضة وطنية عام ١٩٤١م، حملت على طرد الملك والوصي من البلاد...

إلا أن حملة عسكرية إنجليزية أردنية صهيونية، قضت على الحركة الوليدة، إذ قدم الأمير عبد الله مذكرة إلى حكومة بريطانيا (هنري ولسن) يستنكر فيها حركة العراق ويطلب باسم العرب التدخل لضرب (الخونة) بيد من حديد، إذ يرى أن تلك الحركة ما هي إلا فتنة نازية، أجنبية الأهداف، وكان هدف الأمير من ذلك، دعم مركز العائلة الهاشمية في العراق.

فقاد الميجر «كلوب» الجيش الأردني بنفسه، وكان الجنود البدو من الأردنيين، يطلقون الرصاص على المواطنين دون التحقق من شخصياتهم، حسب رواية الوزير المفوض البريطاني: (كركبرايد) في كتابه المهدى للأمير عبد الله، وبعد أن رافقه ثلث قرن تقريباً[٢].

---

(١) الهاشميون وقضية فلسطين: أنيس صايغ، ص١٨٠ – ١٨٥.

(٢) ينظر: الهاشميون وقضية فلسطين ص٢٠٣، وكتاب كركبرايد (ص١٣٤) طبعة لندن.



كما اشتركت قوات من المجندين اليهود الذين كانوا مع جيش بريطانيا في الشرق الأوسط، ومعظمهم من رجال العصابات السرية فنهبوا السلاح، وساهموا في إنهاء الحكم الوطني بعد شهرين من إعلانه[1].

كما تبرع الأمير مرة ثانية بإرسال قوات مساندة لقوات الإنجليز واليهود لدخول سوريا ولبنان، عام ١٩٤١م.

وكان على رأس قوة اليهود الفدائية، ضابط صغير عرف فيما بعد كرئيس لأركان حرب جيش إسرائيل، وهو (موشي ديان) وقد فقد إحدى عينيه خلال أعماله في سوريا آنذاك.

أما الأمير عبد الله فقد ضمّ بعض قواته إلى الطابور الشرقي في الحملة وتقدمت تلك القوات إلى حوران وجبل الدروز، وأسهمت في احتلالهما ضد دول المحور.. كما تحركت قوات أردنية أخرى بقيادة (كلوب) وهاجمت شمال شرق سوريا، وأسهمت في احتلال دير الزور وحمص وتدمر، وبقيت هناك فترة تشرف على الأمن.

● وقد استنكر الوطنيون في سوريا والأردن دخول هذه القوات إلى دمشق (في ٢٢/يوليو/ ١٩٤١م)، وقاوم كثير من الأهالي تلك القوات الغازية، فقتل وجرح ما لايقل عن أربعة آلاف مواطن سوري[2]، واعترافاً للأمير بالجهود لصالح الحلفاء، وعدت بريطانيا بمنحه الاستقلال مكافأة على إخلاصه

---

(١) الهاشميون وقضية فلسطين: أنيس صايغ، ص٢٠٤ – وص٢٠٥.

(٢) الهاشميون وقضية فلسطين: أنيس صايغ، ص٢١٢.



لبريطانيا... فوقعت بريطانيا والأردن معاهدة تحالف في (لندن) في ٢٢/٣/١٩٤٦م، اعترفت خلالها بريطانيا بشرقي الأردن، دولة مستقلة.

على أن تحتفظ دولة الانتداب بحق إبقاء قوات لها في الأردن، مع استخدام التسهيلات في النقل والمواصلات، وتدريب قواته المسلحة، والتشاور التام والصريح في أمور السياسة الخارجية، التي يمكن أن تؤثر على مصالحهما المشتركة.[١]

●● وبعد الحرب في (في ٢٥/٥/١٩٤٦م) أصبحت الإمارة تحمل اسم: المملكة الأردنية الهاشمية، ثم وقعت معاهدة جديدة بين الطرفين في ١٥/٣/١٩٤٨م) خفضت فيها صلاحيات بريطانية العسكرية في الأردن، ومع ذلك احتفظت بحق تملك قاعدتين جويتين في الأردن: إحداهما في عمّان والأخرى في المفرق[٢].

●● ثم وعد الملك بإنجاز دستور للبلاد أمام مجلسي الأعيان والنواب، خلال خطاب العرش فقال:

«وتنجيزاً لهذا سيصار في أثناء هذه الدورة إلى تأليف لجنة خاصة من الخبراء وأكفاء الحقوقيين، لوضع مشروع التعديلات الدستورية على أحدث الأسس وأوفاها بمصلحة الأمة...

«وإن حكومتي العاملة في الوقت ذاته على توحيد القوانين، مع الإصلاح

---

(١) الهلال الخصيب: د. محمود صالح منسي، ص٣١٨ - ٣٢٠.

(٢) السابق: د. محمود صالح منسي، ص٣١٨ - ٣٢٠.



المرتجى، في المجالات الثقافية والإدارية والاقتصادية»[1] .

«٤»

الأمير عبد الله ومشروع سوريا الكبرى

كان الأمير عبد الله يحلم بمشروع ضخم، هو مشروع سوريا الكبرى وتشمل بلاد الشام كلها (سوريا ولبنان، وفلسطين والأردن)، وكان شعاره: «سوف تخضع كل سوريا لفرع من البيت الهاشمي، وشرق الأردن هي الخطوة الأولى».

وكان هذا المشروع هو محور علاقاته العربية والأجنبية طوال حياته، وحتى يوم اغتياله، إلا أن المشروع كا يصادف معارضة قوية من جهات عديدة.

● فمعظم السوريين كانوا يفضلون النظام الجمهوري على النظام الملكي، وكانوا يرون أنه إذا قامت سوريا الكبرى، فالقطر السوري، يجب أن يكون نواتها، وليست الأردن[2] .

وكان الأمير عبد الله قد أرسل إلى أعوانه من سياسيي سوريا، حتى يستغلوا ضغط الحركة الوطنية على سلطات الانتداب، ويطالبوا بحل وسط: تحكيم عبد الله بإعلانه ملكاً على البلاد.

---

(١) الآثار الكاملة: الملك عبد الله بن الحسين، ص٢٤٩.

(٢) الهلال الخصيب: د. محمود صالح منسي، ص٣٢٠.



وقد لبت دعوته جماعة، من أبرز رجالاتها، الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وحسن الحكيم، ودعت للفكرة بقوة، إلا أن الكتلة الوطنية قاومتها، لأنها وجدت فيها تفرقة للوحدة الوطنية، وتنازلاً عن المطالب الأساسية، وخافت أن تستبدل الانتداب الفرنسي، بنفوذ فرنسي ـ بريطاني مشترك خلف أمير متواطئ[1].

● وبعد وفاة الملك فيصل الأول ١٩٣٣م، صار الأمير عبد الله يفكر في توحيد الأردن والعراق تحت حكمه، باعتباره أكبر أفراد الأسرة الهاشمية سناً، والقائد (الزعيم) الوحيد الباقي على قيد الحياة، من قادة الثورة العربية.

ولكن العراقيين كان لهم مشروعهم الخاص بهم، مشروع الهلال الخصيب، الذي يهدف إلى ضم سوريا إلى العراق تحت حكم الفرع العراقي من الأسرة الهاشمية.

● وكان فريق كبير من أهالي فلسطين بزعامة (الحاج أمين الحسيني) مفتي القدس، يعارضون مشروع سوريا الكبرى، لأنّ تحقيقه يعني أن الخطوة الأولى ستكون باتجاه فلسطين، وهذا يعني التفاهم مع بريطانيا على حسابهم.

وإن كان هنالك فريق (النشاشيبي) لا يرون مانعاً أن يكون عبد الله ملكاً على فلسطين تحت حماية بريطانيا...

كما أن السعودية ومصر، كانتا تعارضان مشروع سوريا الكبرى أيضاً[2].

---

(١) الهاشميون وقضية فلسطين: أنيس صايغ/ ص٣٠٤.

(٢) الهلال الخصيب: الدكتور منسي (ص٣٢١ - ٣٢٢).



● وفي ربيع عام ١٩٤٢م، دعا الأمير عبد الله أهالي سوريا (من خليج العقبة إلى أعالي الفرات والبحر المتوسط) إلى مؤتمر يعقد في عمان، إلا أن ذلك كان يتعارض مع المحاولات المبذولة لتكوين جامعة الدول العربية آنذاك[١] .

● ولم يترك الأمير عبد الله مناسبة تمر دون أن يدعو فيها لمشروعه، ففي افتتاح المجلس التشريعي في ٦ نوفمبر ١٩٤١م، خطب متحمساً بأنه سيوحد سوريا والأردن مهما كان الثمن الذي سوف يتكبده، وخطب في القدس عام ١٩٤٢م شهر مارس، بأنه سيضم فلسطين إلى الأردن رضي الأعداء أم أبوا . . .[٢] .

● لقد كانت المعارضة العربية للمشروع قوية، ذلك أنه يعود بعدة منافع لمصلحة الإنجليز واليهود معاً . . . لأن الوحدة على أسس سليمة سوف تستهدف التخلص من الدخلاء جميعاً، من الإنجليز واليهود، وحكومة الانتداب بالطبع . . .

●● إلا أن الهاشميين، احتفظوا بمجموعة من الأصدقاء في كل دولة من دول بلاد الشام المرشحة لمشروعهم هذا . . .

ـ ففي فلسطين كان حزب الدفاع بزعامة « راغب النشاشيبي » الذي عينه الإنجليز رئيساً لبلدية القدس خمس عشرة سنة، كان من أصدقائهم .

ـ وفي سوريا كان من دعاة هذا المشروع : الدكتور الشهبندر، والدكتور

---

(١) الهلال الخصيب : الدكتور منسي (ص٣٢١ – ٣٢٢) .

(٢) الهاشميون وقضية فلسطين : أنيس صايغ، ص٣٠٧ .



منير العجلاني، وحسني البرازي، وحسن الحكيم، ولطفي الحفار، وعدد من السياسيين التقليديين الذين عرفوا بصداقتهم للإنجليز في الثلاثينات، وأوائل الأربعينات من هذا القرن.

كما أن حزب الشعب في أواخر الأربعينات وخلال الخمسينات كان من مؤيدي هذا المشروع، والمتعاونين مع الأمير عبد الله[١].

●● وبعد هزيمة فرنسا في الحرب العالمية الثانية، أرسل الأمير عبد الله مذكرتين إلى السلطات البريطانية، طالب فيهما بأن يعطى عرش سوريا، لكن بريطانيا ردت عليه بأن الوقت غير مناسب حالياً، فهي لم تكن على استعداد لإغضاب فرنسا حليفتها، ولا إغضاب الحكومات العربية المعارضة للمشروع[٢].

●● وفي المؤتمر التحضيري لجامعة الدول العربية (٢٥/أيلول/١٩٤٤م) طالب رئيس وزراء الأردن ـ توفيق أبو الهدى ـ بوحدة سوريا طبقاً لمشروع ملكه، فرد مندوب سوريا ـ جميل مردم ـ ينصح الأردن بالعودة إلى الوطن الأم سوريا وليس العكس، وأن بلاده تفضل النظام الجمهوري، كما عارضت مصر ذلك المشروع.

---

(١) الهاشميون وقضية فلسطين: أنيس صايغ/ ص١٥٠ ـ ١٥٥.

(٢) السابق ص٣٠٥، وينظر الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين ص٢١٤ ومابعدها.



مشروع سوريا الكبرى يستهدف ضم فلسطين بعد تقسيمها:

وإزاء المعارضة العامة لهذا المشروع، توقف الأمير عبد الله عن الضغط من أجل مشروعه هذا، حتى تحل قضية فلسطين أولاً(١).

● وفي ٢٩/١١/١٩٤٧م، وافقت الأمم المتحدة على تقسيم فلسطين إلى دولتين: عربية ويهودية، **أعلن الملك عبد الله أن مشروع سوريا الكبرى هو الحل الوحيد لمشكلة فلسطين**، فاستقال رئيس وزرائه (سمير الرفاعي) احتجاجاً على سياسة الأمير عبد الله وخلفه توفيق أبو الهدى(٢).

●● وعندما تقرر دخول الجيوش العربية إلى فلسطين، قرر مجلس الجامعة العربية في اجتماعه في بيروت، ألا تحاول أية دولة عربية، تشترك جيوشها في هذه الحرب أن تحقق لنفسها توسعاً إقليمياً، لأن الهدف هو إنقاذ فلسطين من الصهيونية ثم إعادتها لأهلها العرب.

●● وخلال حرب ١٩٤٨م أصر الأمير عبد الله على أن تكون القيادة العليا للجيوش العربية تحت إمرته، وكانت قواته تتمثل في الفيلق العربي بضباطه البريطانيين وعلى رأسهم (كلوب باشا)، واتضحت المأساة في انسحاب قواته من اللد والرملة وتسليمهما إلى اليهود، وخرجت الأردن من الحرب وهي تسيطر على المناطق المخصصة للدول العربية، في مشروع التقسيم الذي أقرته الأمم

---

(١) ينظر: الهلال الخصيب: د. محمود صالح منسي، ص٣٢٣ - ٣٢٤.

(٢) المرجع السابق: د. محمود صالح منسي، ص٣٢٣ - ٣٢٤.



المتحدة بما في ذلك القدس القديمة، واتخذ الأمير عبد الله الإجراءات التي تضمن له ضم هذه المناطق لتصبح جزءاً من مملكته[١] .

●● ومن تلك الإجراءات، الاجتماع الذي عقد في أول كانون الأول من عام /١٩٤٨م، في مدينة أريحا، حضره مندوبون عن عرب فلسطين من الضفة التي كانت تحت حكم الأردن، برئاسة محمد علي الجعبري ـ عمدة الخليل ـ ودعا المؤتمر إلى ضم الجزء العربي من فلسطين فوراً، ثم وافق البرلمان الأردني على قرارات أريحا، ومن ثم تشكلت حكومة أردنية جديدة، ضمت ثلاث شخصيات فلسطينية... كما عُينّ (راغب النشاشيبي) عمدة القدس السابق، والعدو التقليدي لمفتي القدس ـ الحاج أمين الحسيني ـ نائباً لحاكم فلسطين العربية[٢] .

* * *

وقد حاول الأمير عبد الله أن يستغل الانقلابات التي وقعت في سوريا عام ١٩٤٩م، لمصلحة مشروع سوريا الكبرى، ولكن زعماء الانقلابات الثلاثة لم يستجيبوا لهذا المشروع.

.. وأخيراً أدرك الأمير حرج موقفه من الدول العربية، وأن المخرج من هذه الأزمة، يمكن أن يتمثل في الصلح مع اسرائيل، وبواسطة هذا الصلح يمكنه أن يحسّن أوضاع مملكته الاقتصادية والحصول على معونة من الأمم المتحدة،

---

(١) المرجع السابق: ص(٣٢٥ – ٣٢٦) .

(٢) الهلال الخصيب: د. محمود صالح منسي/ ص٣٢٦ – ٣٢٧ .



(وهكذا شطح به الخيال)[1].

●● وفي ١٠ / نيسان / ١٩٥٠م، أصدر البرلمان الأردني قراراً بتأييد وحدة ضفتي الأردن، مع الحفاظ على حقوق عرب فلسطين كاملة.

واشتدت معارضة غالبية الدول العربية لدرجة أن بعضهم (مصر وسوريا ولبنان والسعودية) طالبت بطرد الأردن من عضوية الجامعة العربية.. ثم توصلوا إلى قرار تتعهد الأردن بموجبه، بأن ضم الضفة الغربية هو إجراء مؤقت إلى حين التوصل إلى تسوية نهائية لقضية فلسطين[2].

●● وفي ٢٠ / تموز / ١٩٥١م، تم اغتيال الملك عبد الله عند المسجد الأقصى في القدس، خلال صلاة الجمعة، وقد اتهم فيه أتباع الحاج أمين الحسيني (جماعة الجهاد المقدس)، وأعدم أربعة من المتهمين منهم الدكتور موسى الحسيني ابن عم مفتي فلسطين، وحكم اثنان غيابياً، أحدهما الضابط عبد الله التل، الذي كان حاكماً سابقاً للقدس، وقد لجأ إلى مصر وكتب مذكراته عن الأردن خلال فترة الانتداب وصلات الأمير عبد الله المريبة[3].

---

(١) الهلال الخصيب : د. محمود صالح منسي، ص٣٢٦ - ٣٢٧.

(٢) محاضر جلسات مجلس الجامعة العربية، في ١٢ حزيران ١٩٥٠م، ص٢٧٨ - ٢٩٤.

(٣) الهلال الخصيب : د. محمود صالح منسي / ص٣٢٩.



« ٥ »

سياسة الأمير وصلاته المريبة خلال مرحلة الانتداب

أ ـ صلة الأمير عبد الله بالإنجليز وبالوكالة اليهودية:

لقد كُشفتْ علاقة الأمير ومراسلاته مع زعماء اليهود في الأرشيف الصهيوني المركزي، وقد عرّبها الدكتور سليمان بشير[١].

● لقد كان اللقاء الأول بين الأمير عبد الله وتشرشل في القدس، والتقى كذلك بالمندوب السامي البريطاني (هربرت صمويل)، واقتصر الاجتماع على قبوله إمارة شرق الأردن بعد جلسة نصف ساعة فقط، كان ذلك عام ١٩٢١م.

● ثم صار الأمير يزور (لندن) لتنظيم أموره مع حكومتها، فقابله (وايزمن) وعدد من مسؤولي الحركة الصهيونية في خمسة اجتماعات، لعب (فيلبي) فيها دور الوسيط، الذي لعبه لورنس من قبله، بين الصهيونيين والأمير فيصل.

●● وقد كان (عبد الله) في تلك الاجتماعات متساهلاً، أفهم مفاوضيه بأنه مستعد أن يحالفهم، إن هم أضافوا إلى إمارته أرضاً غير صحراوية في

---

(١) بعنوان: جذور الوصاية الأردنية، الزهراء للإعلام العربي ١٩٩١م، القاهرة، تعريب د. سليمان بشير.



فلسطين أو سوريا أو العراق . . .

ورجا الأمير مفاوضيه أن تبقى مباحثاتهم سرية[١] .

* * *

وزار الشريف حسين (عمّان) أواخر عام ١٩٢٣م، ومكث فيها حتى ربيع السنة التالية .

واتصل الحسين خلال تلك الفترة بزعماء عرب فلسطين، وبزعماء الحركة الصهيونية في آن واحد، وعرض عليهم فكرة ضم فلسطين إلى اتحاد عربي آسيوي، يجلس هو على عرشه ويفتح بعدها هذا الاتحاد أبواب الهجرة أمام اليهود .

وعقد الحسين وابنه عبد الله سلسلة اجتماعات مع ممثلي الفريقين (في عمّان والشونة) .

ويذكر رئيس الوفد الصهيوني تفصيلات حول تلك الاجتماعات، وكان المذكور وهو (الكولونيل كش) رئيساً للجنة التنفيذية في الوكالة اليهودية آنذاك، وبدأت في ٢٧ يناير ١٩٢٤م واستمرت المباحثات عدة أيام، وتبادل الموفدون بعدها الأوسمة، وقال (الكولونيل كش) بعد خروجه من الاجتماع : « لقد أسسنا علاقات ودية مباشرة مع الملك حسين . . . »[٢] .

---

(١) الهاشميون وقضية فلسطين أنيس صايغ، ص١٢٣ – ١٢٤ .

(٢) مذكرات الكولونيل كش : ص ٩٦ – ٩٨ ، والهاشميون وقضية فلسطين ص١٢٦ .



● وقد طالب الزعماء الوطنيون أن ينكر الحسين ويكذب الأخبار التي تسربت عن تلك الاجتماعات السرية، فرفض أن ينكر ذلك علناً، ولذلك فشلت مساعيه مع الزعماء العرب قبل أن تبدأ رسمياً... واستعاض عن الزعماء الوطنيين بآخرين متساهلين مع حكومة الانتداب، وعلى رأسهم أفراد من عائلتي: (النشاشيبي والدجاني الكبيرتين)، وفي مذكرات (كش) نفسه ذكر متواصل لمساعدات مالية ومعنوية، أمد بها اليهود تلك الأحزاب وزعماءها وكان الوسيط هو (كش نفسه)[1].

وتوقفت الاتصالات بسبب سفر «الحسين» إلى الحجاز، وبسبب مبايعته بالخلافه، فاضطر أن يوقف صلاته باليهود خوفاً من إثارة الرأي العام الإسلامي ضده... كما أن تدهور موقف الحسين وخلعه عن الملك ونفيه إلى قبرص أوقف الصلات معه.

لكن اليهود حافظوا على صداقتهم له حتى آخر أيامه، فلما نقل من قبرص إلى عمان بعد أن اشتد به المرض والعجز، اغتنم (كش) الفرصة وزاره في فبراير ١٩٣١م، وبرفقته عدد من الأطباء (اليهود) الاختصاصيين، الذين حاولوا علاجه على حساب الوكالة اليهودية»[2].

* * *

وبلغت علاقات الأمير عبد الله بالحركة الصهيوينة ذروتها في عام

---

(١) مذكرات الكولونيل كش: ص٩٦ - ٩٨، والهاشميون وقضية فلسطين ص١٢٦.

(٢) الهاشميون وقضية فلسطين: أنيس صايغ ص١٢٦ - ١٢٧.



١٩٣١م، حينما عرض على الوكالة اليهودية أن تستأجر أرضاً له تبلغ (٧٠ ألف دونم)، ومدة العقد (٣٣ سنة) على أن تجدد مرتين، مقابل أجر سنوي قدره (٢٠٠ ألف جنيه)، مع نسبة من الربح (٥٪)، وكانت من أملاك الدولة، أعطيت له كوقف خاص.

وما كان للأرض قيمة اقتصادية، وإنما كانت الصفقة سياسية لصالح اليهود، وكانت تقع قرب جسر (اللنبي)، وكان لرئيس ديوانه (محمد الأنسي) دور في الاتصالات مع زعماء الوكالة اليهودية[١].

وقد رحب الصهيونيون بالعرض السخي وأرسلوا وفداً إلى عمان أجرى الصفقة، وحصل على إذن من الأمير بإسكان عدد من عوائل اليهود (١٥٠٠ عائلة) في تلك الأرض[٢].

ويقول الدكتور سليمان بشير: « وواضح هنا أنّ العلاقة بين الدعم المالي الذي كانت الوكالة تقدمه للأمير، وبين امتياز أراضي غور الكبد، أصبحت علاقة شكلية مع مرور الزمن، وتدريجياً أصبح واضحاً لكل من الأمير والوكالة أن هذه الأخيرة تقوم عملياً بتمويل نشاط الأمير ذي الطابع السياسي البحت[٣] ».

---

(١) ينظر: جذور الوصاية الأردنية، د. سليمان بشير، ص٩٨، وما بعدها، الخيانة العربية: أحمد رائف، ص٢٨٢ – ٢٨٤.

(٢) ينظر: الهاشميون وقضية فلسطين ص١٢٨.

(٣) جذور الوصاية الأردنية: ص١٤٨.



● وقد شجع الأمير عبد الله مشايخ البدو على تأجير أراضيهم، كما فعل هو، فأجرّهم (مثقال الفايز) في يناير ١٩٣١م مائة ألف دونم، ورحبت أوساط اليهود بتلك الانتصارات[١].

●● أما الحركة الوطنية في فلسطين وشرقي الأردن، فقد راعها الخبر، وهبت تحتج وتطالب بنقض الصفقة، وإيقاف إجراءاتها وعجز الأمير عن نفي الخبر، لأن جريدة (نيويورك تايمز) قد أكدته في أحد أعدادها[٢].

ولم يستطع الأمير إخماد المعارضة بسبب تأجير الأراض، حتى لجأ إلى مشايخ البدو الذين باركوا اتفاقه، كما هددوا رجال الحركة الوطنية بالقتل...[٣].

●●● أما اللقاءات السرية بزعماء الحركة الصهيونية فقد كثرت وتكررت، وذاع أمرها.

ومن تلك اللقاءات، **لقاؤه مع (جولدا مائير)** مديرة المكتب السياسي في الوكالة اليهودية آنذاك مرتين. الأولى في منتصف شهر نوفمبر/١٩٤٧م، وأخبر الملك فيها (مائير) بأنه لن يحارب اليهود في حال صدور قرار بالتقسيم، وسيكتفي باحتلال القسم العربي، جرى ذلك سرياً وفي قصره بعمّان.

أما المرة الثانية فقد **دعا الملك عبد الله جولدا مائير إلى عمّان فلبت**

---

(١) الهاشميون وقضية فلسطين: أنيس صايغ ص١٣٠.

(٢) نيويورك تايمز في ٢٨ يناير ١٩٣١م، والمرجع السابق ص١٣٠.

(٣) نيويورك تايمز في ٢٨ يناير ١٩٣١م، والمرجع السابق ص١٣٠.

الدعوة، وذهبت إلى الأردن محجبة كامرأة مسلمة، وقضت ليلتها في قصر الملك، وقد كان يرافقها مستشار الوكالة للشؤون العربية (عزرا دانن).

وكان الغرض من هذا اللقاء محاولة من الملك، للاعتذار إلى الصهاينة قبل أن يبدأ مخالفته لاتفاقه معهم بعدم الحرب!

● وكان عبد الله قد اجتمع في ذلك النهار نفسه بقادة القوات العربية في الزرقاء، وتدارس معهم خطة الهجوم على فلسطين لتحريرها؟!![١].

●● ثم نقل الجانبان الأردني والصهيوني موضوع التفاوض إلى صعيد رسمي في آخر (أبريل ١٩٤٨م)، **فسافر شرتوك أحد كبار** رجال المكتب السياسي في الوكالة اليهودية إلى جسر المجامع، واجتمع مع الأمير عبد الله سراً في مبنى مشروع (روتنبرج) اليهودي، وكان برفقة الملك عبد الله، قاضي قضاته، محمد الأمين الشنقيطي)[٢].

●● ويحدثنا الكولونيل عبد الله عن ذلك اللقاء، وكان مقرباً من الملك آنذاك، وكاتماً لأسراره فيقول: «إن الملك وشرتوك اتفقا على اتباع سياسة واحدة تجاه قرارات التقسيم، من حيث قبولها وتنفيذها لمصلحة الفريقين»[٣].

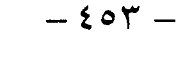
●● وتكررت اللقاءات السرية خلال فترة حرب عام ١٩٤٨م وبعدها مع زعماء إسرائيل.

---

(١) الهاشميون وقضية فلسطين ص٢٣٤.

(٢) هذا القاضي هو غير صاحب أضواء البيان، الذي يحمل الاسم نفسه، وقد توفي قريباً - رحمه الله - ودفن في المدينة النبوية.

(٣) كارثة فلسطين: عبد الله التل، ص٦٥.





ب ـ موقف الأمير عبد الله من ثورة (١٩٣٦ - ١٩٣٩م) في فلسطين الجريحة ضد الاحتلال:

إن ثورة أهالي فلسطين، ثورة المجاهدين في سبيل الله، سنتحدث عنها في الفصل القادم (الخاص بفلسطين) ولكننا سنتحدث هنا عن موقف الأمير عبد الله وموقف حكومته من تلك الثورة، ومدى وضع العقبات أمام مساعدة رجال الثورة، تمشياً مع سياسة حكومة الانتداب.

● لم يستطع الأمير عبد الله أن يمنع التطوع لصالح الثورة جهراً، ولكنه فتح مجال التطوع في الجيش الأردني، ثم منع الأردنيين من السفر إلى فلسطين خلال سنوات الثورة، خوفاً م انضمامهم إلى وحدات القتال، أو تزويد المجاهدين بسلاح أو مال، كما منع جمع الأموال لنصرة الثوار، وزعم أنه يفعل ذلك من أجل تنظيم عملية جمع الأموال وضبطها؟!!!

●● ومنع كذلك المجاهدين السوريين والعراقيين من المرور في الأراضي الأردينة، وهم في طريقهم إلى جبهات القتال في فلسطين، وعهد في تنفيذ المنع إلى القوات البريطانية التي كانت تقيم في شرقي الأردن، وإلى الجيش الأردني، وبعض قبائل البدو الموالية له...[١].

كما أنه منع رجال الثورة الذين غادروا فلسطين بعد عقد الهدنة المؤقتة عام ١٩٣٦م، من المرور في الأردن في طريقهم إلى سوريا والعراق، وعامل الذين عبروا الحدود بفظاظه، وطردهم بشراسة، وعلى رأسهم فوزي القاوقجي، وقد اعترف (الكولونيل كش) بذلك في مذكراته (ص٢٥٨)، لكن الشعب لم

---

(١) الهاشميون وقضية فلسطين: أنيس صايغ، ص١٠٣.



يسكت بل ثار على أمير الأردن في أكثر من مكان، متضامناً مع عرب فلسطين، وخاصة في جبال عجلون، كما هاجم الثائرون أنابيب النفط ودمروها، ولغموا الطرقات التي استعملتها القوات لتعقب المجاهدين، وأرسل (الأمير عبد الله) جيشه في ربيع ١٩٣٩م، إلى المنطقة لإخضاع المتمردين، وأرسل مع الجيش مسلحين من البدو[١].

● وقد رافق الانتفاضة الوطنية حركة تأديب، قام بها الوطنيون في الأردن ضد الذين رفضوا مقاطعة اليهود، وكان الأمير طلال - ولي العهد آنذاك - يقف إلى جانب زعماء تلك الحركة، ويشاركهم في معارضة الحكومة، وقد غضب أبوه من تصرفاته وسجنه في بيته، واشترك عدد من الوطنيين من ضباط الجيش وبقايا حزب الاستقلال، وبينهم من رفض متابعة المجاهدين، ومنهم من أرسل أسلحة إلى ثوار فلسطين سراً، لكن الأمير عبد الله أقصى تلك العناصر عن الجيش، ونفى بعض الضباط خلال الثورة[٢]

قوات يهودية في الأردن:

وقد أرسل الإنجليز قوات يهودية إلى الأردن عام ١٩٤٢م، للإشراف على الأمن خلال الحرب العامة، لحراسة معسكرات الاعتقال خلال تلك الحرب، والتي وضع فيها الوطنيون العرب... بتهمة ميولهم إلى النازية.

وكانت تلك القوات يهودية تماماً، كما يؤكد ذلك الحاخام (رابنوتز)، حيث أن لغتها عبرانية، وبها تصدر الأومر والمعاملات والصحف، وعلمها هو

---

(١) ينظر الهاشميون وقضية فلسطين، ص١٠٤ - ١٠٥.

(٢) ينظر الهاشميون وقضية فلسطين، ص١٠٤ - ١٠٥.

(النجمة السداسية) واحتفالاتها وأناشيدها قومية صهيونية، وكل جنودها وضباطها من اليهود[١].

● وكانت القوات اليهودية تتصل بالسكان اليهود في كل بلد عربي تنزل فيه.. وقد رحب (عبد الله بن الحسين) بتلك القوات، واستضافها في بلده، وتركز معظمها في العقبة، وصار الضباط يوجهون الجنود توجيهاً صهيونياً في بيان أهمية المنطقة لدولتهم في المستقبل.

والقارئ يجد ذلك مطولاً في كتاب الحاخام (رابنوتز) الذي قال مفاخراً:

«هناك في شرق الأردن، ارتفع العلم الأزرق والأبيض مع مجن داوود) أي النجمة السداسية[٢].

ج- الأمير عبد الله ومشروعات تقسيم فلسطين:

بعد ثورة أهالي فلسطين الكبيرة/ ١٩٣٦م، أحست بريطانيا بأن الأوضاع لن تستقر بين العرب واليهود، في دولة واحدة، فصارت تقترح تقسيم فلسطين بين الغزاة الدخلاء من اليهود، وبين العرب والمسلمين.

وأرسلت اللجان المتعددة، ومعظمها كان يحابي اليهودي ويتمشى مع سياسة بريطانيا الصليبية.

من تلك اللجان: **اللجنة الملكية بقيادة (بيل)** شكلت في يوليو ١٩٣٧م،

---

(١) الهاشميون وقضية فلسطين: (ص١١٠ - ١١١)، وكتاب الحاخام رابنوتز، ص٣٤ - ٤٤، طبعة لندن، ١٩٤٤م.

(٢) المرجع السابق/ ص١١٠ - ١١١.





ورفض العرب مقترحاتها، وقبلها الأمير عبد الله...

ثم عينت بريطانيا لجنة أخرى يرأسها (**ودهد**) لدراسة المشروع السابق، فقد درسته وعدلت فيه، فقاطعها العرب كذلك، واستقبلها الأمير واستعادها إلى عمان، كما أعلن موافقته على مقترحاتها[١].

● وقد فضح المؤتمر الصهيوني في (زيورخ) المنعقد في صيف ١٩٣٧م، نوايا اليهود حول مشروعات التقسيم واللجان المعنية بها (مشروع لجنة بيل، ولجنة ودهد) وعبر المؤتمر عن إجماع الصهاينة على أن أي تقسيم لفلسطين ما هو إلا خطوة نحو تملك فلسطين كلها، وبعض جاراتها أيضاً[٢].

وهذا ما كشفته الأيام، وما التسويات المعاصرة إلا دليل على ذلك..

وقد رفض العرب التقسيم ومشروعات اليهود والإنجليز... وأيدها عبد الله ابن الحسين تأييداً تاماً منذ اللحظات الأولى في السر والعلن.

وقد صارح الأمير اللجان بتأييده لفكرة التقسيم، بشرط أن يضم القسم العربي إلى إمارته، وتعهد لها وللسلطات البريطانية بإقناع قسم كبير من عرب فلسطين على تأييد المشروع، شريطة أن تؤمن له تلك السلطات الحماية من ردة فعل الحركة الوطنية، بملاحقة رجالاتها[٣].

فنقم عليه عرب فلسطين أكثر من أي وقت مضى، وخاصة أنه الحاكم

---

(١) الهاشميون وقضية فلسطين أنيس صايغ/ ص١٤١ - ١٤٧.

(٢) السابق: أنيس صايغ، ص١٤١ - ١٤٧.

(٣) الهاشميون وقضية فلسطين، ص١٤٧ - ١٤٨.





العربي الوحيد الذي أيد مشروع التقسيم، ومنهم من مزّق صوره التي رفعها أعوانه من رجالات (حزب الدفاع) واعتبروا الهتاف باسمه خيانة وطنية[١] .

وقد أسس راغب النشاشيبي (حزب الدفاع) في ٢ ديسمبر ١٩٣٤م، وكان موالياً للأمير والانتداب ومهادناً لليهود .

● وكان هذا الحزب يقاطع الثوار المجاهدين، ويعارض فكرة الوحدة العربية، وعمل على عرقلة الجهاد داخل فلسطين فاضطرت الحركة الوطنية بعد صبر طويل، أن تعلن الحرب على ذلك الحزب وتتبرأ منه ومن تصرفاته، واغتيل عدد من أقطابه ومريديه، من هؤلاء الموالين لصفقات الهزيمة والذل، وهم أنصار الأمير عبد الله الذين طالبوا بالتقسيم، وضم جزء من فلسطين إلى الأردن ومن ثم إنشاء سوريا الكبرى، والسماح لليهود بالتملك في الأردن[٢] .

● واسغل جماعة حزب الدفاع نكبة المجاهدين وإجهاض الثورة الوطنية أواخر عام ١٩٣٨م، على يد الإنجليز واليهود وعملائهم، وقد بلغت حصيلة الثورة حوالي (١٧٠٠) ما بين قتيل وجريح . .

كما استغل أصدقاء الأمير عبد الله نشوب الحرب العالمية الثانية، فشددوا من تهجمهم على الحركة الوطنية متذرعين بأن الوطنيين، كانوا على صلة حسنة مع دول المحور (ألمانيا وإيطاليا)، وكان الأمير يبارك تلك الأعمال ويمولها[٣]

---

(١) الهاشميون وقضية فلسطين، ص١٤٧ - ١٤٨ .

(٢) المرجع السابق : ص١٥٢ .

(٣) الهاشميون وقضية فلسطين، ص١٣٣، ص١٥٣ - ١٥٤ .



● وكان معظم الفلسطينيين الذين تسلموا مناصب الحكم في الأردن في السنوات الأولى بعد الضم، من رجالات حزب الدفاع ومؤيديه، وربما يحلو لبعضهم أن يسميهم بالمعتدلين[1]

●● وقد حاول وزير خارجية بريطانيا (بيفن) أن يقدم مشروعاً جديداً للتقسيم في فبراير ١٩٤٧، وفيه يقترح: إدخال مئة ألف يهودي خلال سنتين، ثم يترك أمر الهجرة إلى الأمم المتحدة، وإقامة حكومة موحدة من عدة مناطق، على أن يكون لكل منها حكم ذاتي واسع الصلاحيات لمدة خمس سنوات.

فرفض الطرفان المشروع، فقرر الوزير رفع القضية إلى هيئة الأمم..

●● ثم تألفت لجنة في أبريل ١٩٤٧م، من قبل الأمم المتحدة واسمها (لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين) برئاسة قاضي سويدي (سندستروم)، وهي اللجنة التاسعة عشرة في مدى (٢٧ عاماً).. وقد طالب تقرير اللجنة (بأغلبية « ٨ مقابل ٣ ») بإنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين، وإعلان الاستقلال، مع تقسيم البلاد إلى دولتين منفصلتين تمام الانفصال، وللدولة اليهودية ٥٥٪ من فلسطين، والباقي للعرب... ثم أعلن وزير المستعمرات البريطاني إنهاء الانتداب...[2].

● وفي هذه الأجواء السياسية بدأ (بيفن) مباحثاته الرسمية مع الملك عبد الله لتنفيذ حل مشترك سري، عن طريق (توفيق أبو الهدى) رئيس وزراء الأردن وبرفقته الجنرال (كلوب) للترجمة بينه وبين (بيفن).

---

(١) الهاشميون وقضية فلسطين، ص١٣٣، وص١٥٣ – ١٥٤.

(٢) ينظر الهاشميون وقضية فلسطين، ص٢١٧ – ٢٢٣.

- وقد نقل كلوب في مذكراته ما جرى بينهما... وما قاله أبو الهدى لبيفن قال: «إن الانتداب البريطاني أوشك أن ينتهي، وسوف يحاول اليهود احتلال فلسطين كلها، ولذلك فإما أن يحتل اليهود فلسطين أو أن ينجح المفتي في تخليص القسم العربي ويعين نفسه حاكماً عليه، كلا الاحتمالين لا يناسب بريطانيا ولا الأردن...

- ثم قدم الاقتراح الذي يحمّله إياه الملك وهو: أن يدخل جيش الأردن فلسطين عند انتهاء الانتداب، بحجة حماية فلسطين ومحاربة إسرائيل، وعندها يحتل القسم العربي ويضمه إلى شرقي الأردن، دون أن يحارب اليهود نهائياً... وتعهد الرئيس الأردني (لبيفن) بأن يتقيد الأردن بالشروط الثلاثة التي وضعها الإنجليز وهي: ألا يحتل الجيش الأردني غزة والجليل، وألا يعتدي الجيش المذكور على اليهود بأي شكل كان، وألا يحتل شبراً واحداً من القسم الذي أعطته الأمم المتحدة لهم[١]».

جرت المباحثات في لندن في الأشهر الأولى من عام ١٩٤٨م... وكانت الخطة ألا تحصل حرب بين العرب واليهود، إلا أنه قد خاب ظنهم، وحافظ الملك عبد الله على عهوده، فكانت مواقفه في تلك الحرب واضحة مكشوفة.

---

(١) مذكرات «كلوب» ص٦٣ - ٦٦، طبعة لندن، ١٩٥٧م، والهاشميون وقضية فلسطين، ص٢٣١.



الفصل الرابع
فلسطين في مرحلة الانتداب البريطاني

المبحث الأول: الكيان الصهيوني في ظل الانتداب

- تزايد الهجرة اليهودية في حماية الإنجليز.

المبحث الثاني: بريطانيا وسياسة التهويد.

١ ـ تهويد أجهزة الحكم في البلاد.

٢ ـ إصدار القوانين المختلفة لحماية الوطن القومي اليهودي، كقانون الهجرة والجنسية وقوانين اغتصاب الأراضي...

المبحث الثالث: أراضي فلسطين في عهد الانتداب:

١ ـ ملكية الأراضي حتى عام ١٩١٨، وكيف كانت موزعة.

٢ ـ قضية بيع الأراضي وهبتها لليهود.

المبحث الرابع: جهاد عرب فلسطين (١٩١٧ - ١٩٤٧م):

- ثورة البراق ١٩١٩م.
- حركة القسام وعبد القادر الحسيني والثورة الكبرى ١٩٣٦م.
- الجهاد وقضية التسلح ما بين ١٩٣٩ - ١٩٤٧م.

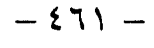
المبحث الخامس: بريطانيا وسياسة المكر والخداع.

المبحث السادس: تطور قضية فلسطين بعد الحرب العالمية الثانية -:

١ ـ فلسطين خلال سنوات الحرب.

٢ ـ سياسة الولايات المتحدة تجاه قضية فلسطين.

٣ ـ قضية فلسطين أمام عصبة الأمم المتحدة.



المبحث الأول

الكيان الصهيوني في ظل الانتداب البريطاني

دخلت قوات بريطانيا القدس عام ١٩١٧م، واحتلت قوات فرنسا بيروت ودمشق، وكان قادة الحلفاء يعلنون هوية المعركة، ويصرحون بأنها معركة صليبية، بلا حياء ولا مواربة.

● وما كان لهؤلاء أن يدخلوا ديارنا، لولا معاونة القوات العربية تحت شعارات القومية، وفي ظل الحراب العربية من جند الحسين بن علي وأبنائه.

● ثم وضعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني قرابة ثلث قرن من الزمان ما بين (١٩١٧ - ١٩٤٨)، وقد هيأت بريطانيا الأجواء، حتى تحولت فلسطين، إلى وطن قومي لليهود...

كما حرصت بريطانيا على تنفيذ وعد بلفور، ذلك الوعد الغادر الغريب، الذي وهب أرضاً لا يملكها الإنجليز، إلى شعب لا يستحقها!!

●● وسوف نتحدث في هذا الفصل عن مرحلة الانتداب البريطاني على فلسطين وما تم فيها من تطورات ومآسٍ، شرد فيها أهالي فلسطين.. ونهبت أراضيهم، أما بقية المأساة، فسوف نتحدث عنها إن شاء الله، في إصدارات لاحقة.



●● ويكفي أن نعرف أن عدد اليهود في فلسطين، كان لا يزيد عن: « ٥٥ ألفاً » سنة ١٩١٨م، ثم وصل عام ١٩٤٨م إلى (٦٥٠ ألفاً) بقوة النفوذ البريطاني، ومسايرته لمصالح الحركة الصهيونية.

* * *

عُيّن (هربرت صموئيل) مندوباً سامياً على فلسطين، في تموز عام ١٩٢٠م، وهو صهيوني يحمل جنسية بريطانية فبدأ سياسته بأنه منح (خمسة وعشرين ألف يهودي، الجنسية الفلسطينية، وقد دخلوا فلسطين مع جيش الاحتلال البريطاني[١]).

● وقد ساهمت الكنيسة البريطانية في قيام دولة إسرائيل عن طريق تشجيعها حكومة الانتداب.

قال وايزمان في مذكراته (ص١٨): « ومن الأسباب الرئيسية لفوز اليهود في الحصول على تصريح بلفور من بريطانيا، هو شعور الشعب البريطاني المتأثر بالتوراة » « وإن الكنيسة قدمت إلينا أكبر المساعدات ونحن نقيم دولة إسرائيل ».

وكان ساسة بريطانيا لا يتورعون عن التبجح بتبنيهم لأهداف الصهيونية. قال رئيس وزراء إنجلترا (لويد جورج): « إنه صهيوني يؤمن بما جاء في التوراة من ضرورة عودة اليهود، وأن عودتهم هي مقدمة لعودة المسيح »[٢].

● وكرر مثل هذه الأقوال كل من تشرشل ولورانس حلفاء الثورة العربية؟!

---

(١) ينظر الهلال الخصيب: د. محمود صالح منسي، ص٣٤٦ - ٣٤٧.

(٢) ينظر: مذكرات وايزمان، والصهيونية في الستينات لمحمود نعناعه (ص٧).



إن الرأي السائد في الولايات المتحدة عند النصارى من (الإنجيليين التوراتيين) أن أرض فلسطين هي أرض الميعاد، وسوف تقوم فيها المعركة الفاصلة (معركة هرمجدون) على أرض فلسطين وسوف ينتصر فيها النصارى ويقضون على المسلمين؟!

● يقول الرئيس (كارتر): «لقد شكلّ إسرائيلَ والولايات المتحدة: مهاجرن طليعيون، ونحن واليهود نتقاسم تراث التوراة»[1]. إن المعركة مع المسلمين صليبة يهودية، وهذا الاتجاه ينتشر في ألمانيا وأمريكا وبريطانيا، وهو الاتجاه البروتستانتي الذي يؤمن بحرفية الكتاب المقدس.

● وقد أثبتت الوثائق أن صك الانتداب ساهم فيه اليهودمع الحكومة البريطانية[2].

● والحقيقة أن عصابة الأمم، فرضت على وطن مأهول بسكانه الطرد والإبادة، ليحل مكانه شعب غريب من مختلف الجنسيات والألوان؟!

* * *

---

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية: د. يوسف الحسن، ص٧٦، ١٧٢، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت/ ١٩٩٧م، ط ٢.

(٢) حقائق عن قضية فلسطين: الحاج أمين الحسيني، دار الكتاب العربي ص٣٧، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٥٧م، وينظر مذكرات وايزمان.





كيف تسلل اليهود إلى فلسطين؟![1]

لقد كانت لليهود محاولات دائبة منذ أواسط القرن التاسع عشر، للتسلل إلى فلسطين، وعندما أحسّ سلاطين الدولة العثمانية بذلك وضعوا القوانين الكفيلة بمنع التسلل المشبوه . . .

وقد عاش اليهود كأقلية دينية في فلسطين، كانت تعتمد على المعونات الخارجية وعلى سماحة المسلمين، وكان عددهم عام ١٨٣٩م، لا يزيد على ستة آلاف نسمة.

● وبعد مقتل قيصر روسيا (نقولا الثاني عام ١٨٨٢م) واتهام اليهود بتدبير مؤامرة قتله، تعرضوا لاضطهاد الروس، مما دفعهم إلى الهرب طلباً للنجاة، فاتجه قسم منهم إلي فلسطين.

●● ثم توالت الهجرة اليهودية، وتمت على أفواج:

- **فقدم الفوج الأول إلى فلسطين عام ١٨٢٣م**، وأنشأوا بعض المستوطنات بين يافا والقدس، لكنها فشلت لولا دعم روتشليد بأمواله الطائلة.

وعندما اطلع السلطان العثماني على تلك المخططات، وضع العراقيل في طريق الهجرة، وخاصة أيام السلطان عبد الحميد الثاني.

- **أما الفوج الثاني (١٩٠٣ - ١٩١٤)** فقد تراوح عددهم ما بين (٣٥ - ٤٥ ألف مهاجر) جاء معظمهم من روسيا، وكانوا يتميزون بشدة تعصبهم

---

(١) ينظر :سياسية الانتداب البريطاني الاقتصادية، د. إبراهيم رضوان الجندي، منشورات دار الكرمل، صامد، عمّان ١٩٨٦م، ص٦١ - ٧١.



للصهيوينة، وشيدوا مستعمراتهم بأيدي صهيونية صرفة.. وهذه الزيادة تمت أيام جماعة الاتحاد والترقي القومية الماسونية...

ـ **والفوج الثالث** (١٩١٩ - ١٩٢٣) قدر عددهم ب (٣٥ ألف مهاجر)، وخلال هذه الفترة فرض الانتداب البريطاني على فلسطين.

وشكلت دائرة الهجرة في فلسطين، وأسندت رئاستها إلى يهودي صهيوني هو (ألبرت حايمون)(١).

● وقد عملت هذه الدائرة على استقدام المهاجرين الجدد بكل الطرق سواء باسم المعارض التجارية أو السياحة، أو الزواج الصوري والتحايل على القوانين المعمول بها آنذاك.

فارتفعت الهجرة حتى بلغ ما بين (١٩٢٢ - ١٩٢٩) حداً عالياً ازداد ما بين (١٩٢٩ - ١٩٣٦)، وكان المهاجرون قد قدموا من بولندا وألمانيا ورومانيا واليمن والولايات المتحدة.

وتميز المهاجرون في هذه السنوات بأنهم كانوا من أصحاب الأموال ومن العمال المهرة معاً، مما ساعد على تحسين وضع اليهود الاقتصادي في البلاد(٢).

وقد جاءت الهجرة هذه تحقيقاً للمادة السادسة من صك الانتداب، التي تشير إلى تسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين.

---

(١) سياسة الانتداب البريطاني الاقتصادية في فلسطين (ما بين ١٩٢٢ - ١٩٣٩م) د. إبراهيم رضوان الجندي.

(٢) المرجع السابق.

المبحث الثاني

بريطانيا وسياسة تهويد فلسطين

لقد تضافرت جهود السلطة العسكرية منذعام ١٩١٨م مع السلطة المدنية فيما بعد، لتنفيذ برنامج التهويد الرهيب، من أجل قيام الوطن القومي اليهودي . . .

● قال وزير خارجية بريطانيا اللورد (كرزون) مفسراً معنى الوطن القومي لليهود : (إن الوطن القومي : مفاده كيان سياسي يؤلفه اليهود، ويدير شؤونه اليهود، ويحكم وفقاً لمصالح اليهود»[١] .

●● ومن أجل هذا الهدف قدمَ (حاييم وايزمان) وبرفقته رهط من الصهانية، أُطلق عليهم اسم (البعثة الصهيونية) عام ١٩١٨م، جاءوا ليُشرِفوا بأنفسهم علي تطبيق تصريح وعد بلفور . . وقد عملت هذه اللجنة على ترسيخ الوجود اليهودي في فلسطين، تدعمها في ذلك الإدارة العسكرية البريطانية.[٢]

●● وبعد أن وافق مجلس الحلفاء الأعلى في ٢٥ أبريل ١٩٢٠م في سان ريمو على وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني، كلفت بريطانيا اليهودي الإنجليزي (هربرت صموئيل) بتنفيذ هذا القرار . . فوصل إلى فلسطين في ٣٠

---

(١) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين: د . أحمد طربين، ص٤٣ ، القاهرة عام ١٩٥٨م .

(٢) سياسة الانتداب البريطاني الاقتصادية في فلسطين: د . إبراهيم رضوان الجندي، ص١٧ – ١٩ .



يونيو ١٩٢٠م، ليتسلم عمله كأول مندوب سام لبريطانيا في فلسطين[١].

فأعلن بعد وصوله انتهاء الحكم العسكري، وقيام حكومة مدنية برئاسته تتبع مباشرة وزارة (المستعمرات البريطانية) أطلق عليها اسم (حكومة فلسطين)، وأذاع على الأهالي بيان ملك بريطانيا (الذي أعلن فيه اعتزام دول الحلفاء على اتخاذ التدابير اللازمة لإنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين)[٢].

● **فمن هو صموئيل وما دوره في تنفيذ خطط التهويد؟!**

يقول صموئيل في كتابه: «**ذكرى**» والصادر سنة ١٩٤٥م: «كنت قد تكلمت مع وزير خارجية بريطانيا عام ١٩١٤م حول مستقبل فلسطين، ولعل الفرصة قد سنحت أمامي الآن، لتنفيذ أماني الشعب اليهودي القديمة، وإعادة إنشاء دولة يهودية فيها، واعتقدت أن النفوذ الإنجليزي، يجب أن يقوم بدور مهم، في تأسيس مثل هذه الدولة...»[٣].

●● **وقد اتخذ هذا اليهودي الماكر كافة الأساليب لتحقيق الهدف الذي جاء من أجله عن طريق:**

ـ تهويد أجهزة الحكم ـ وإصدار القوانين المختلفة لصالح الوطن اليهودي.

---

(١) جريدة المقطم، القاهرة، ١٩٢٠م، ص٣.

(٢) سياسة الانتداب البريطاني الاقتصادية في فلسطين، ص٢٠ – ٢١.

(٣) جهاد شعب فلسطين: صالح أبو يصير، ص٩١ – ٩٣، والوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ص٨٩ – طبعة القاهرة ١٩٥٧م.



١ ـ تهويد أجهزة الحكم:[١]

إذ اعترف بالعبرية لغة رسمية ثالثة في البلاد، واستعان بشخصيات إنجليزية من الصهاينة في حكومته، فسيطروا على دائرة الهجرة، ودوائر التجارة والصناعة.

عُيّن (نورمان بنتويتش) اليهودي سكرتيراً قضائياً ونائباً عاماً في حكومة الانتداب، كان يتولى وضع القوانين وسنّ التشريعات اللازمة، ثم تصدر موقعة من المندوب السامي (صموئيل).

فسّنّ المذكور عدة تشريعات ووضع عدة قوانين حدّت من نشاط العرب، وحمت اليهود وسهلت هجرتهم، وفتح أبواب المناصب لليهود رغم قلة عددهم حتى أصبحت أربعة أضعاف العرب[٢].

● ثم سلم إدارة الهجرة لليهودي (حايمسون) كما سلم إدارة التجارة ليهودي آخر، ولم تبق دائرة إلا ويرأسها يهودي أو يساعد مديرها البريطاني يهودي آخر.

هذا وقد واصلت بريطانيا طوال انتدابها خطط (صموئيل) المذكور في سياسة التهويد[٣]

---

(١) جهاد شعب فلسطين ص٩٦ – ٩٩، وسياسة الانتداب البريطاني الاقتصادية ص٢٠.

(٢) ينظر محاضرات في تاريخ قضية فلسطين، د. أحمد طربين، ص٧٨ وجهاد شعب فلسطين: صالح مسعود أبو يصير، ص٩٦ – ٩٧.

(٣) ينظر محاضرات في تاريخ قضية فلسطين، د. أحمد طربين، ص٧٨ وجهاد شعب



٢ ـ تسخير قوانين البلاد لخدمة الوطن القومي اليهودي:

كانت حكومة الانتداب ذات رسالة، وهي تمكين اليهود من الاستيطان التدريجي في فلسطين، وتسخير قوانين البلاد لخدمة هذه الرسالة المصيرية.

ومن ذلك أن (صموئيل) أمر بتصفية البنك الزراعي العثماني وإغلاقه (في أول مارس ١٩٢١م)[١].

وهو البنك الوحيد في البلاد، الذي كان يمد الفلاحين بقروض طويلة الأمد، كانت الحكومة العثمانية قد أنشأته عام ١٨٦٣م من أجل هذه الغاية.

وفي ٢٤ سبتمبر ١٩٢١م أصدر (صوئيل) قراراً بمنع الفلاحين من تصدير محاصيلهم الزراعية إلى الخارج، مما أدى إلى تكديس المحاصيل وهبوط أسعارها، مما أعجز الفلاحين عن تسديد ما عليهم من ضرائب مفروضة للحكومة... الأمر الذي دفع هؤلاء الفلاحين إلي بيع قسم من أراضيهم، ليسددوا ما عليهم من ديون. وكان الخبيث يوجه الضربة تلو الضربة، لإنهاك الفلاح العربي، ويتفنن في وضع العراقيل أمامه لسلب أرضه، كما أنه كان يضع إجراءات كفيلة بإنعاش الفلاح اليهودي القادم إلى فلسطين[٢].

وقد أصدرت حكومة الانتداب في هذا المجال القوانين التالية:

فلسطين: صالح مسعود أبو يصير، ص٩٦ - ٩٧.

(١) جريدة مرآة الشرق، العدد ١٠٣، الأول من يوليو ١٩٢١م، القدس.

(٢) سياسة الانتداب البريطاني الاقتصادية في فلسطين، ص٢٣ - ٢٤.



(أ) قوانين الأراضي لإخضاع اقتصاد فلسطين لليهود[1] :

لقد نقب (صموئيل) عن كل أسلوب لإفقار العرب وسلب الأرض منهم، ثم أخذ يضع اللبنات القوية لتنمية ثروة اليهود وتمكينهم اقتصادياً من فلسطين.

ـ من ذلك أنه أمر بتأسيس دائرة للطابو « دائرة تمليك الأراضي » عام ١٩٢٠م، وأسند أمر الإشراف عليها للسكرتير القضائي (نورمان بنتوتيش) اليهودي، وترك له حق الإشراف على ملكية الأراضي الفلسطينية، وشكلت محاكم من أجل موضوع الأراضي، وعن طريقها كان يتم تمليك الأراضي للمرابين اليهود.

ـ كما أصدر (صموئيل) عدة قوانين تسهل لليهود تملك الأراضي الأميرية، والأراضي الفلسطينية التي لا يملك أصحابها سندات تمليك، بسبب تسجيلها ـ آنذاك ـ بأسماء بعض الوجهاء والإقطاعيين، حتى يتهربوا من الجندية في العهد العثماني.

ومن هذه الثغرات تسلل اليهود إلى تملك الأراضي.

● ثم أصدرت في ١٤ / يناير/ ١٩٢١م، قانون « تنظيم المدن » تمكنت الحكومة بموجبه من نسف الحي العربي القديم، **في مدينة يافا/١٩٣٦م**، بحجة توسيع المدينة وتحسينها، فهدمت بذلك « ٢٢٠ منزلاً » وشردت « ٤٥٠ أسرة عربية ».

---

(١) ينظر المرجع السابق، ص٢٥ – ٣٠، وجهاد شعب فلسطين، صالح مسعود أبو يصير، ص٩٩ – ١٠٣.



●● كما أصدرت حكومة الانتداب في ١٥ مايو/عام ١٩٢٥م، قانوناً ينص على تملك الأراضي للجيش وقوة الطيران، مع العلم أن جيش بريطانيا بلغ (مائة ألف جندي) و (٥٥٧٢) شرطي في عام ١٩٤٧م.

ـ أليست هذه هي حجج حكومات إسرائيل الحالية لبناء المستوطنات وهدم المنازل العربية، ومصادرة الأراضي؟!

● ومجمل القول: فإن المندوب السامي كان مطلق الحرية في التصرف في الأراضي الفلسطينية كيفما يشاء، وفقاً لهواه وصالح اليهود... واستناداً إلى مواد دستور الانتداب... إذ كان المندوب السامي يصدر أوامره بتحويل الأراضي من صنف لآخر، ليسجلها بأسماء أشخاص أو مؤسسات صهيونية.

* * *

وقام صموئيل بإقطاع اليهود (٢٠٠ ألف دونم) في مرج ابن عامر وأجلى (٩٠٠ أسرة) عن أملاكها التاريخية، وسلط الجيش والشرطة لتنفيذ أوامر الطرد والاستيلاء.

وعمد إلى المشروعات المهمة فسلمها إلى اليهود وحدهم بتسهيلات كبيرة..

ب ـ إعطاء امتيازات للمشروعات المهمة في فلسطين.

ومن تلك المشروعات:

مشروع كهرباء فلسطين عام ١٩٢١م، الذي منحته الحكومة لأحد رجال



اليهود (روتنبرج) واحتكر به توليد الكهرباء في فلسطين كلها ـ ماعدا مدينة القدس الذي كان يحتكرها رجل يوناني منذ عام ١٩١٤م»، وقدمت له تسهيلات أخرى منها حقه في نزع ملكية الأراضي والمباني اللازمة له . . .، وكان الامتياز هذه المدة (٣٢ سنة من تاريخه)، كما قدمت له قرضاً كبيراً وأعفته من الرسوم والضرائب .

هذا وبينما كانت حكومة الانتداب، قد رفضت طلبين، كان قد تقدم بهما اثنان من عرب فلسطين، وقد ترتب على هذا المشروع أن حرم العرب في مصانعهم من الطاقة الكهربائية، مما أدى إلى الحد منها، وانتشار المصانع اليهودية في فلسطين .

●● **وصدر قانون جديد لامتياز الكهرباء عام ١٩٢٧م**، في بداية عهد المندوب السامي الجديد (**اللواء بلومر**)، وتركز اهتمام اليهود على المياه يستعملونها بحرية، فأعطاهم امتيازاً مطلقاً باستعمال المياه الآتي ذكرها لمدة سبعين سنة من تاريخ العقد وهي : مياه نهر الأردن وحياضه، ويشمل ذلك نهر اليرموك، وجميع روافد نهر الأردن وحياضه، وروافد اليرموك وحياضه .

●● وأعطي اليهود امتياز البحر الميت : حصل عليه اثنان من اليهود الروس عام ١٩٢٩م، على أن يتاح لهما استغلال تلك الأملاك لمدة (٧٥ سنة)، وقد شكلوا شركة لاستغلال أملاح البحر الميت، عرفت باسم (شركة البوتاس الفلسطينية)، وقد منح اليهود أراضي شاسعة على حدود البحر الميت، وسلط الجيش على الفلاحين يطردونهم من أراضيهم، وكان (بلومر) ضالعاً مع

الصهيونيين كسلفه (صموئيل) حسب شهادة وايزمن نفسه، « كما ورد في مذكراته ص ٤٠٦ ».

تخفيف بحيرة الحولة: وقد أعطي ذلك الامتياز إلى اليهود، وشرد بموجبه (١٥٠٠ عائلة) من الفلاحين العرب، الذين كانوا يعيشون في تلك المنطقة منذ قرون، وغير ذلك كثير.

وقد سمحت لهم حكومة الانتداب، بإقامة ميناء خاص لهم في تل أبيب لمنافسة ميناء يافا[١].

ج ـ قوانين الهجرة والجنسية:

قانون الهجرة:

لقد أصدرت دولة الانتداب في ٢٦ /آب / ١٩٢٠م، قانون الهجرة الأول لتنظيم عملية دخول اليهود بصفة رسمية، وأنشأت دائرة للهجرة في نفس العام، حتى تشرف على تنفيذ هذا القانون، وقد أسندت رئاسة هذه اللجنة إلى اليهودي الصهيوني (حايمسون) الذي عمل على فتح أبواب البلاد لليهود كما وضع العراقيل أمام الرعايا العرب الوافدين إليها[٢].

●● لقد أوضح قانون الهجرة أنها جائزة لكل من يعولهم اليهودي المقيم في فلسطين من أقاربه ويشمل: زوجته أو أحد والديه أو جديه أو والدي زوجته،

(١) جهاد شعب فلسطين: صالح مسعود أبو يصير، ص١٠٠ – ١٠٣، وسياسة الانتداب البريطاني الاقتصادية: د. إبراهيم الجندي (ص٢٦ – ٣٩، ص٤١).

(٢) سياسة الانتداب البريطاني الاقتصادية: ص٣١ – ٣٢.

أو جديها أو ابنته أو حفيدته، أو أخته أو ابنة أخته أو ابنة زوجته أو حفيدتها، إذا كانت سنهم دون الثامنة عشرة، ويستمر المسلسل في (المادة الثانية من القانون) حتى تتوسع الدائرة لكل من له به صلة ما .

● **وفي المادة (٤) من قانون المهاجرة يمنح الإذن إلى عدة أصناف منها :**

كل من يملك رأس مال لا يقل عن ألف جنيه، وإذا كان يتعاطى الزراعة فتحسب الأدوات الزراعية والمواشي التي تضعها تحت تصرفه أي وكالة معتبرة من قبل الدولة، وأي مال تسلفه له على أن تسدد على مدار عدد من السنين، وكذلك من يتعاطى الأشغال الصناعية .

- ويستمر المندوب السامي في ملء فلسطين باليهود فيشرع :

السماح لكل يهودي ينتسب إلى إحدى المهن الحرة، أو لديه رأسمال لا يقل عن (٥٠٠ جنيه)، أو (٢٥٠ جنيه) إذا كان حاذقاً في إحدى المهن أو الحرف . . .

- وكل من يقوم بوظيفة دينية ومؤمنة له وسائل العيش .

- كما يحق للوكالة اليهودية أن تبلغ مدير الهجرة في استقدام عدد من الأشخصا إلى فلسطين بكفالة، ويذكر أقصى عدد من أصحاب المهن والحرف .

ويعني ذلك : أن دخول فلسطين واستيطانها مباح لكل يهودي »[١] .

---

(١) مجموعة المناشير والأوامر والقوانين الفلسطينية ـ مكتبة الجامعة الأمريكية في بيروت، نقلاً عن جهاد شعب فلسطين : صالح مسعود أبو يصير، ص١٢٢ – ١٢٤ .



• وكل القوانين هذه كانت تؤمن الأيدي العاملة اليهودية والأموال اللازمة، والقوى البشرية لإقامة الوطن اليهودي المنتظر، مع الاغتصاب المستمر لأراضي الشعب العربي المسلم، ومحاولات التجنيس لكل شذاذ الآفاق في العالم.

قانون الجنسية:

أصدرت حكومة الانتداب عام ١٩٢٥م قانون الجنسية الفلسطينية، الذي حفظ للوافدين الجدد من اليهود حق الحصول على الجنسية عن طريق التجنس، واشترطوا لذلك أن يكون قد مرّ على وجود طالب الجنسية في البلاد سنتان، وأن يجيد اللغة العبرية قراءة وكتابة، والقصد من ذلك، إتاحة الفرصة لليهود للحصول على الجنسية الفلسطينية في وقت مبكر.

وتجنس اليهود يمنحهم حق تملك الأراضي على اعتبار أنهم مواطنون وليسوا أجانب... بينما حرم هذا القانون أربعين ألفاً من أصحاب البلاد الشرعيين من هذا الحق، لأنهم كانوا خارج البلاد، وقت صدور ذلك القانون، رغم أنهم من مواليد فلسطين، ومن أبوين فلسطينيين[١].

• وكثيراً ما كان اليهود يتدخلون لدى حكومة الانتداب للحصول على المزيد من جوازات السفر الفلسطينية، حتى يتمكنوا من إدخال المزيد من المهاجرين الجدد إلى فلسطين بطريق رسمي.

---

(١) ينظر: وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطاني ص٥٦٤، عبد الوهاب الكيالي.



هذا وقد تمتع بحق الجنسية، اليهود البريطانيون، واليهود الألمان وقد بلغ مجموع جوازات السفر الفلسطينية التي حصل عليها اليهود حتى عام ١٩٣٨م، نحو (١٧٩٨٨ جواز سفر) من أصل: (٤٠٣٠٣ جواز) التي وزعتها حكومة الانتداب حتى عام ١٩٣٩م.

وبذلك أحكمت حكومة الانتداب حلقات التآمر والتهويد على فلسطين[١].

* * *

---

(١) سياسة الانتداب البريطاني الاقتصادية: ص٣٢ - ٣٥.



المبحث الثالث

أراضي فلسطين في عهد الانتداب البريطاني[١]

لعلنا في هذا المبحث نناقش قضية خطيرة في تاريخ فلسطين الحديث، وهي الأساليب الخبيثة التي اتبعها اليهود والإنجليز في عهد الاحتلال، لنقل أكبر مساحات من الأراضي إلى اليهود.

وذلك ضمن الفقرات التالية:

١ ـ ملكية أراضي فلسطين (حتى عام ١٩١٨م) وكيف كان توزيعها.

٢ ـ قضية بيع الأراضي أوهبتها إلى اليهود، ومدى الظلم الذي أوقعه الإنجليز المحتلون على أهالي فلسطين من طرد وتشريد واحتيال وخبث.

* * *

١ ـ ملكية الأراضي حتى عهد الاحتلال عام ١٩١٨م:

- كانت الأراضي موزعة بالشكل الآتي:

أ ـ الأراضي الأميرية المسجلة باسم الدولة ونسبتها ٤٢,٩٪

---

(١) ينظر في هذا البحث: سياسة الانتداب البريطاني الاقتصادية: د. إبراهيم رضوان الجندي، ص٨٥ ـ ١١٠.



ب - الأراضي المسجلة باسم الملاّك العرب ونسبتها ٥٢٪

ج - الأراضي المسجلة باسم اليهود ونسبتها ٢,٥٪

د - الأراضي المسجلة على الأنهارو والبحيرات ونسبتها ٢,٦٪

● وكانت أكثر الأراضي المسجلة باسم الملاك العرب تملكها أسر إقطاعية من فلسطين وخارج فلسطين.

الأسر الإقطاعية الفلسطينية: كيف نشأ الإقطاع لديها؟!

لقد ملكت الأراضي الشاسعة بسبب تهرب صغار الملاك والبدو من قانون الجندية العثماني، كما أن بعضهم كان لا يملك رسوم التسجيل ودفع الضرائب السنوية المترتبة على ملكية الأراضي

مما دفع الحكومة إلى بيع تلك الأراضي بالمزاد العلني إلى كبار الملاك بأثمان زهيدة، ولذلك نشأت بعض الأسر الإقطاعية، وصارت تملك قرى بأكملها.

● ومن هذه الأسر الإقطاعية: أسرة عبد الهادي، التي كانت تملك (١٧ قرية)، وعائلة الجيوشي، وكانت تملك (٢٤ قرية)، وعائلة الحسيني، كانت تملك خمسين ألف دونم، وعائلة الشوّا، كانت تملك (١٥٠ ألف دونم) وكذلك الأمر بالنسبة لعائلات الغصين والفاهوم والطبري وغيرهم[١].

أمّا الأسر الإقطاعية غير الفلسطينية:

فقد تملكت بسبب قوانين الالتزام العثمانية لجمع الضرائب من الفلاحين،

---

(١) سياسة الانتداب البريطاني الاقتصادية، ص٩٣.



وقانون الأراضي العثماني، مما دفع الفلاحين إلى الالتجاء للعائلات صاحبة النفوذ في البلاد للبعد عن الجندية والضرائب... إذ كان الفلاحون مقابل ذلك يسجلون أراضيهم بأسماء تلك العائلات، كما أن الفلاحين استمروا في العيش على تلك الأراضي، على أن يقدموا للأسر الحامية لهم خمس محصول الأراضي... وقد استغلت تلك الأسر ظروف الفلاحين وسجلت مساحات واسعة من أراضي فلسطين بأسمائها، وهذا ما فعلته عائلة (سرسق اللبنانية النصرانية، حيث سجلت مساحات من أراضي مرج ابن عامر باسمها[1].

● وكانت الدولة العثمانية تشترط لبيع الأراضي المعلن عنها بسبب عجز أصحابها عن سداد الديون والضرائب ـ أن تكون القطعة كاملة غير مجزأة، وتبعاً لذلك لم يقدم على شرائها إلا الأسر الغنية، لأنها قادرة على ذلك[2].

●● وبهذه الطريقة تمكنت عائلة «سرسق» عام ١٨٧٩م، من شراء عدد من القرى منها: «العفولة وتل الشمام والفولة وسمونة، وكفرتا وبيت لحم وغيرها كثير».

واشترت في عام/ ١٨٨٢ صفقة ثانية، ضمت أربع قرى مها: (المجدل والهريج والمحارثية).

واشترت أسر أخرى بهذه الطريقة كعائلة الخوري البيروتية فاستطاعت تلك

---

(١) ينظر: القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، محمد عزة دروزة ج١، ص٦٠ – صيدا، ١٩٥٩م.

(٢) غوطة دمشق: محمد كردعلي، ص١٠٦، دمشق ١٩٤٩م.





الأسر أن تجمع بيدها ملكية أكبر مساحة ممكنة من أراضي فلسطين، وقدمتها فيما بعد لقمة سائغة لليهود وبأثمان بخسة[١].

●● أما أراضي الوقف العامة والخيرية، فقد عملت سلطات الانتداب على تملكها عنوة ثم ترحيلها إلى اليهود، كما سبقهم الاتحاديون إلى هذا الدور المشبوه[٢].

٢ ـ بيع الأراضي وأساليب تمليكها لليهود:

هذه مشكلة تضاربت حولها الأقوال، ولعلنا على ضوء الحقائق التاريخية نقدم إيضاحاً لها.

● لقد تمكن اليهود من التسلط على الأراضي الأميرية بفلسطين بمساعدة جمعية الاتحاد والترقي الماسونية الطورانية[٣].

●● وسارت حكومة الانتداب البريطاني المتواطئة مع اليهود، على نفس سياسة الاتحاديين، من تمكين اليهود، من الأراضي الفلسطينية مما ترتب على ذلك طرد مئات الأسر العربية من أملاكها التي كانت تسلمها السلطات لليهود منحة سائغة، لأنها أملاك أميرية.

● فقد طردوا من سهول مرج ابن عامر مالا يقل عن (٩٠٠ أسرة) عربية

---

(١) سياسة الانتداب البريطاني الاقتصادية، ص٩٥ – ٩٧، وانظر جهاد شعب فلسطين، ص٤٦٥ – ٤٨٥.

(٢) المرجع السابق.

(٣) جريدة القبس، بيروت، ٢٦ أبريل، ١٩١٢، ص٣.





من أملاكها التاريخية، كما أقطع الإنجليز لليهود أراضي الكبارة وعتليت وتلال قيسارية ما يبلغ (١٧٥ ألف دونم) من أراضٍ سكنها العرب وفلحوها منذ أكثر من ألف عام...

إضافة إلى الأراضي الأميرية التي وهبتها حكومة الانتداب لليهود لإقامة مشاريعهم الصناعية عليها[١].

●● كما أصدر المندوب السامي مرسوماً يقضي بتسليم أراضي الغور لليهود وكان هذا الغور مسجلاً باسم السلطان عبد الحميد، يفلحه العرب ويعمّرونه ويقضي هذا بطرد آلاف الفلاحين العرب الذي توارثوا زراعته منذ مئات السنين، وقد صدر هذا المرسوم في شهر نيسان من عام ١٩٢١م[٢].

● واستمر مسلسل الإجرام والظلم، إذ أخرجت قوات الاحتلال البريطاني عرب وادي الحوارث البالغ عددهم (٢٤٠٠ نسمة) مع مواشيهم، من أراضيهم التي ورثوها عن أجدادهم، فقد شردوا وهم حيارى لا يجدون ما يلجأون إليه.

كما أخرجت عرب الحويطات الذين كانوا يقيمون في قضاء طولكرم، كما طردت عرب الزيادنة من قرية جيوسي بالقرب من طولكرم[٣].

● وكان الفلاحون الذين يفقدون أرضهم، يهيمنون على وجوههم، فلا

---

(١) جهاد شعب فلسطين: صالح مسعود أبو يصير، ص١٠٠ – ١٠٦.

(٢) المرجع السابق.

(٣) جريدة صوت الحجاز ـ مكة المكرمة ـ الأعداد (٦٤ – ٧١ – ٧٤)، عام ١٩٣٣م، ص١، ٣.



يجدون ما يحتمون به، مما أوجد مشكلة لأولئك المزارعين، الذين تحولوا إلى فئة من المشردين العاطلين عن العمل.

* * *

أما قضية بيع الأراضي:

فيتحمل وزرها الكبير الأسر الإقطاعية الفلسطينية وهي محدودة، فقد باعت قسماً من أراضيها تحت الإغراء الشديد في ارتفاع الأسعار، ولكنها كانت تهدد من قبل المجاهدين، وقُتِل العديد من أولئك الخونة.

● أما صغار الملاك من الفلاحين، فقد كان بعضهم مثقلاً بالدين والضرائب في العهدين: العثماني والاستعمار مما اضطرهم إلى رهن بعض أراضيهم والاستدانة بالربا، أو بيع بعضها، ليستوفي الدائنون حقوقهم، وليفوزوا بالأرض والمال معاً في النهاية[1].

●● ولكن هذا لا يعني عدم وجود فئة من الفلاحين ضلت سواء السبيل فوقعت تحت إغراء بريق الذهب، فباعت من أرضها لليهود، إلا أن هذه الفئة كانت ضئيلة جداً، ولا تشكل إلا نسبة (٩٪) مما اشتراه اليهود.

ومع ذلك لم ينج هؤلاء من حكم الإعدام، الذي نفذه الشعب الفلسطيني المجاهد بكل من باع أرضاً، أو سمسر على بيعها لليهود، إلا مَنْ فرّ هارباً خارج فلسطين...

---

(١) جريدة صوت الحجاز العدد ٦٤، يوليو ١٩٣٣، الصفحة الأولى.



نفذوا حكم الإعدام بالعديد من أولئك الخونة، ولمنع تسرب الأراضي إلى اليهود، عقد علماء فلسطين مؤتمراً لهم في ٢٥ / يناير/١٩٣٥م، وأصدروا فتوى بتحريم بيع أي شبر من أراضي فلسطين لليهود مباشرة أو بواسطة السماسرة، واعتبر البائع والوسيط خارجين عن الدّين، ويحرمان من الدفن في مقابر المسلمين، ويقاطعان ويشهر بهما[١].

أما الأسر الإقطاعية غير الفلسطينية:

فقد باعت القسم الأكبر من الأراضي المباعة لليهود، وهي أسر سورية ولبنانية حازت تلك الأراضي إبان الحكم العثماني.

وقد ذكرنا في الصفحات السابقة (عائلة سرسق)، التي امتلكت كثيراً من القرى والأراضي أيام الحكم العثماني، إذ كانت من طبقة التجار، وتمكنت من طرد المزارعين العاملين منها بقوة الاحتلال البريطاني.

● **وقد بلغ مجموع المساحات المباعة من الأسر الإقطاعية لليهود** ما بين عام ١٨٧٨م وعام ١٩٣٦م، **حوالي: ٣٨٨٩٧٤ دونم**، ومن أشهر تلك العائلات: آل سرسق وآل تويني، وآل الخوري، وآل قباني، وآل سلام، وآل تيان، وآل شمعة وآل القوتلي، وآل العمري والمارديني وآل اليوسف وبيهم وغيرها[٢].

---

(١) جهاد شعب فلسطين ص٤٩٠، وسياسة الانتداب البريطاني الاقتصادية، ص١٠٨ – ١٠٩، وينظر: نماذج لحالات الاغتيال ضد من يبيع أرضه لليهود، في كتاب جهاد شعب فلسطين، ص٤٩٠ – ٤٩٢.

(٢) ينظر جهاد شعب فلسطين ص٤٦٥ – ٤٨٥.



● وقد أرد صاحب كتاب (جهاد شعب فلسطين) تفصيلات حول أسماء الأسر الإقطاعية مع بيان القرى والأراضي التي باعتها لليهود، مع ذكر نماذج لعقود بيع الأراضي.

● منها نموذج عقد لبيع أراضي آل عبد الرحمن اليوسف، رئيس مجلس الشورى أواخر عهد الملك فيصل بن الحسين، وقد قتل خلال ثورة في حوران ضد عملاء فرنسا في خربة غزالة، ويشمل العقد ما يزيد عن (٢٣ قرية وموقع) في سوريا الجنوبية، وفي منطقة القنيطرة والزوية، ومنها قرى البطيحة والحسينية وشقيق وجديا وخسفين وأم الدنانير، وقسم منها كان تابعاً لحكومة فلسطين[١] .

● **كما تصرفت سلطات الاحتلال البريطاني بأراضي الوقف** وكانت كثيرة في فلسطين، سواء وقف الأفراد أو السلاطين أو الأمراء، وكان أغلبها محبوساً على العلم والمساجد، ومساعدة الفقراء . .

● فقد باعت حكومة الانتداب لليهود ثلث أراضي (حطين) مع علمها بأنها أراضي موقوفة من قبل أخت السلطان العادل الأيوبي، وغير ذلك كثير[٢] .

كما أن حكومة الاتحاديين مكنت اليهود من الوصول إلى بعض تلك الأراضي، أيام حكمهم لبلاد الشام، وكانت قد أخرجت لهم صكاً شرعياً بأراضي (السدرة » الموقوفة في مدينة الرملة بفلسطين، واعتبرتها من الأراضي الأميرية وفاوضتهم على شرائها[٣] .

---

(١) المرجع السابق : صالح أبو يصير ص ٤٧١ - ٤٧٨ .

(٢) سياسة الانتداب البريطاني الاقتصادية، د. إبراهيم الجندي ص ١١٠ .

(٣) جريدة فتى العرب في ٢ يوليو ١٩١٤م، ص٣ .

● والنتيجة لهذا كله: أن عرب فلسطين لم يمكنوا الصهيونية (بكل ثقلها الخطير) من أن تتسرب إلى أرضهم إلا بنسبة قليلة جداً، ويتضح لنا ذلك من الإحصائية القادمة، حيث أن كل ما تملكه اليهود عن طريق عرب فلسطين مباشرة، لا يزيد عن (٦٨ ألف دونم)، بينما كانت المساحات الشاسعة هي التي سلمت إليهم عن طريق قوانين نزع الملكية والاغتصاب والمنح.. أو عن طريق الأسر الإقطاعية التي لا ترتبط بتلك الأراضي ارتباط أهلها بها.

● وجملة القول فإن سلطات الانتداب قدمت لليهود أجود الأراضي، بوسائل مختلفة، كشفنا عن بعضها في هذا المبحث.

●● ولعل الجدول التالي يوضح لنا كيفية انتقال الأراضي لليهود[1].

١ ـ ما تملكه اليهود تملكاً عادياً خلال قرون طويلة أيام الحكم العثماني ٦٥٠ ألف دونم.

٢ ـ ما منتحته بريطانيا للوكالة اليهودية مجاناً ٣٠٠ ألف دونم.

٣ ـ ما باعته بريطانيا للوكالة اليهوديةبثمن رمزي ٢٠٠ ألف دونم.

٤ ـ ما منحته بريطانيا لشركة البوتاس اليهودية مجاناً ٧٥ ألف دونم.

٥ ـ ما باعته بريطانيا لشركة البوتاس اليهودية بثمن رمزي ٦٤ ألف دونم.

٦ ـ ما منحته بريطانيا لشركة الكهرباء اليهودية مجاناً ١٨ ألف دونم.

٧ ـ ما باعته بريطانيا لليهود من الأوقاف المسيحية ٢٢ ألف دونم.

---

(١) جهاد شعب فلسطين: صالح مسعود أبو يصير، ص٤٨٨.

٨ ـ ما باعته أسرة سلام لليهود ١٦٥ ألف دونم

٩ ـ ما باعه آل سرسق لليهود ٤٠٠ ألف دونم .

١٠ ـ ما باعته أسرة التيان لليهود ٣٩ ألف دونم .

١١ ـ ما باعته أسرة التويني والقباني وشمعة والقوتلي والجزائرلي وآل يوسف ٧٤ ألف دونم .

●● أي أن ما ملكه اليهود حتى انتهاء الانتداب ٢٠٧٥,٠٠٠ دونم

● وما سلب واغتصب كما هو مبين أعلاه ٢٠٠٠٧,٠٠٠ دونم

● وما ملكه اليهود بأوامر المندوب السامي ومختلف القوانين الظالمة من أراضي فلسطين ٦٨,٠٠٠ دونم .

●● وبذلك تتضح لنا المؤامرة الصهيونية الصليبية بأبشع صورها .

* * *

المبحث الرابع

جهاد شعب فلسطين في فترة الانتداب البريطاني (١٩١٧ - ١٩٤٧)

لم يهدأ المسلمون في فلسطين منذ أن احتلت ديارهم . . . إذ شعروا بالخطر المحدق بهم، فشكلوا الجمعيات، وعقدوا المؤتمرات وقدموا الاحتجاجات ضد سياسة الاحتلال والتهويد .

وعندما لم تجدهم هذه السبل، قامت الاضطرابات والثورات المتلاحقة تعلن الجهاد في سبيل الله .

● وكان للتيار الإسلامي دوره الرائد في هذه المرحلة، ويمكن تقسيم مراحل الجهاد في هذه الفترة إلى ثلاث مراحل فرعية[١] هي :

- المرحلة الأولى ما بين ١٩٢٠ – ١٩٢٩م .

---

(١) اعتمدنا في هذا المبحث على المراجع التالية :

أ - التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد : محسن محمد صالح - مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ .

ب - الطريق إلى القدس : د. محسن محمد صالح، منشورات فلسطين المسلمة، طبعة ثانية، لندن، ١٩٩٧م .

ج - جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، صالح مسعود أبو يصير .





ـ المرحلة الثانية مابين ١٩٢٩ - ١٩٣٩م.

المرحلة الثالثة ما بين ١٩٣٩ - حتى بداية ١٩٤٨م.

●● ونقتصر في هذا المبحث على جهاد الشعب المسلم داخل فلسطين خلال مرحلة الانتداب البريطاني، وقد كان جهاداً مشرفاً، يؤتي ثماره، لو أمدته الدول العربية بالسلاح اللازم، ورغم ذلك، كان أجدى من الحروب الرسمية بين دول العرب وإسرائيل بعد عام/١٩٤٨م.

المرحلة الأولى من الجهاد (١٩٢٠ - ١٩٢٩م):

بدأت بسبب تحرش اليهود بالعرب عندما كانوا يحتفلون ـ كعادتهم ـ بما يسمى (احتفال النبي موسى) في نيسان/١٩٢٠م، فحاول اليهود خطف العلم العربي وإهانة حامله.

فدارت معركة بين العرب من جهة، والجيش البريطاني واليهود من جهة ثانية.. وحاصرت القوات البريطانية المدينة المقدسة، واستمر القتال حتى نهاية اليوم الخامس.. مما أسفر عن قتل تسعة من اليهود وأربعة من العرب مع إصابة (٢٥٠ جريحاً).

وكانت هذه هي الثورة الأولى ضد المعتدين، وكان هؤلاء الأربعة هم الطليعة الأولى لقافلة شهداء فلسطين[١].

●● وكان أهم أحداث هذه المرحلة: ثورة البراق (١٥ - ٣٠ آب) إذ

---

(١) جهاد شعب فلسطين: صالح مسعود أبو يصير، ص٨٩.



شملت معظم مناطق فلسطين دفاعاً عن الحق الإسلامي في حائط البراق، وهو الحائط الغربي للمسجد الأقصى، ويطالب اليهود عادة بامتلاكه، باعتباره حائط المبكى، الذي يقدسونه ويصلون عنده[1] .

وقد قامت معركة عنيفة عند ممر « البراق« في بيت المقدس، ثم جدَّد العرب هجماتهم على مجموعات مسلحة من اليهود، جرح خلالها (١٠٧) أشخاص من الفريقين، وخسر اليهود (٢٨ قتيلاً)، وسقط من العرب (١٣ جريحاً) .

وكانت المعركة تدور في أحياء القدس من شارع إلى شارع، واستمرت طوال (٢٣ آب) .

● ثم سرت أنباء الثورة، **فقامت معركة في الخليل** سقط فيها ستون يهودياً وخمسون جريحاً، فأسرعت قوات الاحتلال إلى توزيع السلاح على الرعايا البريطانيين وآلاف اليهود المدربين . . .

وهاجم العرب مراكز البوليس، فنشبت معركة أخرى في ضواحي الخليل قتل فيها (مائة رجل) من الطرفين، كما نشبت معركة جديدة في مدينة **صفد** قتل فيها تسعة من اليهود وجرح (٢٨ منهم) .

●● ورغم تسليح اليهود، فقد تمكن المجاهدون وهم عزل من السلاح من الإيقاع بأعدائهم . . . فاستدعت بريطانيا قواتها من داخل فلسطين وخارجها، منها سرب من الطائرات يتكون من (١٣ طائرة)، كانت تحلق فوق المسجد الأقصى والمسلمون يؤدون صلاة الجمعة في آخر أيام شهر آب / ١٩٢٩م[2] .

---

(١) الطريق إلى القدس: دكتور محسن محمد صالح، ص١٧١ .

(٢) جهاد شعب فلسطين: صالح مسعود أبو يصير، ١٣٦ – ١٣٧ .



● يقول كاتب عربي عاصر تلك الأحداث: «إن الثورة استمرت خمسة عشر يوماً، قتل وجرح خلالها (٤٧٢ يهودياً)، وكانت ضحايا العرب (٣٣٨) بين قتيل وجريح»[١].

●● ورجع المندوب السامي (تشانسلور) من لندن على عجل، ولم يحقق بالأمر، بل ندد بالثوار في منشور رسمي قائلاً: «... عندما عدت من المملكة المتحدة، وجدت بمزيد من الأسى أن البلاد في حالة اضطراب... وقد راعني ما اقترفته جماعات من الأشرار؟! سفاكي الدماء من أعمال القتل الوحشية ضد أفراد من الشعب اليهودي خلواًمن وسائل الدفاع؟!.

والتي صحبتها أعمال وحشية همجية في الخليل.. فواجبي الأول أن أوقع القصاص الصارم بأولئك الذين ارتكبوا أعمال العنف..»[٢].

● ورغم أن العرب قد تصدوا للمندوب السامي، بالرد على افتراءاته بمنشور في شهر/ سبتمبر أيلول/ عام ١٩٢٩م.. فإن المندوب البريطاني اعتقل مئات من الشباب العرب، وأصدر الحكم بإعدام عشرين منهم، ونفذو الحكم بالشهداء الثلاثة: (فؤاد حجازي، عطا الزير ـ محمد جمجوم)، كما حكم بالسجن المؤبد على (٢٣ مجاهداً)، وعلى (١٨٧ عربياً بالسجن لمدد مختلفة) وفرضت غرامة مالية على عدد من القرى العربية، وحددت إقامة كثير من الزعماء في أماكن نائية من فلسطين»[٣].

---

(١) فلسطين بين الانتداب والصهيونية: عيسى السفري، طبعة القدس، ١٩٣٧م، ص١٦.

(٢) محاضرات في تاريخ فلسطين: أحمد طربين، ص٢٢٣، القاهرة ١٩٥٨م.

(٣) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين: أميل الغوري، ص٦٨، دار النيل للطباعة، القاهرة، ١٩٥٥م.



● بينما لم يحكم على أي يهودي بالإعدام في تلك الأحداث، والتي كانوا هم سببها، باستثناء يهودي واحد (جانكيز) كان شرطياً مجرماً، دخل بسلاحه، فأباد أسرة (عون العربية) المكونة من سبعة أفراد، على أنه قد خفف عليه الحكم إلى المؤبد، ثم إلى خمسة عشر عاما، ثم أطلق سراحه بعد قليل[١].

● هذه هي عدالة حكام بريطانيا، حلفاء العرب، الذين مهدوا لهم احتلال فلسطين وبلاد الشام.

المرحلة الثانية: (١٩٢٩ - ١٩٣٩م):

وقد شهدت هذه المرحلة أحداثاً جسيمة، وحركات جهادية قوية، على رأسها حركة الشيخ المجاهد عز الدين القسام، وقيام منظمة الجهاد المقدس يقودها المجاهد عبد القادر الحسيني وثورة فلسطين الكبرى عام ١٩٣٦ - ١٩٣٩م.

كما شهدت نزول مفتي فلسطين، الحاج أمين الحسيني إلى ميدان قيادة الحركة الوطنية بشكل علني مباشر، بعد أن فقد مناصبه الرسمية وهرب من فلسطين ١٩٣٧م، وتابع توجيه الثورة من لبنان[٢].

كان الشيخ القسّام: قد ولد في بلدة «جبلة» في سوريا عام ١٨٨٢م، ودرس في الأزهر وعاد يدعو إلى الإسلام في بلده، وكان من قادة الثورة السورية ضد الفرنسيين، فطورد من فرنسا، وهرب إلى فلسطين بعد أن توقفت الثورة، واستقر في مدينة حيفا..

---

(١) جهاد شعب فلسطين: صالح مسعود أو يصير، ص١٤١.

(٢) الطريق إلى القدس: د. محسن محمد صالح، ص١٧٢، ما بعدها.





كان القسام رحمه الله رجلاً مؤمناً، وعالماً صادقاً، محبباً إلى الناس، حمل همومهم وشاركهم أفراحهم وأتراحهم، وكان خطيباً بارعاً، قوي الحجة، متفاعلاً مع واقع عصره...

● أسس القسام تنظيماً جهادياً سرياً يستمد منهجه من تعاليم الإسلام، وكان إماماً وخطيباً لمسجد «الاستقلال» في مدينة حيفا منذ سنة/ ١٩٢٥م[١].

كان يلتقي بتلاميذه في مسجد حيفا الكبير، وكانت دروسه إحياء لدروس أعلام المسلمين المجاهدين الذين يؤمنون بأنه لا كرامة لمسلم يرضخ للأعداء، أو يطمئن إليهم: ﴿**ومن يتولهم منكم فإنه منهم**﴾.

● وابتدأت المنطقة تشهد أعمالاً بطولية، من اغتيالات لضباط الإنجليز، إلى مهاجمة معسكرات الجيش البريطاني، وكانت هذه الأعمال تتم تحت جنح الظلام، فسرت روح الجهاد بين المسلمين في فلسطين، وازدادت متاعب الإنجليز الظلمة[٢].

●● ورغم أن جماعة القسام لم تعلن عن نفسها إلا في وقت متأخر، فإنها قامت بعدد من العمليات العسكرية الموجعة، وخصوصاً في الفترة ما بين (١٩٣٠ - ١٩٣٢م).

---

(١) الطريق إلى القدس: د. محسن محمد صالح، ص١٧٢، وما بعدها وانظر تفصيلاً عن هذه الثورة: التيار الإسلامي في فلسطين: د. محسن محمد صالح، ص٢٣١ - ٣٣٠.

(٢) جهاد شعب فلسطين: صالح مسعود أبو بصير، ص١٧٥ - ١٧٧.

ـ وقد باع القسام بيته الوحيد في حيفا عام (١٩٣٥م) في شهر أكتوبر وباع أصحابه حلي زوجاتهم، وبعض أثاث بيوتهم، ليوفروا الرصاص والبنادق، واختفوا عن الأنظار يجاهدون في الأحراج والجبال[١] .

●● وبعد العشرين من نوفمبر/ ١٩٣٥م، طوقت قوات كبيرة من الشرطة تقدر بـ (٤٠٠ رجل) معظمهم من الإنجليز، طوقوا القسام ومعه عشرة من إخوانه في أحراش (يعبد) في منطقة جنين، واستمرت المعركة أربع ساعات ونصف منذ الخامسة والنصف صباحاً، وقتل فيها من الإنجليز خمسة عشر مقاتلاً، واستشهد القسام واثنان من أصحابه وأسر الباقون من المجاهدين .

وقد أحدث مقتل القسام ورفاقه هزة عنيفة في فلسطين، فشيع جنائزهم حوالي ثلاثين ألفاً من الأهالي، قدموا إلى حيفا من مختلف أنحاء فلسطين .

● لقد كان لحركة القسام الأثر القوي في حماس الجماهير المؤمنة، وصارت معلماً رائعاً من معالم الجرأة والجهاد العلني ضد الإنجليز وأعوانهم من اليهود . . واشتدت كراهية العرب لحكومة الانتداب، وصدق حدس القسام حينما قال قبل بدء المعركة : « إنه وإخوانه عبارة عن عود ثقاب، سيشعل الثورة في البلاد »[٢] .

قال الشاعر فؤاد الخطيب يرثي القسام رحمه الله :

أولت عمامتك العمائم كلها ... شـــرفاً تقصر عنده التيجان

إنّ الزعامة والطريق مخوفــة ... غير الزعامة والطريـــق أمان

---

(١) ثورة الشهيد عز الدين القسام : عوني عبد الهادي، ص٩ ، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن .

(٢) الطريق إلى القدس : محسن محمد صالح، ص١٧٥ – ١٧٦ .

●● فالعالم الصادق لا يدعو إلى الجهاد، ويقبع وراء أعمدة المساجد، بعيداً عن الميدان، لقد خط القسام طريق الجهاد ضد أعتى قوة آنذاك: بريطانيا وحلفائها من يهود.

●● وإن عود الثقاب الذي أشعل الثورة في فلسطين قد استمر أوارها عشرات السنين، حتى أعلنت كتائب عز الدين القسام المجاهدة، والتابعة لمنظمة حماس راية الجهاد ضد كيان إسرائيل، وعملاء إسرائيل في الداخل والخارج.

منظمة الجهاد المقدس:

تشكلت هذه المنظمة سنة ١٩٣٤م برئاسة عبد القادر الحسيني، وكان مركزها القدس، وبلغ عدد أعضائها (٤٠٠ عضو). وفي عام ١٩٣٥م التقى الحاج أمين الحسيني، بالمجاهد عبد القادر وزملائه المسؤولين، ودعاهم إلى توحيد الجهود، ونتيجة لذلك تشكلت «منظمة الجهاد المقدس» برعاية المفتي وتحت إشرافه، وكان لهذه المنظمة وقيادتها أثر قوي في حركة الجهاد ما بين (١٩٣٥ – ١٩٤٨م)[١].

ثورة فلسطين الكبرى (١٩٣٦ - ١٩٣٩م):

تعتبر ثورة فلسطين الكبرى هذه، من أشد الثورات على اليهود وأعوانهم من الإنجليز...

وكانت الثورة ذات طابع إسلامي واضح، وتركزت العمليات في شمالي فلسطين ولواء نابلس، حيث أن جماعة القسام كان وجودها مكثفاً هنالك...

---

(١) أميل الغوري: فلسطين عبر ستين عاماً، ص١٥٦ – ١٥٩، نقلاً عن المرجع السابق.

وقاموا بعمليات ضخمة، ومن ذلك اغتيال الحاكم البريطاني لمنطقة الجليل «أندروز» وقد ساهم ثلاثة من أتباع القسام (من أصل ستة) في تنظيم وقيادة الثورة.. واختاروا (فوزي القاوقجي) قائداً عاماً للثورة حتى ١٢ /أكتوبر/ ١٩٣٦م.

● وكان قد تولى قيادة منطقة القدس، المجاهد عبد القادر الحسيني وكان للمفتي الحاج أمين دور رائد في تنظيم وتمويل الثورة، بشكل غير معلن في المرحلة الأولى، ومباشر في مرحلتها الثانية[١].

●● ثم تشكلت اللجنة العربية العليا، من جميع الاتجاهات الوطنية برئآسة الحاج أمين الحسيني - مفتي فلسطين - ودعت إلى إضراب عام شامل بسبب سياسة بريطانيا الاستفزازية، واستمر ذلك الإضراب مدة ستة أشهر ما بين شهري أبريل وأكتوبر من عام ١٩٣٦م، فكان الإضراب صورة رائعة ونادرة من صور البطولة والصمود، فقد أضرب جميع المواطنين من طلاب المدارس، وأصحاب الغرف التجارية، ورؤساء المدن ومديري البلديات، وأعلن الأطباء العرب أنهم سيعالجون المرضى مجاناً مهما طال الإضراب، كما أضرب سائقو السيارات والمدرسون وعامة الموظفين، وأغلقت المتاجر الكبيرة والصغيرة، وامتنع القرويون عن إنزال محصولاتهم إلى الأسواق...[٢]

---

(١) ينظر التيار الإسلامي في فلسطين، محسن محمد صالح، (ص٣٦١ - ٤١٢).

(٢) جهاد شعب فلسطين، ص١٨٠ - ١٨٣، بإيجاز.



أما أحداث الثورة[١] :

فقد كانت عامة وشاملة، اشتعلت في كافة أنحاء فلسطين، وذلك أن العرب ماعادوا يثقون في الإنجليز، وطالب رئيس اللجنة العليا العالمين العربي والإسلامي «أن يدركوا فلسطين قبل أن تصبح أندلساً ثانية»[٢] وقد صدق حدس المفتي رحمه الله . . .

● كانت ثورة عارمة، شملت المدن والقرى، وأعلنت بريطانيا، بأن خسائرها بلغت مليونين من الجنيهات، حتى الرابع من حزيران من عام / ١٩٣٦ . . . كما استدعت قوات إضافية من . . . مصر، فساهمت الطائرات والدبابات والأسلحة المختلفة لإخماد الثورة . . .

وأفادت بلاغات حكومة الانتداب بوقوع أربعين حادثة ضد أهداف إنجليزية وصهيونية ما بين (٢٤ يونيو إلى ٣٠ منه) من نفس العام، وقد جُنّ جنون المندوب السامي نتيجة لذلك فأصدر أوامره بإبعاد عدد من الوجهاء البارزين أيضاً، وصبّ جام غضبه على شعب فلسطين، حتى شرّدَ من كل بيت عدداً وأبعد من كل أسرة قسماً[٣] .

● أما اليهود فقد اضطربت أحوالهم اضطراباً خطيراً، فهجروا المستعمرات، وتجمعوا في تل أبيب، وهددتهم المجاعة، فتظاهروا يطالبون بالخبز، فأكثرت

---

(١) المرجع السابق، ص١٨٣ – ١٩٤، بإيجاز شديد .

(٢) فلسطين بين الانتداب والصهيونية : عيسى السفري، طباعة القدس، ١٩٣٧م .

(٣) جهاد شعب فلسطين، ص١٩١ – ١٩٣ .



سلطات الانتداب من منشورات التهديد، تلقى على معاقل الثوار، وفوق القرى وقمم الجبال، ولكن دون جدوى[1].

●● **أما المجاهدون فقدموا مئات الشهداء والجرحى، وحملت أقاصيص البطولة والفداء حقائق مشرفة**، عن أبطال الثورة وذويهم، يحدوهم إيمان عميق وتصميم قوي...

- **فهذا الشيخ قاسم محمد الشايب من علماء الإسلام**، استشهد في معركة «بلعا» ولم يوجد بين ثيابه إلا مصحف كريم، وإثنا عشر مليماً فقط، كان هذا كل رأسماله من الدنيا.

- وتلك المرأة القروية المسلمة: تقف إلى جانب جثث القتلى، ثم تشير إلى إحدى الجثث وتقول: «إنه يشبه ابني» وتترك الجثة لتدخل القرية وهي تزغرد، فقد تبين لها أن الشهيد كان ابنها.

- وتلك عروس شابة لاحظت حزن زوجها لأنه لا يجد بندقية يشارك بها الثوار المجاهدين، فباعت بيتها الذي ورثته عن والدها، واشترت بثمنه ذخيرة وسلاحاً، وشجعت زوجها «**محمود شحادة النابلسي**» للحاق بالثورة، فأسهم بشجاعة وبطولة حتى استشهد في معركة «وادي الطواحين» يوم ١٣ / تموز / ١٩٣٦م[2].

---

(١) ينظر نماذج من تلك المناشير، جهاد شعب فلسطين، ص١٩٥ - ١٩٨م، منقولة عن جريدة الأهرام أعداد يوليو ١٩٣٦م.

(٢) جهاد شعب فلسطين: صالح مسعود أبو يصير، ص٢٠٣ - ٢٠٤.

● فهذه صور رائعة من صور الجهاد المقدس، تعيد إلى الأذهان بطولات جهاد الرعيل الأول . . .

بمثل هذا الجهاد الإسلامي، تسترد المقدسات ولو بعد حين، ولن يستردها اللاهون وراء أمريكا وإسرائيل، على طاولة المفاوضات السرية حيناً، والعلنية حيناً، والمقدسات لا يعيدها إلا الأطهار المؤمنون، وليس سكان الفلل وسارقي قوت شعبهم، والمقامرين بالشعارات!!.

● إن الثورة لم تهدأ حتى سعت بريطانيا لدى أصدقائها من الملوك والرؤساء العرب من أجل التوسط لحل المشكلات سلمياً؟!.

فوجهوا نداء جاء فيه: «إننا ندعوكم للإخلاد إلى السكينة، معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية؟ ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل وسنواصل السعي في سبيل مساعدتكم»[1].

●● إلا أن الثورة استمرت، وانتشرت في عموم أنحاء فلسطين، خصوصاً في صيف عام/١٩٣٨م، ونفذت آلاف العمليات العسكرية كما أن الثورة أقامت لنفسها مراكز قيادة ميدانية، ومحاكم تحكم بين الناس بكتاب الله وسنة رسوله . . .

ولم تستطع بريطانيا القضاء على الثورة إلا بعد الاستعانة بسدس جيشها الامبراطوري، وبعد استدعاء أقوى قادتها العسكريين، وبعد أنْ أعادت

---

(١) نداء الملوك والرؤساء العرب لشعب فلسطين عام ١٩٣٦م، عن جهاد شعب فلسطين، ص١٧٨.



احتلال أرض فلسطين جزءاً جزءاً في حرب شرسة، استخدمت فيها الطيران والدبابات وكل التقنيات العسكرية الحديثة[١].

المرحلة الثالثة من مراحل جهاد شعب فلسطين: (١٩٣٩ - ١٩٤٧م):

كانت هذه المرحلة عصيبة، فكانت أجواء الحرب العالمية الثانية تخيم عليها، كما أنها شهدت ظروفاً ومستجدات خطيرة.

- من ذلك نمو النفوذ اليهودي العالمي، واتساع المؤامرة الصهيونية (دولياً) على فلسطين.

- ومن ذلك تولي الأنظمة العربية لقضية فلسطين، مع إضعاف الدور الفلسطيني ممثلاً في الهيئة العربية العليا...

- كما شهدت تنامي التيار الإسلامي، الذي أسهم بما يملك من جهود محدودة، في مواجهة الخطر الصهيوني والعدوان البريطاني[٢].

● وبعد صدور قرار التقسيم المشؤوم من قبل عصابة الأمم المتحدة عام/ ١٩٤٧م، اشتدت المعارك في قرى فلسطين ومدنها، وسقط عشرات القتلى طوال هذا العام... وكلما لاح النصر للمجاهدين كانت بريطانيا تتدخل لصالح عصابات اليهود، الذين تسلحوا بكافة الأسلحة الفتاكة بما في ذلك الطائرات والآليات الثقيلة بينما كان المجاهدون يشكون (مر الشكوى) من قلة السلاح

---

(١) التيار الإسلامي في فلسطين: محسن محمد صالح، ص٣٣١، ٣٥١، بإيجاز وتصرف.

(٢) الطريق إلى القدس: محسن محمد صالح، ص١٧٩.



والذخيرة، وأن الدول العربية لم تف بوعودها في إمدادهم بالسلاح[1] .

●● لقد هيأ الإنجليز عصابات اليهود لتصبح جيشاً منظماً مسلحاً مدرباً أحسن تدريب، فكان مجموع المحاربين من اليهود عند صدور قرار التقسيم لا يقل عن سبعين ألف مقاتل، انتظمت تحت قيادة واحدة وجيش واحد .. يقابلهم المجاهدون بأسلحتهم المحدودة، لكنهم كثيراً ما كانوا ينتصرون عليهم في كثير من المرات يدفعهم إلى الصمود إيمان عميق وصبر طويل . . .

● فقد نسف المجاهدون كثيراً من الأحياء اليهودية، خلال معارك ضخمة أثخنوا في العدو من ذلك :

معركة القسطل التي استشهد فيها المجاهد عبد القادر الحسيني، ومنها معارك حيفا ويافا وصفد وعكا وسائر أنحاء فلسطين كما استشهد المجاهد حسن سلامة على مشارف القدس في معركة رأس العين « وهو نبع يسقي مدينة القدس » .

●● لكن المدن والقرى التي حافظ عليها المجاهدون سلمت بسهولة لدى دخول بعض الجيوش العربية النظامية إلى فلسطين عام/ ١٩٤٨م .

كما أن قوات بريطانيا بدأت تنسحب لصالح قوات اليهود، التي كانت تستلم المنشآت العسكرية كالمطارات ومستودعات السلاح، بينما كانت قوات الإنجليز تحتل المناطق العربية، وتستمر في حكمها حكماً عسكرياً[2] .

---

(١) ينظر تفصلاً لذلك : جهاد شعب فلسطين، ص٣١٧ – ٣٣٧ .

(٢) ينظر جهاد شعب فلسطين : الفصل التاسع، ص٣٣٩ – ٣٩٠ ، وفلسطين وجهاد =



عرقلة تسليح المجاهدين مأساة ومؤامرة:

كانت مشكلة المجاهدين من أهالي فلسطين ومن شاركهم في جهادهم هي قضية السلاح والذخيرة، التي كانوا يحصلون عليها من المصادر التالية:

١ ـ ما يشتريه الأهالي بأموالهم، ومما كان يصل إلى الهيئة العربية العليا من تبرعات.

٢ ـ ما يستولي عليه المجاهدون خلال المعارك، وخلال هجماتهم على المعسكرات البريطانية والقطارات التي كانت هدفاً لهم.

٣ ـ عن طريق اللجنة العسكرية التابعة للجامعة العربية، وكان مركزها دمشق، فقد زودت هذه اللجنة، (التي شكلت بغرض تسليح عرب فلسطين) زودت عرب فلسطين بكميات ضئيلة لا تعدو (١٦٠) قطعة، وكان قسم كبير منها، بدون ذخيرة، وقسم لا يصلح للاستعمال(١).

● فما مشكلة هذه اللجنة وما قضية منعها لتسليح المجاهدين؟!

ـ يذكر محسن البرازي، وزير الخارجية السورية، في مذكراته التي نشرت في لبنان أوجهاً عديدة من طرق منع السلاح والمال عن أهالي فلسطين... من ذلك ما تبرع به أهالي السعودية بمبلغ نصف مليون جنيه عام ١٩٤٧م، وبكميات من السلاح لتسلم إلى المفتي باعتباره رئيس الهيئة، إلا أن السلاح

= الفلسطينيين في معركة الحياة والموت: محمدعزة دروزة، الهيئة العربية العليا، القاهرة، ١٩٥٩م.

(١) ينظر جهاد شعب فلسطين/ ص٣٣٠ ـ ٣٣٣، وجريدة الأهرام ٢ مايو ١٩٤٨م، وجريدة الحارس العراقية، مقالاً حول طه الهاشمي، ١٩٥٣م.



حوّل تحت إلحاح المسؤولين العرب إلى اللجنة العسكرية في دمشق، ويذكر البرازي أنه استقل طائرة خاصة ليبلغ رغبة المسؤولين المتبرعين، فسلمت مصر جزءاً من كميات السلاح التي تعهدت بها إلى فلسطين، إلا أن أحد أعضاء اللجنة العسكرية سارع بالسفر إلى القاهرة واستلم بقية السلاح ونقله إلى دمشق[١].

● ويبدو أن اللجنة العسكرية في دمشق كانت تسير حسب أهواء بعض المسؤولين العرب الذين يرتبطون بالإنجليز والصهاينة ارتباطات مريبة.

- وقد جمعت تبرعات من لبنان كذلك، إذ اشترى أبناء لبنان كميات من السلاح من بلجيكا (٧٨٥ بندقية، و١٧٥ رشاشاً)، وصلت في تكتم وحذر إلى ميناء بيروت، وكان مقرراً تسليمها إلى القائدين المجاهدين: عبد القادر الحسيني، وحسن سلامة.

● ويحدثنا باحث عربي كان معاصراً لتلك الأحداث وسجلها في حينها فيقول: «وصلت هذه الكمية من الأسلحة والذخائر قبل وقوع معركة القسطل ببضعة أيام، وكانت مكدسة في عنابر اللجنة العسكرية في دمشق، عندما حضر عبد القادر الحسيني يطلب سلاحاً من اللجنة، فقابله (طه الهاشمي) بالرفض والصدود وعدم المبالاة، وكان رئيساً لتلك اللجنة» «هذا وإن مندوبي اللجان القومية والمدن والقرى المهددة بالاجتياح اليهودي، كانت تعود فاشلة من مقابلة اللجنة العسكرية بعد أن تسمع من طه الهاشمي قارص القول والسخرية

---

(١) ينظر: المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين، أميل الغوري، عضو اللجنة العربية العليا.



والازدراء؟![1]

●● وقد أدرك الحسيني أنه يخاطب قوماً ليسوا في مستوى أحداثه وكانت أمامه خارطة رفعها ورمى بها في وجه الباشا طه الهاشمي والشراباتي وزير دفاع سوريا، وصاح بصوت مرتفع في أعضاء اللجنة: «أنتم خونة... أنتم مجرمون، وسوف يسجل التاريخ أنكم أضعتم فلسطين، وسأحتل القسطل وسأموت أنا وجميع إخواني المجاهدين»[2].

● وغادر الحسيني دمشق، وقاتل مع أصحابه حول القدس قتال الأبطال بما يملكون من سلاح وذخيرة، واحتلوا القسطل، في الثامن من شهر نيسان / ١٩٤٨م، وقتل من اليهود ما يزيد عن (٣٥٠ قتيلاً)، إلا أن نفاذ الذخرية واستشهاد القائد الحسيني، واستعانة اليهود بالمصفحات البريطانية، مكنت اليهود من استرداد القسطل في اليوم الثاني، وقد دمروا بحقدهم بيوتها وحصونها ومسجدها[3].

هذا نموذج من نماذج البطولة والفداء، وهي تجاهد ضد القوى الشريرة، في أجواء التآمر والخيانة، التي سيستمر مسلسلها الإجرامي ما بعد عام ١٩٤٨م، وحتى اليوم.. ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وهي صورة عن معارك المدن الأخرى في هذه المرحلة.

---

(١) أميل الغوري: المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين، وجهاد شعب فلسطين، ص٣٤٩، أبو يصير.

(٢) المرجع السابق.

(٣) ينظر: نكبة بيت المقدس، عارف العارف، ج١، ص١٦٤، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت.



المبحث الخامس

بريطانيا وسياسة المكر والخداع

«سياسة اللجان والمؤتمرات»

بعد الثورات الجهادية في فلسطين، كان الإنجليز كل مرة يلجأون إلى سياسة الخديعة والنفاق لإجهاض الثورة وتمييع مطالب العرب، عن طريق اللجان الواحدة تلو الأخرى، وإصدار الكتب التي تسميها «بيضاء» بعد كل انتفاضة، تزعم فيها حرصها على ضمان حقوق العرب، لكنها ما تلبث أن تعود إلى سياستها القائمة على التهويد، وحماية مصالح يهود...

● وسنذكر نماذج من تلك المؤتمرات لمعرفة مدى الخبث الصليبي - الصهيوني...

ذلك أن العرب كانوا يُمنَعون من عقد المؤتمرات الشعبية للمطالبة بحقوقهم، بينما يباح ذلك لليهود، وأخيراً عقد عرب فلسطين مؤتمرهم الثاني في عام ١٩٢٠م فمنعتهم بريطانيا، فانتخبوا وفداً سافر إلى لندن لمقابلة المسؤولين في بريطانيا، فاشترط وزير المستعمرات تشرشل أن يفاوضوا (وايزمان) رئيس المنظمة الصهيونية فرفض ذلك الطلب، وبعد عام من الأخذ والرد أصدر تشرشل الكتاب الأبيض الأول عام ١٩٢٢م قال فيه: «إن وجود الشعب اليهودي في فلسطين

حق له وليس منة من أحد، وذلك هو السبب الذي جعل من الضروري ضمان إنشاء الوطن القومي لليهود ضماناً دولياً، والاعتراف رسمياً بأنه يعتمد على صلة تاريخية قديمة»؟!

- «وجاء في الكتاب أن مطالب العرب والوفد العربي في لندن تعتمد على كتاب مكماهون للشريف حسين، وزعم تشرشل أن ذلك الكتاب لا يشمل فلسطين ولبنان ضمن الدولة العربية المنتظرة...»[1].

● يتوضح مما سبق سياسة المغالطات التي تعترف بالحقوق القومية لليهود، متناسية حقوق العرب أصحاب البلاد الأصلاء، ولذلك رفض الوفد العربي ذلك الكتاب لأنه يجحف بحقهم جملة وتفصيلاً، وأن حكومة بريطانيا لم تصدره إلا بعد موافقة زعماء الصهيونية على مضمونه[2].

●● ثم شكلت حكومة بريطانيا (لجنة شو) عام ١٩٣٠م لإنهاء ثورة البراق، وأصدرت اللجنة تقريرها وفيه تحديد الهجرة وتحديد انتقال الأراضي لليهود، ومنح فلسطين درجة من الحكم الذاتي.. فكان الكتاب الأبيض الثاني وفيه أعلنت بريطانيا عزمها على تطبيق توصيات لجنة شو.

إلا أن الصهاينة عارضوا الكتاب، وساندهم تشرشل في معارضتهم، فأعلنت بريطانيا عدولها عن ذلك الكتاب...

كما أرسل (ماكدونالد) رئيس وزراء بريطانيا، خطاباً إلى وايزمان أكد

---

(١) ينظر: جهاد شعب فلسطين، ص١٢٨ - ١٣٢، والهلال الخصيب، ص٣٤٨ - ٣٤٩.

(٢) المرجع السابق، الصفحات نفسها.



فيه تمسك حكومته بتعهداتها الخاصة بالوطن القومي اليهودي، ومن ثم سحب الكتاب الأبيض وعادت المشكلة إلى نقطة البداية مرة أخرى(١).

● وبعد ثورة ١٩٣٦م شكلت لجنة اللورد بيل ولجنة ودهيد، ورفض العرب مقترحاتهما حول التقسيم(٢).

● **مؤتمر المائدة المستديرة في لندن عام ١٩٣٩م.**

عقد هذا المؤتمر في ٧/شباط لعام ١٩٣٩م، وقد اشتركت فيه وفود مصر والعراق والأردن واليمن والسعودية...

وكان يرأس الوفد البريطاني، رئيس الوزراء «تشمبرلين» يرافقه ثلاثة عشر عضواً من وزراء ووكلاء وزارات وبرلمانيين، كما دعي وفد من الوكالة اليهودية ووفد يمثل عرب فلسطين(٣).

وقد رحبت اللجنة العربية العليا بفكرة المؤتمر باعتباره تراجعاً من بريطانيا عن قرار التقسيم، ثم وضعت شروطاً من أجل الاشتراك في المؤتمر من ذلك:

- أن لا يدعى اليهود الذين يرفض العرب الجلوس معهم، ولا يعترفون لهم بأي حق في تقرير مصير فلسطين.

- الإفراج عن زعماء العرب المعتقلين والمنفيين وإعادتهم إلى البلاد فوراً.

---

(١) الهلال الخصيب: د. محمود صالح منسي، ص٣٥٢، وجهاد شعب فلسطين: صالح أبو يصير، ص١٤٦ - ١٥٨.

(٢) جهاد شعب فلسطين، ص٢٤٨ - ٢٤٩.

(٣) المرجع السابق، ص٢٥٥ - ٢٥٦.





ـ أن لا تتدخل بريطانيا في اختيار الوفد الذي سيمثلهم في المؤتمر، ثم قررت اللجنة العربية العليا أسماء الوفد الذي سيمثلها وقررت (اللجنة) أن ينوب جمال الحسيني أحد أعضاء الوفد عن المفتي الحاج أمين في رئاسة الوفد خوفاً من غدر اليهود والإنجليز.

واستمرت الجلسات ستة أسابيع، عرض وزير المستعمرات بعدها في ١٥ / آذار / ١٩٣٩م، مقترحات جديدة، حول المشكلات الأساسية (الهجرة ـ بيع الأراضي ـ الدستور) حيث رفضت بريطانيا وقف الهجرة اليهودية، وقضية نقل الأراضي لليهود.

وأصدرت بريطانيا **الكتاب الأبيض الثالث** الذي يتضمن تطبيق المقترحات السابقة، فرفضه العرب لأنه مخيب لآمالهم كما أنه لا يختلف عن مشروعات بريطانيا السابقة، وقررت اللجنة العربية العليا رفض الكتاب بسبب ما فيه من ثغرات إلا أن الأمير عبد الله بن الحسين، وحزب الدفاع الموالي لبريطانيا أيدوا سياسة بريطانيا الواردة في الكتاب الأبيض.

● واحتج زعماء الصهيونية بشدة على الكتاب الأبيض هذا ورفضوه، وأعلنوا أنهم لن يعترفوا بأية قيود على الهجرة، وعلى انتقال الأراضي، كما نظم اليهود مظاهرات هتفوا خلالها ضد بريطانيا، ثم أخذوا يطلقون النار على العرب من نوافذ بيوتهم [١] .

---

(١) ينظر: الهلال الخصيب، د. محمود صالح منسي، ص٣٥٥ ـ ٣٦٩ .





المبحث السادس

تطور قضية فلسطين بعد الحرب العالمية الثانية

« ١ »

فلسطين خلال سنوات الحرب:

توقفت ثورة فلسطين الكبرى في شهر أيلول لعام ١٩٣٩م، أي بعد بداية الحرب العالمية الثانية، بسبب ماعاناه شعبها من بطش وظلم وتخريب.

● وقد وقف عرب فلسطين موقفاً سلبياً من التطوع في القوات البريطانية بسبب ما عانوه من ظلم وبطش طوال عشرين عاماً على أيدي قوات بريطانيا.

كما رفض المفتي وأتباعه التطوع في الجيش البريطاني، بينما دعا حزب الدفاع إلى تطوع العرب على أساس أن هذا التطوع، هو الخطوة الأولى لإنشاء جيش قوي يدافع عن فلسطين وأهلها مستقبلاً، ومعلوم أنّ هذا الحزب كان من الموالين لسياسة بريطانيا وعملائها في المنطقة».

● وقد اضطر المفتي إلى مغادرة فلسطين منذعام ١٩٣٧م إلى لبنان، واستمر في تشجيع أتباعه لمواصلة الكفاح، ولما أرغمته السلطات الفرنسية على مغادرة لبنان، تنقل ما بين العراق وإيران ثم ألمانيا ودول المحور، على أمل مساعدتها للعرب ضد الحلفاء... لكن تدهور حالة «ألمانيا وإيطاليا» قضى على آمال

العرب[1] الذين تناسوا أن ملة الكفر واحدة، وأن تاريخ التعاون الصهيوني الصليبي حافل بالخيانة والمكر والغدر.

● **أما اليهود**: فقد استغلوا فترة الحرب، وخاصة خلال تولي تشرشل رئاسة الوزارة البريطانية في شهر أيار/ ١٩٤٠م، لما عرف عنه من تبني الحركة الصهيونية وقد ازداد عدد المتطوعين اليهود في الجيش البريطاني، كما سُلّح بوليس المستعمرات اليهودية، وعصابات يهود مثل: الهاغاناه وأخواتها، وكانت بريطانيا تغض النظر عن تهريب السلاح لليهود، بل كانت هي التي توزعه عليهم...

●● وقد سمح تشرشل في أواخر سنوات الحرب، بتشكيل فيلق يهودي، بلغ تعداده أكثر من خمسة آلاف جندي، فصار هذا الفيلق هو نواة الجيش الإسرائيلي فيما بعد...

وأمدتهم بريطانيا بصناديق السلاح والذخيرة... ودربتهم في ثكناتها ومطاراتها، وأشركتهم في العمليات الحربية، مع إغداق المعونات المالية الكافية[2].

●● وقد ساهمت الولايات المتحدة في الضغط على وزارة الحربية البريطانية

---

(١) الهلال الخصيب: د. محمود صالح منسي، ص٣٧٠ - ٣٧١.

(٢) ينظر: المؤامرة الكبرى لاغتيال فلسطين، أميل الغوري، القاهرة، ١٩٥٥م، وحقائق عن قضية فلسطين: الحاج أمين الحسيني، ص٥٧، طبعة القاهرة - دار الكتاب العربي، ١٩٥٧م.



لتشكيل هذا اللواء اليهودي.. واعتبر اليهود أن هذا الفيلق بمثابة إعلان للدولة اليهودية، خاصة وأنه كان يحمل أعلاماً خاصة، عليها شعار نجمة داوود.

●● وقد أدى تسليح بريطانيا لليهود إضافة إلى سرقتهم للأسلحة من المستودعات البريطانية إلى قيام عصابات اليهود المسلحة بنشاطها الإرهابي خلال سنوات الحرب.

● **ومالت سياسة بريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية**: نحو إحالة القضية إلى الأمم المتحدة، بسبب إصرار أمريكا وروسيا على التقسيم.. فقرر مجلس الوزراء البريطاني في شباط ١٩٤٧م عرض المشكلة على الجمعية العامة للأمم المتحدة.

وذلك يعود أيضاً إلى:

● أن بريطانيا أنجزت ما وعدت به في تصريح بلفور، وأنها لا تستطيع أن تفعل أكثر مما قدمت للصهيونية، خوفاً على مصالحها في العالم العربي.

● وأنه من الأفضل لها أن تزيح عن كاهلها المسؤولية لحل مشكلة معقدة هي المشكلة الفلسطينية[١].

وما كان ذلك ليعفي بريطانيا من جريمتها في إعداد العدة لإقامة كيان دولة إسرائيل.

«فقد خسر العرب خلال الانتداب البريطاني ما لم يخسره أي شعب آخر

---

(١) الهلال الخصيب: د. محمود صالح منسي، ص٣٨٨.



فقد كان لهذا الشعب ممثلوه في البرلمان العثماني يرفعون صوته ويقدمون رأيه ويدافعون عنه، وأصبح مع الانتداب شعباً مهاجَماً في داره، غريباً في وطنه . .

كان الشعب الفلسطيني يمثل جزءاً من بلاد الشام، له تجارته وحاصلاته مستوراً قليل الفقراء، وجاء الانتداب البريطاني وبمكر خطير، سنّ له القوانين التي سهلت اغتصاب أراضيه، وأصدر اللوائح التي منعت تصدير حاصلاته، حتى وقع تحت طائلة الرهون والديون وحجز على الأرض، وانتشر فيه الفقر والعوز »[١] .

« ٢ »

سياسة الولايات المتحدة تجاه قضية فلسطين:

كانت سياسة الولايات المتحدة ـ منذ الحرب العالمية الأولى ـ تتبنى قضية الوطن القومي لليهود، وهي التي ساهمت أصلاً مع بريطانيا في صياغة وعد بلفور، كما ساهمت مع بريطانيا في تسليح الصهاينة وتدريبهم (خلال الحرب العالمية الأولى) وفي تكثيف هجرة اليهود إلى فلسطين، وإظهار الشفقة على المشردين من اليهود، والتصدق بفلسطين لإيوائهم؟!![٢]

● وقد تحولت الحركة الصهيونية نحو الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية بدلاً من بريطانيا، ولية نعمتهم منذ مطلع القرن العشرين، وصاحبة تصريح

---

(١) جهاد شعب فلسطين، ص٢٨٥ .

(٢) ينظر: جهاد شعب فلسطين، ص٢٧٩ – ٢٨٥ ، ص٢٨٨ .





بلفور عام ١٩١٧م.

●● **وفيما يلي نماذج من مواقف بعض قادتها بعد الحرب العامة.**

- في العاشر من شهر آذار ١٩٤٤م، طلب الرئيس الأمريكي «**روزفلت**» إصدار تصريح باسمه ينص على أنه مسرور لأن أبواب فلسطين مفتوحة أمام اللاجئين اليهود، خلافاً لما جاء في الكتاب الأبيض البريطاني، عام ١٩٣٩م، وأن العدالة تقتضي مراعاة مصالح هؤلاء الذين يريدون الوطن القومي اليهودي..؟!

- ثم أعلن روزفلت تأييده لبرنامج اليهود الاستيطاني، الأمر الذي أثار العرب عليه في عام ١٩٤٤م خلال انتخابات الرئاسة[١].

● **أما الرئيس ترومان**: فقد كان يُعتبر القابلة غير القانونية لميلاد دولة إسرائيل.

فقد كتب في شهر آب عام ١٩٤٥م، إلى رئيس وزراء بريطانيا (أتلي) يطلب منه السماح لمائة ألف يهودي بالهجرة إلى فلسطين، ولكن أتلي رفض طلبه خوفاً من إثارة القلاقل في المنطقة، واقترح عرض الأمر على الأمم المتحدة...

- ثم أعلن ترومان في: تشرين الأول/١٩٤٦م، تأييد بلاده لخطة تقسيم فلسطين بين العرب واليهود، على أساس مشروع مقترح من الوكالة اليهودية.

---

(١) الهلال الخصيب: د. محمود صالح منسي، ص٣٨١ - ٣٨٢.



فاستاء العرب من هذه المقترحات، فرد ترومان: بأن سياسة أمريكا، كانت دوماً إلى جانب إقامة دولة يهودية في فلسطين.

● كما استاءت بريطانيا لتصريحات الزعماء الأمريكان، لأنها سببت لهم المشاكل في فلسطين، التي مازالت تحت إدارتهم وأصبحت بريطانيا تعتقد أن الولايات المتحدة بسياستها هذه إنما تحاول أن تحل محلهم في المنطقة، خصوصاً وأن بريطانيا خرجت من الحرب منهوكة القوى[١].

« ٣ »

قضية فلسطين أمام عصبة الأمم المتحدة[٢]:

كانت هذه مؤامرة مكشوفة، دعامتها الأولى الولايات المتحدة حامية الكيان الصهيوني في مرحلته الثانية.. فبعد أن عقدت جلسة استثنائية في مقر الهيئة في ٢٨/نيسان/١٩٤٧م، بناء على طلب بريطانيا، قرر المؤتمرون أن تشكل لجنة من الدول الأعضاء لدراسة القضية وتقديم توصياتها وكانت مكونة من أحد عشر عضواً.

وكاد إجراء التصويت على مشروع التقسيم أن يدحض لفشله في الحصول على أغلبية الثلثين اللازمة وذلك مساء ٢٦/من تشرين الثاني /١٩٤٧م، إلا

---

(١) الهلال الخصيب: د. محمود صالح منسي، ص٣٨٤ – ٣٨٥.

(٢) ينظر: جهاد شعب فلسطين، ص٢٩٥ – ٣٠٥، والهلال الخصيب، ص (٣٨٩ – ٣٩٢).



أن ضغوط الولايات المتحدة وعملائها، عملوا على تأجيل التصويت من أجل شراء الذمم وتغيير المواقف.

● فقد جند البيت الأبيض كل رجاله، وحشد الصهاينة كل إمكانياتهم لتغيير مواقف بعض ممثلي الدول.

- وفي ٢٩ / تشرين الثاني / ١٩٤٧م، فاز اقتراح التقسيم بأغلبية (٣٣ صوتاً ضد ١٣ صوتاً)، وكانت الدول التي نادت بالتقسيم وصوتت له، هي الدول الصليبية الاستعمارية ومن يلوذ بكنفها.

●● قالت جريدة نيويورك تايمز في ٢٧ / ١١ / ١٩٤٧م، وهو اليوم الثاني للتأجيل: «أجلت الجمعية العامة للأمم المتحدة جلستها للتصويت على تقسيم فلسطين أمس، بعد أن وجد مؤيدو الصهيونية أنهم لا يضمنون ثلثي الأصوات اللازمة لنجاح المشروع».

● **قال البشير الإبراهيمي معلقاً على ما يجري في عصبة الأمم:**

«فهل يلام العرب والمسلمون من ورائهم، إذا اعتقدوا أنها حرب صليبية، بعض أسلحتها اليهود، وإنها ممالأة مكشوفة (من أتباع الديانتين) على الإسلام»[1].

●● ويقول الكاتب الصهيوني (هورويتز) موضحاً تلك الجريمة البشعة، والأساليب الملوثة الدنيئة:

---

(١) مجلة البصائر الجزائرية، العدد ٢٢، ١٩٤٨م، محمد البشير الإبراهيمي.

«لقد هببنا جميعاً للصراع، وعبرت مكالماتنا التلفونية المحيطات لتتصل بالمسؤولين في كل أنحاء العالم.

وغمرنا بسيل من البرقيات كل المسؤولين الذين يمكنهم مساعدتنا في كسب الأصوات، وأعطينا شيكات مفتوحة «على بياض» لكل من كان متردداً في تأييدنا، وقدمت الهدايا الفاخرة...

إلا أن زوجة مندوب «كوبا» ردت المعطف الذي أرسل إليها، كما أن زوجها أعاد الشيك المفتوح الذي أرسل إليه، وأعلن ذلك على الملأ مؤكداً وجود هذه الأنواع من الضغوط»[١].

●● وأخيراً قدم المشروع للتصويت فحصلت خطة التقسيم على نسبة الثلثين المطلوبة.

لقد كان هنالك اتفاق في وجهات النظر بين أمريكا وروسيا، ودول المعسكر الاشتراكي[٢].

ولإكمال المؤامرة أعلنت بريطانيا خلال عام ١٩٤٧م، أنها عازمة على إنهاء الانتداب، وعلى سحب قواتها العسكرية وجهازها الإداري في ١٥ أيار ١٩٤٨م، وأنها سوف تترك فلسطين لمن يقيم فيها، نافضة يدها من مسؤولية الانتداب الذي نفذته لصالح الصهيونية على مدى ثلاثين عاماً.

لقد اطمأنت بريطانيا على وضع اليهود وتفوقهم على أصحاب البلاد

---

(١) الهلال الخصيب: د. محمود صالح منسي، ص٣٩٠ - ٣٩١.

(٢) المرجع السابق.



الأصليين...

واستطاع اليهود تحت حماية بريطانيا وعونها المستمر، أن يكوّنوا قوة عسكرية مسلحة من جيش عصابات «الهاجانا وليومي وشترن» وقد كان هؤلاء جميعاً مدربين مسلحين، بينما كان العرب محرومين من السلاح، تنزل بهم العقوبات ابتداء بالسجن وانتهاء بالإعدام، لمجرد حيازة السلاح أو الذخيرة[1].

* * *

ثم دخلت قضية فلسطين بعد قرار التقسيم الذي رفضه أهل فلسطين، وجامعة الدول العربية، مرحلة الصراع بين العرب وإسرائيل، وتدخلت الجيوش العربية لمواجهة الكيان الصهيوني، بملابسات مريبة، وها هو الصراع يستمر والدعم الأمريكي ـ الأوروبي لا يتوقف، وسوف نتحدث عن هذا الصراع مفصلاً بإذنه تعالى في أبحاث لاحقة.

* * *

(١) جهاد شعب فلسطين، ص٣٠٥ - ٣٠٦.

الخاتمة

ونتائج البحث

الحمد لله الذي له الفضل والمنة، والصلاة والسلام على رسولنا الأمين، محمد بن عبد الله سيد المرسلين، وعلى آله وأصحابه ومن تمسك بسنته إلى يوم الدين وبعد:

فقد توصلنا من خلال البحث إلى نتائج عديدة جديرة في التبصر والاعتبار، والدراسة والتفكير كان من أبرزها:

- أن الحركات القومية كانت وراء تمزيق الامبراطورية العثمانية وإسقاط السلطان العثماني وإلغاء الخلافة.

وكان اليهود والنصارى وراء تلك الجمعيات القومية...

- حرك يهود الدونمة ومنظمات الماسون جمعية الاتحاد والترقي بقياداتها المشبوهة، من رعاع الحاقدين على الإسلام وأهله، فتبنت نزعة طورانية جاهلية، واعتمدت على تتريك العرب والعناصر الأخرى، ومن ثم كان الظلم والخراب والدمار لبلاد الشام تحت حكم الاتحاديين وجمال باشا السفاح طوال سنوات الحرب.

- وحرك الإنجليز الجمعيات العربية، وخدعوا الشريف حسين بن علي



ليقوموا بثورتهم ضد الدولة العثمانية، مدفوعين بمكر الإنجليز وحقد الفرنسيين، مستخدمين أموالهم وسلاحهم، فمزقوا الجيوش العثمانية على طول صحراء العرب الشاسعة، وأعانوا الحلفاء على احتلال بيت المقدس، ودمشق وحلب وبيروت وبغداد، فكانت الكارثة وتقسيم البلاد.

● وقد تبنى نصارى الشام الحركة القومية كمرحلة لمحاربة الجامعة العثمانية، ثم تبنت فرنسا عملاءها من نصارى الشام، ودعاة المؤتمر العربي الأول المنعقد في باريس للتوصل إلى مطامعها في الديار الشامية...

● ورغم معاونة الجيش العربي لبريطانيا وفرنسا في محاربة الجيش العثماني، فقد ظهرت الأحقاد الصليبية صارخة، عند مشارف القدس، وأمام قبر صلاح الدين، على لسان قادتهم الغزاة.

● كما اتضحت أخلاق الغزاة على حقيقتها غدراً وحقداً ولؤماً، فكانت المفاجآت الأليمة من خلال: اتفاقية سايكس ـ بيكو، ثم وعد بلفور، وإعلان وثيقة الانتداب الغادرة.

وكان التلون المريب مع الحسين وقادة الحركة العربية... والتعاون الوثيق مع قادة الحركة الصهيوينة... بمطامعهم وخبثهم وأحقادهم...

● واتضحت أبعاد المؤامرة جلية، خلال مسرحية مشبوهة، قادها كمال أتاتورك للإجهاز على دولة الخلافة، وإقصاء الشريعة الإسلامية، بدعم الحلفاء ومباركتهم، لتصبح تركيا دولة علمانية تعيش على هامش الأمم، وقد فقدت مقومات عزتها ومجدها ألا وهو الإسلام.

• وظهرت نتائج المأساة أليمة، عندما قسمت بلاد الشام إلى أربع دول، وكل دولة كرسوا في حكمها قيادات علمانية أو طائفية، ما تزال تسوم سكانها سوء العذاب . أما فلسطين فقد هيأها الإنجليز لتكون لقمة سائغة ليهود وعصابات صهيون .

• أما حليفهم الحسين، فقد تركوه ليحكم الحجاز فقط بعد الآمال العريضة، والوعود المعسولة، ثم عزلوه ونفوه إلى جزيرة قبرص يقاسي آلام الغربة والندم والحرمان . . .

حيث والى أعداء الله وأقواماً قد غضب الله عليهم، يشاركه في ذلك القيادات السياسية والقومية عند العرب والترك معاً، متناسين قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ . . . ﴾ [المائدة : ٥١] .

• أما المتآمرون من قادة الترك الاتحاديين، فقد تركوا البلاد يلتهمها الحلفاء، هاربين بأنفسهم، فقتل طلعت باشا الصدر الأعظم، وأنور وزير الدفاع، وجمال السفاح حاكم بلاد الشام (أيام الحرب العالمية الأولى)، قتلوا غيلةً في مجاهل آسيا ومدن ألمانيا . . وقد سجلوا عليهم لعنة التاريخ والمسلمين الصادقين . . . .

• وهاهي آثار أضخم مؤامرة (مرَّتْ على ديار المسلمين منذ مطلع هذا القرن » ما تزال الأمة تعاني من ويلاتها وشرورها حتى اليوم .

ولعل أمتنا المنكوبة تثوب إلى رشدها، وتعي تاريخها وتعتبر من تجاربها، فتبني حاضرها ومستقبلها على ضوء ماضيها، متمسكة بقرآنها وسنة نبيها،



وسيرة سلفها الصالح .

● وأخيراً لا يسعنا إلا الدعاء، بأن يرد الله المسلمين إلى دينهم رداً جميلاً، اللهم ألهمنا الرشد والصواب، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

والحمد لله رب العالمين .

* * *

الملاحق

الملحق الأول: رسائل الحسين ـ ماكماهون (من ١٩ شوال/١٣٣٣هـ إلى جمادى الأولى/١٣٣٤هـ).

الملحق الثاني: نص اتفاقية فيصل ـ وايزمن

الملحق الثالث: من رسائل فيصل إلى رئيس وزراء فرنسا كلمنصو في ٢٥/تشرين الأول/١٩١٩م.

الملحق الرابع: رسالة كلمنصو إلى فيصل يرد فيها على رسالته في ٢/تشرين الثاني/١٩١٩م.

الملحق رقم «١»

(١) رسائل «حسين ـ ماكماهون»:

من ١٩ شوال سنة ١٣٣٣ هظ الموافق ٣٠ أغسطس عام ١٩١٥م إلى جمادى الأولى سنة ١٣٣٤هـ الموافق ١٠ مارس عام ١٩١٦م.

(عن مجلة المنار ج٨/م٢٣، ص ٦١٦ – ٦٢٣)

الكتاب الأول

«من نائب ملك الإنكليز بمصر إلى أمير مكة في شأن الثورة الحجازية»

«في ١٩ شوال سنة ١٣٣٣ هـ الموافق ٣٠ أغسطس سنة ١٩١٥»

كتاب من السر أرثر مكماهون نائب ملك الإنجليز بمصر في ١٩ شوال سنة ١٣٣٣ ـ ٣٠ أغسطس سنة ١٩١٥م

إلى السيد الحسيب النسيب سلالة الأشراف، وتاج الفخار، وفرع الشجرة المحمدية، والدوحة القرشية الأحمدية، صاحب المقام الرفيع والمكانة السامية السيد ابن السيد والشريف ابن الشريف السيد الجليل المبجل دولتلو الشريف حسين سيد الجميع أمير مكة المكرمة قبلة العالمين، ومحط رجال المؤمنين الطائعين، عمت بركته الناس أجمعين.

بعد رفع رسوم وافر التحيات العاطرة، والتسليمات القلبية الخالصة من كل

شائبة. نعرض أن لنا الشرف بتقديم واجب الشكر لإظهاركم عاطفة الاخلاص وشريف الشعور والاحساسات نحو الإنجليز، وقد يسرنا علاوة على ذلك أن نعلم أن سيادتكم ورجالكم على رأي واحد، وأن مصالح العرب هي نفس مصالح الإنكليز. والعكس بالعكس. ولهذه النية فنحن نؤكد لكم أقوال فخامة اللورد كتشنر التي وصلت إلى سيادتكم عن يد علي أفندي وهي التي كان موضحا بها رغبتنا في استقلال بلاد العرب وسكانها مع استصوابنا للخلافة العربية عند إعلانها، واننا نصرح هنا مرة أخرى أن جلالة ملك بريطانيا العظمى رحب باسترداد الخلافة إلى يد عربي صميم من فروع تلك الدوحة النبوية المباركة.

وأما عن خصوص مسألة الحدود والتخوم فالمفاوضة فيها تظهر أنها سابقة لأوانها، وتصرف الأوقات سدى في مثل هذه التفاصيل في حالة أن الحرب دائرة رحاها، ولأن الأتراك لا يزالون محتلين لأغلب تلك الجهات احتلالاً فعلياً، وعلى الأخص ما علمناه وهو ممايدهش ويحزن أن فريقاً من العرب القاطنين بتلك الجهات نفسها قد غفل، وأهمل هذه الفرصة الثمينة التي ليس أعظم منها، وبدل اقدام ذلك الفريق على مساعدتنا نراه قد مد يد المساعدة إلى الألمان والأتراك.

نعم مد يد المساعدة لذلك السلاب النهاب الجديد وهو الألمان، وذلك الظالم العسوف وهو الأتراك. ومع ذلك فإنا على كمال الاستعداد لأن نرسل إلى ساحة دولة السيد الجليل ما للبلاد العربية المقدسة والعرب الكرام من الحبوب والصدقات المقررة من البلاد المصرية، وستصل بمجرد إشارة سيادتكم وفي المكان الذي تعينونه، قد عملنا الترتيبات اللازمة لمساعدة رسولكم في جميع سفراته



إلينا، ونحن على الدوام معكم قلباً وقالباً، مستنشقين رائحة مودتكم الذكية، ومستوثقين بعرى محبتكم الخالصة، سائلين الله سبحانه وتعالى دوام حسن العلائق بيننا. وفي الختام أرفع إلى تلك السدة العليا كامل تحياتي وسلامي، وفائق احترامي.

المخلص

السير ارثر مكماهون

نائب جلالة الملك

* * *

وقد أجابه الشريف حسين على هذا الكتاب بكتاب مؤرخ في ٢٩ شوال يلمح فيه بقبول تلك الحدود المعينة فيما سماه (مقررات النهضة) فأجابه بالكتاب التالي:

كتاب ثان

من نائب الملك السر أرثر مكماهون إلى الشريف حسين

في ١٥ ذي الحجة سنة ١٣٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى فروع الدوحة المحمدية، وسلالة النسب النبوي، الحسيب النسيب، دولة صاحب المقام الرفيع، الأمير المعظم السيد الشريف ابن الشريف أمير مكة المكرمة صاحب السدة العليا، جعله الله حرزاً منيعاً للإسلام والمسلمين، بعونه تعالى



آمين وهو دولة الأمير الجليل الشريف حسين بن علي أعلى الله مقامه.

قد تلقيت بيد الاحتفاء والسرور رقيمكم الكريم المؤرخ بتاريخ ١٩ شوال سنة ١٣٣٣ وبه من عباراتكم الودية المحضة وإخلاصكم ما أورثني رضاء وحبورا. اني متأسف أنكم استنتجتم من عبارة كتابي السابق أني قابلت مسألة الحدود والتخوم بالتردد والفتور، فإن ذلك لم يكن القصد من كتابي قط ـ ولكني رأيت حينئذ أن الفرصة لم تكن قد حانت بعد للبحث في ذلك الموضوع بصورة نهائية. ومع ذلك فقد أدركت من كتابكم الأخير أنكم تعتبرون هذه المسألة هي من المسائل الهامة الحيوية المستعجلة فلذلك فإني قد أسرعت في إبلاغ حكومة بريطانيا العظمى مضمون كتابكم وإني بكمال السرور أبلغكم بالنيابة عنها التصريحات الآتية التي لا شك في أنكم تتنزلونها منزلة الرضى والقبول.

إن ولايتي مرسين واسكندرونة وأجزاء من بلاد الشام الواقعة في الجهة الغربية لولايات دمشق الشام وحمص وحماه وحلب، لا يمكن أن يقال أنها عربية محضة، وعليه يجب أن تستثنى من الحدود المطلوبة.

مع هذا التعديل وبدون تعرض للمعاهدات المعقودة بيننا وبين بعض رؤساء العرب نحن نقبل تلك الحدود.

وأما من خصوص الأقاليم التي تضمها تلك الحدود حيث بريطانيا العظمى مطلقة التصرف (؟؟) بدون أن تمس مصلحة حليفتها فرنسا (؟) فإني مفوض من قبل حكومة بريطانيا العظمى أن أقدم المواثيق الآتية وأجيب عن كتابكم بما يأتي:

(١) أنه مع مراعاة التعديلات المذكرة أعلاه فبريطانيا العظمى مستعدة بأن تعترف باستقلال العرب، وتؤيد ذلك الاستقلال في جميع الأقاليم الداخلية في الحدود التي يطلبها دولة شريف مكة .

(٢) أن بريطانيا العظمى تضمن الأماكن المقدسة من كل اعتداء خارجي وتعترف بوجوب منع التعدي عليها .

(٣) وعندما تسمح الظروف تمد بريطانيا العظمى العرب بنصائحها وتساعدهم على إيجاد هيئات حاكمة ملائمة لتلك الأقاليم المختلفة .

(٤) هذا وإن المفهوم أن العرب قد قرروا طلب نصائح وارشادات بريطانيا العظمى وحدها، وأن المستشارين والموظفين الاورباويين لتشكيل هيئة قوية يكون من الإنجليز.

(٥) أما من خصوص ولايتي بغداد والبصرة فإن العرب تعترف أن مركز ومصالح بريطانيا العظمى الموطدة هناك تستلزم اتخاذ تدابير ادارية مخصوصة لوقاية هذه الأقاليم من الاعتداء الأجنبي وزيادة خير سكانها وحماية مصالحنا الاقتصادية المتبادلة .

وإني متيقن بأن هذا التصريح يؤكد لدولتكم بدون أقل ارتياب ميل بريطانيا العظمى نحو رغائب أصحابها العرب وتنتهي بعقد محالفة (؟) دائمة ثابتة معهم. ويكون من نتائجها المستعجلة طرد الأتراك من بلاد العرب وتحرير الشعوب العربية من نير الأتراك، الذي أثقل كاهلهم السنين الطوال .

ولقد اقتصرت في كتابي هذا على المسائل الحيوية ذات الأهمية الكبرى وإن



كان هناك مسائل في خطاباتكم لم تذكر هنا فنعود إلى البحث فيها في وقت مناسب في المستقبل.

ولقد تلقيت بمزيد السرور والرضى خبر وصول الكسوة الشريفة وما معها من الصدقات بالسلامة، وإنها بفضل ارشاداتكم السامية قد أنزلت إلى البر بلا تعب ولا ضرر رغماً عن الأخطار والمصاعب التي سببتها هذه الحرب المحزنة. ونرجو الحق سبحانه وتعالى أن يعجل بالصلح الدائم والحرية لأهل العالم.

إني لمرسل خطابي هذا مع رسولكم النبيل الأمين الشيخ محمد بن عارف بن عريفان وسيعرض على مسامعكم بعض المسائل المفيدة التي هي في الدرجة الثانية من الأهمية، ولم أذكرها في كتابي هذا. وفي الختام أبث دولة الشريف، ذا الحسب المنيف، والأمير الجليل، كامل تحياتي، وخالص مودتي، وأعرب عن محبتي له ولجميع أفراد أسرته الكريمة، راجياً من ذي الجلالة أن يوفقنا جميعاً لما فيه خير العالم، وصالح الشعوب، إن بيده مفاتيح الأمر والغيب يحركها كيف شاء ونسأله تعالى حسن الختام والسلام.

نائب جلالة الملك

السير أرثر مكماهون

* * *



كتاب ثالث

«من نائب ملك الإنجليز بمصر إلى الشريف حسين أمير مكة»

(في ٨ صفر سنة ١٣٣٤)

إلى صاحب الأصالة والرفعة وشرف المحتد سلالة بيت النبوة والحسب الطاهر، والنسب الفاخر، دولة الشريف المعظم السيد حسين بن علي أمير مكة المكرمة قبلة الإسلام والمسلمين أدامه الله في رفعة وعلاء.

وبعد فقد وصلني كتابكم الكريم بتاريخ ٢٤ ذي الحجة سنة ١٣٣٣هـ وسرني ما رأيت فيه من قبولكم إخراج ولايتي مرسين وأضنة من حدود البلاد العربية، قد تلقيت أيضاً بمزيد السرور والرضى تأكيداتكم أن العرب عازمون على السير بموجب تعاليم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وغيره من السادة الخلفاء الأولين ـ التعاليم التي تضمن حقوق كل الأديان وامتيازاتها على السواء، هذا وفي قولكم: إن العرب مستعدون أن يحترموا ويعترفوا بجميع معاهداتنا مع رؤساء العرب الآخرين يعلم منه طبعاً أن هذا يشمل البلاد الداخلة في حدود المملكة العربية لأنّ حكومة بريطانيا العظمى لا تستطيع أن تنقض اتفاقات قد أبرمت بينها وبين أولئك الرؤساء.

أما بشأن ولايتي حلب وبيروت، فحكومة بريطانيا العظمى قد فهمت كل ما ذكرتم بشأنهما ودونت ذلك عندها بعناية تامة. ولكن بما أن مصالح حليفتها فرنسا داخلة فيهما، فالمسألة تحتاج إلى نظر دقيق، وسنخابركم بهذا الشأن مرة أخرى في الوقت المناسب.

إن حكومة بريطانيا العظمى كما سبقت فأخبرتكم مستعدة لأن تعطي كل



الضمانات والمساعدات التي في وسعها إلى المملكة العربية، ولكن مصالحها في ولاية بغداد تتطلب إدارة ودية ثابتة وإننا نستصوب تماماً رغبتكم في اتخاذ الحذر ولسنا نريد أن ندفعكم إلى عمل سريع، ربما يعرقل أغراضكم ولكننا في الوقت نفسه نرى من الضروري جداً أن تبذلوا كل مجهوداتكم في جمع كلمة الشعوب العربية إلى غايتنا المشتركة، وأن تحثوهم على أن لا يمدوا يد المساعدة لأعدائنا بأي وجه كان، فإنه على نجاح هذه المجهودات وعلى التدابير الفعلية التي يمكن للعرب أن يتخذوها لإسعاف غرضنا عندما يجيء وقت العمل، تتوقف قوة الاتفاق بيننا وثباته.

وفي هذه الأحوال فإن حكومة بريطانيا العظمى قد فوضت لي أن أبلغ دولتكم أن تكونوا على ثقة من أن بريطانيا العظمى لا تنوي إبرام أي صلح كان إلا إذا كان من ضمن شروطه الأساسية حرية الشعوب العربية وخلاصها من سلطة الألمان والأتراك.

هذا وعربوناً على صدق نيتنا ولأجل مساعدتكم في مجهوداتكم في غايتنا المشتركة، فإني مرسل مع رسولكم الأمين مبلغ عشرين ألف جنيه.

وأقدم في الختام عاطر التحيات القلبية. وخالص التسليمات الودية. مع مراسم الإجلال والتعظيم المشمولين بروابط الألفة والمحبة الصرفة لمقام دولتكم السامي ولأفراد أسرتكم المكرمة مع فائق الاحترام.

المخلص

نائب جلالة الملك بمصر

السير أرثر هنري مكماهون



وقد رد الشريف على هذا الكتاب حامداً شاكراً راضياً واعداً بالقيام بجمع كلمة العرب على قتال الترك طالباً بعض الأسلحة والذخائر والأقوات. فأجابه نائب الملك بالكتاب الآتي:

كتاب رابع

«من نائب ملك الأنجليز بمصر إلى الشريف حسين أمير مكة»

(في جمادى الأولى سنة ١٣٣٤ يوافق ١٠ مارس سنة ١٩١٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد مقدمة التبجيل قال:

بعد ما يليق بمقام الأمير الخطير من التجلة والاحتشام وتقديم خالص التحية والسلام وشرح عوامل الألفة وحسن التفاهم والمودة الممزوجة بالمحبة القلبية أرفع إلى دولة الأمير المعظم أننا تلقينا رقيمكم المؤرخ ١٤ ربيع الآخر من يد رسولكم الأمين، وقد سررنا لوقوفنا على التدابير الفعلية التي تنوونها وأنها لموافقة في الأحوال الحاضرة وأن حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى تصادق عليها، وقد سرني أن أخبركم بأن حكومة جلالة الملك صادقت على جميع مطالبكم[1] وأن كل شيء رغبتم الإسراع فيه وفي إرساله فهو مرسل مع رسولكم حامل هذا والأشياء الباقية ستحضر بكل سرعة ممكنة وتبقى في بورت سودان تحت أمركم لحين ابتداء الحركة وإبلاغنا إياها بصورة رسمية كما ذكرتم وبالمواقع التي يقتضي سوقها إليها والوسائطالتي سيكونون حاملين الوثائق بتسليمها إياهم.....

(١) المراد بهذه المطالب الأسلحة وعتاد الحرب.

● وننتهز الفرصة لنوضح لدولتكم في خطابنا هذا ما ربما لم يكن واضحاً لديكم أو ما عساه أن ينتج سوء تفاهم إلا وهو يوجد في بعض المراكز أو النقط المعسكرة فيها بعض العساكر التركية على سواحل بلاد العرب[1] يقال أنهم يجاهرون بالعداء لنا والذين هم يعملون على ضرر مصالحنا الحربية البحرية في البحر الأحمر وعليه نرى أنه من الضروري أن نأخذ التدابير الفعالة ضدهم ولكننا قد أصدرنا الأوامر القطعية أنه يجب على جميع بوارجنا أن تفرق بين عساكر الأتراك الذين يبدأون بالعداء، وبين العرب الأبرياء الذين يسكنون تلك الجهات لأنا لا نقدم للعرب أجمع إلا كل عاطفة ودية. وقد أبلغنا دولتكم ذلك حتى تكونوا على بينة من الأمر، إذا بلغتم خبراً مكذوباً عن الأسباب التي تضطرنا إلى عمل من هذا القبيل.

وقد بلغنا اشاعات مؤداها أن أعداءنا الألداء باذلون جهدهم في أعمال السفن ليبنوا بها الألغام في البحر الأحمر ولإلحاق الأضرار بمصالحنا في ذلك البحر وإنا نرجوكم سرعة إخبارنا إذا تحقق لديكم ذلك.

وقد بلغنا أن ابن الرشيد قد باع للأتراك عدداً عظيماً من الجمال، وقد أرسلت إلى دمشق الشام، ونأمل أن تستعملوا كل ما لكم من التأثير عليه حتى يكف عن ذلك، وإذا هو صمم على ما هو عليه أمكنكم عمل الترتيب مع العربان الساكنين بينه وبين سوريا أن يقبضوا على الجمال حال سيرها، ولا شك أن في ذلك صالح لمصلحتنا المتبادلة....

---

(١) لعله سقط من هنا ذكر من وصفوا بانهم يجاهرون بالعداء للإنجليز.



ونسأل الله عز وجل أن يكلل مساعيكم بتاج النجاح والفلاح، وأن يمهد لكم في كامل أعمالكم أحسن السبل والمناهج، وفي الختام أقدم لدولتكم ولكامل أفراد أسرتكم الشريفة عظيم الاحترامات وكامل ضروب المودة والإخلاص مع المحبة التي لا يزعزعها كر العصور ومرور الأيام.

كتبه المخلص

السير أرثر مكماهون

نائب جلالة الملك بمصر

* * *

ملحق رقم ٢

نص اتفاقية فيصل - وايزمن[١]

إن صاحب السمو الملكي، الأمير فيصل، ممثل المملكة العربية الحجازية، والقائم بالعمل نيابة عنها، والدكتور حاييم وايزمن، ممثل المنظمة الصهيونية، والقائم بالعمل نيابة عنها، يدركان القرابة الجنسية والصلات القديمة، لبلوغ غاية أهدافهما الوطنية، هو اتخاذ أقصى ما يمكن من التعاون في سبيل تقدم الدولة العربية وفلسطين، ولكنهما يرغبان في زيادة توطيد حسن التفاهم، الذي يقوم بينهما، فقد اتفقا على المواد التالية:

١ - يجب أن يسود جميع علاقات، والتزامات، الدولة العربية، وفلسطين أقصى النوايا الحسنة، والتفاهم المخلص، وللوصول إلى هذه الغاية تؤسس ويحتفظ بوكالات عربية ويهودية معتمدة، حسب الأصول في بلد كل منهما.

٢ - تحدد بعد إتمام مشاورات مؤتمر السلام مباشرة، الحدود النهائية بين الدول العربية، وفلسطين من قبل لجنة يتفق على تعيينها من قبل الطرفين المتعاقدين.

٣ - عند إنشاء دستور إدارة فلسطين، تتخذ جميع الإجراءات التي من

---

(١) اعتمدنا الترجمة العربية الواردة في كتاب «الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين» (المجموعة الأولى ١٩١٥ - ١٩٤٦) ص٢٧٦، انطونيوس، ص٥٩٢.



شأنها، تقديم أوفى الضمانات، لتنفيذ وعد الحكومة البريطانية، المؤرخ في اليوم الثاني من شهر نوفمبر تشرين الثاني ١٩١٧م «أي وعد بلفور».

٤ ـ يجب أن تتخذ جميع الإجراءات لتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين، على مدى واسع والحث عليها بأقصى ما يمكن من السرعة، لاستقرار المهاجرين في الأرض عن طريق الإسكان الواسع، والزراعة الكثيفة، ولدى اتخاذ مثل هذه الاجراءات، يجب أن تحفظ حقوق الفلاحين والمزارعين، المستأجرين العرب، ويجب أن يساعدوا في سيرهم نحو التقدم الاقتصادي.

٥ ـ يجب أن لا يسن نظام أو قانون يمنع أو يتدخل بأي طريقة ما في ممارسة الحرية الدينية، ويجب أن يسمح على الدوام أيضاً بحرية ممارسة العقيدة الدينية، والقيام بالعبادات، دون تمييز أو تفضيل، ويجب أن لا يطالب قط بشروط دينية، لممارسة الحقوق المدنية أو السياسية.

٦ ـ إن الأماكن الإسلامية المقدسة يجب أن توضع تحت رقابة المسلمين.

٧ ـ تقترح المنظمة الصهيونية، أن ترسل إلى فلسطين لجنة من الخبراء لتقوم بدراسة الإمكانيات الاقتصادية في البلاد، وأن تقدم تقريراً عن أحسن الوسائل للنهوض بها، وستضع المنظمة الصهيونية اللجنة المذكورة تحت تصرف الدولة العربية، بقصد دراسة الامكانات الاقتصادية في الدولة العربية، وأن تقدم تقريراً عن أحسن الوسائل للنهوض بها، وستستخدم المنظمة الصهيونية أقصى جهودها، لمساعدة الدولة العربية، بتزويدها بالوسائل لاستثمار الموارد الطبيعية، والإمكانات الاقتصادية في البلاد.



٨ - يوافق الفريقان المتعاقدان، أن يعملا بالاتفاق والتفاهم التامين، في جميع الأمور التي شملتها هذه الاتفاقية لدى مؤتمر الصلح.

٩ - كل نزاع قد يثار بين الفريقين المتنازعين، يجب أن يحال إلى الحكومة البريطانية للتحكيم.

وهذه صورة لتَحفّظ فيصل بخط يده (مجلة الأسبوع العربي، عدد ٥٣٩ / ٦ أكتوبر/ تشرين الأول / ١٩٦٩م نقلاً عن مقالة لعبد اللطيف الطيباوي، وهذا نصه) «إذا نالت العرب استقلالها كما طلبناه بتقريرنا المؤرخ في ٤ جان / كانون الثاني / ١٩١٩م المقدمة إلى رئاسة خارجية حكومة بريطانيا العظمى، فإني موافق على ما ذكرنا طبق هذا من المواد وإن حصل أدنى تغيير أو تبديل فلا أكون ملزوماً أو مربوطاً بأي كلمة كانت، بل تعد هذه المقاولة كلا شيء ولا حكم لها ولا اعتبار، ولا أطالب بأي صورة كانت».

* * *

ملحق رقم (٣)

رسالة بعث بها فيصل إلى كلمنصو (دون تاريخ وعلى الأغلب ٢٥ أكتوبر « تشرين أول » ١٩١٩) وذلك حال وصوله إلى باريس بعد فشل محادثاته في دوانتج ستريت ونصيحة بريطانيا له بالمفاوضة المباشرة مع كلمنصو .

« من مجموعة أوراق عوني عبد الهادي »[1]

إلى رئيس الوزارة الفرنسية المعظم .

يا صاحب الدولة :

أشكركم أجزل الشكر على دعوتكم التي تلطفتم بإرسالها إليّ عن طريق الخارجية البريطانية ، فلقد تلقيتها بغاية السرور والامتنان ويممت باريس مرة أخرى على جناح السرعة ، وكلي آمال تطمح إلى التوفيق بين حقوق العرب ومصالح الحلفاء المشتركة ولا سيما الأمة الفرنسية التي أجمعت الأمم على احترامها وتبجيلها وتقدير ما تكبدته من الضحايا الفادحة في سبيل الذود عن حياض الشعوب المضطهدة وتوطيد دعائم استقلالها ، وإني لأحمل بين جوانحي لهذا الشعب النبيل كسائر أبناء قومي مودة لا تساورها ريبة وإخلاصاً لا يشوبه

---

(١) عن كتاب : الحكومة العربية في دمشق : خيرية قاسمية (ص٢٨١ - ٢٨٣) .

● كان عوني عبد الهادي من مؤسسي جمعية العربية الفتاة/ ١٩١١م وشارك في أعمال الوفد العربي برفقة فيصل بن الحسين/ ١٩١٩م «الأعلام للزركلي ج٥ /ص٢٩٨ .



رياء، وإنه لمن الخطأ الذي أريد دفعه بكل ما لدي من عزم وقوة ما يعزى إلي من خلاف هذا الولاء المحض الذي تشهد بصحته كل جارحة في وعاطفة بي، وإني لعلى ثقة أن المحرضين وأمثالهم من المصطادين في الماء العكر لاتلبث أن تذهب مساعيهم أدراج الرياح عند ظهور هذه الحقيقة الناصعة للعيان، وإن من أخشى الوسائل التي يتخذونها اليوم ولم يفطنوا لها بالأمس ما يحاولونه من التفريق بين أبناء العنصر الواحد بل البقعة الواحدة، كقولهم هذا حجازي وذاك عراقي أو سوري بل تجاوزوا ذلك إلى أبعد منه ففرقوا بين أبناء سوريا نفسها فقسموهم بين لبناني وفلسطيني وساحلي وداخلي، بل إلى مسلم وغير مسلم إلى آخر ما يوحي إليهم الحقد وتملى عليهم الضغينة على أنهم لم يذكروا ذلك البتة في أيام الحرب، بل نظروا إلى الجميع كعنصر حي واحد يقاتل في صفوف الحلفاء ومن أجل استقلاله تحت لوائي، وفيه سائر ما يفرقونه اليوم لغرض في النفس غير شريف، فأرجو من فخامة الوزير الخطير أن يتلقى ما أبديه من الملحوظات بشأن استرجاع الجيوش البريطانية من سوريا مما أعهد فيه من سعة الصدر والحلم وحدة الحكم وأن يحمله على معناه المقصود منه بالذات من غير أن يؤخذ منه تحيز لفريق دون فريق وإيثار لأمة على أخرى فإني والله يشهد عربي قبل كل شيء ولا أقصد فيما أقول غير الحرص على مصلحة أمتي العربية سوريا كانت أو غير ذلك، التي فوضت إلي شئونها القومية وأمر مستقبلها المنتظر، ولذلك أستأذنكم يا صاحب الفخامة في استلفات نظركم إلى البيان التالي:

١ ـ لا يخفى على فخامة الوزير الأجل أن الأهلين في الوطن السوري عاجلوا العدو المشترك بضربة قاضية منهم عند تراجعه المحكم فغادروه بدءاً بغير

نظام وبادروا إلى إنشاء حكوماتهم الأهلية في بلادهم، ومن تلقاء أنفسهم وبمرأى من العدو ومسمع، ثقة منهم بما صدر من إشاراتنا لهم وما بلغناهم إياه عن نية الحلفاء نحو العرب وما يثبت أن جيوش الحلفاء المختلطة إن دخلت إلى هذه البلاد المتحالفة التي استقلت فعلاً بتأييدهم وبسعى أهلها بين الترحاب والتهليل، إلا أنه بعد وصول القائد العام للحلفاء أمرني فخامته بأن أنزع الأعلام العربية من السواحل وأن أسترجع عمالي منها فامتثلت فوراً لأني جندي، فاعترض الأهلون على هذا التغيير المجحف بحقوقهم وعلى إحباط مساعيهم التي بذلوها فدعت الحالة حضرة القائد العام أن يصرح لهم بأن هذا التغيير وقتي وأن الإدارة التي أمر بتنظيمها ستظل مرتبطة به رأساً بصفة كونه ممثلاً للحلفاء لا قائداً لدولة معينة إلى أن يقرر المؤتمر مصير البلاد ثم وزع البلاد بين إدارات ثلاث: إنجليزية في فلسطين، وفرنساوية في الساحل، وعربية في الداخل تجمعها كلها إدارة واحدة هي القيادة العامة الممثلة للحلفاء بأسرهم، فكان للبلاد بهذا النظام المحدث، على ما فيه من علل، وحدة إدارية مؤقتة فكيف يصح أن يفرط عقد هذه الوحدة الآن بدون إنشاء ما يقوم مقامها حرصاً على توجيه البلاد ومصلحة أهلها، ومحافظة على النظام فيها إلى أن يصدر القرار الأخير.

٢ ـ جاء في القرار الذي تفضلتم بإرسال نسخة منه بالأمس أن الجمهورية الإفرنسية لا تعترف بما ورد في مذكرة رئيس الوزارة البريطانية من المقترحات المدونة فيها إلا فقرة واحدة منها تختص بجلاء الجيوش البريطانية في سوريا فقد اقترنت بموافقة عليها، فجاءت من غير اعتراض، ثم ذكرتكم في ذيل ذلك القرار أن مؤتمر الصلح أخذ علماً ليس إلا بالأمر.

ومن ذلك يظهر جليّاً أن الحكومة الفرنسية اعترفت بالجلاء ونبذت بقية المواد وأن العرب يرفضون الاقتراح كله لأنه يحملهم مسئولية كبرى من دون أن يكون لهم رأي سابق فيها.

ولأن الأهالي يعدون هذا التغيير الجديد تحاملاً عليهم وشروعاً فيما يخافونه وينكرونه بأجمعهم من تقسيم وطنهم الذي لا يمكن أن يكون إلا قضاء مدمراً على حياتهم السياسية والاقتصادية والإدارية، وإني أؤكد لفخامتكم أن هذا الجلاء بهذه الصورة يضر بمصلحة فرنسا نفسها لأنه يكون سلاحاً بيد المرجفين ضدها، وإن أصرت عليه إيثاراً لمنفعتها الذاتية، من غير أن تراعى في ذلك أية مصلحة لأبناء الوطن.

٣ - إن ذلك الجلاء المذكور يؤدي بحكم الطبع إلى تقسيم البلاد إلى إدارات مختلفة لا رابطة بينها، تستقل كل واحدة منها عن الأخرى وترتبط بمرجع آخر، ولا يخفى ما في ذلك من التشويش والأضرار الجمة التي توجد التضارب في المصالح والنفوذ وشكل الإدارة وبالتالي تقضى إلى هلاك الشعب وبواره، وذلك ما أجّل الجمهورية الفرنسية المعظمة عن الرضى به والنزول عند حكمه بمرجع واحد، وجعل جميع أعمال الإدارة على نمط معلوم أو متقارب في الأقل بحيث لا يخل بالوحدة ولا بمصلحة البلاد.

٤ - إني أؤكد لفخامة الوزير الخطير أن في تنفيذ هذا الجلاء القريب خطراً حقيقياً على البلاد، لأن الأهلين لا يمكن أن يقنعهم أحد أو ترضيهم حجة بأن ذلك الجلاء لا يكون توطئة لتقسيم استعماري إن لم يكن شروعاً فيه بالفعل،



فيدفعهم اليأس إلى المجازفة بأرواحهم وبكل ما يملكون من غال ورخيص للدفاع عن وحدتهم التي لا بد لهم منها، وتروج بينهم أقوال الدساسين الذين يزعمون أن الإسلام مقصود بالذات، وأن مكافأة العرب على جهادهم في صفوف الحلفاء لم يكن غير الحكم عليهم بالإعدام، وإننا لنلمح بوادر ذلك الخطر في الأناضول ونسأل الله والحلفاء أن يساعدونا على منع وقوعه وانتشاره.

ذلك ما أريد بيانه لفخامتكم ولي ملء الثقة أن تنظروا إلى ما انطوى عليه من الصدق والإخلاص، بما جبلتم عليه من إيثار الحق والعدل وأن تثقوا أنه لا مأرب لي ولا غاية إلا رعاية المصلحة المشتركة فيما بين العرب والحلفاء، والتعاون على بث الأمن والسلام في بلادي المنكودة الحظ التي عانت من أهوال الحرب ورزاياها ما يستوجب الاتصال والرحمة، وأن تبادروا إلى إجابة ما اقترحته من تأليف لجنة مختلطة تنظر في أمر الجلاء من جميع وجوهه الإدارية والعسكرية دفعاً كما سبق لي بيانه من المحاذير.

وتفضلوا يا صاحب الفخامة بقبول فائق تحياتي واحترامي..

* * *

ملحق رقم ٤

رسالة بعث بها كلمنصور إلى فيصل في ٢ نوفمر (تشرين ثان) ١٩١٩ كرد على رسالة فيصل .

« من مجموعة أوراق عوني عبد الهادي »[١]

باريس ٢ نوفمبر ١٩١٩م رئاسة الوزارة

الوزير

ياصاحب السمو :

أردتم أن تشيروا إلي في كتابكم المؤرخ في ٢٥ أكتوبر الماضي إلى الاضطراب الذي أحدثه في نفسكم القرار الصادر من المؤتمر في ١٥ سبتمبر بشأن انسحاب الجيوش الإنجليزية من سوريا وكليكية واستبدالها بجيوش إفرنسية .

ولقد خشيتم أن يكون في تطبيق هذا القرار ما يحمل السوريين والعرب على الاعتقاد بأنه بمثابة تقسيم لسوريا ويؤدي إلى القلاقل التي تريدون أن تلقوا مسئوليتها على عاتقكم .

فإطناباً لذلك تقترحون سموكم أيضاً تأليف لجنة يعهد إليها درس طرق

---

(١) عن كتاب الحكومة العربية في دمشق : ص ٢٨٥ – ٢٨٦ .



انسحاب الجويش الإنجليزية وإيجاد إدارة مؤقتة تصون وحدة البلاد، وتحفظ النظام بين المناطق المختلفة المحتلة وتوطد حقوق الأهالي.

وقد نظرت إلى رأيكم هذا بعين الانعطاف، وأريد أن أطرح لكم بصفة عامة أن الحكومة الفرنساوية لم تزل ترغب بكل إخلاص في توطيد دعائم الحكم الحر المؤدي إلى الرقي والنظام في سوريا وفي العراق، وفي سائر بلاد الشرق التي تحررت طبقاً لمبادئ سياستها الحرة التي هي ذات مبادئ مؤتمر السلام.

إني قانع بأن الثقة المؤسسة بين العرب وحلفائكم في إبان الحرب التي اشتركوا فيها معاً تساعد على توطيد علاقاتهم طبقاً لتقاليد الأهالي ورغائبهم وارتباط مصالحهم.

فالحكومتان الفرنساوية والإنجليزية ستبقيان مرتبطتين ارتباطاً شديداً في السلم كما كانتا في الحرب، والمسألة التي تودون المناقشة فيها اليوم أقل، ويظهر لي أنها للغالبية: إذ لا ينطوي هذا الموضوع في الحقيقة إلا على أمور لا مساس لها بالحقوق فلا الشروط السياسية في سورية ولا حدودها الحاضرة، مما يجري البحث فيه، فثقتكم وقلق الأهالي الذي تحسون به هو بالنتيجة يسهل دفعه، ففي المناطق التي ستحتلها الجيوش الفرنساوية بدلاً من الجيوش الإنجليزية أنا قانع بأن رؤساء جيوشنا قادرون على تطمين الأهالي وحفظ النظام وعليكم بما لديكم من السلطة العليا، أن تفعلوا مثل ذلك في الشام وحلب، وإني مستعد لأن آتيكم عند أول طلب يصدر منكم لمساعدتكم في صون النظام إذا أخل بإغراء المحرضين الذين لا يقدرون إلا على تعريض منافع العرب للضرر، وتقليل الثقة التي يرغب

مؤتمر السلم أن يمنحها لهم.

فالنظر في هذه الأمور نظراً بسيطاً يظهر لكم أن ليس في تعيين هذه اللجنة اليوم ألا تشوبكم للحالة الخطرة فضلاً عن كونه مخالفاً لقرار المجلس الأعلى.

ففي ١٥ سبتمبر الماضي أعلن المستر لويد جورج للمؤتمر بأن ضرورة تسريح الجيوش أجبرته على سحب الجيوش بالبريطانية من كليكية وسوريا، وقد طلبوا استبدالها بجيوش فرنساوية، وقد وافق المجلس الأعلى على ذلك وأخذ علماً بالاحتياطات التي اتخذها رئيس الوزارة الفرنساوية بشأن سائر التفرعات التي انطوت عليها مذكرة المستر لويد جورج وصرح بأن هذا التدبير العسكري ليس له إلا صفة مؤقتة، ولا يعتبر مقدمة لحل المسائل الشرقية بأسرها.

وبموجب هذه الشروط أعطيت جميع هذه الضمانات للمستقبل: فالمسألة السياسية محفوظة تمام الحفظ والإدارة المحلية لم تتغير ولم يتخذ أي قرار عن الحدود، فجميع المنافع التي لكم الحق الأوفر أن تعنوا بها لا تزال منوطة بقرارات مؤتمر السلم، فتعيين لجنة لدرس طرق الانسحاب وتغيير الإدارة الحاضرة في البلاد فضلاً عن كونه لا فائدة منه، فهو مخالف لقرارات المجلس الأعلى، هذا؛ وإني مستعد تماماً للنظر معكم في كل ما يشغلكم من شئون المستقبل مع الأخذ بنظر الاعتبار إلى مصالحنا المشتركة.

وتقبلوا يا صاحب السمو أطيب تمنياتي،،،

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أ

- **الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر**: د. محمد محمد حسين ـ الطبعة السادسة مؤسسة الرسالة ـ بيروت / ١٤٠٣هـ.
- **الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين**: الطبعة الثانية ـ الدار المتحدة للنشر/ بيروت/ الطبعة الثانية/ ١٩٧٩م.
- **أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين**: يوسف ابراهيم الشيخ عيد ـ الطبعة الأولى ـ دار المعالي ـ عمان / ١٤١٩هـ.
- **أحجار على رقعة الشطرنج**: وليام غاي كار ـ دار النفائس ١٣١٢هـ.
- **الأرض المقدسة بين الماضي والحاضر والمستقبل**: إبراهيم العلي / الطبعة الأولى منشورات فلسطين المسلمة عام ١٩٩٦م.
- **أزمة العصر**: د. محمد محمد حسين ـ عام ١٩٧٨م، دار عكاظ ـ جدة.
- **الاستخبارات والجاسوسية في الدولة العثمانية**: عزيز بك ـ تعريب فؤاد الميداني ـ بيروت.
- **الإسلام والحضارة الغربية**: د. محمد محمد حسين ـ مؤسسة الرسالة.
- **أسرار الثورة العربية**: تأليف أمين سعيد ـ طبع القاهرة.



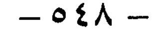
- **الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام**: عبد الله التل ـ الطبعة الثانية ـ المكتب الإسلامي عام ١٣٩١هـ.
- **الأعلام**: للزركلي ـ طبعة دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٩٧م.

ب

- **البداية والنهاية**: لابن كثير ـ طبع دار الفكر ـ بيروت، ١٣٩٨هـ.
- **البعد الديني في السياسة الأمريكية**: د. يوسف الحسن/ مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ـ ١٩٩٧م.
- **بلاد الشام**: وجيه كوثراني، طبعة بيروت/ ١٩٨٠م.
- **البلاد العربية والدولة العثمانية**: ساطع الحصري ـ طبعة بيروت ١٩٦٥م.
- **بيروت ولبنان في عهد آل عثمان**: يوسف الحكيم ـ بيروت، ١٩٦٤م.

ت

- **تايرخ آداب اللغة العربية**: جورجي زيدان ـ دار الهلال ـ القاهرة.
- **تاريخ الأردن المعاصر**: د. علي محافظة ـ الطبعة الثانية/ عمان/ ١٩٨٩م.
- **تاريخ الأردن في القرن العشرين**: منيب الماضي وسليمان موسى ـ عمان/ ١٩٥٩م.
- **تاريخ جودت**: تعريب عبد القادر أفندي ـ بيروت ـ ١٣٠٨هـ.
- **تاريخ الدولة العثمانية**: د. علي حسون ـ المكتب الإسلامي ـ دمشق/ ١٤٠٠هـ.



● تاريخ الدولة العلية: محمد فريد بك ـ تحقيق د. إحسان حقي، طبع بيروت دار النفائس/ ١٤٠٨هـ.

● تاريخ سوريا: نهاية الحكم التركي: د. علي سلطان ـ دار طلاس ـ دمشق عام ١٩٨٧م.

● تاريخ لبنان المعاصر: يوسف مزهر.

● التبشير والاستعمار: الخالدي وفروخ.

● تركيا الفتاة: د. أرنست رامزور ترجمة د. صالح العلي، مكتبة الحياة بيروت، عام/ ١٩٦٠م.

● تاريخ الصحافة السورية: د. شمس الدين الرفاعي ـ دار المعارف/ مصر/ ١٩٦٩م.

● تطور الحركة الوطنية في سورية: د. ذوقان قرقوط.

● التعصب الأوروبي أم التعصب الإسلامي: محمد العبدة/ دار ابن حزم ـ بيروت عام ١٤١٦هـ.

ث

● ثورة الشهيد عز الدين القسام: عوني عبد الهادي ـ مكتبة المنار ـ الزرقاء ـ الأردن.

● الثورة العربية الكبرى: أمين سعيد ـ مطبعة الحلبي بمصر.

● الثورة العربية الكبرى: عبد الكريم غرايبة ـ عمان ـ ١٩٦٧م.

ج

● **جذور الوصاية الأردنية:** تعريب: د. سليمان بشير ـ الزهراء للإعلام العربي ـ القاهرة / ١٩٩١م.

● **جزيرة العرب في القرن العشرين:** حافظ وهبة، طبع مصر / ١٩٣٥م.

● **جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن:** صالح مسعود أبو يصير ـ دار الفتح بيروت الطبعة الخامسة ١٩٨٨م والطبعة الثانية ١٩٦٩م.

ح

● **حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة:** د. جميل عبد الله المصري ـ دار أم القرى ـ عمان / ١٤٠٩هـ.

● **حاضر اللغة العربية:** سعيد الأفغاني / ط٢ / دار الفكر / ١٩٧١م.

● **الحركات الباطنية في العالم الإسلامي:** د. محمد أحمد الخطيب / مكتبة الأقصى / ١٩٨٤م، ١٩٨٦م.

● **حركة الجامعة الإسلامية:** أحمد فهد بركات الشوابكة / مكتبة المنار ـ الأردن / ١٤٠٤هـ.

● **حركة اليقظة العربية في الشرق الآسيوي:** محمود صالح منسي ـ القاهرة / ١٩٧٢م.

● **الحركة العربية:** سليان موسى ـ دار النهار ـ بيروت ـ ١٩٧٧م.

● **حقائق لبنانية:** بشارة الخوري، طباعة لبنان / درعون ـ حريصا ـ ١٩٦٠م.

● **حقائق عن قضية فلسطين:** الحاج أمين الحسيني ـ دار الكتاب العربي /

ط٣/١٩٥٧م.

● الحكومة العربية في دمشق: خيرية قاسمية ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٧١م.

● حكومة فيصل بن الحسين: د. علي سلطان/ دمشق/ دار طلاس/ ١٩٨٧م.

● حول الحركة العربية الحديثة: محمد عزة دروزة/ طبع صيدا ـ ١٩٥٠م.

● الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا: د. يوسف القرضاوي الطبعة الثالثة ـ مكتبة وهبة.

خ

● الخطر المحيط بالإسلام: جواد رفعت ـ ترجمة وهبي عز الدين بغداد ـ ١٩٦٥م.

● خطط الشام: محمد كرد علي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ١٤٠٣هـ.

● الخيانة الكبرى: أحمد رائف ـ الزهراء للإعلام العربي ـ القاهرة/ ١٩٩٢م.

د

● الدارس في تاريخ المدارس: عبد القادر النعيمي ـ مكتبة الثقافة الدينية بدمشق ١٩٨٨م.

● دراسات في تاريخ لبنان المعاصر: د. حسان حلاق ـ دار النهضة العربية



للطباعة/ بيروت/ ١٤٠٥هـ.

● **دمشق**: تأليف الشيخ علي الطنطاوي/ نشر دار الفكر/ ١٩٥٩م.

● **دمشق في مطلع القرن العشرين**: أحمد حلمي العلاف/ الطبعة الثانية دار دمشق/ ١٩٨٣م.

● **دمشق تحت القنابل**: أليس بولو - ترجمة محمد نمر المدني - دار دانية للنشر/ دمشق/ ١٩٦٦م.

ذ

● **الذئب الأغبر**: أرمسترونج - دار الهلال بمصر - ١٩٥٢م.

ر

● **رحلة ابن جبير**: طبعة بيروت - دار صادر - ١٩٥٦م.

● **رجال من فلسطين**: عجاج نويهض - بيروت - ١٩٨١م.

س

● **السعوديون والحل الإسلامي**: محمد جلال كشك - الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ/ المطبعة الفنية - القاهرة.

● **سقوط الدولة العثمانية**: د. عبد اللطيف بن محمد الحميّد - مكتبة العبيكان - الطبعة الأولى - ١٤١٦هـ.

● **السلطان عبد الحميد الثاني**: أورخان محمد علي - دار الأنبار - العراق طبعة ١٤٠٧هـ.

● **سورية والعهد الفيصلي**: يوسف الحكيم - بيروت - ١٩٨٠م.

● **سياسة الحكم في لبنان**: د. حمدي الطاهري - المطبعة العالمية - القاهرة.

● **سياسة الانتداب البريطاني الاقتصادية**: د. إبراهيم رضوان الجندي منشورت دار الكرمل ـ عمّان ـ ١٩٨٦م.

● **سيرة ذاتية**: شكيب أرسلان ـ بيروت ـ دار الطليعة /١٩٦٩م.

ش

● **الشرق الأوسط الحديث ج ٣**: بإشراف ألبرت حوراني وآخرين ـ ترجمة: د. أسعد صقر ـ دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر/ دمشق/ ١٩٩٦م.

● الشرق العربي المعاصر «القسم الأول: الهلال الخصيب»: د. محمود حسن صالح منسي، جامعة الأزهر/١٩٩٥م.

● الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية: د. عمر سليمان الأشقر ـ دار النفائس ومكتبة الفلاح/ الكويت وعمان/ ١٤١٢هـ.

● شكري القوتلي: عبد اللطيف يونس/ دار المعارف بمصر/ ١٩٥٩م.

ص

● **الصحابة الأعلام ممّن دفن منهم في الشام**: محمد رياض خورشيد/ مراجعة الشيخ نايف العباس ـ نشر مكتبة الغزالي ـ دمشق ١٩٨٠م.

● **الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية**: أبو الحسن الندوي، دار الأنصاري ـ القاهرة ـ ١٩٧٧م.

● **الصراع الدولي في الشرق الأوسط**: زين نور الدين زين ـ بيروت ـ ١٩٧١م.

● **الصراع العربي الإسرائيلي**: محمد عبد الغني النواوي/ ط١/





١٤٠٣هـ.

ط

- **الطريق إلى القدس**: د. محسن محمد صالح ـ منشورات فلسطين المسلمة ـ الطبعة الثانية/١٩٩٧م لندن.

ع

- **العالم الإسلامي**: أنور الجندي ـ ط١/دار الكتاب المصري/ ١٩٧٩م.
- **العرب والترك**: محمد جميل بيهم ـ بيروت/١٩٥٧م.
- **العلمانيّة**: د. سفر الحوالي ـ جامعة أم القرى ـ ١٤٠٢هـ.
- **العلويون أو النصيرية**: د. محمد مجاهد الأمين ـ المؤسسة الإسلامية للطباعة والنشر/ بيروت.

غ

- **غوطة دمشق**: محمد كرد علي ـ نشر دمشق عام ١٩٤٩م.

ف

- **فاجعة ميسلون والبطل يوسف العظمة**: محيي الدين سفرجلاني/ طبع دمشق/١٩٣٧م.
- **فضائل الشام**: للربعي ومعه مناقب الشام وأهله لابن تيمية ـ الطبعة الرابعة ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت/١٤٠٥هـ/ تحقيق الشيخ ناصر الألباني.
- **الفكر السياسي المعاصر في سورية**: د. جورج جبور ـ المنارة ـ بيروت، الطبعة الثانية/١٩٩٣م.
- **فلسطين بين الانتداب والصهيونية**: عيسى السفري ـ طبعة القدس ـ

١٩٣٧م.

● في سبيل الاستقلال: يوسف السّودا ـ طبع بيروت/١٩٦٧م.

ق

● القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها: محمد عزة دروزة ـ صيدا ـ ١٩٥٩م.

● قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور: محمد جميل بيهم...

● القومية العربية: مصطفى الشهابي: القاهرة ـ ١٩٦١م.

ك

● الكامل في التاريخ لابن الأثير: الطبعة الثالثة ـ دار الكتاب العربي/ بيروت/ ١٤٠٠هـ.

● الكتاب الذهبي: منير الريس ـ دار الطليعة ـ بيروت/١٩٦٩م.

● كفاح الشعب العربي السوري: إحسان هندي ـ دمشق ـ ١٩٦٢م.

● كيف جلت القوات العثمانية: جمال باشا الصغير، ترجمة فؤاد الميداني بيروت ١٩٣٢م.

● كيف سقطت الخلافة الإسلامية: فتحي شهاب الدين. دار البشير للثقافة والعلوم ـ مصر ١٩٩٨م.

ل

● لورنس على خطا هرتزل: زهدي الفاتح ـ دار النفائس ـ بيروت ١٣٩٠هـ.

م

● ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: أبو الحسن الندوي ـ دار الكتاب العربي بيروت/ ١٩٦٥م.

● المارونية السياسية: منح الصلح ـ طبع بيروت/ ١٩٧٨م.

● محاضرات في تاريخ فلسطين: أحمد طربين ـ القاهرة ـ ١٩٥٨م.

● مذاهب فكرية معاصرة: محمد قطب ـ دار الشروق/ ١٤٠٣هـ.

● المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين: أميل الغوري – دار النيل للطباعة القاهرة/ ١٩٥٥م.

● المؤسسات التعليمية الأجنبية في نهاية الخلافة العثمانية في استانبول: رسالة ماجستير ـ جامعة الإمام محمد بن سعود ـ الرياض ١٤٠٩هـ ـ سهيل صابان.

● المؤتمر العربي الأول: إعداد حزب اللامركزية العثماني ـ مطبعة البوسفور/ القاهرة/ ١٩١٣م.

● مرآة الشام: عبد العزيز العظمة، تحقيق نجدة فتحي صفوة ـ لندن رياض الريس للكتب والنشر.

● مذكرات أحمد جمال باشا: ترجمة علي أحمد شكري/ مصر/ ١٩٢٣م.

● مذكرات أحمد قدري: دمشق/ ابن زيدون/ ١٩٥٦م.

● مذكرات خالد العظم: بيروت/ ١٩٧٣م.

● مذكرات السلطان عبد الحميد السياسية: ترجمة محمد حرب

عبد الحميد ـ دار الأنصار بالقاهرة / ١٩٧٨م.

● مذكراتي السياسية: السلطان عبد الحميد ـ طبع مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٩٧٩م.

● مذكرات محمد كردعلي: مطبعة الترقي ـ دمشق / ١٩٤٨م.

● مذكرات فائز الغصين عن الثورة العربية: دمشق ـ مطبعة الترقي ١٩٥٦م.

● مذكرات طه الهاشمي: دار الطليعة بيروت / ١٩٦٧م.

● مذكرات على هامش القضية العربية: أسعد داغر ـ القاهرة / ١٩٦٠م.

● من أوراق الانتداب: زهير الشلق ـ دار النفائس / بيروت / ١٤٠٩هـ.

ن

● النزعات السياسية في لبنان: محمد جميل بيهم ـ بيروت ـ ١٩٧٧م.

● نشوء القومية العربية: زين نور الدين زين / دار النهار / بيروت / ١٩٦٨م.

● النصيرية: تقي شرف الدين / طبع بيروت / ١٩٨٦م.

● نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية: محمد الخير عبد القادر، مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ١٤٠٥هـ.

● نكبة بيت المقدس: عارف العارف ـ المكتبة العصرية ـ بيروت.

● النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة: الشيخ مصطفى صبري، بيروت، ١٣٤٢هـ.

● نهر الذهب في تاريخ حلب: كامل الغزّي ـ طبع حلب / ١٩٢٦م.



● **نهضة أم تغريب** : موفق زريق ـ المنارة : بيروت ودمشق ١٩٩٦م .

هـ ـ و

● **الهاشميون وقضية فلسطين** : أنيس صايغ ـ منشورات جريدة المحرر والمكتبة العصرية ـ صيدا وبيروت / ١٩٦٦م .

● **هل نحن مسلمون** : محمد قطب ـ دار الشروق .

● **الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين** : القاهرة / الجامعة العربية / إدارة فلسطين ـ ١٩٥٧م .

● **وثائق المؤتمر العربي الأول** : وجيه كوثراني / طبعة بيروت / ١٩٨٠م .

ي

● **يقظة العرب** : جورج أنطونيوس ـ بيروت ـ ١٩٦٦م، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس .

● **يوم ميسلون** : ساطع الحصري، مكتبة الكشاف / بيروت / ١٩٤٧م .

الصحف:

ـ جريدة الشرق الدمشقية ـ جريدة الحقيقة البيروتية .

ـ جريدة العاصمة الدمشقية ـ جريدة المفيد الدمشقية .

ـ جريدة الحياة ـ صوت العرب ـ جريدة المقطم : القاهرة .

ـ جريدة القبلة بمكة المكرمة / عام ١٩٢٣م .

ـ جريدة لسان الحال البيروتية ـ جريد ةالبرق : بيروت .

ـ جريدة صوت الحجاز ـ جريدة المستقبل : باريس بالعربية .

- جريدة نيويورك تايمز، وجريدة جويش كرونكل لعام/ ١٩١٩م.

المجلات:

● مجلة العربي: الكويت - مجلة فلسطين، مجلة المنار: القاهرة.

● مجلة الهلال: القاهرة ● مجلة الأسبوع العربي: بيروت.

● مجلة الكواكب القاهرية ١٩١٧م ● ومجلات: المقتطف والمقاصد والأسرار.

● محاضرات الدكتور أحمد الدعيج (في ١٤ شريط) حول التاريخ السياسي للدولة العثمانية إصدار تسجيلات المسلم الإسلامية - الكويت.

* * *



فهرس الموضوعات



الباب الثالث

المؤامرة الكبرى لإسقاط الخلافة وتمزيق بلاد العرب

٩٣ - ٢٥٤

الباب الرابع
التحالف مع الإنجليز والحصاد المر
٢٥٥ - ٣٢٦

الباب الخامس: مرحلة الانتداب

مرحلة تقسيم البلاد وتجزئتها

٣٢٧ - ٥١٧



❋ ❋ ❋

المؤامرة الكبرى

على بلاد الشام





